

د. جمال واكيم

# المشرق سياسياً



2018 - 1918

المشرق سياسياً

2018 - 1918

الكتاب: المشرق سياسياً 1918-2018

المؤلف: د. جمال واكيم

الموضوع: تاريخ سياسي

عدد الصفحات: 383

القياس: 24 x 17

تدقيق لغوي: هاني الحلبي

الطبعة الأولى، 2019

© جميع حقوق النشر والترجمة محفوظة

مركز المشرق للأبحاث والدراسات

بيت المشرق ، ساحل علما - جونيه، لبنان

رقم الهاتف: 00961 9 636400

00961 81 835109

البريد الإلكتروني: [levant.research.center@gmail.com](mailto:levant.research.center@gmail.com)

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل من الأشكال أو بأي وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أم الإلكترونية أو الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن من مركز المشرق للأبحاث والدراسات.

د. جمال واكيم

المشرق سياسياً 1918 – 2018



مركز المشرق  
للأبحاث والدراسات

Levant Center for Research and Studies



# الفهرس

|           |  |
|-----------|--|
| 9 .....   | مقدمة                                    |
| 15 .....  | الجزء الأول 1920 – 1958                  |
| 17 .....  | الفصل الأول: سوريا 1920 – 1958           |
| 41 .....  | الفصل الثاني: لبنان 1920 – 1958          |
| 65 .....  | الفصل الثالث: العراق 1920 – 1958         |
| 83 .....  | الفصل الرابع: فلسطين والأردن 1920 – 1958 |
| 109 ..... | الجزء الثاني 1958 – 1970                 |
| 111 ..... | الفصل الأول: سوريا 1958 – 1970           |
| 125 ..... | الفصل الثاني: لبنان 1958 – 1970          |
| 147 ..... | الفصل الثالث: العراق 1958 – 1970         |
| 169 ..... | الفصل الرابع: فلسطين والأردن 1958 – 1970 |
| 187 ..... | الجزء الثالث 1970 – 1991                 |
| 189 ..... | الفصل الأول: سوريا 1970 – 1991           |
| 213 ..... | الفصل الثاني: لبنان 1970 – 1991          |
| 235 ..... | الفصل الثالث: العراق 1970 – 1991         |
| 259 ..... | الفصل الرابع: فلسطين والأردن 1970 – 1991 |
| 277 ..... | الجزء الرابع 1991 – 2000                 |
| 279 ..... | الفصل الأول: العراق 1991 – 2010          |
| 293 ..... | الفصل الثاني: سوريا ولبنان 1991 – 2010   |
| 321 ..... | الفصل الثالث: فلسطين والأردن 1991 – 2010 |
| 339 ..... | خاتمة                                    |



## مقدمة



في العام 1516 انتصر الجيش العثماني بقيادة السلطان سليم الأول على جيش مماليك مصر بقيادة السلطان قانصوه الغوري في معركة مرج دابق بالقرب من حلب. وبنتيجة هذا الانتصار تمكّن العثمانيون من ضم بلاد الشام إلى دولتهم، ما مكّنهم بعد ذلك بعام من احتلال مصر لينطلقوا منها لاحتلال منطقة الحجاز واليمن وشمال أفريقيا حتى حدود المغرب، ويدخلوا وبالتالي الأقطار العربية تحت حكمهم نحو ثلاثة قرون بالنسبة لشمال أفريقيا، وأربعة قرون بالنسبة لبلاد المشرق والجزيرة العربية.<sup>1</sup> بقيت الدولة العثمانية هي الدولة الأقوى في أوروبا حتى بدايات القرن الثامن عشر. خلال هذه الفترة تمكّنت من الوصول إلى قلب أوروبا ومحاصرة فيينا مرتين كانت الثانية في أواخر القرن السابع عشر. لكن النظام الإقطاعي الذي قامت عليه الدولة العثمانية منذ تأسيسها بدأ بالتفسخ خصوصاً خلال القرن الثامن عشر. في الوقت الذي كان العالم ينتقل مع أوروبا الغربية إلى مرحلة الرأسمالية المركبة.<sup>2</sup> وقد ترافق ذلك مع تفكك الدولة العثمانية من الداخل ما انعكس بحياة الولاة المحليين على سلطات أكبر بكثير ترقى إلى الحكم الذاتي إن لم يكن الانفصال عن الدولة.

مع النصف الثاني من القرن الثامن عشر كانت الإمبراطورية الروسية ترزو بانتظارها جنوباً للوصول إلى البحر الأسود الذي كان حتى ذلك الوقت بحيرة عثمانية، وكان ذلك بإطار الاستراتيجية الروسية للسيطرة على القسطنطينية والوصول إلى شواطئ شرقي البحر المتوسط. في هذا الإطار وقعت الحرب الروسية العثمانية بين عامي 1768 و1774 والتي تمكّنت الدولة الروسية بنتيجة من السيطرة على شبه جزيرة القرم وكسر احتكار الدولة العثمانية للهيمنة على البحر الأسود.<sup>3</sup> وقد تلت ذلك حروب روسية - عثمانية عدة كانت تسعى الدولة الروسية من خلالها إلى السيطرة على ممتلكات الدولة العثمانية في شرق أوروبا والبلقان. وقد ترافق ذلك مع أحداث جسمية وقعت في أوروبا الغربية وشمال أمريكا شهدت ثورة المستعمرات البريطانية على الساحل الشرقي للقاره الشماليّة نتج عنه استقلال المستعمرات الثلاث عشرة وتأسيس الولايات المتحدة الأميركيّة، وتلا ذلك وقوع الثورة الفرنسية في العام 1789 بالتوازي مع تطور تقني في بريطانيا أدى إلى الثورة الصناعية. وقد آذن ذلك بانطلاق الرأسمالية كنظام مهيمن في أوروبا الغربية ومن ثم في العالم وتوسّع هذه الرأسمالية لتشمل العالم بأجمعه.

<sup>1</sup> لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، بيروت: الفارابي، 1980، 7.

<sup>2</sup> لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، 27 – 30.

<sup>3</sup> Simon Dixon, Catherine the Great, Harper Collins Ebooks, 2009, 209.

وقد تأثرت الدولة العثمانية بذلك حين قام نابوليون بونابرت باحتلال مصر في العام 1799 فأظهر الصعف الذي وصلت إليه الدولة العثمانية.<sup>4</sup> وقد تلا ذلك تغلغل الرأسمال الفرنسي في الدولة العثمانية عبر بوابتي حلب وبيروت وصعود نجم محمد علي باشا وإلي مصر، الذي عقد علاقات وثيقة مع فرنسا وقام بتحديث جيشه وبناء الاقتصادية ليواجه الدولة العثمانية ويحاول الاستقلال عنها.<sup>5</sup> ولو لا تدخل القوى الغربية بقيادة الإمبراطورية البريطانية لكان محمد علي تمكّن من الاستيلاء على القسطنطينية واستبدل حكم بني عثمان بحكم أسرته هو على الأقطار العربية.<sup>6</sup>

مع العام 1830 كان مقدّراً للعام العربي أن يدخل مرحلة الاستعمار مع احتلال فرنسا للجزائر.<sup>7</sup> وقد تلا ذلك تغلغل الرأسمالية الغربية في الدولة العثمانية بشكل واسع ما أحدث تحولات اقتصادية واجتماعية عميقة في هذه الدولة مع النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد نتج عن ذلك سعي القوى الأوروبية لتقاسم الدولة العثمانية التي باتت تسمّى بـ"برجل أوروبا المريض". وفي العام 1876 شنّ الروس حرباً جديدة ضد الدولة العثمانية نتج عنها استقلال صربيا ورومانيا ونيل بلغاريا استقلالاً ذاتياً موسعاً وسيطرة دولة النمسا - المجر على البوسنة والهرسك.<sup>8</sup> وبذلك فقدت الدولة العثمانية معظم ولايتها في أوروبا، خصوصاً أن اليونان كانت قد استقلت في العام 1829. وفي العام 1882 تقاسمت الإمبراطوريات الفرنسية والبريطانية شمال أفريقيا، إذ احتلت الأولى المغرب وتونس،<sup>9</sup> فيما احتلت الثانية مصر،<sup>10</sup> وبالتالي لم يبق من ممتلكات الدولة العثمانية في شمال أفريقيا إلا ليبيا. وكانت بريطانيا قد سيطرت على سواحل منطقة الخليج الغربية في العام 1821 وفرضت هيمنتها عبر إجبار المشايخ المحليين على توقيع اتفاقية حماية مع بريطانيا. وقد تلا ذلك احتلال بريطانيا لميناء عدن في اليمن ناهيك عن أن سلطنة عمان لم تدخل أبداً تحت حكم الدولة العثمانية وكانت إمبراطورية مستقلة تهيمن على قسم من تجارة غرب المحيط الهندي.<sup>11</sup> وبذلك فمع حلول أواخر القرن التاسع عشر كانت مساحة الدولة العثمانية قد تقلّصت إلى البانيا

<sup>4</sup> لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية، 46 - 55.

<sup>5</sup> كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، 546 - 549.

<sup>6</sup> لوتسكي، 143.

<sup>7</sup> لوتسكي، 202.

P. M. Holt, Egypt and the Fertile Crescent: 1516 – 1922 A Political History, London: Cornell University<sup>8</sup>

. 216 - 211 Press, 1966

<sup>9</sup> لوتسكي، 330.

<sup>10</sup> لوتسكي، 268.

<sup>11</sup> لوتسكي، 109 - 110.

ومقدونيا وترacia في أوروبا، والأناضول والعراق وبلاد الشام والجهاز واليمن الشمالي وشبه الجزيرة العربية، ولبيا في شمال أفريقيا.

مع بدايات القرن العشرين كانت الدولة العثمانية قد بلغت مرحلة كبيرة من الضعف وكانت جميع القوى الأوروبية تنتظر وفاة هذه الدولة وتقاسم تركتها، وكان أبرز هذه القوى فرنسا وبريطانيا وروسيا. في المقابل كانت ألمانيا قد خرجت دولة قوية بعد توحيدها على يد بسمارك في العام 1870 بعد انتصاره على فرنسا في الحرب التي وقعت بينهما في العام نفسه. وكانت ألمانيا ت يريد أن تطرح نفسها قوة بين القوى الأوروبية ما أحدث خللاً في التوازن الأوروبي الذي أرساه مؤتمر فيينا الذي عُقد عقب هزيمة نابوليون في معركة واترلو في العام 1815. وقد نظرت ألمانيا إلى كل من النمسا - المجر والدولة العثمانية كحلفاء وبدأت بتحسين العلاقات معهما منذ نهاية القرن التاسع عشر.

بالتوازي مع هذه التطورات فلقد سعت الدولة العثمانية إلى تحديد نفسها بدءاً من بدايات القرن التاسع عشر، وبشكل مكثف بعد العام 1840. فنشأت نخب وتيارات تحمل أفكاراً جديدة تأثرت بالتيار القومي في أوروبا الغربية وتبنت هذه الأفكار. فكان منها القومية الطورانية أو التركية، وتيار القومية العربية الذي كان ينادي بقيام أمة عربية على معظم أراضي الدولة العثمانية الناطقة بالعربية، وتيار القومية السورية الذي كان ينادي بوحدة الهلال الخصيب أي بلاد الشام ومن ثم وحدة الشام وال العراق، وتيار القومية اللبنانية الذي كان ينادي باستقلال لبنان.

في العام 1908 وقع انقلاب قاده ضباط من الجيش العثماني ضد السلطان عبد الحميد نادي بقيام ملكية دستورية وبتحديث الدولة والحد من التدخلات الغربية فيها.<sup>12</sup> وقد قام الضباط بعد عام بعزل السلطان عبد الحميد بعد محاولة منه ل القيام بثورة مضادة وباتت القادة الثلاثة لجمعية الاتحاد والترقي وهم أنور باشا وطلعت باشا وجمال باشا يحكمون الدولة العثمانية. وفي العام 1812 - 1813 تعرّضت الدولة العثمانية لهزيمة في حروب البلقان ما أفقدتها ألبانيا ومقدونيا وباتت ممتلكاتها محصورة بترacia.<sup>13</sup> وفي العام 1814 دخلت الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا والنمسا - المجر في الحرب العالمية الأولى. في هذا الوقت كانت فرنسا وبريطانيا وروسيا ترسم مستقبل الدولة العثمانية بعد الحرب فوقع اتفاقية سرية لتقاسم ولايات الدولة العثمانية وقد عرفت هذه الاتفاقية باتفاقية سايكس بيكو، بعد انسحاب الروس منها بعد ثورة أكتوبر الشيوعية في العام

<sup>12</sup> لوتسكي، 394.

<sup>13</sup> لوتسكي، 407.

1917. و بموجب هذه الاتفاقية تقرر حصول بريطانيا على العراق والأردن وفلسطين، وحصول فرنسا على لبنان وسوريا. وبالتوالي مع هذه الاتفاقية السرية فلقد أطلقت بريطانيا على لسان وزير خارجيتها آرثر بلفور وعدا للحركة الصهيونية منحها الحق بإقامة وطن قومي يهودي في فلسطين.<sup>14</sup>

وقد تضاربت هذه الوعود البريطانية مع وعود أخرى كانت أعطتها بريطانيا للنخب الشامية والعراقية بمنح بلادهم الاستقلال في إطار دولة عربية كان مقرراً أن يصبح الشريف حسين حاكم مكة ملكاً عليها على أن تضم الهلال الخصيب والجزيرة العربية بعد اندلاع الثورة العربية الكبرى في صيف العام 1916.<sup>15</sup> وبعد انهيار الدولة العثمانية في خريف العام 1918 نتيجة هزيمتها في الحرب العالمية الأولى مع حليفتها ألمانيا والنمسا، وقعت بلاد المشرق العربي تحت الاحتلال البريطاني والفرنسي فاحتلت فرنسا سوريا ولبنان فيما احتلت بريطانيا العراق والأردن وفلسطين.

وهذا العام (2018) يصادف ذكرى مرور مئة عام على انهيار الدولة العثمانية ووقوع بلدان المشرق تحت الاحتلال البريطاني والفرنسي وقيام الكيانات الوطنية في هذه المنطقة. من هنا فإن فكرة هذا الكتاب هي في سرد تاريخ منطقة المشرق، أي سوريا ولبنان وال العراق والأردن وفلسطين خلال مئة عام من زاوية التاريخ السياسي لهذه البلدان في إطار التحولات الإقليمية والدولية التي جرت خلال قرن كامل وصولاً إلى يومنا هذا، وما تشهده المنطقة العربية بشكل عام والمشرق وسوريا بشكل خاص من تطورات تؤذن بنهاية مفاعيل تطورات بدايات القرن العشرين.

ولأن هذه المرحلة هي مرحلة طويلة ومتشعبة، وقد تميزت فترات منها بخصائص مختلفة عن الفترات الأخرى فلقد ارتأيت أن أقسم الكتاب إلى أربعة أجزاء. ويشمل الجزء الأول الفترة الممتدة من العام 1920 تاريخ الدخول الفعلي لأقطار المشرق تحت الهيمنة البريطانية والفرنسية وتقسيمها ورسم حدودها وفقاً لما هو الوضع في زماننا الراهن، وحتى العام 1958. والسبب في اختيار العامين 1920 كتاريخ بداية والعام 1958 كتاريخ نهاية هو أن منطقتنا شهدت خلال هذه المرحلة تأثيراً بريطانيا - فرنسياً بالدرجة الأولى على مجريات الأحداث. أما الجزء الثاني فيتناول المرحلة الممتدة من العام 1958 إلى 1970. وقد تميزت هذه المرحلة بالصراع بين قوى محلية عبرت عن نفسها بأحزاب وقوى قومية ويسارية نادت باستقلال دولها في مواجهة محاولات الولايات المتحدة بالدرجة الأولى لفرض هيمنتها على المنطقة العربية خلفاً للنفوذ البريطاني والفرنسي الذي زال

<sup>14</sup> لوتسكي، 460 - 467.

<sup>15</sup> لوتسكي، 456 - 457.

بنتيجة هزيمة بريطانيا وفرنسا ومعهما إسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر في العام 1956. وتشكل هذه المرحلة فترة انتقالية بين زوال النفوذ البريطاني - الفرنسي وصعود النفوذ الأميركي بدءاً من السبعينيات من القرن الماضي. أما الجزء الثالث فيمتدّ من العام 1970 حتى العام 1991 وهو يشمل الجزء الثاني من مرحلة الحرب الباردة والتي تميّزت بتصاعد النفوذ الأميركي وتراجع النفوذ الروسي وصولاً إلى انهيار كتلة الدول الاشتراكية في العام 1989 ومن ثم الاتحاد السوفيافي في العام 1991. وقد ترافقت هذه الفترة مع تراجع دور قوى التحرر العربية في مواجهة الهيمنة الأميركيّة وانتقال مصر من التحالف مع كتلة الدول الاشتراكية إلى الدخول في فلك النفوذ الأميركي بعد العام 1974، وصولاً إلى حرب الخليج الثانية في العام 1991 والتي شهدت تدمير العراق على يد آلة الحرب الأميركيّة. أما الجزء الرابع فيتناول المرحلة الممتدة من العام 1991 وحتى العام 2010، وهو العام الذي سبق اندلاع ما يُسمّى بالربيع العربي والذي شُكّل إعلاناً عن وفاة النظام الرسمي العربي الذي قام بعد الحرب العالمية الأولى. وقد تميّزت هذه المرحلة بهيمنة أميركية على القرار الدولي مع صعود قوى تحاول أن تقاوم في مواجهة الهيمنة الأميركيّة وعلى رأسها روسيا والصين وإيران.

وبما أننا نتعاطى مع عدد من البلدان في المشرق كان لكل منها خصائصه على الرغم من القواسم المشتركة والأحداث الدوليّة والإقليمية التي أثرت فيها جميعاً، فلقد قسمت الأجزاء الثلاثة الأولى إلى أربعة فصول لكل منها. ويتناول الفصل الأول من كل جزء سوريا كمنطلق ومحوّل دائم للأحداث في منطقة المشرق العربي، يليها فصل ثانٌ عن لبنان بحكم العلاقة الوثيقة بين البلدين بحكم أن لبنان نشأًّاً بالأساس كمدخل غربي إلى بلاد الشام، وفصل ثالث عن العراق وفصل رابع يشمل كلّاً من الأردن وفلسطين للترابط الوثيق والتداخل الكبير بينهما. وقد خالفت هذا الترتيب في الجزء الرابع نتيجة تطّورات فرضت معطيات موضوعية جعلتني أبدأ بفصل أول عن العراق تلاه فصل ثانٌ شمل لبنان وسوريا نتيجة التداخل الكبير الذي حصل بين هذين البلدين في الفترة بين العامين 1991 و2010، وفصل ثالث شمل الأردن وفلسطين. وأختتم الكتاب بخلاصة مطولة تتضمّن الأحداث التي جرت خلال الربيع العربي، خصوصاً في سوريا والعراق بحكم أن مفاعيل هذه الأحداث تؤذن بمرحلة جديدة في تاريخ منطقة المشرق، نتيجة التحوّلات الجسيمة في النظام الدولي والتي تشهد لأول مرة تراجع نفوذ القوى الغربية لصالح صعود القوى الآسيوية نتيجة تحول مركز الشغل الاقتصادي من شمال الأطلسي إلى المحيط الهندي، ونتيجة نهاية عصر الهيمنة الأحادية للولايات المتحدة الأميركيّة والانتقال إلى نظام دولي متعدد الأطراف.

وبما أنني أتعاطى مع أحداث تتقاطع فيها البلدان المعنية، وللزوم تواصل الأحداث في كل فصل على حدة، فإن القارئ قد يجد تكراراً لذكر حدث معين بين فصل وآخر من الفترة نفسها وذلك حتى نربط الأحداث بعضها ببعض وحتى لا يكون هنالك انقطاع في تفسير الأحداث.

الجزء الأول 1920 – 1958 |



## الفصل الأول

### سوريا 1920 – 1958

سيربط تاريخ سوريا الحديث إلى حدّ بعيد بدورها كمحور للسياسة العربية نتيجة نشوء نخب حداثة فيها ساهمت في إطلاق تيارات حداثية كان أقواها التيار القومي العربي نتيجة عوامل عدّة وجدت جذورها في حملة نابوليون بونابرت على مصر في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، إضافة إلى الدور المحوري الذي لعبه باشا مصر محمد علي باشا في المشرق واستخدامه للشعار القومي العربي كمسوغ لمنافسة العثمانيين على النفوذ في هذه المنطقة. وكان القرن الثامن عشر شهد بداية التراجع والضعف في الإمبراطورية العثمانية ما جعل النخب فيها واعية ضرورة التحديد. وتعود بدايات التحديد العثماني إلى القرن الثامن عشر، حين سعت الحكومات العثمانية إلى ايجاد سبل لاستعادة تفوقها العسكري في وجه الغرب، وذلك عبر إرسال البعثات العسكرية إلى أوروبا. وقد فتحت حملة بونابرت الباب أمام إقامة اتصال مباشر بين المشرقين العرب والقيم الغربية. وبعد حملة بونابرت، سعى والي مصر محمد علي باشا الذي سعى إلى استقلال دولته عن الإمبراطورية العثمانية عبر تبني شعارات قومية عربية، رغم أنه هو نفسه كان من أصل ألباني. ومع النصف الثاني من القرن التاسع عشر، انتشر الشعور القومي العربي بصورة خاصة في بلاد الشام. وقد ترافق ذلك مع تدهور الأوضاع في الدولة العثمانية التي باتت تعرف ببرجل أوروبا المريض. وقد توسيّع التأييد للقومية العربية بعد انقلاب جمعية الإتحاد والترقي في عام 1908 وتبنيها خطاباً قومياً عنصرياً في العام 1913 عقب هزائمها في الحروب البلقانية. وقد دفع هذا بالكثير من الجمعيات العربية التي تشكلت آنذاك إلى المطالبة بالاستقلال التام للمشرق العربي عن الدولة العثمانية.

خلال الحرب العالمية الأولى مارس العثمانيون حملات قمع ضد رعايا السلطنة في المشرق العربي ما عزّز الحملات الداعية للتمرّد على الدولة العثمانية.<sup>16</sup> وقد لاقت هذه الجهود دعماً من قبل الحلفاء البريطانيين والفرنسيين الذين كانوا يقاتلون الدولة العثمانية وحليفها الألماني

---

Laurens, Henry: *l'Orient Arabe, Arabisme et Islamisme de 1798 à 1945* , Armand Colin, Paris, 2000. <sup>16</sup>

. 133 – p.132

والنمساوي. وفي صيف العام 1916 اندلعت الثورة العربية الكبرى بقيادة شريف مكة الحسين بن علي ضد الدولة العثمانية.<sup>17</sup> وقد تمكنت طلائع الثورة العربية من تحرير الأقطار العربية في المشرق من الحكم العثماني على أمل تحقيق الحليفين البريطاني والفرنسي وعودهما للعرب بمنحهم الاستقلال ضمن حدود تضم إلى الجزيرة العربية بلاد المشرق العربي، إلا أنه كانت للبريطانيين والفرنسيين مخطوطات أخرى للمنطقة. فلقد كان الطرفان قد وقعا اتفاقية سرية لتقاسم المشرق العربي بينهما عرفت باتفاقية سايكوس بييكو، فيما منح البريطانيون الحركة الصهيونية وعدا بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين عرف بوعد بلفور. وهذا أصاب العرب بالخيبة وبقي الكثيرون منهم يتطلعون لإقامة دولة موحدة لهم.<sup>18</sup> وفي تشرين الأول أكتوبر 1918 كانت القوات العثمانية قد انسحبت بالكامل من بلاد الشام باستثناء منطقة كيليكيا وديار بكر التي ستصبح جزءا من جنوب تركيا، وكانت القوات العربية بقيادة الأمير فيصل بن الحسين قد دخلت إلى دمشق وأقامت حكومة عربية بدعم من البريطانيين، إلا أن فرنسا رفضت ما اعتبرته فرضا للأمر الواقع، معتبرة أن من حقها نيل لبنان وسوريا بالاستناد إلى بنود اتفاقية سايكوس بييكو. وردا على التهديدات الفرنسية عقد في بداية العام 1919 المؤتمر السوري الأول الذي طالب بإقامة مملكة سوريا تضم كامل بلاد الشام على أن يكون فيصل بن الحسين ملكا عليها. وقد رفضت فرنسا مقررات المؤتمر كما رفضت حضور فيصل بن الحسين مؤتمر الصلح في فرساي ما دفعه للقبول بالضغوط البريطانية بلقاء زعيم الحركة الصهيونية حاييم وايزمن وتوقيع اتفاقية معه يرضي بموجها بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، من دون إعلام أعضاء المؤتمر الوطني السوري بذلك. وبعد عودته إلى دمشق بعد أشهر عدة كانت فرنسا لا تزال تطالب بوضع سوريا ولبنان تحت انتدابها وهو ما رفضه الوطنيون السوريون. وفي قوز يوليо 1920 كانت فرنسا قد نالت دعما بريطانيا للقيام بحملة عسكرية ضد دمشق بعد أن "تنازلت" عن الموصل للبريطانيين وبعد أن "تنازلت" عن كيليكيا لتركيا. ووقعت معركة ميسلون التي هُزم فيها الحكم الوطني في سوريا واستشهد وزير دفاعها يوسف العظمة ووُقعت سوريا تحت الانتداب الفرنسي.<sup>19</sup>

<sup>17</sup> قدرى قلعي، الثورة العربية الكبرى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت 1993 ص. 229.

<sup>18</sup> Ajami, Fouad: *The End of Pan Arabism*, Foreign Affairs, vol 11, No 2, 1978/9, p.335

<sup>19</sup> سعاد جروس، من الانتداب إلى الانقلاب: سوريا زمان نجيب الرئيس، بيروت: دار رياض نجيب الرئيس، 2015، 48 – 52.

## محاولات التقسيم

ما أن دخل الجنرال الفرنسي غورو إلى دمشق حتى شرع بسلسلة إجراءات تهدف إلى تقسيم سوريا الكبرى دواليات عدّة تقوم على أساس طائفية وعشائرية وإقليمية ضيقّة. فإذا به يعلن بعد أسبوع ونيف على دخوله دمشق فصل أربعة أقضية في منطقة البقاع هي حاصبيا وراشيا والبقاع وبعلبك عن ولاية دمشق وإلحاقها بجبل لبنان، وذلك في 3 آب 1920 ليعلن أواخر الشهر نفسه عن قيام دولة لبنان الكبير بضمّ ولاية بيروت العثمانية إلى جبل لبنان ليصبح لبنان من ضمن حدوده الحالية. وفي تشرين الثاني نوفمبر 1920 أعلن غورو قيام دولة دمشق بعد سلح فلسطين والأردن عنها وتنازل السلطات الفرنسية عنهم لصالح الانتداب البريطاني. وفي الشهر نفسه تم الإعلان عن دولة حلب بعدم التنازل للدولة التركية الناشئة عن ريف حلب الشمالي واعتبار خط سكة اسطنبول بغداد هو الحد الفاصل بين دولة حلب والدولة التركية الحديثة. وبالتالي مع ذلك أعلن قيام دولة العلوين في جبال العلوين والساحل الممتد من الحد الجنوبي للواء اسكندرeron وصولاً إلى النهر الكبير الذي يفصلها عن دولة لبنان الكبير. وقد استكمل غورو عمليته التجزئية في 4 آذار 1921 بالإعلان عن قيام دولة جبل الدروز في منطقة جبل العرب، ناهيك عن إعلان وضع خاص للواء اسكندرeron الذي سيلحق في العام 1938 بالدولة التركية.<sup>20</sup>

وكانت سلطات الانتداب قد فرضت قيام "الدولة السورية" من العام 1925 وحتى العام 1930 التي تعاقب على رئاستها ثلاثة رؤساء كان للانتداب اليد الطولى في تعينهم. وهؤلاء الرؤساء هم صحي بركات، وهو ضابط سوري سابق في الجيش العثماني من أصل كردي، وأحمد نامي وهو صهر السلطان عبد الحميد، والشيخ تاج الدين الحسني<sup>21</sup>، إلا أن هذا الكيان لم يكتب له طول بقاء بسبب عدم قبول الوطنيين السوريين له. وكانت سلطات الانتداب قد واجهت مقاومة شرسة من السوريين منذ الأيام الأولى للاحتلال الفرنسي للبلاد. وكان الرعيم إبراهيم هنانو أول من أعلن الثورة على الانتداب في أواخر العام 1920 في حلب. إلا أن ثورته كانت قصيرة الأمد خصوصاً بعد اتفاق الفرنسيين مع جمهورية تركيا الحديثة التي كانت تشهد مخاضها على يد مصطفى كمال أتاتورك على ترسيم الحدود بينهما وفقاً لما تقدّم. وفي تموز 1922 ثار جبل العرب بقيادة سلطان باشا الأطرش نتيجة سياسات الانتداب، وكانت شارة الانطلاق ناتجة عن اعتقال الثائر أدهم خنجر الذي سبق أن حاول قتل الجنرال غورو في حوران. وقد طالب سلطان تسليمه أدهم خنجر لأنه

<sup>20</sup> سعاد جروس، من الانتداب إلى الانقلاب، ص.ص. 60 - 61.

<sup>21</sup> سامي ميض، تاريخ دمشق المنشي: أربع حكايات 1916 - 1936، بيروت، دار رياض الريس، 2016، ص.ص. 85 - 119.

اعتل في بيته إلا أن سلطات الانتداب سارعت بنقله إلى دمشق ومنها إلى لبنان لتعدهم في بيروت في أيار 1923. وردا على مهاجمة سلطان باشا لقافلة فرنسية قامت سلطات الانتداب بتدمير بيته في آب 1922 لتندلع شرارة الثورة لأشهر عدّة حتى نيسان 1923 عندما تم الإعلان عن هدنة. لكن هذه الثورة مستجدة في حزيران 1925. فبنتيجة السياسات التعسفية التي قامت بها سلطات الانتداب توجّه وفد من وجاهه جبل العرب إلى بيروت للتظلم للمندوب السامي من ممارسات النقيب كاريبيه الذي عين حاكما على جبل العرب خلفاً لسليم الأطرش الذي توفي في ظروف غامضة في العام 1924، إلا أن الجنرال ساراي، المفوض السامي على لبنان وسوريا رفض استقبال الوفد وهدّد أعضاءه بالنفي إذا لم يعودوا إلى السويداء. هذا دفع بسلطان باشا إلى إعلان الثورة على الانتداب والاتصال بالقيادات الوطنية وعلى رأسهم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في دمشق وإبراهيم هنانو في حلب. وقد تواصل هنانو مع محمد بك العياش ملّد الثورة إلى دير الزور. في المقابل فإن الشهبندر تواصل مع المجاهد فوزي القاوقجي لإطلاق شعلة الثورة في حماة وحمص.

## جريات الثورة ونتائجها

بدأت جريات الثورة بهجوم شنه سلطان باشا على دار المفوضية الفرنسية في صلخد في أيلول سبتمبر 1925 حيث تمّ حرقها، اتبّعه بهجوم على قوة فرنسية في بلدة الكفر بقيادة النقيب نورمان انتهى بإبادة القوة الفرنسية وعدها نحو 300 جندي؛ رداً على ذلك جرد الجنرال ساراي حملة من خمسة آلاف جندي التقت الثوار في منطقة ازرع. ورغم تفوق القوة الفرنسية بالعتاد والعدد، خصوصاً أن قوات الثوار لم تتجاوز ثلاثة آلاف إلا أن النصر كان حليف سلطان الذي أباد القوة الفرنسية التي لم ينج منها إلا نحو ألف جندي. وفي 4 تشرين الأول 1925 هاجم فوزي القاوقجي والبدو من قبيلة الموالى الحامية الفرنسية في مدينة حماة وكاد أن يسيطر على المدينة لولا استخدام القوات الفرنسية الكثيف لسلاح الطيران والمدفعية. وفي منطقة غوطة دمشق قاد المجاهد حسن الخراط الثوار وانتصر على القوات الفرنسية في قرية المليحة في أوائل تشرين الأول أكتوبر، ليقود نسيب بك البكري في 18 من الشهر عينه قوة من الثوار للسيطرة على دمشق. وقد أُجبر الثوار القوات الفرنسية على الانسحاب إلى القلعة مع عوائلهم ما دفع بالجنرال ساراي إلى الإياعز لقواته بقصف دمشق بالمدفعية الثقيلة مدمّراً مئات المنازل. وقد دامت الثورة مدة عامين كاملين كان النجاح فيها حليفاً للثوار في المناطق الريفية، فيما فشلوا في إحكام سيطرتهم على المدن. وقد تكبد الثوار آلاف الشهداء كانت غالبيتهم من منطقة جبل العرب التي تحملت العدد الأكبر من الخسائر.

وفي النهاية فإن السلطات الفرنسية تمكنت بالتنسيق مع سلطات الانتداب البريطانية من إحكام الحصار على الثوار ما أدى في النهاية إلى هزيمتهم ولجوء سلطان باشا للأطروش إلى وادي سرحان ملدة عشر سنوات.<sup>22</sup>

على الرغم من هزيمة الثورة إلا أنها نجحت في منع تفتيت سوريا. فلقد اضطر الفرنسيون لإعادة توحيد حلب ودمشق في دولة واحدة في العام 1925. وقد ظهرت دعوات في فرنسا للاستغناء عن الانتداب على سوريا ولبنان كان ابرزها في العام 1928 على لسان النائب في البريطان الفرنسي سيكست كوانتين، ونال اقتراحه تأييد مئتي نائب في مقابل معارضة 280 نائبا. وقد ساهمت الثورة في تعميق اللحمة بين مختلف شرائح المجتمع السوري وقياداته الوطنية وتوحد أجندهم الوطنية وإجبار الانتداب على إجراء انتخابات نيابية أدت إلى فوز القيادات الوطنية بقيادة هاشم الأتاسي وإبراهيم هنانو بمعظم الأصوات. وقد تم استبدال المندوب السامي ساراي بهنري دو جوفينيل الذي كان أكثر تجاوباً مع مطالب الشعب السوري. وبشكل عام ساهمت الثورة السورية الكبرى ببلورة هوية وطنية سوريا جامحة تتجاوز الهويات المحلية والإقليمية والعشائرية ما سيكون له دور مقرر في تاريخ سوريا في العقود اللاحقة. وكان من نتائج الثورة إعلان قيام الجمهورية السورية في العام 1930 وإضعاف المساعي بسلخ جبل العلوين وجبل العرب عنها ما أدى إلى إعادتها إلى حضن الدولة السورية في العام 1936 من ضمن الاتفاقية التي وقعت بين القيادة الوطنية السورية وسلطات الانتداب.<sup>23</sup>

## 1936 معاهددة

شكل إعلان الجمهورية السورية في العام 1930 بداية مسار جديد من نضال السوريين لنيل الاستقلال، كانت قاعدته هذه المرة المدن السورية وبالدرجة الأولى مدينة دمشق وبالدرجة الثانية مدينة حلب، فيما تراجع دور قيادات الريف خصوصاً بعد الضربة التي تلقوها بعد هزيمة الثورة السورية ونفي قائدتها سلطان باشا في العام 1927. وقد واظبت القيادات الوطنية السورية على المطالبة بالاستقلال في ظل مماطلة سلطات الانتداب الفرنسي. لكن مع حلول العام 1935 كانت قد جرت تطورات كبيرة على مستوى العلاقات الدولية والتوازنات الأوروبية مع بروز نجم أدolf

<sup>22</sup> راجع Michael Provence, The Great Syrian Revolt

<sup>23</sup> كمال ديب، سوريا في التاريخ: من أقدم العصور حتى 2016، بيروت: المكتبة الشرقية، 2017، ص.ص. 165 - 174.

هتلر في ألمانيا وتجاوزه لبنود اتفاق فيرساي وإعادة تسلیحه للجيش الألماني. وكانت فرنسا تخشى على نفسها من تبعات هذه التطورات في الوقت الذي كانت لا تزال تحاول فيه جاهدة تجاوز الأزمة الاقتصادية التي تفجرت في العام 1929. هذا كان من عوامل صعود الجبهة الاشتراكية بقيادة ليون بلوم إلى السلطة في حزيران من العام 1936. وقد أبدت القيادة الفرنسية الجديدة تعاطفاً نسبياً مع مطالب الشعوب في مستعمراتها ومن ضمنها سوريا ولبنان، خصوصاً في ظل حاجتها لكسب تعاطف هذه الشعوب في ظل بروز الخطر الألماني.

في هذا الوقت، ويسأ من الوصول إلى نتائج مع سلطات الانتداب في سوريا ولبنان أعلنت القيادات الوطنية السورية إضراباً عاماً دام خمسين يوماً، من 8 كانون الثاني يناير وحتى 25 شباط فبراير 1936. وكانت حكومة الانتداب تدعم حكومة يرأسها الشيخ تاج الدين الحسني الموالى لها، فقامت بإقالتها وعيّنت مكانها حكومة برئاسة عطا الأيوبي. وفي الأول من آذار 1936 استدعي هاشم الأتاسي للقاء المندوب السامي في بيروت فكانت مطالب الأتاسي تتمثل بإعادة العمل بدستور الجمعية التأسيسية وإلغاء نظام الانتداب وتوقيع معاهدة مع فرنسا تنظم العلاقة بينها وبين سوريا بعد إعادة الأقاليم التي سلخت عنها. وفيما أبدى دو مارتييل تعاطفاً مع بعض البنود التي تتعلق بإطلاق بعض المعتقلين وتحرير أملاكهم المحتجزة، إلا أنه تحفظ عن إطلاق أي قرار يتعلق بالاستقلال التام لأنه من صلاحيات الحكومة الفرنسية في باريس. عندذاك تقرر إيفاد وفد سوري إلى باريس للتفاوض مع الحكومة الفرنسية. وتشكل الوفد من رئيس الكتلة الوطنية هاشم الأتاسي وعضوية السادة فارس الخوري وجميل مردم عن الكتلة الوطنية ومصطفى الشهابي وأدمون حمصي كممثلين عن الحكومة السورية ونعميم انطاكى وأحمد اللحام وتوجه الوفد إلى باريس في 26 آذار، حيث عقد سلسلة اجتماعات مع ممثلي عن الحكومة الفرنسية لم تنتج ثمارها إلا بعد تبوء ليون بلوم منصب رئاسة الحكومة الفرنسية في حزيران من العام نفسه كما سبق ذكره، إذ وافقت حكومته على مطالب الكتلة الوطنية السورية وأهمها إعادة المناطق التي سلخت عن سوريا وخصوصاً دولة جبل الدروز وجبل العلوين إلى كنف سوريا، والاتفاق على خطوات تمهيداً لإعلان الاستقلال التام، على أن يصادق على المعاهدة مجلس نواب ينتخب في انتخابات تجرى في تشرين الثاني 1936. وقد فازت الكتلة الوطنية بهذه الانتخابات وصادقت على المعاهدة، إلا أن الجانب الفرنسي بدأ باللماءلة في تنفيذها نتيجة ضغوط مارستها القوى اليمينية، إلا أن الإنجاز الأكبر الذي نتج عن

هذه الاتفاقيات هي إعادة توحيد سوريا بمعظم مناطقها، وتبوء أركان الكتلة الوطنية مقاليد الحكم في البلاد.<sup>24</sup>

وقد نصت معااهدة العام 1936 على ما يلي:

أ- في ما يتعلق بنص المعاهدة فإنه يتكون من ديباجة وتسع مواد، وأهم أحکامه:

1) تعترف فرنسا بسوريا كأمة مستقلة وعليها تهيئة جميع الشروط لقبولها عضوا في (عصبة الأمم) ضمن مهلة لا تتجاوز ثلاثة سنوات (الديباجة).

2) تنشأ بين الدولتين علاقة صداقة وتحالف بعد زوال الانتداب، على أساس الحرية التامة والسيادة والاستقلال (الديباجة).

3) يسود بين فرنسا وسوريا سلم وصداقة دائمان (المادة 1).

4) تتبادل الدولتان التمثيل الدبلوماسي، وتتشاوران مسبقا في كل أمر يتعلق بالسياسة الخارجية ويكون من شأنه أن يمس بصالحهما المشترك (المادة 2).

5) في يوم زوال الانتداب يتتخذ الطرفان المتعاقدان التدابير اللازمة لنقل الحقوق والواجبات الناجمة عن جميع المعاهدات التي عقدتها فرنسا باسم سوريا أثناء فترة الانتداب إلى مسؤولية الحكومة السورية (المادة 3).

6) إذا حدث خلاف بين سوريا ودولة أخرى وكان من شأنه إحداث خطر بقطع العلاقات مع تلك الدولة تتداول الحكومتان لتسوية الخلاف بالطرق السلمية، وفقا لأحكام ميثاق عصبة الأمم أو أي اتفاق دولي آخر ينطبق على مثل هذه الحالة (المادة 4/ف1).

7) إذا تطور مثل هذا الخلاف إلى نزاع مسلح منذرا بخطر حرب محدق يتداول الطرفان المتعاقدان لاتخاذ تدابير الدفاع الضرورية باعتبارهما حليفين. وتنحصر معونة الحكومة

---

<sup>24</sup> كمال ديب، سوريا في التاريخ، ص. 174.

السورية في هذه الحالة على تقديم التسهيلات الضرورية بالمواصلات البرية والبحرية والجوية إلى الحكومة الفرنسية (المادة 4/ف2).

8) إن مسؤولية حفظ النظام في الأراضي السورية والدفاع عنها هي مسؤولية تقع على الحكومة السورية، وتنحصر مسؤولية الحكومة الفرنسية في هذا المجال على تقديم مساعدتها العسكرية إلى سوريا خلال مدة المعاهدة حسب أحكام الاتفاق العسكري الملحق (المادة 5).

9) مدة المعاهدة خمس وعشرون سنة، ولا يمكن تعديلها أو تجديدها إلا بناء على طلب أحد الطرفين - أو كلاهما - بعد انقضاء عشرين سنة على بدء تطبيقها (المادة 6).

10) تبرم المعاهدة، ويتم تبادل صكوك الإبرام بأسرع ما يمكن، وتببلغ إلى عصبة الأمم. وتوضع هذه المعاهدة موضع التطبيق مع الاتفاques والعقود الملحقة بها يوم قبول سوريا في عصبة الأمم (المادة 7).

11) حاملا توضع هذه المعاهدة موضع العمل تسقط عن الحكومة الفرنسية المسؤوليات والواجبات المترتبة عليها فيما يتعلق بسوريا، سواء من جراء مقررات دولية أو من أعمال عصبة الأمم، وما تبقى من هذه المسؤوليات والواجبات ينتقل حكما وتلقائيا إلى الحكومة السورية (المادة 8).

12) كتبت هذه المعاهدة بالفرنسية والعربية، وكلا النصين رسمي ويعول على النص الفرنسي عند حدوث اختلاف (المادة 9/ف1)، وإذا حصل اختلاف بشأن تفسير هذه المعاهدة أو تطبيقها، ولم يكن حسمه نهائيا عن طريق المفاوضات المباشرة يلتجأ الطرفان المتعاقدان إلى أصول المصالحة والتحكيم المنصوص عليها في صك عصبة الأمم (المادة 9/ف2).

ب- أما بشأن الاتفاق العسكري الملحق بالمعاهدة فإنه ضم ثماني مواد، وأهم أحكامه هي:

1) إن الحكومة السورية بحلولها محل السلطات الفرنسية تأخذ على مسؤوليتها القوى

العسكرية القائمة (قوات الشرق الخاصة) مع تكاليفها وواجباتها. والحد الأدنى الذي يجب أن تكون عليه هذه القوات هو (فرقة مشاة) و(لواء خيالة) والمصالح التابعة لهما.

2) تتعهد الحكومة الفرنسية بأن تمنح الحكومة السورية التسهيلات التالية بشرط أن تتحمّل الحكومة السورية نفقات هذه التسهيلات:

- وضع بعثة عسكرية تعليمية فرنسية لتعليم الجيش والدرك والبحرية والطيران في سوريا، وتتعهد الحكومة السورية في مقابل ذلك بأن لا تستخدم سوى الفرنسيين بصفة معلمين واحتراصيين في المجالات العسكرية. ويجوز لبعض هؤلاء المعلمين الفرنسيين تسلّم قيادة فعلية في القوى العسكرية السورية بشكل مؤقت، إذا طلبت ذلك الحكومة السورية رسمياً من رئيس البعثة العسكرية الفرنسية.

- للحكومة السورية الحق في إرسال بعثات إلى المدارس ومراكز التعليم والقطعات الفرنسية، وللحكومة السورية الحق بإرسال بعثات عسكرية إلى غير فرنسا في حال عدم توفر الاختصاص المطلوب دراسته أو التدرب عليه.

3) تسهيلات لتنفيذ واجبات التحالف تتّخذ الحكومة السورية لقواتها المسلحة سلاحاً وعُدداً من الطراز نفسه المستخدم في القوى المسلحة الفرنسية.

4) تتعهد الحكومة السورية بوضع قاعدتين جويتين لا تبعdan أكثر من 40 كم عن المدن الكبرى ولا مانع مؤقتاً أن تكون هاتان القاعدتان هما قاعدتا المزة والنيرب.

5) يحق للحكومة الفرنسية ولمدة لا تتجاوز خمس سنوات من بدء تطبيق المعاهدة، أن تستبيقي جنوداً فرنسيين في منطقتى (جبل الدروز) و(جبل العلوين)، ومن الواضح أن استبقاء الجنود الفرنسيين في مختلف هذه النقاط لا يفيد معنى الاحتلال ولا يمس بحقوق السيادة السورية.

6) تمنح الحكومة السورية كل ما يمكن من التسهيلات الالزمة لتمويل القوى الفرنسية وتعليمها وتنقلاتها ومواصلاتها، وهذه التسهيلات تشمل استعمال الطرق والسكك الحديدية

وطرق الملاحة والمراقبة والأرصدة والمطارات وسطح المياه وحق الطيران فوق الأرضي واستعمال شبكات البرق والهاتف واللاسلكي.<sup>25</sup>

## نحو الاستقلال

في أيلول من العام 1939 اندلعت الحرب العالمية الثانية بعدما قامت ألمانيا النازية باجتياح بولندا. بعد ذلك بثمانية أشهر اجتاحت ألمانيا الدنمارك والنرويج، ثم وجهت أنظارها في أيار مايو صوب هولندا وبلجيكا وفرنسا، وتمكنـت في أسبوعين قليلـة من دحر جـيوش الحـلفاء مجـتمـعة لـتدخل بـارـيس منـتصـرة وـتـفـرـضـ هـيـمـنـتـهاـ عـلـىـ فـرـنـسـاـ وـكـامـلـ أـورـوـبـاـ الـغـرـبـيـةـ. فيـ أيـارـ ماـيـوـ 1941ـ تـبـوـأـ رـشـيدـ عـالـيـ الـكـيـلـانـيـ رـئـاسـةـ الـحـكـوـمـةـ فيـ الـعـرـاقـ، وـكـانـ مـعـرـوـفـاـ بـعـدـائـهـ لـلـإـنـكـلـيـزـ، فـطـالـبـ بـاـنـسـحـابـ الـقـوـاتـ الـإـنـكـلـيـزـيـةـ مـنـ بـلـادـهـ، إـلـاـ أـنـهـ رـفـضـتـ ذـلـكـ فـدـارـتـ مـعـارـكـ مـعـهـاـ. وـقـدـ اـسـفـادـ الـأـلـمـانـ مـنـ اـتـفـاقـيـةـ الـهـدـنـةـ مـعـ الـحـكـوـمـةـ الـفـرـنـسـيـةـ لـيـسـتـخـدـمـواـ مـطـارـاتـ لـبـانـ وـسـوـرـيـاـ لـدـعـمـ ثـوـرـةـ الـكـيـلـانـيـ التـيـ فـشـلـتـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـمـطـافـ. هـذـاـ دـفـعـ بـالـبـرـيـطـانـيـنـ إـلـىـ التـفـكـيرـ فـيـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ سـوـرـيـاـ وـلـبـانـ بـدـافـعـ تـأـمـينـ ظـهـرـهـمـ فـيـ الـمـشـرـقـ الـعـرـبـيـ فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ كـانـ تـتـقدـمـ فـيـ قـوـاتـ الـمـارـيـشـالـ الـأـلـمـانـيـ رـوـمـلـ فـيـ لـيـبـيـاـ

موقع وزارة الدفاع السورية، <http://www.mod.gov.sy/index.php?node=554&cat=1169> 25

<sup>26</sup> كمال دب، سوريّة في التاریخ، ص: 174 - 180.

باتجاه قناة السويس في مصر. هذا أدى إلى حملة بريطانية شاركت فيها قوات فرنسية موالية لشارل ديغول تمكّنت من السيطرة على لبنان وسوريا في صيف 1941. هذا التطور سيؤدي إلى إضعاف النخب المرتبطة بفرنسا في كل من لبنان وسوريا لصالح نخب بدأت تنسج علاقات مع البريطانيين.

في هذا الإطار بدأ يبرز نجم شكري القوتلي كالزعيم الجديد للكتلة الوطنية في سوريا. والقوتلي ينتمي إلى عائلة من كبار أثرياء دمشق كانت تعيش من إدارة أملاكها الزراعية. وقد انضم إلى جمعية العربية الفتاة التي كانت تنادي بالاستقلال التام عن الدولة العثمانية في العام 1910، خلال الحرب العالمية الأولى تعرض للسجن والتعذيب وحاول الانتحار. وبعد انهيار الدولة العثمانية شكل حزب الاستقلال العربي، وكان له دور في الثورة السورية الكبرى ما دفع بالسلطات الفرنسية إلى إصدار أحكام إعدام ضده فهرب إلى الحجاز، حيث عقد علاقات وثيقة مع أميرها فيصل آل سعود الذي سيصبح ملكاً على المملكة العربية السعودية بين عامي 1964 و1975. في عام 1930 أسقطت الأحكام بحق القوتلي فعاد إلى دمشق وانضم إلى الكتلة الوطنية وترأسها خلال غياب رئيسها الأصيل هاشم الأتاسي في باريس أثناء مفاوضته الحكومة الفرنسية على اتفاقية 1936. وفي العام 1941، قاد القوتلي احتجاجات شاملة ضد سلطات الانتداب ما ساهم في بروز نجمه. وفي العام 1943 نظمت انتخابات نيابية عامة فازت فيها الكتلة الوطنية بشكل ساحق، وترشح شكري القوتلي لرئاسة الجمهورية فاز بها في آب 1943. وقد سارع بعد ذلك للتنسيق مع القيادات اللبنانية وعلى رأسها بشارة الخوري ورياض الصلح للمطالبة بالاستقلال الكامل لسوريا ولبنان وهو ما تم لهما في 22 تشرين الثاني 1943 بعد صدامات عنيفة مع سلطات الانتداب، علماً أن هذه القيادات كانت تلقى تأييداً من الجنرال سبيرز، المندوب السامي البريطاني في سوريا ولبنان. لكن سوريا لم تخلص كلياً من الهيمنة الفرنسية إلا في 17 نيسان 1946 بعد جلاء كامل الجيش الفرنسي عن أراضيها. وقد سبّقت ذلك تجاذبات وصدامات بين الفرنسيين والسلطات الوطنية السورية نتيجة رغبة باريس بفرض اتفاقيات مجحفة على الجانب السوري بحجة الحفاظ على المصالح الفرنسية. وقد وصلت الصدامات حدّ قصف الفرنسيين لدمشق بالمدفعية وهجومها الشهير على البرمان السوري في أيار 1945. ولم يتوقّع العدوان الفرنسي إلا بعد رفع سوريا لشكوى إلى مجلس الأمن الذي كان قد تشكّل حديثاً كجزء من منظمة الأمم المتحدة.<sup>27</sup>

<sup>27</sup> كمال ديب، سورية في التاريخ، ص.ص. 180 - 182

## رئاسة شكري القوتلي

ما إن خرج الفرنسيون في سوريا حتى ظهرت تحديات جديدة أمام الحكم في البلاد. فلقد كانت البلاد تشهد دورات تصخّم عالية، فيما أذنت نهاية الحرب العالمية الثانية بتقليل الإنفاق العسكري الفرنسي على القواعد العسكرية في المستعمرات. ومن ضمنها سوريا ولبنان. وبعد رحيل الفرنسيين تأثرآلاف السوريين العاملين في القواعد الفرنسية الذين فقدوا عملهم. إضافة إلى ذلك فلقد كانت النخب الحاكمة تنتهي إلى اسر الوجاهة السوريين المنتسبين إلى العائلات الإقطاعية الذين كانوا يعيشون في المدن الا انهم كانوا يملكون معظم الأراضي الزراعية وحتى القرى في الريف. وقد كان هذا هو السبب الرئيس في إفقار الريف السوري وجعله يعيش في حالة مزرية. وبعد الاستقلال فاقمت السياسات الاقتصادية المعتمدة من قبل الحكومة السورية من الأوضاع المعيشية السيئة لبناء الريف الذين كانوا في نزوح مضطرب منذ العشرينيات من الريف إلى المدن، خصوصاً مدن حلب وحمص ودمشق. وقد مارست الحكومات المتعاقبة خلال فترة الانتداب الإرهاب على سكان الريف لتطويعهم. ويمكن ان نفهم قضية إعدام سلمان المرشد مؤسس الطائفة المرشدية في ريف اللاذقية في هذا الإطار. وكان سلمان المرشد قد ولد في العام 1907 في قرية جوبة برغال في ريف اللاذقية، وقد انشق في شبابه عن الطائفة العلوية وأسس طائفة جديدة أرسى طقوسها وأصولها ونُسب المنتسبون إليه وسمّوا بالمرشدية. وقد شكلت حركته تحدياً لسيطرة المشايخ التقليديين على مقدرات الطائفة العلوية. وبعد انسحاب الفرنسيين من سوريا استولى أتباع سلمان المرشد على الكثير من أسلحتهم التي خلّفوها وراءهم واتّهم بإعلان العصيان على السلطة المركزية ما دفع بالقوتلي إلى إرسال قوة لاعتقاله ثم محاكمته وإعدامه في العام 1946. وقد شكلت حركة المرشد جزءاً من تمرّد الريف بسبب الظروف الاقتصادية الآنفة الذكر.

إضافة إلى ذلك فلقد مارس شكري القوتلي وأعضاء الكتلة الوطنية التي يتزعمها القمع ضد خصومهم، حيث قاموا بتعيين مقرّبين منهم في المراكز المفصلية في الدولة وقمعوا الحريات السياسية والإعلامية والثقافية إذ لجأوا إلى إغلاق الصحف التي تنتقدتهم ومنع الكتب التي "تمسّ هيبة الدولة"، وجرت محاابة تجار دمشق على حساب تجار حلب الذين كانوا قد نكبووا منذ تأسيس الدولة السورية نتيجة فصل ريف حلب الشمالي وضمّه إلى تركيا. هذا أثر على مسار الانتخابات الفرعية والنقابية التي أجريت في حلب في العام 1946، إذ كان رشدي الكييخيا ونظام القديسي قد انشقا عن الكتلة الوطنية وأسسوا حزب الشعب الذي لاقى دعماً من تجار حلب، وخاضا الانتخابات ضد الكتلة الوطنية وحققوا فوزاً كبيراً في المدينة. ما دفع برئيس الوزراء سعد الله الجابري

إلى الاستقالة من الحكومة ومن الكتلة الوطنية وأسس حزباً جديداً هو الحزب الجمهوري العربي. وفي الانتخابات التي جرت في تموز يوليو 1947 فازت الكتلة الوطنية في دمشق، لكنها خسرت في حلب وحماته ما جعلها تخسر الغالبية النيابية وتضطر إلى تأليف حكومة ائتلافية برئاسة جميل مردم بك مع حزب الشعب الذي فاز في المدن الشمالية. وفي العام التالي أجرى القوتوبي تعديلاً دستورياً حتى يتمكّن من الترشح لولاية ثانية بدأها في نيسان أبريل 1948 وسط معارضة كبيرة من جمهور كبير من السوريين كان رأس حربته هذه المرة أحزاب جديدة ظهرت على الساحة وتمكّنت من استقطاب تأييد كبير من قبل السوريين خصوصاً المنتسبين إلى الطبقات الوسطى والفقيرات الريفيّة.<sup>28</sup>

## الأحزاب السورية الجديدة

شكلت فترة الثلاثينيات والأربعينيات مرحلة نهوض الطبقة الوسطى والطبقات الفقيرة وخروج نخب منها تطالب بحقوقها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وقد كان الغالب على هذه الأحزاب أنها كانت عابرة للحدود بين لبنان وسوريا بالدرجة الأولى وأهمها حزب الكتلة الوطنية السورية والحزب الشيوعي والحزب السوري القومي الاجتماعي وحزب البعث والحزب العربي الاشتراكي، وقد اندمج هذان الأخيران في الخمسينيات ليشكلا حزب البعث العربي الاشتراكي. هذا إضافة إلى حزب الأخوان المسلمين الذي تأسس في الوقت نفسه في سوريا ومصر.

وقد هيمن على الحياة السياسية في سوريا في العشرينات والثلاثينيات والأربعينيات حزب الكتلة الوطنية. وهو حزب ضم كبار الوجاهات السوريين من ملاك الأراضي الكبيرة في ريفي دمشق وحماته، وقد نضال السوريين ضد سلطات الانتداب وحقق الاستقلال لسوريا. وقد تأسست الكتلة الوطنية في شباط فبراير 1925 بعد سماح المفوض السامي الفرنسي في سوريا الجنرال سراي بعمل الجمعيات والأحزاب. وكان من أبرز قيادات الكتلة الوطنية الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الذي كان سبق وأسس حزب الشعب خلال فترة حكم الملك فيصل الأول لسوريا بين عامي 1918 و1920. لكن عمل الكتلة لم ينطلق إلا بعد العام 1928 قبيل الانتخابات العامة في البلاد التي دعت إليها سلطات الانتداب، وقد ضمّت قوائمها رموز الحركة الاستقلالية السورية ضد الحكم التركي والانتداب الفرنسي. وقد انتخب هاشم الأتاسي رئيساً للكتلة فيما تألف أول مجلس لها من كل من الشيخ أحمد بن خزعل الرفاعي وعبد الرحمن الكيالي وسعد الله الجابري، ولطفى الحفار، وجميل مردم

<sup>28</sup> راجع عبد الله فكري الخاني، جهاد شكري القوتوبي من أجل الاستقلال والوحدة، بيروت: دار النفائس، 2003.

بك، وشكري القوتلي، والشيخ صالح العلي، وسلطان باشا الأطرش، ونسيب البكري، والشيخ أحمد فاضل الكيالي، وفارس الخوري، والشيخ محمد خير بيك الحريري، ومحمد الأشمر وفخري البارودي ونجيب البرازي.

ومنذ الثلاثينيات ظهر تباين في الكتلة بين تيار بزعامة عبد الرحمن الشهبندر يدعو إلى التقارب مع العراق والوحدة معه، وكان هذا التيار مدعوماً من هاشمي العراق ومن البريطانيين، في مقابل تيار آخر يقوده شكري القوتلي ويدعو إلى سياسة أكثر استقلالية لسوريا، وقد جرت أخبار تقول بأن هذا التيار كان مدعوماً من مصر والمملكة العربية السعودية اللتين كانتا قد بدأتا تنافسان على العراق في المشرق منذ بداية الأربعينيات من القرن الماضي. وقد تفجر الخلاف داخل الكتلة بعد اغتيال الشهبندر واتهام قيادات في الكتلة الوطنية على رأسهم القوتلي وجميل مردم بك بها. وبنتيجة ذلك انقسمت الكتلة الوطنية عقب جلاء القوات الفرنسية عن سوريا إلى حزبين هما الحزب الوطني بقيادة شكري القوتلي وحزب الشعب بقيادة رشدي كيخيا وناظم القديسي. وبعد العام 1946 خرجت من الكتلة الوطنية قيادات بارزة مثل جمیل مردم بك وعبد الرحمن الكيالي وحتى رئيس الكتلة السابق هاشم الأتاسي في حين ضفت الكتلة في الخمسينيات في ظل صعود نجم حزب البعث والحزب السوري القومي والحزب الشيوعي، وفي ظل الانقلابات العسكرية التي تلت على سوريا منذ العام 1949.<sup>29</sup>

بالتوالي مع الكتلة الوطنية فلقد نشأت أحزاب تمثل الطبقات الوسطى والدنيا. وكان الحزب الشيوعي من أبرز هذه الأحزاب وقد تأسس في بلدة الحدث اللبنانية على يد نقابيين كانوا يناضلون من أجل حقوق العمال وتأثروا بالثورة البولشفية. وقد أعلن تأسيسه رسمياً في العام 1924 وانتخب النقابي فؤاد الشمالي كأول أمين عام له. وقد ارتبط الحزب بشكل عضوي بالحزب الشيوعي السوفيافي وكان يتلقى تعليماته منه في معظم قضيائاه الرئيسية. وسرعان ما لاقى الحزب تأييداً من قبل المثقفين المنحدرين من أصول ريفية وفي أوساط العمال المتمدرسين من فئات ريفية جاءت إلى المدن للعمل. وفي العام 1933 كان فؤاد الشمالي قد أبعد عن الحزب بتأثير من موسكو بعد إطاحة راعيه غريغوري زينوفيف ورفيقه ليف كامينيف على يد ستالين. وقد خلفه في منصب الأمين العام للحزب الشيوعي في لبنان وسوريا خالد بكداش الذي سيلعب الدور الرئيسي في قيادة الحزب لثلاثة عقود تالية. وبكداش ينتمي لعائلة كردية دمشقية، وقد ولد في العام 1912 وانتسب إلى الحزب الشيوعي في العام 1930. وقد ترجم ألمانيفستو الشيوعي إلى اللغة العربية ومثل الشيوعيين العرب

<sup>29</sup> راجع كمال ديب، سوريا في التاريخ، ص.ص. 180 – 182.

في اجتماعات الكومنترن في العام 1935. وفي العام 1937 أسس جريدة صوت الشعب لتكون ناطقة باسم الحزب الشيوعي. وقد لعب بكمداش دوراً بارزاً في الثلاثينيات والأربعينيات في مواجهة سلطات الانتداب، ثم كان للحزب الشيوعي دور كبير في النضالات العمالية والنقابية في كل من سوريا ولبنان خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي.<sup>30</sup>

أما الحزب الثالث الذي سيلعب دوراً في تلك المرحلة فهو الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي أسس في لبنان على يد أنطون سعاده. وهو من مواليد الشوير في منطقة المتن الشمالي. وقد آمن سعاده بوحدة بلاد الشام بحدودها الطبيعية أي سوريا ولبنان وفلسطين والأردن وشبهة جزيرة سيناء ومنطقة كيليكيا في جنوب تركيا بالإضافة إلى جزيرة قبرص. وفي وقت لاحق وجد سعاده تكالماً بيئياً بين بلاد الشام وال العراق الذي اعتبره أيضاً جزءاً من الأمة السورية أو الهلال الخصيب. وقد ناضل الحزب في الثلاثينيات ضد الانتداب الفرنسي وقد عانى مؤسسه وقاده أنطون سعاده مرات عدّة من السجن بتهم مناهضة الانتداب إلى حين اغترابه القسري إلى البرازيل في العام 1938 والتي عاد منها بعد تسع سنوات. وفي بداياته نشأ تباين حاد بين الحزب والفكر القومي العربي، لكن في أواخر الأربعينيات كانت أفكار سعاده أوضح لاتباعه وخصوصه على السواء، بالعمل الثقافي السياسي والمزيد من الإعلام المسؤول والانفتاح الفكري بين القوى السياسية. واعتبر أن سوريا هي أمّة من الأمم العربية رغم ما يميّزها عن باقي هذه الأمم. كذلك كان الحزب جذرياً في معتقداته للطائفية السياسية خصوصاً في لبنان واعتبرها عائقاً أمام وحدة الأمة، كما اعتبر أن الإسلام والمسيحية هما تعزيزان حضاريان من نتاج الهوية الحضارية للأمة السورية. وقد لاقى الحزب تأييداً في صفوف الفئات الريفية والطبقة الوسطى في المدن، خصوصاً في بيروت وجبل لبنان وجبال العلوين وجبل العرب في سوريا. خلال الثلاثينيات والأربعينيات كان الحزب السوري القومي الاجتماعي على تنافس حاد مع الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان.<sup>31</sup>

أما الحزب الرابع فكان حزب البعث الذي تم تأسيسه من قبل أستاذين دمشقيين درساً في السوربون في فرنسا خلال الثلاثينيات هما ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار. وقد كان الإثنان ينتميان إلى الطبقة الوسطى العليا الدمشقية وقد تأثراً بالتيار العربي الذي كان في أوج صعوده في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. وعند عودتهما إلى دمشق بدءاً يدعوان إلى فكرتهما بين تلاميذهما في المدارس التي علّما فيها. وكانت دعوتهما لإنشاء

<sup>30</sup> راجع ل. س. أيوب، الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان، بيروت: دار الحرية، 1959.

<sup>31</sup> راجع، أحمد سام الأحمد، الحزب السوري القومي الاجتماعي: 1932 – 1962 دراسة تاريخية، بيروت: دار ومكتبة التراث الأدبي، 2014.

حزب يعتمد النموذج اللبناني للمنظمات الحزبية نتيجة شعورهما بالتحدي الناجم عن توسيع شعبية الحزب الشيوعي والحزب السوري القومي الاجتماعي، فيما كانتعروبة تيارا لا تنظيم يؤطر صفوفه. وقد بقي الأستاذان يدعوان لفكرتهم حتى كان التأسيس الرسمي للحزب في العام 1947. بالتوازي مع جهودهما كان هنالك محامٍ من مدينة حماه هو أكرم الحوراني وكان قد بدأ نضاله في الثلاثينيات من القرن الماضي أثناء دراسته للحقوق، وقد انضم لفترة وجiezة إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي إلا أنه تركه بعد ذلك نتيجة مواقف الحزب السلبية تجاهعروبة. وكان نضال الحوراني في حماه بالدرجة الأولى ضد تسلط التجار وطبقة الآغوات على الفقراء والفلاحين فأسس لذلك الغرض حزبا هو الحزب العربي الاشتراكي وخاض نضالا ضد هم ضد سلطات الانتداب وتمكن بدعم فقراء حماه وريفها من أن يحدث خرقا ويصبح نائبا في البرلمان السوري في العام 1943. وقد تواصل مع ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار في أوائل الخمسينيات حيث وحدوا حزبي البعث والعربي الاشتراكي ليصبح الحزب باسم البعث العربي الاشتراكي وذلك في سنة 1954. وقد لقيت الأحزاب الثلاثة هوى في نفوس ضباط الجيش المتحدرين من أولاد وجهاء الريف ومن الطبقة الوسطى في المدن السورية. وكانت هذه الطبقة قد بدأ يصعد دورها خلال الأربعينيات وبدأت تصطدم مصالحها بمصالح طبقة كبار التجار والوجهاء في المدن والتي سيطرت على الحياة السياسية خلال النصف الأول من القرن العشرين.<sup>32</sup>

وأخيرا، فلقد كان حزب الأخوان المسلمين من الأحزاب التي ستشكل في سوريا بالتوازي مع تشكيل الحزب في مصر، إلا أنه في سوريا لن يلعب دورا بارزا قبل منتصف السبعينيات من القرن الماضي. وقد تأسس الحزب في سوريا في الثلاثينيات في البيئات المحافظة في دمشق وحلب وحماة وحمص. وكان مصطفى السباعي أول مراقب عام له بين عامي 1945 و1964. وفي العام 1964 خلفه في المنصب كمراقب عام الدكتور عاصم العطار وذلك حتى عام 1973. وقد أقر الحزب ثلاث مؤسسات تحكم عمله وهي مجلس شورى ينتخب المراقب العام ويقرر القيادة التي يختارها هذا المراقب العام إضافة إلى الخطط والسياسات، إضافة إلى المراقب العام وأعضاء قيادته الذين يتولون شؤون الجماعة، ومحكمة عليا حزبية تفصل في النزاعات التي تنشأ في صفوف الجماعة. ولم تتوسّع قاعدة تأثير الجماعة خلال الفترة الممتدة من الثلاثينيات وحتى السبعينيات من القرن الماضي بنتيجة احتلال الساحة السياسية من قبل الأحزاب المذكورة آنفا.

<sup>32</sup> راجع شibli العيسى، حزب البعث العربي الاشتراكي: مرحلة الأربعينيات التأسيسية 1940-1949، بيروت: دار الطليعة، 1980 ومصطفى دندشلي، حزب البعث العربي الاشتراكي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

## عصر الانقلابات

شهدت سوريا بين عامي 1949 و1958 صراعاً عليها كانت أطرافه الإقليمية مصر والمملكة العربية السعودية من جهة في مواجهة هاشمي العراق والأردن من جهة أخرى، أما أطرافه الدولية فكانت بريطانيا الداعمة للهاشميين من جهة والمصريين وال سعوديين الذين كانوا قد بدأوا ينسجون علاقات مع الأميركيين منذ العام 1945 مع الولايات المتحدة الأميركيّة. السنة الأولى من حكم القوتلي في ولايته الثانية قد شهدت تحديات كبيرة كان أبرزها تفاقهم الازمات الاقتصادية ونكبة فلسطين. وكانت المنظمات الصهيونية قد أعلنت قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين في 15 أيار مايو 1948 عقب إنتهاء السلطات البريطانية انتدابها على فلسطين في اليوم نفسه. فدخلت جيوش الدول العربية إلى فلسطين بالإضافة إلى جيش من المتطوعين العرب هو جيش الإنقاذ لنجد الشعب الفلسطيني ومنع سلب فلسطين، إلا أن هذه الدول كانت لا تزال تحت الهيمنة البريطانية الفرنسية ولم تكن حاضرة لمواجهة تحدّى كهذا. فهُزمت في الميدان واضطرت إلى توقيع هدنة مع الكيان الصهيوني فيما استقبلت الدول المجاورة لفلسطين مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين الذين هجروا من أرضهم ليعيشوا في مخيمات للجوء في الشتات. وقد أدّت هذه الأزمات إلى حركات احتجاج عارمة في سوريا ضد حكم القوتلي واجهها بالقمع وزج بالسجون مئات الصحافيين والنقابيين وقاده الأحزاب الصاعدة.<sup>33</sup>

في ظل هذه الظروف قام قائد الجيش السوري حسني الزعيم بانقلاب على القوتلي في 30 آذار مارس 1949. والزعيم من عائلة كردية من حلب وقد ولد في العام 1894. وقد درس في مدرسة الضباط العثمانية والتحق بالجيش العثماني ثم بالجيش السوري الذي شكل خلال فترة الانتداب. وخلال الحرب العالمية الثانية قاتل إلى جانب قوات فيشي ضد القوات البريطانية الفرنسية الغازية في العام 1941 ما جعل قوات فرنسا الحرة تحكم عليه بالسجن لعشر سنوات، إلا أن القوتلي أُعفى عنه بعد الاستقلال في العام 1944 وعيّنه قائداً للجيش. وقد جرى انقلاب الزعيم نتيجة خوفه من تحقيق بالفساد في الجيش هدّد القوتلي بفتحه وملاحقة الزعيم المتورّط فيه. لكن كانت للانقلاب أبعاد أخرى إذ إن بريطانيا وهاشمي العراق دعماه في إطار محاولتهما وضع سوريا تحت المظلة الهاشمية البريطانية على حساب النفوذ الفرنسي الذي كان في طور الزوال. كذلك فلقد كان دعم الهاشميين للزعيم بسبب العداء الذي كان القوتلي يكتنّه للهاشميين وصداقته مع الملك عبد العزيز

33 راجع Patrick Seale, The Struggle For Syria: A Study in Post War Arab Politics 1945 – 1958, london: Yale University Press, 1987.

آل سعود وهو العدو الرئيس للهاشميين في العراق والأردن. يضاف إلى ذلك ارتباط اسم الزعيم بمشروع بريطاني لتمرير خطوط التبادل من العراق إلى بانياس على شاطئ المتوسط، في الوقت الذي كانت شركة أرامكو تطمح لتمرير خط للنفط من السعودية عبر الأراضي الأردنية والسورية واللبنانية إلى ميناء صيدا لنقل النفط السعودي إلى هناك. وقد دعم السوريون القوميون الاجتماعيون في الجيش السوري الزعيم في انقلابه، خصوصاً أنهم ظنوا أنه بات بإمكانهم إقامة وحدة الهلال الخصيب التي ينادون بها. وقد تم اتصال بين الزعيم انطون سعاده قائد الحزب وحسني الزعيم بغية التنسيق للقيام بانقلاب للسيطرة على السلطة في لبنان وضمه إلى هذا الاتحاد. لكن الزعيم انقلب بعد أشهر قليلة على الهاشميين والبريطانيين وبدأ بالتواصل مع الأميركيين وال سعوديين والمصريين. وكان من ثمار ذلك انقلابه على اتفاقه مع أنطون سعاده وتسليميه إلى السلطات اللبنانية التي سارعت إلى إعدامه في 8 تموز يوليو 1949 للتخلص من الخطر الذي يشكله على مصالح النخب الحاكمة في لبنان.<sup>34</sup> بنتيجة ما قام به الزعيم دعم البريطانيين والهاشميون انقلاباً آخر على الزعيم قاده سامي الحناوي في 14 آب أغسطس 1949. وكان الحناوي ولد في حلب في العام 1898 والتحق عام 1916 بالمدرسة العسكرية بسانクト بول وقاتل في صفوف الجيش العثماني خلال الحرب العالمية الأولى، ثم التحق بعد نهاية الحرب بكلية العسكرية السورية في ظل الانتداب وتدرج في صفوف الجيش. وكان ميالاً للحزب السوري القومي الاجتماعي وللوحدة مع العراق، لذلك فلقد أيد انقلاب الزعيم في البداية، لكنه غضب عليه بعدما غيّر الزعيم توجهاته وسلم أنطون سعاده ليُعدَّم في لبنان. لذلك قاد الحناوي الانقلاب على الزعيم واعتقله مع رئيس وزرائه محسن البرازي وقام بإعدامهما ثم بدأ بالبحث في تحقيق الوحدة مع العراق تحت التاج الهاشمي.<sup>35</sup> هذا دفع بمصر وال سعودية إلى دعم انقلاب عليه في 16 كانون الأول ديسمبر قاده أديب الشيشكلي. وكان الشيشكلي ذا ميول قومية اجتماعية وقد دعم انقلاب الزعيم، إلا أنه اختلف معه فصرفه الزعيم من الخدمة العسكرية. وعندما استولى الحناوي على السلطة أعاد الشيشكلي إلى الجيش كقائد للواء الأول ليكون سenda له. لكن المصريين وال سعوديين اتصلوا بالشيشكلي وأغروه بالانقلاب على الحناوي خوفاً من أن يضع أخصامهم الهاشميون سوريا تحت نفوذهم فقام بالانقلاب واستولى على السلطة حتى العام 1954.

تسلم الشيشكلي السلطة عبر تشكيله للمجلس العسكري الأعلى وترؤسه إياه فيما تم تعيين هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية. وفي بداية العام 1951 اختلف مع الأتاسي فعزله من رئاسة الجمهورية

<sup>34</sup> كمال ديب، سوريا في التاريخ، ص.ص. 211 - 215.

<sup>35</sup> كمال ديب، سوريا في التاريخ، ص.ص. 215 - 216.

وقام باعتقال رئيس الوزراء ومعظم أعضاء الحكومة وعيّن الماريشال فوزي سلو رئيساً للجمهورية قبل أن يعين نفسه رئيساً بعد استفتاء أجراه في العام 1953. وخلال هذه الفترة كان الشيشكلي يحاول اللعب على التناقض بين الهاشميين في العراق من جهة والمصريين وال سعوديين من جهة أخرى، في محاولة منه للاستئثار بالحكم في سوريا. وقد دفعت به سياساته للاستفداد بالسلطة إلى الاصطدام بمعظم شرائح المجتمع السوري، وقد اعتمد سياسة قمع ضد معارضيه وصلت حد قصفه السويدياء بالطائرات نتيجة شكوكه بولاء دروز جبل العرب للعراق. إضافة إلى اعتقاله المتكرر لقادة الأحزاب والزعamas السورية التقليدية. هذا جعل ضباط الجيش من مختلف المشارب القومية الاجتماعية والقومية العربية والبعثية والشيوعية يتلقون على إطاحته وهو ما تم لهم في شباط فبراير 1954 ما دفعه إلى الفرار إلى لبنان ومنه إلى البرازيل، حيث تم اغتياله في العام 1964 على يد شاب درزي انتقاماً لضحايا قصف السويدياء.<sup>36</sup> بعد ذلك استدعي الضباط الرئيس شكري القوتلي من منفاه في القاهرة ونصبوه رئيساً على سوريا فيما احتفظوا بمعظم السلطة في أيديهم وتوزعوا الولاء بين مصر وال سعودية من جهة وال العراق من جهة أخرى، فوالى الضباط القوميون العرب والبعثيون مصر وال سعودية فيما ولى الضباط القوميون الاجتماعيون العراق ووقف الشيوعيون موقفاً محايداً حتى العام 1955 حين بدأوا بتأييد مصر بقيادة جمال عبد الناصر نتيجة تقاربها بعد العام 1955 مع السوفيات. واستمر بالتالي الصراع على سوريا.<sup>37</sup>

## مرحلة الحسم

شكّلت المرحلة الممتدة بين عامي 1955 و 1958 مرحلة حاسمة من تاريخ سوريا. فخلال هذه الفترة كانت مصر قد أصبحت تحت سلطة جمال عبد الناصر الذي كان قد قاد انقلاباً ضد الملكية في العام 1952 تلاه إعلان الجمهورية في العام 1953 و اختيار محمد نجيب رئيساً لها فيما أصبح عبد الناصر رئيساً للوزراء. وفي آذار مارس 1954 استطاع عبد الناصر حسم الصراع لصالحه في مواجهة محمد نجيب المدعوم من الأخوان المسلمين وبقى الأحزاب المصرية والتي كانت تحاول كسب دعم الولايات المتحدة، فيما كان عبد الناصر يسعى لاعتماد سياسة مستقلة عن القوى الكبرى والتي ترجمها لاحقاً في مساحتها في تأسيس دول عدم الانحياز. هذا جعله يواجه المشاريع

<sup>36</sup> كمال ديب، سورية في التاريخ، ص.ص. 223 - 216.

<sup>37</sup> راجع جمال واكيم، صراع القوى الكبرى على سوريا، بيروت: دار المطبوعات، 2011، الفصل السادس.

الأمريكية البريطانية لإقامة حلف عسكري في الشرق الأوسط تحت مسمى حلف بغداد، إذ كان هذا الحلف الذي ضم تركيا وإيران والعراق وباكستان إضافة إلى بريطانيا قد اعتمد بغداد مقرا له. وقد تمكن عبد الناصر من توقيع اتفاق مع بريطانيا يقضي بجلاء قواتها عن منطقة قناة السويس على أن تم هذا الانسحاب في أوائل العام 1956 بعد احتلال دام سبعة عقود. وفي مواجهة الدعم الأميركي البريطاني لإسرائيل وتكرارها اعتداءاتها ضد مصر فلقد لجأ عبد الناصر إلى الاتحاد السوفيتي لشراء السلاح فكانت صفقة السلاح التشييكية في العام 1955، حيث زُوِّدت موسكو الجيش المصري بالسلاح الحديث عبر تشيكيوسلافاكيا. إضافة إلى ذلك دعم عبد الناصر حركات التحرر في العالم الثالث ضد القوتين الاستعماريتين فرنسا وبريطانيا. وقد أدى ذلك إلى غضب هاتين القوتين بالإضافة إلى الولايات المتحدة عليه. فدفعت البنك الدولي في العام 1956 إلى رفض الطلب المصري بالحصول على قرض لتمويل مشروع السد العالي في أسوان. وقد رد عبد الناصر على ذلك بتأميم قناة السويس في 26 تموز يوليو 1956.

هذا المسار الذي اتخذه عبد الناصر جعله على طرفي نقیض مع الهاشميين في العراق ورئيس وزرائهم نوري السعيد المولى لبريطانيا والغرب. وقد انعكس ذلك استعرا للصراع على النفوذ على سوريا بين العراق ومصر، وصداما بين وحدات وضباط الجيش السوري بين موالٍ لمصر من بين الضباط القوميين والبعثيين من جهة وبين موالٍ للعراق في صفوف الضباط القوميين الاجتماعيين من جهة أخرى. وفي العام 1955 انحاز الضباط الشيوعيون إلى الضباط القوميين العرب في الجيش السوري نتيجة التقارب بين الاتحاد السوفيتي بقيادة نيكيتا خروتشيف ومصر بقيادة عبد الناصر. في هذا الإطار جرت حادثة اغتيال العقيد عدنان المالكي المولى للبعث في 22 نيسان أبريل 1955. وقد اتهم القوميون الاجتماعيون بتنفيذ الاغتيال ما أدى إلى موجة اعتقال وتنكيل بحقهم وملاحقة ضباطهم وأبرزهم العقيد غسان جدي، وكان من ابرز ضباط الجيش السوري القوميين الاجتماعيين وأكثراهم نفوذهم. بعد ذلك سيطر الضباط القوميون العرب والبعثيون والشيوعيون على الجيش السوري. وقد لعب هؤلاء الضباط دوراً كبيراً في دعم مصر أثناء العدوان الثلاثي الذي نفذته بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ضدها في 29 تشرين الأول أكتوبر 1956. وكان عبد الحميد السراج من أبرز هؤلاء الضباط. وبنتيجة النصر الكبير الذي حققه عبد الناصر على العدوان الثلاثي وتحوله الرمز الأبرز للقومية العربية في الأمة العربية جماعة، وخوفاً على سوريا من أن تقع تحت النفوذ الهاشمي العراقي، وفي ظل التهديدات التركية باحتياج سوريا، ذهب وفد من الضباط السوريين إلى مصر في شباط فبراير 1958 مطالبين عبد الناصر بإقامة وحدة مع سوريا. وقد قبل عبد الناصر هذا الطلب

مشططا حل جميع الأحزاب في سوريا على أن يكون هو رئيس الجمهورية العربية المتحدة المؤلفة من مصر وسوريا وأن يكون القائد البعثي أكرم الحوراني نائبا للرئيس.

## الدستير السوري حتى عام 1958

خلال فترة الانتداب ومن ثم مرحلة الاستقلال الأولى حتى العام 1958 صدرت دساتير سوريا عدّة. لكن من المهم أن نذكر أولاً دستور المملكة السورية الذي صدر قبل أيام قليلة من اجتياح غورو سوريا. وقد صدر هذا الدستور في 13 تموز يوليو 1920 باسم دستور المملكة السورية العربية ومن مواده:

**المادة الأولى:** إن حكومة المملكة السورية حكومة ملكية مدنية نيابية عاصمتها دمشق الشام ودين الملك الإسلام.

**المادة الرابعة:** ينحصر ملك المملكة السورية في الأكبر فالأكبر من أبناء الملك فيصل الأول.

**المادة الثانية عشرة:** لا يجوز التعذيب وإيقاع الأذى على أحد بسبب ما.

**المادة الثالثة عشرة:** لا يجوز التعرّض لحرية المعتقدات والديانات، ولا منع الحفلات الدينية من الطوائف، على ألا تخل بالأمن العام أو تمس بشعائر الأديان والمذاهب الأخرى.

**المادة التاسعة عشرة:** المطبوعات حرّة ضمن دائرة القانون، ولا يجوز تفتيشها ومعاينتها قبل الطبع.

**المادة الخامسة والعشرون:** لا تجوز محاكمة أحد إلا في الحالات التي يعينها القانون.<sup>38</sup>

أما أول دستور صدر في مرحلة الانتداب فلقد كان دستور العام 1928 في ظل المندوب السامي على لبنان وسوريا هنري بونسو الذي أراد تهدئة الأوضاع بسوريا بعد ضرب الانتداب للثورة السورية الكبرى، فأعلن عن قيام حكومة مؤقتة للبلاد بقيادة الشيخ تاج الدين الحسيني وشكّل

<http://emediatc.com><sup>38</sup>

PublicFiles/File/%D8%AF%D8%B3%D8%AA%D9%88%D8%B1%D8%A7%D9%84%D9%/D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%2085%D9%85%D9%84%D9%83%D8%A9%D1%D9%8A%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%pdf.201920D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%85%20A9%

جمعية تأسيسية في آذار مارس لصياغة دستور للبلاد. وقد انتخبت الجمعية هاشم الأتاسي رئيساً لسوريا فيما انتخب إبراهيم هنانو رئيساً للجنة الدستور التي ضمّت 27 عضواً. وبعد أسبوع من العمل الدؤوب قمت صياغة الدستور إلا أن سلطات الانتداب اعترضت على عدد من المواد فيه التي عدّتها معادية لفرنسا وانتقاصاً من سلطات الانتداب. وبنتيجة احتجاج الوطنيين السوريين قام المندوب السامي بتعليق اجتماعات اللجنة الدستورية لثلاثة أشهر تلاها تأجيل آخر إلى أن قام بونسو بإضافة المادة 116 على الدستور وبها تم تعليق المواد الدستورية التي تدعو إلى استقلال سوريا. وعند إجراء انتخابات تشريعية في العام 1932، وبعد إعلان النتائج رفض النواب السوريون قسم اليمين أمام الدستور المعدل فرنسيّاً ما دفع بالمندوب السامي إلى حلّ المجلس وتعليق الدستور حتى العام 1936 حين تم التفاوض بين الكتلة الوطنية والحكومة الفرنسية على اتفاقية تقضي بمنح سوريا الاستقلال. ومن مواد هذا الدستور:

- 1- يقيم الدستور دولة ذات نظام للحكم جمهوري نيابي، ويُستلم من الدستور الفرنسي لعام 1875.
- 2- يكفل الدستور حقوق الطوائف الدينية المختلفة.
- 3- يتولى مجلس النواب المنتخب من الشعب بالاقتراع العام السري السلطة التشريعية، وينتخب رئيس الجمهورية بالاقتراع السري.
- 4- مدة ولاية رئيس الجمهورية خمس سنوات، ولا تجوز إعادة انتخابه إلا بعد انقضاء خمس سنوات على رئاسته.<sup>39</sup>

وفي العام 1949، وبعد انقلاب حسني الزعيم، تم تأليف لجنة دستورية من سبعة أعضاء لوضع دستور جديد للبلاد، إلا أن انقلابين آخرين وقعوا في تلك الفترة ولم تصدر اللجنة مسودة الدستور الجديد إلا في العام 1950 ومن مواده:

**المادة الأولى:** سوريا جمهورية عربية ديمقراطية نيابية ذات سيادة تامة. وهي وحدة سياسية لا تتجزأ ولا يجوز التخلّي عن جزء من أراضيها والشعب السوري جزء من الأمة العربية.  
**المادة الثانية:** السيادة للشعب، لا يجوز لفرد أو جماعة ادعاؤها. تقوم السيادة على مبدأ حكم الشعب بالشعب وللشعب. يمارس الشعب السيادة ضمن الأشكال والحدود المقررة في الدستور.

**المادة الثالثة: دين رئيس الجمهورية الإسلام.** الفقه الإسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع . حرية الاعتقاد مصونة. والدولة تحترم جموع الأديان السماوية. وتケفل حرية القيام بجميع شعائرها على ألا يخل ذلك بالنظام العام. الأحوال الشخصية للطوائف الدينية مصونة ومرعية .

**المادة الرابعة عشرة: تケفل الدولة حرية الرأي** ولكل سوري أن يعرب بحرية عن رأيه بالقول والكتابة والتصوير وسائل التعبير . لا يؤخذ فرد على آرائه إلا إذا تجاوز الحدود المعينة في القانون .

**المادة الخامسة عشرة: الصحافة والطباعة حرّتان ضمن حدود القانون.** لا يجوز تعطيل الصحف ولا إلغاء امتيازها إلا وفقاً لأحكام القانون . يجوز في حالة إعلان الأحكام العرفية أو الطوارئ أن يفرض القانون على الصحف والنشرات والمؤلفات والإذاعة رقابة محدودة في الأمور التي تتصل بالسلامة العامة وأغراض الدفاع الوطني . ينظم القانون أسلوب المراقبة على موارد الصحف .

**المادة الثامنة عشرة: للسوريين حق تأليف أحزاب سياسية على أن تكون غاياتها مشروعة ووسائلها سلمية وذات نظم ديمقراطية.** ينظم القانون طريقة إخبار السلطات الإدارية بتأليف الأحزاب ومراقبة مواردها .

**المادة الحادية والعشرون: الملكية عامة وخاصة، للدولة والأشخاص الاعتبارية والأفراد تملك الأموال ضمن حدود القانون.** الملكية الخاصة مصونة، ويعين القانون كيفية حيازتها والتصرف بها بحيث تؤدي وظيفتها الاجتماعية .

**المادة الثامنة والثلاثون: الناخبون والناخبات هم السوريون والسوريات الذين أتموا الثامنة عشرة من عمرهم .**

**المادة الحادية والسبعين: ينتخب رئيس الجمهورية من قبل مجلس النواب بالتصويت السري .** ويجب أن يفوز بأكثرية ثلثي مجموع النواب . فإن لم تحصل أعيد الانتخاب ويُكتفى بالأكثرية المطلقة . فإن لم تحصل أعيد ثالثة ويُكتفى بالأكثرية النسبية .

**المادة الثانية والسبعين: يُشترط في من يُنتخب لرئاسة الجمهورية أن يكون سورياً منذ عشر سنوات . حائزًا لشروط الترشح للنيابة . متما الأربعين من عمره . مدة رئاسة الجمهورية خمس سنوات كاملة تبدأ منذ انتخاب الرئيس . ولا يجوز تجديدها إلا بعد مرور خمس سنوات كاملة على انتهاء رئاسته .**

**المادة السادسة والثمانون: رئيس الجمهورية مسؤول في حالتي خرق الدستور والخيانة العظمى .** وهو مسؤول أيضاً عن الجرائم العادلة . لا يحاكم رئيس الجمهورية إلا أمام المحكمة العليا . لا يجوز البحث في إهالة رئيس الجمهورية إلى المحكمة العليا إلا إذا تقدم ربع أعضاء مجلس النواب بطلب

خطي معلم إلى رئاسة المجلس. يحال الطلب قبل البحث فيه إلى اللجنتين الدستورية والقضائية مجتمعتين، وتقدم اللجنتان تقريرهما خلال ثلاثة أيام من إحالة الطلب إليهما. تعين جلسة خاصة لمناقشة طلب الإحالة ولا يجوز أن يبحث فيها أمر آخر . لا تجوز إحالة رئيس الجمهورية إلى المحكمة العليا في جميع الحالات إلا بموافقة أكثريّة مجموع النواب المطلقة . عند إحالة رئيس الجمهورية إلى المحكمة العليا تعتبر سدة الرئاسة خالية حتى تُصدر هذه المحكمة قرارها .  
**المادة الرابعة بعد المائة: القضاء سلطة مستقلة .**

**المادة الخامسة بعد المائة: قضاة الحكم مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون . شرف القضاة وضميرهم وتجرّدهم ضمان لحقوق الناس وحرياتهم .**

**المادة الثامنة بعد المائة: يمارس القضاة في الدولة المحكمة العليا . محكمة التمييز . المحاكم الأخرى.<sup>40</sup>**

لكن في أواخر العام 1951 قام الرجل القوي في سوريا والحاكم الفعلي فيها بانقلاب عسكري أطاح به خصومه وقرر أن يصبح هو رئيساً للبلاد وألا يكتفي بـممارسة السلطة من الكواليس . وقد شكل لجنة دستورية قامت بوضع دستور جديد عبر تعديل دستور العام 1950 وقامت بتنصيب الشيشكلي رئيساً في صيف العام 1950.<sup>41</sup>

## الفصل الثاني

### لبنان 1958 – 1920

شهد القرن التاسع عشر انطلاق الثورة الصناعية وانتشرت في أوروبا الغربية، خصوصاً في بريطانيا وفرنسا، المصانع، وبدأت هذه الرأسمالية بالانتشار وبدأت بربط باقي أنحاء العالم بها وانطلقت دورة الإنتاج الرأسمالي والذي أدى إلى استلحاق اقتصادات باقي المناطق في العالم بالغرب الرأسمالي. وقد أدى هذا منذ بدايات القرن التاسع عشر إلى ربط اقتصاد جبل لبنان بالمركنتالية الفرنسية. وكان جبل لبنان قد ارتبط بالمركنتالية الفرنسية منذ القرن الثامن عشر بعد توسيع إنتاج الحرير فيه وتصديره إلى مصانع ليون في فرنسا. وهذا أدى إلى ربط اقتصاد جبل لبنان بليون وأدى إلى عملية تحول اقتصادي اجتماعي. وقد تعزز التغلغل الرأسمالي في الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وشهد ارتفاعاً في المديونية العثمانية لصالح الرأسمال الغربي، خصوصاً الرأسمال الفرنسي. وفي مصر، أدى التغلغل الرأسمالي الأوروبي المتمثل بالقروض الغربية لمصر إلى حالة اضطراب زادت وتيرتها في ظل الخديوي سعيد وبعده الخديوي إسماعيل والتي أدت في ما بعد إلى إفلاس الدولة المصرية وخضوعها تحت الهيمنة الأوروبية وتحديداً البريطانية والفرنسية. وأيضاً الدولة العثمانية تحولت إلى أكبر مدين للرأسمال الفرنسي والدولة الفرنسية تديّنها بفوائد عالية وفي الوقت نفسه أدى هذا إلى سقوط الدولة العثمانية تحت المديونية، وفي المحصلة أُوجدت عملية تأثير على المجتمعات ومن ضمنها مجتمع جبل لبنان. ففي جبل لبنان كان التحول قد بدأ في عهد بشير الثاني من ضرب للإقطاع في جنوب جبل لبنان الذي كان أغلبه إقطاعاً درزياً، ولكن أيضاً تأثر الإقطاع في شمال لبنان مثل بيت الخازن وحبيش والدحداح. وقد بدأت الكنيسة المارونية في ذلك الوقت ببلورة دورها كمؤسسة مستقلة عن الإقطاع ولو نسبياً. وهذا ينعكس بمراسلات البطاركة بدءاً من يوسف حبيش فصاعداً. أما في جنوب جبل لبنان فقد تم ضرب الإقطاع وقام الأمير بشير بالاستيلاء على أملاكهم وتأجيرها إلى فلاحين ليشتغلوا فيها لصالح الأمير.

## التحولات في القرن 19

في العام 1838 وقعت الدولة العثمانية اتفاقية للتجارة الحرة مع بريطانيا العظمى عرفت ببالتايمان وتم بوجها فتح الأسواق العثمانية أمام البضائع البريطانية.<sup>42</sup> في المقابل ضغطت بريطانيا على القوى الأوروبية ومن ضمنها فرنسا للضغط على محمد علي باشا ليسحب قواته من بلاد الشام. وفي العام 1840، وبعد إجبار محمد علي باشا على الخروج من بلاد الشام، وبعد نفي المير بشير الثاني إلى مالطا ظهرت مشكلة ملكية الأرض بعد عودة المقاطعية الدروز إلى الشوف ومطالبتهم باستعادة الأراضي التي أخذت منهم وأعطيت للفلاحين. وقد كان هذا أحد أهم العوامل في تفجر الأحداث الطائفية في جبل لبنان في العام 1841. وبالتالي كان أحد جوانب هذا الصراع هو بعد الطبقي، لكن كانت له أيضاً جوانب أخرى منها تدخل القوى الخارجية لأننا تحدثنا عن التسابق الاستعماري في منطقة شرق آسيا وأدى إلى غلبة بريطانيا وحربآلافين ودخولها إلى الصين وكانت هونغ كونغ هي القاعدة لدخول البريطانيين إلى الصين.<sup>43</sup> أما في منطقتنا فوُجِدَت فرنسا نفسها متأخرة في السباق فأُتت للتعويض عن ذلك بحكم العلاقات التي ربطتها مع العثمانيين منذ القرن السادس عشر والقرن السابع عشر. وكان عدد من الطوائف المشرقية كالكلدان والموارنة والروم الكاثوليك قد ارتبطوا بعلاقة وثيقة مع فرنسا منذ القرنين السادس عشر والسبعين.<sup>44</sup> وكان الموارنة يشكلون غالبية سكان جبل لبنان بنسبة 70% من السكان، وبالتالي تأتي تحت ذريعة حماية المسيحيين وتبدأ بالتدخل كدولة رعاية. وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر تعززت العلاقة الاقتصادية التجارية بين فرنسا وبلاد الشام، خصوصاً في حكم محمد علي باشا لهذه البلاد بين عامي 1831 و1840.<sup>45</sup> في المقابل فلقد نظرت الدولة العثمانية بعين الريبة إلى هذا التدخل الفرنسي. لكن الدولة العثمانية لم يكن عندها قدرة على مواجهة فرنسا لأسباب عدّة منها التحولات التي أضفت الدولة العثمانية إلى الرأسمال الفرنسي إلى المديونية ومنها العلاقة التي جمعت الكنيسة المارونية وفرنسا وروما. وبالتالي فإن الدولة العثمانية سعت للاعتماد على الإقطاع الدرزي والذي كان ولاهه تاريخياً للدولة التي تحكم دمشق بالدرجة الأولى هذه من ناحية، أما من ناحية ثانية فلقد سارع البريطانيون إلى انتزاع حصة لهم في جبل لبنان عبر دعمهم للدروز. وبدأ التنافس على هذا الأساس والذي أدى إلى إنشاء نظام القائمقامتين إحداهما مسيحية شمال

<sup>42</sup> سليمان أبو عز الدين، إبراهيم باشا في سوريا، القاهرة: دار الشروق، 2009، ص. 222.

<sup>43</sup> Chi Kwan Mark, China and the World since 1945, London: Routledge, 2011, 1.

<sup>44</sup> فيليب حتي، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحالي، بيروت: دار الثقافة، 1978، ص. 482 - 483.

<sup>45</sup> راجع قاسم سمحات، محمد علي باشا والمشروع الفرنسي في بلاد الشام 1804 - 1850، بيروت: دار الموسام، 2016.

طريق الشام والأخرى مختلطة ويعكمها قائمقام درزي جنوب طريق الشام. أما الروس فحاولوا أن يكونوا رعاة للأرثوذكس، ولكن لم يحالفهم الحظ كثيراً لأنهم في تلك الفترة لم يكونوا يملكون أسطولاً يتحدى الأسطول الفرنسي بالإضافة إلى أن روسيا كانت ما تزال قائمة على إقطاع وليس على نظام رأسالي حديث، ولذلك لم تستطع أن تدخل وتتغلغل في الدولة العثمانية، بالطريقة التي تغلغل فيها الفرنسيون والبريطانيون. وقد أدت محاولات الروس لمنافسة النفوذ الفرنسي المتتصاعد في الدولة العثمانية إلى حرب القرم في العام 1856 والتي انتهت بهزيمة الدولة الروسية في مواجهة تحالف ضم فرنسا وبريطانيا والدولة العثمانية. ومنذ نشأة الدولة العثمانية ارتبطت مصالح طائفة الروم الأرثوذكس بالدرجة الأولى بالسلطنة العثمانية فقد كان لهم وضع مميز، بالتدخل والتنافس الغربي على النفوذ في منطقتنا، حيث هنا ستُقام القائمقامتان فيأتي رعاة الموارنة وهم الفرنسيون وحاول النمساويين أن يكونوا رعاة للروم الكاثوليك، ولكن كانت مصالحهم الاقتصادية بالدرجة الأولى مع فرنسا أما الدروز فكانوا بين العثمانيين والبريطانيين. وقد أدت التحولات الدولية والإقليمية بالإضافة إلى افتتاح الأسواق المحلية أمام الصناعات الأوروبية إلى أزمة اقتصادية في الداخل تفجرت من 1857 صراعات متعددة الأوجه. فلو اطلعنا على أرشيف بكركي نجد صراعاً بين إقطاع آل الخازن وآل حبيش، إذ أرادوا استرداد نفوذهم في منطقة كسروان تحديداً وبين بيت أبي اللمع والملاطجيين الدروز في جنوب جبل لبنان لاسترداد نفوذهم وهبيتهم من ناحية ثانية. أصبح هناك صراع بين الموارنة والروم كما جرى في منطقة بسكننا أو أجزاء من الكورة، ومن ناحية ثالثة تفجر صراع بين زغرتا وبشري، وهو بالأساس صراع على ملكية الأراضي الزراعية، بالإضافة إلى ذلك أصبح هناك صراع داخل الأكليروس في المجمع. ما أدى إلى مرحلة من مراحل تفجر ثورة العامية بقيادة طانيوس شاهين ويوسف الشنتية، فتمردوا على سلطة آل الخازن في كسروان وغزير وامتدت بشكل غزير. وانتشرت الثورة (ثورة الفلاحين) وعصبها الأساسي منطقة كسروان وغزير وامتدت بشكل محدود نحو جبيل وامتن. وقد انتهت هذه الأحداث بمذبحة ارتكبت بحق الفلاحين الموارنة على يد إقطاع الدرزي في العام 1860. وبنتيجة تدخل القوى الخارجية فرض نظام المتصرفية على جبل لبنان برعاية الدول الخمس الكبرى وهي إنكلترا وفرنسا وروسيا وبروسيا والدولة العثمانية على أن يُعين متصرف من مسيحيي السلطة الكاثوليك على رأس إدارة المتصرفية يعاونه مجلس من 12 عضواً: 2 أرثوذكس و4 موارنة و3 دروز وواحد سني وواحد شيعي، أما المتصرف فيكون مسيحياً كاثوليكياً ومن خارج جبل لبنان.<sup>46</sup>

<sup>46</sup> أسد رستم، لبنان في عهد المتصرفية، بيروت: المكتبة البولسية، 1987، ص.ص. 19 – 39.

على المستوى الاقتصادي والاجتماعي مما مرفأ بيروت كمرفأ بديل عن صيدا وطرابلس ليكون الواسطة بين رأس المال الفرنسي والداخل الشامي. بدأ الرأسمال الفرنسي يتوسع في بيروت كصلة وصل مع الداخل الشامي، وبالتالي مع حلول عام 1860 أصبحت هناك هجرة من الريف إلى المدينة وتضخم حجم عدد السكان، فأصبح 60 ألفا، ومع بداية القرن العشرين أصبح عدد سكان بيروت حوالي مئة وعشرين ألفا. وقد اختيرت بيروت من قبل الفرنسيين لأنها بعيدة عن المراكز الاقتصادية التقليدية في صيدا وطرابلس وهي تتوسط المنطقة المنتجة للحرير أي جبل لبنان، ولأنه تم استحداث أسواق جديدة مع التحولات التي كان قد قام بها محمد علي باشا في الداخل الشامي في النصف الأول من القرن التاسع عشر.<sup>47</sup> والنخب الصيداوية لم تكن بعيدة عن الاستفادة من بيروت، لأن بيروت كانت تابعة لولاية صيدا. ومن ناحية ثانية فإن النخب الصيداوية كانت لها علاقات مع فرنسا. وقد أدى هذا إلى ضرب دور طرابلس كمرفأ على الساحل الشرقي لل المتوسط وتوسيع ميناء بيروت. وإضافة إلى ذلك بدأ التنافس بين الإرساليات الفرنسية والإنجلوسكسونية واليسوعية، ففي شمال لبنان كثُرت إرساليات الجوزيت أما في جنوب جبل لبنان فكانت الإرساليات الإنجلوسكسونية، ولأن بريطانيا لم تكن تهتم بتنقيف شعوب المستعمرات فاهتمت بالأمر الإرساليات الأميركية. وكان قد بدأ التبشير البروتستانتي منذ بداية القرن التاسع عشر، وأول بعثة وصلت إلى لبنان قادمة من الولايات المتحدة كانت في العام 1819. وقد وجدت البعثة رعاية من الإقطاعي الدرزي وعداء مارونيا كاثوليكيا، وهذا ما حفزها لتأسيس مدرسة لها في عبيه في جنوب جبل لبنان. وقد أُسست البعثة البروتستانتية عام 1866 الكلية الإنجيلية السورية والتي أصبح اسمها في الحرب العالمية الأولى الجامعة الأميركية في بيروت. وبعد عشرين عاما قام الآباء اليسوعيون بتأسيس الجامعة اليسوعية والتي بدأت كلية طب، وكانت الكثافة الأكبر في جبل لبنان والساحل اللبناني للمدارس الإرسالية الفرنسية.

وقد شكل نظام المتصوفية منزلاً بين منزليتين، هو شبه حكم ذاتي موسّع في جبل لبنان، دخل عبر منطقة الرعاية الخارجية لمجموعات وطوائف لبنانية. وقد أطلق نظام المتصوفية الصيغة الطائفية التي ستحكم لبنان حتى يومنا هذا، خصوصاً مع بروز الدور المستقل للكنيسة المارونية، خصوصاً مع "بولس مسعد" وهو أول بطريرك من أصول الفلاحين في تاريخ الكنيسة المارونية، وقدرة الكنيسة على أن تصبح مرجعاً مع كل التناقضات داخل الطائفة المسيحية المارونية. وكان مجتمع جبل لبنان في ذلك الوقت قد تمّ دمجه في بوتقة اقتصادية واحدة وكان يمتدّ من الكورة شمالاً حتى جزين جنوباً وغالبيته من الموارنة بين 60% - 70%، والدروز يشكلون ثاني أكبر حجم يضاف إليهم

<sup>47</sup> راجع سمير قصیر، تاريخ بيروت، بيروت: دار النهار، 1995

الأرثوذكس والكاثوليك، بالإضافة إلى السنة والشيعة، فجبل لبنان لم يكن يشمل بيروت ولا الشوف وصيفاً وجبل عامل وطرابلس والبقاع أو الشمال، كما أن الأحجام لم تعكس حجم الطائفة فقط، بل قدرتها الاقتصادية أيضاً.<sup>48</sup> فالكاثوليك كانت أعدادهم قليلة إلا أنهم امتلكوا إمكانيات وقوة اقتصادية تفوق ما لغيرهم، منهم العائلات التجارية التي ارتبطت بوكالات تجارية من فرنسا وإلى الآن تتمتع هذه الأسر بوضع اقتصادي مميز في النظام الاقتصادي اللبناني بالإضافة إلى ذلك في بُعد الرعاية الخارجية. أما الدروز والذين كانوا قد أصبحوا أقلية عددياً بالمقارنة مع الموارنة فإنهم احتلوا دوراً أكبر من حجمهم الديمغرافي نتيجة الرعاية العثمانية البريطانية، ونالوا ثلاثة ممثلي في مقابل أربعة أعضاء للأكثريّة المارونية التي نالت 4 ممثلي في مجلس المتصرفية، والأرثوذكس نالوا صوتين في المجلس ولهما ثقل وازن في الكورة وأدّى ذلك إلى أن يسود المنطق الطائفي. أما المتصرف فكان من مسيحيي السلطنة العثمانية، ولكن من خارج جبل لبنان. وبسبب وجود رقابة من السلطة المركزية على هذا الكيان الغريب الذي أراده العثمانيون بدعم من البريطانيين، ضغط الفرنسيون لكي يكون المتصرف من الكاثوليك في السلطة ودام هذا النظام ستة عقود وانتهى رسمياً عام 1915.

كان متصرف جبل لبنان من مسيحيي السلطة من خارج منطقة الجبل، لذا فلقد كان من الصعب عليه أن يمارس سلطاته من دون رضى سكان الجبل الذين كانوا لا يزالون تحت تأثير الولاء للمقاطعجية. وفي الوقت نفسه كان هؤلاء المقاطعجية قد فقدوا دورهم التقليدي بحكم الإصلاحات التي دخلت في الدولة العثمانية والتي أنهت عصر الإقطاع وأدخلت الدولة والمجتمع عصر الرأسمالية المركنتالية. لذا فلقد وجد داود باشا، أول متصرف يعين على جبل لبنان، أنه لن يتمكن من ممارسة مهامه ما لم يسترض المقاطعجية المحليين الذي استعان بهم ليكونوا واسطة العلاقة بينه وبين السكان، وهكذا نشأت المحسوبية في جبل لبنان ومن ثم في دولة لبنان الكبير والتي ستميّز النظام السياسي والاجتماعي لهذا الكيان.<sup>49</sup> وقد ترافق عصر المتصرفية مع أول أزمة اقتصادية تضرب بعمق اقتصاد جبل لبنان، خصوصاً في آخر عقدين من القرن التاسع عشر. ففي تلك الفترة كانت فرنسا قد احتلت الهند الصينية واستطاعت الحصول على مصدر للحرير أرخص وأكثر جودة من الحرير اللبناني. وقد أدى هذا إلى تحول المصانع الفرنسية للاعتماد على الحرير الآسيوي على حساب الحرير اللبناني. وكان اقتصاد جبل لبنان قد تحول إلى إنتاج سلعة واحدة والارتباط كلياً على التصدير إلى المصانع الفرنسية منذ القرن الثامن عشر. هذا أدى إلى موجات

<sup>48</sup> أسد رستم، لبنان في عهد المتصرفية، بيروت: المكتبة البولسية، 1987، ص.ص. 39 – 47.

<sup>49</sup> Kamal Salibi, A Modern History of Lebanon, 114 – 115.

هجرة كثيفة من جبل لبنان باتجاه العالم الجديد أي أمريكا اللاتينية ومن ثم الشمالية. في هذا الوقت كانت الإرساليات الأجنبية تخرج آلاف الطلاب التي ستهاجر إلى مصر لتعلم في الادارة وتشكل مع طليان ويونان وغيرهم طبقة كوبرادورية حاكمة فوق المجتمع المصري وتعمل في خدمة الاحتلال البريطاني مصر الذي فرض عام 1882. وساهم المهاجرون الشوام بتكوين الصحافة المصرية والعربية كجريدة الأهرام المصرية "بشرارة وسليم تقلا" إضافة إلى ذلك "جورج أبيض" مؤسس المسرح الحديث وملحنين وفنانين وكان هناك بواحد لحركة فكرية. وببدأ المهاجرون يرسلون الأموال إلى ذويهم واعتمد لبنان على أموال الاغتراب، وهذا أساس لفهم التطورات في وقت لاحق. وشرع هؤلاء المهاجرون بإرسالهم الأموال إلى ذويهم ليشكلوا قطاعاً اقتصادياً قائماً بحد ذاته، وقد وظفت هذه الأموال بالعقارات. وهذا عزّز قطاع المضاربات العقارية.

## الحرب العالمية الأولى وأثرها

خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كانت الدولة العثمانية تنازع. وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كان هم السلطان عبد الحميد الذي تسلم الدولة في ظروف صعبة جداً على أثر هزيمة كبيرة ضد الروس خسر فيها العثمانيون رومانيا وصربيا والجبل الأسود والنمسا والهرسك ولم يبقَ من ممتلكات الدولة العثمانية في البلقان إلا إستانبول وجوارها ومقدونيا وألبانيا وقد شكلَ ذلك كارثة على الدولة العثمانية. واحتل الفرنسيون الجزائر 1830-1870 حيث استقرَ الوضع لهم في الجزائر. وفي العام 1882 كان الفرنسيون والبريطانيون اتفقوا على اقتسام ممتلكات الدولة العثمانية في شمال أفريقيا. ففرنسا كانت تضع نصب عينيها السيطرة على المغرب وتونس حتى ليبيا، لكن بقيت ليبيا كحاجز بين النفوذ الفرنسي والبريطاني فيما سيطرت بريطانيا على مصر. رأى عبد الحميد تفكك الدولة العثمانية الأمر الذي دفعه للاستفادة من صعود الدولة الألمانية مواجهة الفرنسيين والبريطانيين. فألمانيا التي عجزت على أن تكون قوة بحرية لتصدِّي للهيمنة البريطانية قررت عبر سكة الحديد أن تصل إلى طريق الهند عبر برلين - بغداد. رأى السلطان عبد الحميد الثاني أن هذه السكك ستكون الطريق لإنقاذ السلطنة من الزوال التام. فأخذ إجراءات عدَّة أولها إنشاء سكك الحديد خصوصاً خط الحجاز للوصول إلى المناطق النائية، وثانيةً مواجهة الإرساليات الأجنبية بتأسيس المدارس الحكومية العسكرية التي عرفت بالرشدية والحميدية، وثالثها التقارب مع ألمانيا التي نصحته باستخدام العامل الديني للتأثير بالسكان المسلمين في المستعمرات البريطانية والفرنسية والروسية. في المقابل، ظهرت القومية العربية كنتيجة لعوامل عدَّة في تلك الفترة من ضمنها توسيع النظام الاقتصادي الرسمي والتحديث في الدولة العثمانية.

وقد وجد البريطانيون في القومية العربية عاملاً يمكن أن يلعب دوراً فاعلاً ضد دعوة الأسلامة التي كان السلطان عبد الحميد قد بدأ ينادي بها، لكن هذه القومية العربية كانت قد غلقت أيضاً بخلاف ديني حين نادت بأن تكون الخلافة الإسلامية عربية. بالتوازي مع ذلك ظهرت في بلاد الشام حركة وعي سوريا كان من أعلامها آنذاك الدكتور خليل سعاده والذي سيلعب ابنه انطون فيما بعد دوراً بارزاً فيها. كذلك ظهرت دعوة للقومية اللبنانية تحديداً في أوائل القرن العشرين من خلال اكتشافات في التاريخ تم إسقاطها على الحاضر. في تلك الفترة اشتُدَّ التنافس بين القوى الاستعمارية ما دفع بها إلى الحرب العالمية التي اندلعت عام 1914. وخلالها حدثت أحداث جسام انتهى خلالها نظام المتصرفية فأُقِيِّمَ جمال باشا قائداً للجيش الرابع ليحكم سوريا ولبنان خلال الحرب ويُتَّخذُهما منطلقاً له لاحتلال مصر وانتزاعها من أيدي البريطانيين.

## انهيار الدولة العثمانية وأثره على لبنان

في العام 1918 كانت الدولة العثمانية وألمانيا والنمسا قد هزمت في الحرب العالمية الأولى، وكان أحد أهم العوامل في ذلك هو دخول الولايات المتحدة في الحرب ما قلب الموازين لصالح الحلفاء، وبالتالي تفككت الدولة العثمانية. وكانت هنالك مشاريع مطروحة لتقسيم الدولة العثمانية من ضمنها سايكس بيكو بين البريطانيين والفرنسيين ويفتَضيُّ بأن تنتدب فرنسا على لبنان وسوريا وأن تناول بريطانيا العراق والأردن وفلسطين التي كان وزير الخارجية البريطانية أرثر بلفور قد وعد اليهود بإقامة وطن قومي لهم فيما عُرِفَ بوعد بلفور. وقد تضاربت الاتفاقيات بين بريطانيا وفرنسا مع الوعود التي منحتها بريطانيا للثورة العربية الكبرى بزعامة الشريف حسين بإقامة دولة عربية في منطقة المشرق العربي والجزيرة العربية. وكانت طلائع الجيش الشريفي أو جيش الثورة العربية الكبرى قد دخلت دمشق في أيلول 1918 وكان ذلك أيضاً بدعم إنجليزي لأن البريطانيين كانوا يريدون فرض أمر واقع يؤدي إلى إخراج فرنسا من منطقة المشرق العربي، ولم يكن بمقどころ البريطانيين أن يتراجعوا عن اتفاقيهم مع فرنسا إلا في حالة واحدة، وهي إيجاد قوة فعلية تسيطر على بلاد الشام وتُعلن عن رغبتها بأن تكون حلية لبريطانيا. وكانت القوات العربية قد لعبت دوراً رئيسياً بضرب الجيش العثماني من الخلف ما سهَّل هجوم النبي في العام 1917 على فلسطين انطلاقاً من مصر.

وبعد دخول الجيش الشريفي دمشق تلاه وصول فيصل ابن الشريف حسين الذي أُلف حكومة مؤقتة وأرسل موظفين له لرفع علمه على سرايا بيروت، إلا أن الفرنسيين قاموا بإinzal في المدينة وكمال منطقة الساحل ونزعوا راية الشريف فيصل وأعلنوا عدم اعترافهم به وطالبوه بالانتداب على

لبنان وسوريا كما نصّ اتفاق سياكس بيكيو مع البريطانيين. وقد دام حكم فيصل لسوريا عامين حاول خلالها التوصل إلى تسوية مع الفرنسيين مستفيداً من الدعم البريطاني له. لكن مع حلول صيف العام 1920 كان الفرنسيون قد توصلوا إلى تسوية مع مصطفى كمال أتاتورك أعطوه فيها منطقة كيليكيا التي تشكل الريف الشمالي لمدينة حلب، كذلك كانوا قد اتفقوا مع البريطانيين على إعطائهم الموصل الغنية بالنفط لقاء وقف البريطانيين دعمهم لفيصل. وبذلك باتت الطريق مفتوحة للفرنسيين لفرض إرادتهم على سوريا. وفي تموز يوليو 1920 توجه الجيش الفرنسي بناء على أوامر الجنرال غورو وخاض معركة ميسلون ضد الجيش السوري. وقد استشهد في المعركة وزير الدفاع السوري يوسف العظمة وقتل مئات من جيشه ودخل غورو دمشق فارضاً الانتداب الفرنسي على سوريا. وفي أيلول سبتمبر 1920 أُعلن قيام دولة لبنان الكبير بعد ضمّ منطقة جبل عامل والبقاع وسهل عكار وطرابلس وبيروت وصيدا إلى جبل لبنان.<sup>50</sup>

## مرحلة الانتداب

كانت بيروت قد تحولت مركزاً مالياً إقليمياً منذ نهاية القرن التاسع عشر، وقد تعزّز هذا الدور في ظل الانتداب الفرنسي. وقد بُرِزَ في تلك المرحلة ميشال شيخاً، مالك ومدير مصرف فرعون وشيخاً والصناعي والرأسمالي اللبناني شارل قرم. كذلك ظهرت المزاوجة بين المال والسياسة عبر صلة النسب التي ربطت الأول ب بشارة الخوري والثاني ب أميل اده وقد كانا من أبرز سياسيي مرحلة الانتداب. وكان شيخاً و قرم قد نظراً للأمة اللبنانية. وفي مرحلة الانتداب أيضاً تشكلت بيروقراطية الدولة من محامي متخرجين من الجامعات الفرنسية واليسوعية وهما أميل اده وبشارة الخوري اللذان تحالفوا مع الرأس المال المالي كما ورد آنفاً. وبذلك نشأت النخبة التي ستسخر الدولة لخدمة الأوليغارشية اللبنانية المكونة من عائلات دمشقية أو حلبية نزحت إلى بيروت مثل الصحاوي وفتال و خباز وغيرها.<sup>51</sup> في المقابل رفض وجهاء مدن الساحل مثل آل كرامي في طرابلس وآل سلام في بيروت وآل الصلح في صيدا التعامل مع الكيان اللبناني وتمسّكوا بطالبهم بالانضمام إلى سوريا. وقد عقدوا عدداً من المؤتمرات سُمّيت بمؤتمرات الساحل لإعلان موقفهم هذا. وخلال فترة الانتداب أُرسيت الصيغة الطائفية للحكم بعد اختيار أعضاء مجلس النواب على أساس طائفي وفقاً لمعادلة 6 نواب مسيحيين لكل 5 نواب مسلمين. وفي العام 1926 أُعلنت الجمهورية اللبنانية وفقاً لدستور

Kamal Salibi, p.p. 163 – 165. <sup>50</sup>

Fawwaz Traboulsi, A Modern History of Lebanon, london: Pluto Press, p.p. 2007, 91 – 92. <sup>51</sup>

أرسى فصل السلطات على أن يكون هنالك رئيس للجمهورية ومجلس وزراء ومجلساً نواب وشيوخ، وبعد عام تم دمج مجلس الشيوخ مع مجلس النواب واختير شارل دباس الأرثوذكسي الموالي لفرنسا رئيساً للجمهورية لثلاث سنوات وتم التجديد له لولاية ثانية عام 1929 وحتى عام 1932. ومن ثم تم تعديل الدستور بحيث يصبح مدة ست سنوات ملحة واحدة فقط. خلال هذه الفترة قامت ثنائية بين سلطة المندوب السامي التي كانت شبه مطلقة، ورئيس الجمهورية، وكان الأول هو الأمر الناهي عملياً فعندما يصبح هناك خلاف على الرئيس هو الذي يختار الرئيس، وفي الوقت نفسه كانت صلاحيات رئيس الجمهورية معدومة في ظل وجود فيتو المندوب السامي، فأول رئيس للجمهورية شارل دباس.<sup>52</sup> وعند انتهاء ولاية دباس عام 1932 تنافس أميل إدّه وبشارة الخوري على منصب رئاسة الجمهورية. وكانت بكركي تحبّذ الخوري فقام إدّه بمناورة أعلّن خلالها أنه مستعدّ لدعم ترشيح الشيخ محمد الجسر لرئاسة الجمهورية، فحصلت أزمة أدّت بالمندوب السامي إلى تعليق الانتخابات وفرض إدّه رئيساً للوزارة. وبعد فترة تمّ تعيين بشارة الخوري رئيساً وزراء، ليعود إميل إدّه ويخلّفه في المنصب.

وفي تلك الفترة كان هناك نضال من الزعماء التقليدية في سوريا والتي تنتهي إلى الطبقة البرجوازية التجارية الشامية والبرجوازية التجارية الحلبيّة للاستقلال عن فرنسا، وقد تكثّل هؤلاء الوجهاء بكتلة سمّيت بالكتلة الوطنية وكان من أعلامها عبد الرحمن الشهبندر وجميل مردم بك وبشارة القوتوبي وفارس الخوري وغيرهم. في عام 1937 ارتفعت الكتلة الوطنية السورية التوصل إلى تسوية مع السلطات الفرنسية تقضي بقبولها باستقلال لبنان لقاء توحيد سوريا في دولة مركبة عاصمتها دمشق ومنحها الاستقلال بعد مرحلة انتقالية. وكانت حكومة اشتراكية قد وصلت إلى السلطة في فرنسا برئاسة ليون بلوم. وكانت هذه الحكومة أكثر ميلاً لسماع مطالب النخب الوطنية في البلدان المحكومة من قبل فرنسا، كما أنها كانت محتاجة للتوصّل إلى تسوية مع المستعمرات لتركيز أنظارها ناحية الخطر الصاعد في ألمانيا بعد تولي النازيين بزعامة أدولف هتلر الحكم فيها.

هذا أدّى بالزعamas السنّية في لبنان إلى القبول بالتعامل مع الكيان اللبناني، باستثناء عبد الحميد كرامي الذي بقي مصرّاً على موقفه بالوحدة مع سوريا. ورغم توقيع الاتفاقية إلا أن مجلس النواب الفرنسي لم يصدق عليها وأُسقط في يد النخب السورية واللبنانية التي جاهرت بمعارضتها للانتداب فقام المندوب السامي بتعليق الدستور وفرض إميل إدّه رئيساً للجمهورية وعيّن عبد الحميد الأحذهب رئيساً للوزراء لاكتساب ولاء السنة وأهل طرابلس، خصوصاً أنه كان الوحيدة من الزعamas

---

Fawwaz Traboulsi, A Modern History of Lebanon, London: Pluto Press, 2007, p. 90 <sup>52</sup>

السنوية الذي ارتضى التعاون مع سلطات الانتداب.<sup>53</sup> وفي العام 1937 تم إصدار مرسوم تشكيل المجلس الإسلامي وتعيين مفتٍ للجمهورية اللبنانية مرسوم من رئيس الجمهورية بالتشاور مع الرعامتات الإسلامية. وكان الشيعة في هذه الفترة ما زالوا ملحقين بهذا المجلس وليس لهم كيان مستقل. وقد شكل هذا المجلس بوتقة للتعبير عن مصالح النخب المركنتالية المسلمة في مدن الساحل بالدرجة الأولى.<sup>54</sup> وهكذا أصبح للبنان رئيس دولة ماروني، ورئيس وزراء سني، وإرضاء الزعماء التقليدية الشيعة أعطيت رئاسة مجلس النواب للشيعة.<sup>55</sup> وقد توالّت على المنصب زعامات تقليدية من البقاع والجنوب فكانت ثنائية أحمد بيك الأسعد وصبري حمادي حتى السنتينيات من القرن الماضي. ويعتبر الميثاق الوطني اللبناني الذي أقر شفهياً بين بشارة الخوري ورياض الصلح عملياً ملاءمة مصالح بين البرجوازية المركنتالية المسيحية من جهة وجزء من البرجوازية المركنتالية المسلمة من جهة أخرى، وتوزيعاً للنفوذ بين نخبة مسيحية ذات هوى وولاء غربي ونخبة مسلمة ذات هوى وولاء لأقوى قوة عربية أو إسلامية.

في حزيران يونيو 1940 دخلت القوات الألمانية إلى العاصمة الفرنسية باريس وفرضت صلحاً مهيناً على حكومة الماريشال بيستان الذي وجد نفسه وحكومته مضطرين إلى ترك باريس والاستقرار في مدينة فيشي. وفي ربيع العام 1941 تمكنَّ التيار المناهض للنفوذ البريطاني في العراق من إطاحة حكومة نوري السعيد وتسمية رشيد عالي الكيلاني المعروف بعدهاً لهم رئيساً للحكومة. وكانت هذه ثالث مرة يتولى فيها الكيلاني رئاسة الوزارة بعد العام 1933 والعام 1940. وكان قد ولد لعائلة من وجاه مدينة بعقوبة في محافظة ديالى. وقد ارتبط الكيلاني بعلاقة قوية بملك غازي وأصبح رئيساً للديوان الملكي بعد تبوء هذا الأخير سدة العرش. وفي أيار مايو من ذلك العام كان التيار المناهض لبريطانيا قد تشجع للتمرد ضد هيمتها على العراق نتيجة تقدُّم قوات الماريشال رومل في شمال أفريقيا باتجاه مصر وتهديده بوصوله قناة السويس ومنطقة الشرق الأدنى. فقام هذا الفريق بدعم الكيلاني الذي شكّلَ حكومة من عقداء كانوا معروفين بإيمانهم بالقومية العربية وبالمعاداة لبريطانيا وكانوا برئاسة العقيد صلاح الدين الصباغ وهو من أصل لبناني من مدينة صيدا، والعقداء فهمي سعيد وكامل شبيب ويونس السبعاوي ومحمود سلمان. وكان هؤلاء على اتصال بفتى القدس الحاج أمين الحسيني الذي كان قد لجأ إلى ألمانيا هرباً من قوات الاحتلال البريطانية والصهيونية في فلسطين وأنشأ إذاعة ناطقة بالعربية في برلين. وقد بدأ الكيلاني بإصدار البيانات

Fawwaz Traboulsi, *A Modern History of Lebanon*, London: Pluto Press, 2007, p.p. 101 – 103. <sup>53</sup>

Firoo, *Inventing Lebanon, Nationalism and the State Under the Mandate*, London: I.B. Tauris. 2003 <sup>54</sup>

p.p. 77 – 79, 127, 151 – 15

<sup>55</sup> على فتوبي، *تاريخ لبنان الطائفي*، بيروت: الفارابي، 2013، ص.ص. 110 – 112.

الداعية للعرب كافة بالثورة على القوى الأجنبية ببريطانيا وغيرها من القوى الاستعمارية المهيمنة على الدول العربية ثم قام بعزل الأمير عبد الله الذي لاذ بالفرار هو والسعيد. ثم أصدر الكيلاني قرارا يطالب القوات البريطانية بالانسحاب من قواعدها في العراق.

ردا على ذلك قامت القوات البريطانية بإزالة قواتها في الكويت ومن ثم تقدّمت باتجاه البصرة، فأصدرت حكومة الكيلاني قرارا يدين بريطانيا ويهدّدها باتخاذ خطوات ردعية ضد قواتها ما اعتبر بمثابة إعلان حرب، لكن بريطانيا قامت بإزالة جوي في قاعدة الحسينية الجوية القريبة من بغداد ومن ثم فك الحصار عن القاعدة والتقدّم باتجاه العاصمة بغداد. وقد فشل الجيش العراقي بصد القوات البريطانية فلاذ الكيلاني بالفرار إلى المملكة العربية السعودية حيث بقي هناك حتى ثورة العام 1958، فيما لاذ بقية الضباط بالفرار إلى سوريا التي كانت تحت انتداب حكومة فيشي ومنها إلى ألمانيا.

هذه الأحداث دفعت بالبريطانيين إلى الإعداد لحملة لانتزاع لبنان وسوريا من أيدي حكومة فيشي التي كانت قد سمحـت للطائرات الألمانية ان تستخدم المطارات في لبنان وسوريا للانطلاق نحو العراق ومساعدة رشيد عالي الكيلاني ضد البريطانيـن. ولتشريع تحركـهم ضد حليفـهم السابق، استعان البريطانيـون بقوـات فرنسـا الحـرة بـقيادة الجنـزال شـارل ديـغول اللاـجـئ في بـريطـانيا لـتشـكـل رـأس حـربـة الـهجـوم الـذـي انـطـلـق مـن فـلـسـطـين بـاتـجـاه لـبنـان وـسورـيا. وـفي صـيف الـعام 1941 كـانـت الـقوـات الـبريطـانية قد طـرـدـت قـوـات فيـشي مـن لـبنـان وـسورـيا وـأـمـنـت ظـهـرـ قـوـاتـها فيـ مصرـ الـتـي كـانـت تـواـجـهـ الـقوـات الـأـلمـانـية بـقـيـادـة اـمـارـيـشـال روـمـلـ فيـ الـعـلـمـينـ. وـقد عـيـّـت بـريـطـانـيا الجنـزال سـيـرـزـ منـدوـبـاـ سـامـيـاـ لـهـا فيـ لـبنـان وـسورـيا وـكانـ مـعـادـيـاـ لـلـفـرنـسـيـيـنـ، فـضـغـطـ عـلـى حـكـومـة فـرـنـسـاـ الـحـرـة لـإـصـدارـ وـعـدـ بـمـنـحـ الـاسـقـلـالـ لـلـبـنـان وـسورـيا وـهـوـ مـا نـفـذـهـ الجنـزالـ كـاتـرـوـ مـمـثـلـ فـرـنـسـاـ الـحـرـةـ فيـ لـبنـان وـسورـياـ.<sup>56</sup> إـلـاـ أـنـ الـفـرنـسـيـيـنـ مـاـطـلـواـ فيـ مـنـحـ الـبـلـدـيـنـ الـاسـقـلـالـ حـتـىـ كـانـتـ تـطـورـاتـ صـيفـ الـعـام 1943ـ وـالـتـيـ ستـكـونـ حـاسـمـةـ فيـ هـذـاـ الـاتـجـاهـ.

## الأحزاب اللبنانية في مرحلة الانتداب

خلال مرحلة الثلاثينيات ظهرت أحزاب جديدة على الساحة اللبنانية. إضافة إلى الحزب الشيوعي والحزب السوري القومي الاجتماعي وحزب البعث والأخوان المسلمين، فلقد ظهر على الساحة حزب الاتحاد الدستوري برئاسة بشارة الخوري، وهو الحزب الذي سيُعرف بالكتلة الدستورية. وقد

Fawwaz Traboulsi, A Modern History of Lebanon, london: Pluto Press, 2007, p.p.104 – 105. <sup>56</sup>

أسس الحزب رسمياً في العام 1934 وقد شكل مظلة لتقرب الخوري مع زعامت مسلمة على رأسها رياض الصلح لينادي في أوائل الأربعينيات باستقلال لبنان عن الانتداب الفرنسي. وقد أصبح هذا الحزب الذي كان في جوهره إطاراً فضفاضاً لنخب سياسية عابرة للطوائف حزباً حاكماً خلال فترة رئاسة بشارة الخوري بين عامي 1943 و1952، ليضعف بعدها هذا الحزب عقب استقالة الخوري. وفي مواجهة هذا الحزب تشكل حزب حول الرئيس إميل إدّة، وهو الزعيم الذي كان الأكثر شعبية على الساحة المسيحية خلال فترة الانتداب. وكان نخب مؤيدة لإّدة قد اجتمعت حوله عقب خسارته للانتخابات في مواجهة بشارة الخوري في العام 1943. وقد نادى هذا الحزب بالقومية اللبنانية ولم يلعب دوراً في الحياة السياسية اللبنانية إلا بعد وفاة إّدة وتبوء ابنه ريمون زعامة الحزب عام 1949. وقد تميّزت الكتلة بمعارضتها لرؤساء الجمهورية المتعاقبين على الحكم منذ بشارة الخوري وحتى يومنا هذا.

وإن كان حزباً الكتلة الدستورية والكتلة الوطنية قد عّبراً عن مصالح الطبقة العليا في المجتمع اللبناني، فإن حزبي الكتائب اللبنانية والنجادة قد استندتا في صعودهما على الطبقة الوسطى، فيما تميّزت أيديولوجياتهما بنزوعها نحو الاستقطاب الطائفي. فلقد تأسس حزب الكتائب اللبنانية بزعامة بيار الجميل في العام 1936 عقب حضوره فعاليات أولمبياد ألمانيا. وقد تأثر الجميل بالآفكار الفاشية لبنيتو موسوليني وحاول تطبيقها على لبنان منادياً بقومية لبنانية تعود إلى الفينيقيين. وقد اعتمد حزب الكتائب بالدرجة الأولى على الطبقة الوسطى الدنيا في ضاحية الأشرفية ذات الغالية المسيحية، وعلى فقراء الريف المسيحي النازحين إلى المدن.

وفي الساحة السنّية تأسس حزب النجادة كحزب موازٍ للكتائب، لكن في الساحة السنّية. ووفقاً لصفحة الحزب، فلقد تأسس الحزب على يد محيي الدين النصولي في العام 1933 والذي كان أيضاً متأثراً بالآفكار الفاشية لموسوليني. وقد عبر النصولي عن تأييده للنازية والفاشية في مقالاته التي كان ينشرها في جريدة بيروت التابعة للحزب. وقد تميّزت أفكار الحزب بالمناداة بالوحدة العربية وفقاً للنموذج الألماني النازي وهو ما عبر عنه شعاره "العروبة فوق كل شيء" والذي كان صدى لشعار الألمان، "ألمانيا فوق الجميع".

في الوقت نفسه فلقد شكلت أحزاب الشيوعي والقومي الاجتماعي والبعث أطراً عابرة للطوائف ما جعل سلطات الانتداب والسلطات الطائفية اللبنانية تناصبها العداء. وكما سبق وذكرنا في الفصل السابق، فلقد كان الحزب الشيوعي من أبرز هذه الأحزاب وقد تأسس في بلدة الحدث اللبنانية على يد نقابيين كانوا يناضلون من أجل حقوق العمال وتأثروا بالثورة البولشفية. وقد اعلن تأسيسه رسمياً في العام 1924 وانتخب النقابي فؤاد الشمالي كأول أمين عام له. وقد ارتبط الحزب بشكل

عضو بالحزب الشيوعي السوفيتي وكان يتلقى تعليماته منه في معظم قضاياه الرئيسية. وسرعان ما لاقى الحزب تأييده من قبل المثقفين المنحدرين من أصول ريفية وفي أواسط العمال المتحدررين من فئات ريفية جاءت إلى المدن للعمل. وفي العام 1933 كان فؤاد الشمالي قد أُبعد عن الحزب بتأثير من موسكو بعد إطاحة راعيه غريغوري زينوفيف ورفيقه ليف كامينيف على يد ستالين. وقد خلفه في منصب الأمين العام للحزب الشيوعي في لبنان وسوريا خالد بكداش الذي سيلعب الدور الرئيس في قيادة الحزب لثلاثة عقود تالية. وبكداش ينتمي لعائلة كردية دمشقية، وقد ولد في العام 1912 وانتسب إلى الحزب الشيوعي في العام 1930. وقد ترجم ألمانيفستو الشيوعي إلى اللغة العربية ومثل الشيوعيين العرب في اجتماعات الكومintern في العام 1935. وفي العام 1937 أسس جريدة صوت الشعب لتكون ناطقة باسم الحزب الشيوعي. وقد لعب بكداش دوراً بارزاً في الثلاثينيات والأربعينيات في مواجهة سلطات الانتداب، ثم كان للحزب الشيوعي دور كبير في النضالات العمالية والنقابية في كل من سوريا ولبنان خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي.<sup>57</sup>

أما الحزب السوري القومي الاجتماعي فلقد كان أسس في لبنان على يد انطون سعاده، وهو من مواليد الشوير في منطقة المتن الشمالي. وقد آمن سعاده بوحدة بلاد الشام بحدودها الطبيعية أي سوريا ولبنان وفلسطين والأردن وشبهة جزيرة سيناء ومنطقة كيليكيا في جنوب تركيا بالإضافة إلى جزيرة قبرص. وفي وقت لاحق وجد سعاده تكاملاً بيئياً بين بلاد الشام وال العراق الذي اعتبره أيضاً جزءاً من الأمة السورية أو الهلال الخصيب. وقد ناضل الحزب في الثلاثينيات ضد الانتداب الفرنسي ودخل مؤسسه وقاده انطون سعاده مرات عدّة إلى السجن بتهم مناهضة الانتداب إلى حين نفيه إلى البرازيل في العام 1938 والتي عاد منها بعد تسع سنوات. ولم تتوافق عقيدة الحزب مع الكثيرين من معتنقى الفكر القومي العربي ما أدى لنشوء صراع فكري حاد، حول مفهوم الأمة والعروبة، حيث اعتبر سعاده أن سوريا هي أمة تامة وإحدى الأمم العربية وهناك ما يميّرها عن باقي هذه الأمم. كذلك كان الحزب حاداً في معاداته للطائفية السياسية خصوصاً في لبنان واعتبرها عائقاً أمام وحدة الأمة، كما اعتبر أن الإسلام والمسيحية هما تعبيران حضاريان من نتاج الهوية الحضارية للأمة السورية. وقد لاقى الحزب تأييده في صفوف الفئات الريفية والطبقة الوسطى في المدن، خصوصاً

<sup>57</sup> راجع ل. س. أيوب، الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان، بيروت: دار الحرية، 1959.

في بيروت وجبل لبنان وجبال العلوين وجبل العرب في سوريا. وخلال الثلاثينيات والأربعينيات كان الحزب السوري القومي الاجتماعي على تنافس حاد مع الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان.<sup>58</sup>

أما الحزب الرابع فكان حزب البعث الذي تم تأسيسه من قبل أستاذين دمشقيين درسا في السوربون في فرنسا خلال الثلاثينيات، هما ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار. وقد كان الإثنان ينتميان إلى الطبقة الوسطى العليا الدمشقية وقد تأثرا بالتيار العربي الذي كان في أوج صعوده في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. وعند عودتهما إلى دمشق بدءاً يدعوان إلى فكرتهما بين تلاميذهما في المدارس التي علّما فيها. وكانت دعوتهما لإنشاء حزب يعتمد النموذج اللبناني للمنظمات الحزبية نتيجة شعورهما بالتحدي الناجم عن توسيع شعبية الحزب الشيوعي والحزب السوري القومي الاجتماعي، فيما كانتعروبة تياراً لا تنظيم يؤطر صفوفه. وقد بقي الأستاذان يدعوان لفکرتهما حتى كان التأسيس الرسمي للحزب في العام 1947. وبالتالي مع جهودهما كان هنالك محام من مدينة حماه هو أكرم الحوراني وكان قد بدأ نضاله في الثلاثينيات من القرن الماضي أثناء دراسته للحقوق، وقد انضم لفترة وجيزة إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي إلا أنه تركه بعد ذلك نتيجة مواقف الحزب تجاه العروبة. وكان نضال الحوراني في حماه بالدرجة الأولى ضد تسلط التجار وطبقة الأغوات على الفقراء والفلاحين، فأسس لذلك الغرض حزباً هو الحزب العربي الاشتراكي وخاض نضالاً ضد هم وضد سلطات الانتداب وتمكن بذلك من فقراء حماه وريفها من أن يحدث خرقاً ويصبح نائباً في البرلمان السوري في العام 1943. وقد تواصل مع ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار في أوائل الخمسينيات حيث وحدّوا حزبي البعث والعربي الاشتراكي ليصبح الحزب باسم البعث العربي الاشتراكي في سنة 1954. وقد لقيت الأحزاب الثلاثة هو في نفوس ضباط الجيش المتحدررين من أولاد وجهاء الريف ومن الطبقة الوسطى في المدن السورية. وكانت هذه الطبقة قد بدأ يصعد دورها خلال الأربعينيات وبدأت تتصدر مصالحها بصالح طبقة كبار التجار والوجهاء في المدن والتي سيطرت على الحياة السياسية خلال النصف الأول من القرن العشرين.<sup>59</sup> ولقد استقطب حزب البعث عدداً من نخب الطبقة الوسطى المتحدررين من الريف.

<sup>58</sup> راجع، أحمد سام الأحمد، الحزب السوري القومي الاجتماعي: 1932 – 1962 دراسة تاريخية، بيروت: دار ومكتبة التراث الادبي، 2014.

<sup>59</sup> راجع شibli العيسى، حزب البعث العربي الاشتراكي: مرحلة الأربعينيات التأسيسية 1940 - 1949، بيروت: دار الطليعة، 1980 ومصطفى دندشلي، حزب البعث العربي الاشتراكي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

وأخيراً، فقد كان حزب الأخوان المسلمين من الأحزاب التي ستشكل في سوريا بالتوازي مع تشكيل الحزب في مصر، إلا أنه في سوريا لن يلعب دوراً بارزاً قبل منتصف السبعينيات من القرن الماضي. وقد تأسس الحزب في سوريا في الثلاثينيات في البيئات المحافظة في دمشق وحلب وحمادة وحمص، وكان مصطفى السباعي أول مراقب عام له بين عامي 1945 و1964. وفي العام 1964 خلفه في المنصب كمراقب عام الدكتور عصام العطار وذلك حتى عام 1973. وقد أقرَّ الحزب ثلاًث مؤسسات تحكم عمله وهي مجلس شورى ينتخب المراقب العام ويقرُّ القيادة التي يختارها هذا المراقب العام إضافة إلى الخطط والسياسات، إضافة إلى المراقب العام وأعضاء قيادته الذين يتولون شؤون الجماعة، ومحكمة عليا حزبية تفصل في النزاعات التي تنشأ في صفوف الجماعة. ولم تتوسّع قاعدة تأثير الجماعة خلال الفترة الممتدة من الثلاثينيات وحتى السبعينيات من القرن الماضي بنتيجة احتلال الساحة السياسية من قبل الأحزاب التي ذكرتها آنفاً. وقد استقطب الحزب عدداً قليلاً من الأعضاء في لبنان في مدن طرابلس وبيروت وصيدا.

وفي هذه الفترة أيضاً تشكل الحزب التقدمي الاشتراكي لكن كحزب يدور حول الزعامة الإقطاعية لكمال جنبلاط. وقد تأسس الحزب في كانون الثاني يناير 1949 ونادي باشتراكية إنسانية على الطراز المثالي للسان سيموني الفرنسي. وكان من مؤسسيه أعضاء من مختلف الطوائف مثل فريد جبران وعبدالله العلياني وجورج حنا وفؤاد رزق، إلا أنه شكل أداة في يد الرعيم الإقطاعي كمال جنبلاط الذي حاول استخدام النخب التي انضمت في الحزب كإطار لتدعم زعامته في نظام طائفي كان الدروز يتبوأون فيه المرتبة الرابعة في ترتيب الطوائف.

## عهد بشارة الخوري

شكل عهد الرئيس بشارة الخوري المرحلة التأسيسية لانطلاق لبنان كمركز للخدمات المالية في منطقة الشرق الأوسط على حساب قطاعي الزراعة والصناعة، ما عزز بنية الاقتصاد الريعي في البلاد وتركيز الثروة في أيدي قلة قليلة تعيش في المدن، خصوصاً في العاصمة بيروت على حساب أبناء الريف الذين سيُقدر لهم العيش في الفقر والعوز ما سيدفعهم للنزوح إلى المدن وتشكيل عامل متفجر في الدولة في وقت لاحق.<sup>60</sup> وكان قد انتخب رئيساً للجمهورية في 21 أيلول سبتمبر 1943 بدعم من المندوب السامي البريطاني على حساب غريمه أميل أداة المدعوم من فرنسا الحرة.

Carolyn Gates, The Historical Role of Political Economy in the Development of Modern Lebanon, <sup>60</sup> Beirut: Center for Lebanese Studies, September, 1989, p.p. 19 – 21.

وقد اختار الخوري رياض الصلح شريكا له في الحكم بعدهما عينه رئيسا للوزراء. وفي 11 تشرين الثاني نوفمبر قام الخوري والصلح بإلغاء المواد التي تمنح الانتداب الفرنسي الحق بإدارة البلاد ما أثار غضب المندوب السامي الفرنسي الذي أمر باعتقالهما مع عدد كبير من وزرائهما والنواب ونقلهم جميعا إلى قلعة راشيا الوادي. لكن ذلك أدى إلى اندلاع التظاهرات ضد سلطات الاحتلال وإلى توجيه المندوب السامي البريطاني تهديدات إلى المندوب الفرنسي ما جعله يرضخ ويطلقهم جميعا ويقبل بالأمر الواقع في 22 تشرين الثاني نوفمبر 1943 الذي أصبح تاريخ استقلال لبنان عن فرنسا. وقد أرسى الخوري والصلح الميثاق الوطني الذي يتم بموجبه تقاسم السلطة بين الزعامات المسيحية والإسلامية. وقد اتفق في الميثاق الشفهي على أن يكون رئيس الجمهورية مارونيا ورئيس مجلس الوزراء سنيا ورئيس مجلس النواب شيعيا، وأن ينتخب النواب على أساس 6 مسيحيين مقابل خمسة مسلمين وأن يتم تقاسم وظائف الدرجة الأولى في الدولة طائفيا.<sup>61</sup> وقد عكس الميثاق أيضا توازنا دوليا بين الفرنسيين من جهة والبريطانيين من جهة أخرى مع الاعتراف لهاشمي العراق بنفوذه في لبنان.

وقد تميّز عهد بشارة الخوري بالفساد وواجه تحديات إقليمية كان أهمها حرب فلسطين وتداعيات أزمة الجميلة التي دفعت زعيم الحزب القومي لإعلان الثورة على الحكومة اللبنانية في مطلع حزيران العام 1949. ففي 14 أيار مايو 1948 أعلنت بريطانيا انتهاء انتدابها على فلسطين وسحب كامل قواتها منها وسرعان ما أعلن المجلس اليهودي الصهيوني في تل أبيب قيام دولة إسرائيل مع حلول منتصف ليل ذلك اليوم. وقد سارعت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي إلى الاعتراف بهذه الدولة. في المقابل قامت جيوش عدد من الدول العربية هي سوريا ولبنان والأردن والعراق ومصر والمملكة العربية السعودية، بالإضافة إلى جيش من المتطوعين يقودهم الضابط فوزي القاوقجي بالهجوم ضد الصهاينة في محاولة لمنع سقوط فلسطين في أيديهم. وقد تشكّلت الجيوش العربية من 10 آلاف جندي مصري و5 آلاف جندي أردني وألفي جندي سوري وثلاثة آلاف جندي عراقي و500 جندي لبناني وبضع مئات من المتطوعين السوريين بمجموع نحو 30 ألف جندي. في المقابل كانت قوات الهاجاناه والشتيرن وغيرها من الميليشيات المسلحة الصهيونية تعداد نحو خمسين ألف جندي، انضم إليهم عدد مماثل من المتطوعين اليهود ليصبح عدد الجنود الصهاينة نحو مئة الف. وعلى الرغم من ذلك فلقد تقدّمت الجيوش العربية في معظم الجبهات في بداية الحرب لحين إعلان هدنة منتصف الصيف التي بدأ بعدها الميزان يميل إلى صالح الصهاينة. ومع حلول آذار مارس 1949 كانت العصابات الصهيونية قد احتلت سبعين في المائة من أراضي فلسطين داخل الخط

106 – 108. Fawwaz Traboulsi, A Modern History of Lebanon, London: Pluto Press, 2007, p. 61

الأخضر باستثناء الضفة الغربية وغزة. ولقد شكل ذلك بداية تراكم عناصر أزمة في لبنان بعد توافد مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين إلى أراضيه وأراضي الدول العربية المجاورة لفلسطين ومن ضمنها سوريا والأردن.<sup>62</sup>

أحدثت نكبة فلسطين صدمة في المجتمعات العربية، خصوصاً تلك المجاورة لفلسطين ومن ضمنها لبنان. وقد كان لهذه النكبة دور كبير في الثورة التي سيقوم بها الحزب السوري القومي الاجتماعي بزعامة أنطون سعاده. وكان الحزب السوري القومي الاجتماعي قد أسس في لبنان على يد انطون سعاده، وهو من مواليد الشوير في منطقة المتن الشمالي. وقد آمن سعاده بوحدة بلاد الشام بحدودها الطبيعية اي سوريا ولبنان وفلسطين والأردن وشبهة جزيرة سيناء ومنطقة كيليكيا في جنوب تركيا بالإضافة إلى جزيرة قبرص. وفي وقت لاحق وجد سعاده تكاملاً بيئياً بين بلاد الشام والعراق الذي اعتبره أيضاً جزءاً من الامة السورية أو الهلال الخصيب. وقد ناضل الحزب في الثلاثينيات ضد الانتداب الفرنسي ودخل مؤسسه وقاده انطون سعاده مرات عدّة إلى السجن بتهم مناهضة الانتداب إلى حين نفيه إلى البرازيل في العام 1938 والتي عاد منها بعد تسع سنوات. وفي بداياته عادى الحزب الفكر القومي العربي بحدة لكنه راجع أفكاره في أواخر الأربعينيات واعتبر ان سوريا هي امة من الامم العربية رغم ما يميزها عن باقي هذه الامم. كذلك كان الحزب حاداً في معاييره للطائفية السياسية خصوصاً في لبنان واعتبرها عائقاً امام وحدة الامة، كما اعتبر ان الإسلام والمسيحية هما تعبيران حضاريان من نتاج الهوية الحضارية لlama الورية. وقد لاقى الحزب تأييداً في صفوف الفئات الريفية والطبقة الوسطى في المدن خصوصاً في بيروت وجبل لبنان وجيال العلوين وجبل العرب في سوريا. وخلال الثلاثينيات والأربعينيات كان الحزب السوري القومي الاجتماعي على تنافس حاد مع الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان. وكان سعاده قد عاد من الأرجنتين إلى لبنان في 2 آذار مارس 1947 بعد جلاء سلطات الانتداب التي كانت قد أصدرت مذكرة توقيف بحقه في العام 1938 وإلى جانب عوامل عدة منها استشراف سعاده اندلاع حرب عالمية واحتدام الصراع في المشرق جعلته يتخد خيار المغترب القسري إلى أميركا اللاتينية. وقد شارك متطوعون من الحزب في حرب فلسطين، وبعد النكبة بدأ سعاده يدعو إلى ثورة قومية شاملة فتكشفت الصدامات بين القوميين الاجتماعيين والسلطات اللبنانيّة وصولاً إلى اتهامه بمحاولة الانقلاب على نظام الحكم في البلاد. فذهب عدد من أنصاره إلى سوريا التي كانت قد وقعت تحت حكم حسني الزعيم. وكان سعاده يعتقد أن الزعيم يناصر القضية القومية الاجتماعية، وهو ما كان ينطبق عليه في الأسابيع الأولى من حكمه، إلا أنه عاد وانقلب على هذا النهج وتواصل مع

<sup>62</sup> وليد الخالدي، خمسون عاماً على حرب 1948: أولى الحروب العربية - الصهيونية، بيروت: دار النهار، 1998.

السلطات اللبنانية وسلم إليهم سعاده في 7 تموز يوليو 1949 فسارعت السلطات اللبنانية إلى إعدامه بأمر من الرئيسين بشارة الخوري ورياض الصلح وذلك فجر 8 تموز يوليو 1949. وقد ثار عناصر من الحزب السوري القومي الاجتماعي لإعدام زعيمهم عبر اغتيال رياض الصلح في الأردن في 16 تموز يوليو 1951 في الذكرى الثانية لإعدام سعاده.<sup>63</sup>

وكان بشارة الخوري قد زور انتخابات العام 1949 بما أدى إلى وصول نواب يؤيدونه بدرجة كبيرة ما مكّنه من تعديل الدستور والتمديد لنفسه لولاية ثانية. لكن في صيف العام 1952 بدأ الرئيس بشارة الخوري يواجه معارضة داخلية قوية من قبل تكتل ضمّ كميل شمعون وكمال جنبلاط وعدداً كبيراً من القيادات المسلمة في البلاد بذرية مكافحة الفساد الذي استشرى في عهده، إلا أنّ بعد الرئيسي للحركة المعارضة للخوري كانت الرغبة الإنكليزية - الهاشمية بتصفية النفوذ الفرنسي نهائياً في لبنان واستبداله بنفوذ بريطاني، في الوقت الذي كانت لندن تريد بسط هيمنتها الكاملة على الشرق الأوسط تحسباً لدخول الأميركيين على الخط والتي كانت في جزء منها تنافساً أميركياً بريطانياً والانقلابات المضادة التي كانت قد وقعت في سوريا والتي كانت في جزء منها تنافساً أميركياً بريطانياً على الشرق الأوسط، وفي الجزء الآخر تنافساً بين هاشمي العراق ومصر على النفوذ في منطقة المشرق. وبنتيجة ذلك اضطر الرئيس بشارة الخوري إلى تقديم استقالته في منتصف ولايته الثانية والتقادم من السياسة.<sup>64</sup>

## كميل شمعون

شكل وصول كميل شمعون إلى السلطة في لبنان تدعىما للنفوذ البريطاني على حساب النفوذ الفرنسي، خصوصاً أن شمعون كان معروفاً بولائه للإنكليز، لأنه درس في بريطانيا وكانت لوالده نمر شمعون علاقات وطيدة بالقنصل العام البريطاني منذ بدايات القرن العشرين. وكان شمعون بدأ حياته السياسية في العام 1938 بعد تعيينه وزيراً للمال خلال عهد الرئيس أميل إدّة. وفي حكومة الاستقلال التي تشكلت في أيلول سبتمبر 1943 عيّن شمعون وزيراً للبريد والبرق، وشغل عامي 1946 و1947 منصب وزير المال مرة أخرى، وفي العام 1947 أصبح وزيراً للداخلية حتى عام 1948. وقد تمّ اختياره كرمز للمعارضة للخوري في العام 1952 نتيجة علاقاته الوطيدة بالبريطانيين وبهاشمي العراق. وقد تميّز عهده بتدعيم دور لبنان كمركز مالي وتجاري في الشرق الأوسط

Fawwaz Traboulsi, A Modern History of Lebanon, p. 115. <sup>63</sup>

Fawwaz Trabousli, p.p. 123 – 127. <sup>64</sup>

وكواسطة للعلاقات التجارية بين الغرب الأوروبي والمنطقة العربية. كذلك تميّز عهده بتقارب كبير مع البريطانيين وهاشمي العراق الذين كانوا قد بدأوا يدعون لقيام حلف في منطقة الشرق الأوسط تحت مسمى حلف بغداد يضم إلى العراق كلا من تركيا وإيران وباكستان، ويسعى إلى ضم باقي الدول العربية بالإضافة إلى إسرائيل، حتى تضمن بريطانيا هيمنتها على الشرق الأوسط، وفي الوقت نفسه يضمن الغرب أن تصبح المنطقة جزءا من استراتيجية الجديدة لتطويق الاتحاد السوفيتي وحلفائه ومنعهم من الوصول إلى شرق البحر المتوسط.

في تلك الفترة كانت المنطقة العربية تشهد تحولات كبرى خصوصاً بين عامي 1955 و1958. فخلال هذه الفترة كانت مصر قد أصبحت تحت سلطة جمال عبد الناصر الذي كان قد قاد انقلاباً ضد الملكية في العام 1952 تلاه إعلان الجمهورية في العام 1953 واختيار محمد نجيب رئيساً لها فيما أصبح عبد الناصر رئيساً للوزراء. وفي آذار مارس 1954 استطاع عبد الناصر حسم الصراع لصالحه في مواجهة محمد نجيب المدعوم من الأخوان المسلمين وبباقي الأحزاب المصرية والتي كانت تحاول كسب دعم الولايات المتحدة، فيما كان عبد الناصر يسعى لاعتماد سياسة مستقلة عن القوى الكبرى والتي ترجمها لاحقاً في مساعي تأسيس دول عدم الانحياز. هذا جعله يواجه المشاريع الأميركيّة البريطانية لإقامة حلف عسكري في الشرق الأوسط تحت مسمى حلف بغداد، إذ كان هذا الحلف الذي ضم تركيا وإيران والعراق وباكستان إضافة إلى بريطانيا قد اعتمد بغداد مقراً له. وقد تمكّن عبد الناصر من توقيع اتفاق مع بريطانيا يقضي بجلاء قواتها عن منطقة قناة السويس حتى تم هذا الانسحاب في أوائل العام 1956 بعد احتلال دام سبعة عقود. وفي مواجهة الدعم الأميركي البريطاني لإسرائيل وتكرارها اعتداءاتها ضد مصر فلقد لجأ عبد الناصر إلى الاتحاد السوفيتي لشراء السلاح فكانت صفقة السلاح التشيكيّة في العام 1955، حيث زُوّدت موسكو الجيش المصري بالسلاح الحديث عبر تشيكيسلوفاكيا. إضافة إلى ذلك دعم عبد الناصر حركات التحرر في العام الثالث ضد القوتين الاستعماريتين فرنسا وبريطانيا. وقد أدى ذلك إلى غضب هاتين القوتين بالإضافة إلى الولايات المتحدة عليه. فدفعت البنك الدولي في العام 1956 إلى رفض الطلب المصري بالحصول على قرض لتمويل مشروع السد العالي في أسوان. وقد ردّ عبد الناصر على ذلك بتأميم قناة السويس في 26 تموز يوليو 1956.

هذا المسار الذي اتخذه عبد الناصر جعله على طرفي نقیض مع الهاشميّين في العراق ورئيس وزرائهم نوري السعيد المولى لبريطانيا والغرب. وقد انعكس ذلك استعراضاً للصراع على النفوذ على سوريا بين العراق ومصر، وصداماً بين وحدات وضباط الجيش السوري بين موالٍ لمصر من بين الضباط القوميين والبعشيين من جهة وبين موالٍ للعراق في صفوف الضباط القوميين الاجتماعيين

من جهة أخرى. وفي العام 1955 انحاز الضباط الشيوعيون إلى الضباط القوميين في الجيش السوري نتيجة التقارب بين الاتحاد السوفيتي بقيادة نيكيتا خروتشيف ومصر بقيادة عبد الناصر. في هذا الإطار جرت حادثة اغتيال العقيد عدنان الماليكي الموالي للبعث في 22 نيسان أبريل 1955. وقد اتهم القوميون الاجتماعيون بتنفيذ الاغتيال ما أدى إلى موجة اعتقال وتنكيل بحقهم وملاحقة ضباطهم وأبرزهم العقيد غسان جديد، وكان من أبرز ضباط الجيش السوري القوميين الاجتماعيين وأكثربهم نفوذاً. بعد ذلك سيطر الضباط القوميون العرب والبعثيون والشيوعيون على الجيش السوري. وقد لعب هؤلاء الضباط دوراً كبيراً في دعم مصر أثناء العدوان الثلاثي الذي نفذته بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ضدها في 29 تشرين الأول أكتوبر 1956، وكان عبد الحميد السراج من أبرز هؤلاء الضباط. وبنتيجة النصر الكبير الذي حققه عبد الناصر على العدوان الثلاثي وتحوله الرمز الأبرز للقومية العربية في الأمة العربية جماء، وخوفاً على سوريا من أن تقع تحت النفوذ الهاشمي العراقي، وفي ظل التهديدات التركية باحتياج سوريا، ذهب وفد من الضباط السوريين إلى مصر في شباط فبراير 1958 مطالبين عبد الناصر بإقامة وحدة مع سوريا. وقد قبل عبد الناصر هذا الطلب مشترطاً حلّ جميع الأحزاب في سوريا على أن يكون هو رئيس الجمهورية العربية المتحدة المؤلفة من مصر وسوريا وأن يكون القائد البعثي أكرم الحوراني نائباً للرئيس.

بنتيجة هذه التحولات والتقارب الكبير بين شمعون وهاشمي العراق وبريطانيا، كان مقدراً للبنان الرسمي أن يكون على طرف نقيض مع مصر بزعامة عبد الناصر. وقد شجع انتصار عبد الناصر في حرب السويس عام 1956 العناصر المؤيدة للقومية العربية والمعارضة لكميل شمعون وتوجهاته على المjaherة بمعارضته في لبنان. وقد تفاقمت الأزمة اللبنانية عقب الانتخابات النيابية التي أقيمتها كميل شمعون في العام 1957 والتي أسقط فيها معظم خصومه من الزعامات التقليدية مثل ريمون إده في جبيل وآل فرنجية في زغرتا وكمال جنبلاط في الشوف وغيرهم. وبعد أسبوع قليلة على الوحدة السورية المصرية في شباط فبراير 1958 اندلعت المواجهات بين معارضي الرئيس ومؤيديه على خلفية اغتيال الصحافي نسيب المتنبي المعارض لشمعون، وقد تحولت الأحداث طائفية بين غالبية المسلمين من جهة وغالبية المسيحيين من جهة أخرى. وفي 14 تموز يوليو 1958، وعقب إطاحتهاشمي العراق على يد القوميين واليساريين في العراق، فقد شمعون دعامة كبيرة لحكمه وخشي على نفسه من أن يلقى المصير نفسه فطلب المساعدة الأمريكية. وقد سارعت الولايات المتحدة بقيادة الرئيس دوايت أيزنهاور إلى إرسال قوات إلى لبنان في 15 تموز يوليو 1958، وقد شارك في العملية نحو 15 ألف جندي أمريكي نزلوا في بيروت واحتلوا المطار وعدها من النقاط الاستراتيجية في المدينة. وقد ساهم التدخل الأميركي من جهة وتدخل عبد الناصر من جهة أخرى

إلى الوصول إلى تسوية بين الأطراف المتصارعة قضى باستقالة كميل شمعون وانتخاب قائد الجيش فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية. وكان شهاب قد بدأ بإجراء اتصالات مع الأميركيين. في المقابل دعم عبد الناصر رشيد كرامي، ابن عبد الحميد كرامي الزعيم الطرابلسي الراحل الذي كان معروفاً بمعارضته لقيام الكيان اللبناني والمؤيد للقومية العربية، واعتبر كرامي ممثلاً للنفوذ المصري في لبنان في عهد شهاب وخلفه شارل حلو.<sup>65</sup>

## الدستور اللبناني

على صعيد الدستور اللبناني فكانت سلطات الانتداب أصدرت دستوراً للجمهورية اللبنانية في العام 1926 بالتعاون مع النخب السياسية في البلاد. وقد اعتمد لبنان على هذا الدستور حتى يومنا هذا مع تعديلات آنية ارتبطت مرات بتعديل المادة 49 من الدستور لاتاحة المجال أمام قائد الجيش فؤاد شهاب في العام 1958 وقائد الجيش العmad أميل لحود في العام 1998 وقائد الجيش العmad ميشال سليمان في العام 2008 للترشح إلى الانتخابات الرئاسية. إضافة إلى تعديلات دائمة ارتبطت في العام 1943 بإزالة المواد المرتبطة بصلاحيات سلطات الانتداب وذلك بغية حصول لبنان على الاستقلال الكامل عن فرنسا، وتعديلات الطائف في العام 1989 بغية إنهاء الحرب الأهلية اللبنانية. ومن مواد هذا الدستور:

مادة 1 المعدلة بتاريخ 9 - 11 - 1943: لبنان دولة مستقلة ذات وحدة لا تتجزأ وسياحة تامة. أما حدوده فهي التي تحده حالياً: من مصب النهر الكبير على خط يرافق مجرى النهر إلى نقطة اجتماعه بوادي خالد الصابّ فيه شمالاً على علو جسر القمر. بقري معصرة - خط القمحة الفاصل بين وادي خالد ووادي نهر العاصي (أورنث) مارا شرقاً ربعة - هيـت - ابـش - فيـصـان على علو قريتي بـريـنـا وـمـطـرـبـاـ، وهذا الخط يستمر بحدود قضاء بـعلـبـكـ الشـمـالـيـةـ منـ الجـهـةـ الشـمـالـيـةـ الشـرـقـيـةـ والـجـهـةـ الـجـنـوـبـيـةـ الـشـرـقـيـةـ ثمـ حدـودـ أـقـضـيـةـ بـعلـبـكـ وـبـلـقـاعـ وـحـاصـبـيـاـ وـراـشـيـاـ الـشـرـقـيـةـ. جـنـوـبـاـ: حدود قضاءي صور ومرجعيون الجنوبية الحالية. البحر المتوسط غرباً.

2- المادة لا يجوز التخلص عن أحد أقسام الراضي اللبناني أو التنازل عنه .

3- المادة لا يجوز تعديل حدود المناطق الدارية إل بوجب قانون .

4- المادة لبنان الكبير جمهورية عاصمتها بيروت .

---

Fawaz Trabulsi, A History of Modern Lebanon, London: Pluto Press, 2007, p.p. 134 – 136. <sup>65</sup>

المادة 5 المعدلة بتاريخ 7 - 12 - 1943: العلم اللبناني أحمر فأبيض فأحمر أقساماً أفقية تتوسط الأرزة القسم الأبيض بلون أخضر، أما حجم القسم. وأما الأرزة فهي في الوسط يلمس رأسها القسم الأحمر، والأبيض فيساوي حجم القسمين الأحمرتين معاً لثالث حجم القسم البيض العلوي، وتلمس قاعدتها القسم الأحمر السفلي ويكون حجم الأرزة موازيًّا لثالث حجم القسم الأبيض.

- المادة 6: إن الجنسية اللبنانية وطريقة اكتسابها وحفظها وفقدانها تحدد بمقتضى القانون.

- المادة 7: كل اللبنانيين سواء أمام القانون وهم يتمتعون بالسواء بالحقوق المدنية والسياسية ويتحملون الفرائض والواجبات العامة دونما فرق بينهم.

- المادة 8: الحرية الشخصية مصونة وفي حمى القانون ولا يمكن أن يقاضى على أحد أو يحبس أو يوقف إلا وفقاً لحكم القانون ولا يمكن تحديد جرم أو تعين عقوبة إلا بمقتضى القانون.

- المادة 9: حرية الاعتقاد مطلقة والدولة بتأديتها فروض الإجلال لله تعالى تتحترم جميع الأديان والمذاهب وتケفل حرية إقامة الشعائر الدينية تحت حمايتها على أن لا يكون في ذلك إخلال في النظام العام وهي تضمن للأهليين على اختلاف مللهم احترام نظام الأحوال الشخصية والمصالح الدينية.

- المادة 10: التعليم حر ما يخل بالنظام العام أو ينافي الآداب أو يتعرّض لكرامة أحد الأديان أو المذاهب، ولا يمكن للأنظمة العامة أن تمس حقوق الطوائف من جهة إنشاء مدارسها الخاصة، على أن تسير في ذلك وفقاً للأنظمة التي تصدرها الدولة في شأن المعارف العمومية.

- المادة 11 المعدلة بتاريخ 9 - 11 - 1943: اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية. أما اللغة الفرنسية فتحدد الأحوال التي تستعمل بها بموجب قانون.

- المادة 12: لكل لبناني الحق في تولي الوظائف العامة لا ميزة لأحد على آخر إلا من حيث الاستحقاق والجدارة، حسب الشروط التي ينص عليها القانون. وسيوضع نظام خاص يضمن حقوق الموظفين في الدوائر التي ينتمون إليها.

**الباب الثاني: السلطات**

**الفصل الأول**

**أحكام عامة**

المادة 16: تتولى السلطة المشترعة هيئة واحدة هي مجلس النواب.

المادة 17: تناط السلطة الإجرائية بمجلس الوزراء.

المادة 18: مجلس النواب ومجلس الوزراء حق اقتراح القوانين. ولا ينشر قانون ما لم يقرّه مجلس النواب.<sup>66</sup>

---

<sup>66</sup> راجع نص الدستور اللبناني على موقع رئاسة الجمهورية اللبنانية

<http://www.presidency.gov.lb/Arabic/LebaneseSystem/Documents/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B3%D8%AA%D9%88%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%A7%D9%86%D9%8A.pdf>



## الفصل الثالث

### العراق 1920 – 1958

منذ العام 1917 سقط جنوب العراق ووسطه تحت الاحتلال البريطاني. ولقد ساهمت ممارسات الاحتلال البريطاني إضافة إلى ظروف الحرب، ناهيك عن آمال العراقيين بالتحرر من الهيمنة البريطانية إلى اندلاع ثورة العشرين. وقد اندلعت هذه الثورة في آذار مارس 1920 عندما اندلعت مظاهرات في بغداد ما لبثت أن انتشرت في مختلف أنحاء العراق.<sup>67</sup> وقد ساهم في اندلاع الثورة دور الضباط العراقيين في حكومة فيصل في سوريا والذين كانوا ي يريدون من البريطانيين تنفيذ وعودهم للعرب بملك مستقلة، إضافة إلى الدعاية الأتاتوركية التي كانت تدعى الضباط العرب إلى الثورة على قوات الاحتلال البريطاني والفرنسي. أما كيف تحولت الثورة ثورة مسلحة؟ فيعود ذلك إلى حادثة حصلت في حزيران 1920 حين أعلنت عشيرة الظواهير التمرد على البريطانيين، فقام الحاكم البريطاني على منطقة الرميثة باستدعاء شيخ القبيلة شعلان أبو الجون إلى السراي الحكومي وقام بتوقيفه، فقام أفراد من قبيلته بهاجمة السراي الحكومي حيث جرى تحرير شيخ القبيلة.<sup>68</sup> وقد أدى هذا إلى اندلاع الثورة المسلحة في منطقة الرميثة حيث جرت معارك عدّة مع القوات البريطانية أهمها البوحسان والعارضيات الأولى والثانية. وقد تم قصف الرميثة بالطائرات. وفي 11 تموز حصل اجتماع بين العشائر وتقرر إعلان الثورة وتوجهت قوات من قبائل آل فتلة وآل إبراهيم وآل شبل والغزيلات لمحاصرة بلدة أبو صخير. وفي 17 تموز يوليو جرت محاولة فاشلة لإعلان وقف إطلاق النار، إلا أنها فشلت وتواصل القتال وانتشر في مختلف أنحاء منطقة الفرات الأوسط.<sup>69</sup>

### ثورة العشرين

ولقد كانت معركة الخضر ومعركة البواخر من أهم المعارك في منطقة السماوة. إذ قامت العشائر بهاجمة محطة قطار الخضر أثناء انسحاب القوات البريطانية إلى الناصرية ما أدى إلى وقوع

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 21. <sup>67</sup>

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 24. <sup>68</sup>

Counrtye Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p. 63. <sup>69</sup>

خسائر كبيرة بينهم. أما معركة البوادر التي تسبّب إلى خمسة قوارب انطلقت من مدينة الناصرية لنجددة الحامية البريطانية في السماوة. ودارت معارك طاحنة أدّت إلى وصول ثلاث بواخر فقط إلى مدينة السماوة في حين تضرّر مركب بريطاني وتمّ أسر آخر من قبل الثوار بمن فيه. وقد تطلب الأمر أشهرًا عدّة من القوات البريطانية للسيطرة على السماوة في منتصف تشرين الأول أكتوبر. في الوقت نفسه انتشرت الثورة إلى كربلاء في 25 تموز يوليو حيث تشكّلت هيئة وطنية لإدارة المدينة بعد عزل حاكمها البريطاني. وكان سبّق ذلك اندلاع الثورة في النجف التي انسحب منها الحاكم البريطاني من دون قتال. وفي آب انتقلت الثورة إلى ديالى وبعدّها عمّت الثورة مختلف أنحاء العراق. ولن تستطع القوات البريطانية إعادة بسط سيطرتها على البلاد إلا بعد جهود عسكرية كبيرة وجرائم ارتكبها أدّت إلى سقوط عشرات ألوف القتلى والجرحى.

أما أسباب فشل ثورة العشرين فمتعدّدة. فلم يكن لدى الثوار موارد كافية أو عتاد حربي يمكن أن يضاهي السلاح الإنكليزي، ناهيك عن امتلاك البريطانيين القوة الجوية. وهي كانت آخر صيحات العصر التكنولوجي آنذاك، وطول فترة الثورة وبدائية الأساليب القتالية للثوار. إضافة إلى ذلك فلقد كان الزخم الأساسي للثورة في منطقة الفرات الأوسط ما سهّل على الإنكليز حصارها، خصوصاً أنه لم تكن هناك قيادة موحّدة للثورة. ورغم ذلك فلقد كبدت الثورة الاحتلال البريطاني خسائر جسيمة راوحّت بين 500 وألف قتيل بريطاني وهندي في القوات البريطانية، فيما تم إنهاك القوات الجوية البريطانية التي حققت 4000 ساعة طيران وإغارة على الثوار وألقت 97 طنّاً من المتفجرات عليهم وأطلقت نحو 200000 طلقة فيما بلغت خسائرها تسعة قتلى وسقوط 11 طائرة. وقد بلغ مجموع ألاف قمع الثورة 40 مليون باوند استرليني ما أضاف أعباء إضافية على الخزينة البريطانية التي كانت تعاني نتيجة تبعات الحرب العالمية الأولى.<sup>70</sup> هذا دفع بوزير المستعمرات البريطانية وينستون تشرشل إلى الاقتناع بضرورة قيام حكومة محلية في العراق وغيرها من المناطق المنتدبة في الشرق الأوسط.<sup>71</sup> ما نتج عنه عقد مؤتمر القاهرة في آذار مارس 1921 لإعادة ترتيب أوضاع البلدان الخاضعة للهيمنة البريطانية. وبالنسبة للعراقيين فلقد كانت ثورة العشرين هي الثورة المؤسسة للهوية الوطنية العراقية الحديثة.

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 24. <sup>70</sup>

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 21. <sup>71</sup>

## مؤتمر القاهرة وتبعاته

في آذار مارس 1921 اجتمع وزير المستعمرات البريطاني وينستون تشرشل مع أكثر من أربعين من كبار الموظفين في الخارجية البريطانية وحكومة الهند لبحث مستقبل المستعمرات وسبل إيقائها تحت السيطرة بأقل الأكلاف الممكنة، خصوصاً بعد الثورات التي واجهتها في مصر في العام 1919 وال العراق في العام 1920 وفي فلسطين، وفي غيرها من المناطق، في ظل قرار الحكومة البريطانية بتسيير مئاتآلاف الجنود الذين كانوا مجندين منذ بداية الحرب العالمية الأولى. كان هذا القرار ناتجاً عن الأعباء الكبيرة التي تحملتها الخزينة البريطانية خلال الحرب وبعدها نتيجة المجهود الحربي ونتيجة الأكلاف العالية لمحاولة فرضها الحكم المباشر على المستعمرات والمناطق المنتدبة. من هنا كان قرار المؤتمرين بالتوقف عن ممارسة الحكم المباشر في هذه المناطق وعهدها إلى نخب محلية موالية لبريطانيا لتحكم هذه المناطق والبلدان وتضمن ولاءها للناتج بأقل الأكلاف الممكنة على البريطانيين.<sup>72</sup> وقد قرر المؤتمر منح مصر استقلالاً "صوريًا" بدءاً من العام 1922 وإعلان العراق ملكية تحت حكم الملك فيصل تعويضاً عن خسارته عرش سوريا، ونتيجة علاقات فيصل مع الضباط العراقيين السابقين في الجيش العثماني الذين لعبوا دوراً في ثورة العشرين، والذين سبق لهم وقاتلوا إلى جانب فيصل أثناء الثورة العربية الكبرى.<sup>73</sup> وقد ساهم في اي لورنس إلى حد بعيد برفع أسهم فيصل لدى تشرشل ما ساهم إلى حد كبير في تسميته ملكاً على العراق وهو ما جرى تأكيده في آب 1921 في بغداد.<sup>74</sup>

ما أسمى فيصل ملكاً على العراق حتى بدأت الجهود لفرض الواقع الجديد في العراق. وبعد مرحلة انتقالية من ثلاث سنوات تم تشكيل لجنة دستورية أعدت مسودة دستور تم بموجبه منح الملك سلطات مطلقة. وقد قرر الدستور أن يكون نظام الحكم ملكياً دستورياً يقوم على سيادة الملك وعلى نظام برلماني يتشكل من مجلسين واحد للنواب وآخر للأعيان. وفيما يُنتخب الأول من الشعب فإن الثاني يُعين من قبل الملك. وقد انتخب أول مرة في العام 1925 وعقد اتفاقيات عدة كانت أهمها اتفاقية العام 1930 التي ربطت العراق ببريطانيا عضوياً، رغم أن الأخيرة وعدت بمنحه الاستقلال في العام 1932.<sup>75</sup> ووفقاً لهذه المعاهدة فإن العراق كان ملزماً بالتشاور مع بريطانيا في كل ما يتعلق بالعلاقات الخارجية والدفاعية وحتى إدارة المسائل المتعلقة بالأمن

David Fromkin, *A Peace to end all Peace*,<sup>72</sup>

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p.p. 24 – 26.<sup>73</sup>

Counrtney Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p.p. 64 – 65.<sup>74</sup>

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 25.<sup>75</sup>

الداخلي. وللحقيقة فإنه لم يكن للوطنيين العراقيين الكثير من الخيارات إلا القبول بالشروط البريطانية، خصوصاً أن ميزان القوى لم يكن في صالحهم وأن بريطانيا كانت تعتمد سياسة الجزرة والعصا والمتمثلة بتهنيد الإدارة وربط العراق بحكومة الهند البريطانية.<sup>76</sup> والجدير ذكره أن الملك فيصل أحبط بأنواع عده من النخب، من جهة الوجاهات البغداديين في وسط العراق ورجال الدين في جنوب العراق والزعماء العشائريين في شمال العراق وأبرزهم الملا مصطفى البرزاني، وضباط الجيش العراقي الذين كانوا قد تخرجوا من الكليات العسكرية العثمانية والذين كانوا قد قاتلوا إلى جانب فيصل خلال الثورة العربية الكبرى وكان أبرزهم نوري السعيد.

## عهد الملك غازي

في أيلول سبتمبر 1933 توفي الملك فيصل فخلفه في الحكم ابنه الملك غازي.<sup>77</sup> وكان غازي قد ولد في العام 1912 وتربى في كنف جده الشريف حسين فيما كان والده يقود قوات الثورة العربية التي قدر لها أن تدخل الشام عقب هزيمة الدولة العثمانية. وقد سُمي ولیاً للعهد في العام 1924 قبل أن يتولى العرش بعد وفاة والده. ويُحکي أن الملك غازي كان ذا ميول قومية عربية وكان متأثراً بأفكار ساطع الحصري الذي كان في عداد فريق والده في دمشق ومن ثم في العراق، وقد ساهم في تعليم الملك غازي عندما التحق بأبيه في بغداد. وقد شهد عهده الذي استمرّ فقط ست سنوات صراعاً مريضاً بين تيارين، أحدهما كان مؤيداً للبقاء تحت مظلة النفوذ البريطاني وقد سُمي بالتيار المدني، أما التيار الآخر وغالبيته من ضباط الجيش فلقد كان يدعو إلى التقارب مع ألمانيا النازية للتخلص من النفوذ البريطاني في العراق. وكان الملك غازي يميل إلى التيار الثاني.<sup>78</sup> وفي العام 1936، وفي خضم الصراع بين التيارين الآفني الذكر دعم الملك غازي سراً أول انقلاب عسكري في تاريخ العالم العربي ضد حكومة ياسين الهاشمي. وكان بطل الانقلاب الفريق الركن بكر صدقي الذي كان ذا ميول قومية عربية قوية رغم أنه ولد كردياً.<sup>79</sup>

وكان بكر صدقي ضابطاً في الجيش العثماني، التحق بالثورة العربية الكبرى ثم بالملك فيصل في العراق. وقد كان له دور في قمع ثورة الآشوريين في العام 1933، وخلال قمع انتفاضة عشائر الفرات

Counrtny Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p. 66. <sup>76</sup>

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 40. <sup>77</sup>

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 43. <sup>78</sup>

Counrtny Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p.p. 69 – 70. <sup>79</sup>

الأوسط في العام 1935 وفي مواجهة انتفاضة البارزانيين في جبال كردستان. وقد وثق علاقته خلال فترة حكم الملك غازي بوزير الداخلية حكمت سليمان الذي كان قومياً عربياً أيضاً، رغم أنه من أصل تركماني. وخلال حكومة الفريق ياسين الهاشمي الثانية كان الصراع على أشدّه بين المعارضة والحكومة. وكان سليمان هو من يترأس هذه المعارضة. وقد تمكّن سليمان من إقناع صدقي بقيادة الانقلاب، فأقنع العقيد محمد علي جواد وهو الطيار الخاص للملك غازي والفريق عبد اللطيف نوري وهو قائد الفرقة الأولى في الجيش العراقي إضافة إلى آخرين بدعمه لإطاحة الهاشمي، وهو ما تم لهم في تشرين الأول أكتوبر من العام 1936، وكان الهاشمي خارج البلاد فلجاً إلى دمشق، حيث توفي بعد شهر. وقد حاول وزير الدفاع جعفر العسكري وهو صهر نوري السعيد المقرب من الإنكليز إعاقة الانقلاب إلا أنه أثناء توجهه إلى لقاء بكر صدقي قام مرافقو الأخير بتجريده من سلاحه الشخصي ومرافقيه ثم قاموا بإعدامه. وعندما وصل الخبر إلى نوري السعيد باشا سارع إلى اللجوء إلى السفارة البريطانية حيث ساهم السفير البريطاني بتوفيره خارج العراق. وبهذا الانقلاب مالت الكفة إلى الفريق المناهض لبريطانيا في العراق.<sup>80</sup>

تم تشكيل حكومة برئاسة حكمت سليمان فيما تولى بكر صدقي رئاسة أركان الجيش العراقي بدلاً من الفريق طه الهاشمي. وفي شباط فبراير 1937 نظمت انتخابات نيابية أدت إلى وصول مؤيدين للحكومة إلى سدة البرمان. وكان بكر صدقي هو الحاكم الفعلي للبلاد وكان يدفع باتجاه تقارب مع ألمانيا النازية ما حدا بالبريطانيين إلى السعي للتخلص منه. وفي آب أغسطس 1937 كان بكر صدقي في طريقه إلى تركيا لحضور المناورات العسكرية هناك، وقد توقفت طائرته التي انطلقت من بغداد في الموصل وكان برفقته قائد القوة الجوية العراقية محمد علي جواد. وأثناء استراحته في مقهى مطار الموصل بينما كان يتم تجهيز طائرته لمعاودة رحلتها تقدم العريف عبد الله التلعفري منهم وفي يده مسدسه فأطلق النار على بكر صدقي ومحمد علي جواد وأرداهما قتيلين.<sup>81</sup> وأثناء التحقيق معه اعترف التلعفري بأن من حرضه على فعلته كان الضابط محمود هندي الذي لاذ بالفرار.<sup>82</sup> وقد أفادت التحقيقات بتورط العقيد فهمي سعيد والضابط محمود خورشيد بامرأة وسط شبّهات بتورط الاستخبارات البريطانية في الحادث. وقد مهد اغتيال بكر صدقي لتراجع نفوذ حكمت سليمان الذي أجبر على الاستقالة من الحكومة وحكم بالسجن لخمس سنوات ما ساهم في عودة نوري السعيد إلى الواجهة وتعيينه رئيساً للوزراء في بداية العام 1938. وفي

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 46. <sup>80</sup>

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 49. <sup>81</sup>

Counrtye Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p. 70. <sup>82</sup>

نيسان أبريل 1939 قتل الملك غازي في حادث سيارة وسط شبّهات بأن يكون البريطانيون هم من دبر الحادث للتخلص من الملك الذي كان يسعى للتقارب من الألمان،<sup>83</sup> فيما كانت بريطانيا تتحضر للحرب مع أدولف هتلر.<sup>84</sup> وقد خلفه ابنه فيصل الذي كان لا يزال طفلاً على العرش، فيما تم تعيين شقيق زوجته الأمير عبد الله وصيّاً على العرش، علماً أنه كان من المقربين جداً من البريطانيين. وعقب اندلاع الحرب العالمية الثانية في أيلول سبتمبر 1939 قام الأمير عبد الله ونوري السعيد بقطع العلاقات مع ألمانيا بضغط من البريطانيين وبتسخير العراق لخدمة المجهود الحربي البريطاني.<sup>85</sup> في المقابل تزعم قائد الجيش الفريق أول حسين فوزي المعارضة لنوري السعيد فيما قاد رشيد عالي الكيلاني المعارضة البريطانية ضده.

## ثورة الكيلاني

في العام 1941 تمكن التيار المناهض للنفوذ البريطاني في العراق من إطاحة حكومة نوري السعيد وتسمية رشيد عالي الكيلاني المعروف بعدها لهم رئيساً للحكومة. وكانت هذه ثالث مرة يتولى فيها الكيلاني رئاسة الوزارة بعد العام 1933 والعام 1940.<sup>86</sup> وكان قد ولد لعائلة من وجهاء مدينة بعقوبة في محافظة ديالى. وقد ارتبط الكيلاني بعلاقة قوية بالملك غازي وأصبح رئيساً للديوان الملكي بعد تبوء هذا الأخير سدة العرش. وفي أيار مايو من ذلك العام كان التيار المناهض لبريطانيا قد تشجّع للتمرد على هيمنتها على العراق نتيجة تقدم قوات اماريشال رومل في شمال أفريقيا باتجاه مصر وتهديده بالوصول لقناة السويس ومنطقة الشرق الأدنى. فقام هذا الفريق بدعم الكيلاني الذي شكل حكومة من عقادة كانوا معروفيين بإيمانهم بالقومية العربية وبالمعاداة لبريطانيا وكانوا برئاسة العقيد صلاح الدين الصباغ وهو من أصل لبناني من مدينة صيدا، والعقادة فهمي سعيد وكمال شبيب ويونس السبعاوي ومحمود سلمان. وكان هؤلاء على اتصال بمحفي القدس الحاج أمين الحسيني الذي كان قد لجأ إلى ألمانيا هرباً من قوات الاحتلال البريطانية والصهيونية في فلسطين وأنشأ إذاعة ناطقة بالعربية في برلين. وقد بدأ الكيلاني بإصدار البيانات الداعية للعرب كافة بالثورة على القوى الاستعمارية المهيمنة على الدول العربية، بريطانيا وغيرها. ومن ثم قام

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 50. <sup>83</sup>

Counrtny Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p. 70. <sup>84</sup>

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 51. <sup>85</sup>

Counrtny Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p. 71. <sup>86</sup>

بعزل الأمير عبد الله الذي لاذ بالفرار هو والسعيد. ثم أصدر الكيلاني قراراً يطالب القوات البريطانية بالانسحاب من قواعدها في العراق.<sup>87</sup>

رداً على ذلك قامت القوات البريطانية بإنزال قواتها في الكويت ومن ثم تقدمت باتجاه البصرة، فأصدرت حكومة الكيلاني قراراً يدين بريطانيا ويهددها باتخاذ خطوات ردعية ضد قواتها ما اعتبر بمثابة إعلان حرب، لكن بريطانيا قامت بإنزال جوي في قاعدة الجبانية الجوية القريبة من بغداد ومن ثم فك الحصار عن القاعدة والتقدم باتجاه العاصمة بغداد. وقد فشل الجيش العراقي بصد القوات البريطانية، فلاذ الكيلاني بالفرار إلى المملكة العربية السعودية حيث بقي هناك حتى ثورة العام 1958، فيما لاذ بقية الضباط بالفرار إلى سوريا التي كانت تحت انتداب حكومة فيشي ومنها إلى ألمانيا.<sup>88</sup> وقد مهد هذا إلى عودة الوصي الأمير عبد الإله إلى سدة العرش وعودة نوري السعيد إلى رئاسة الوزارة لمعظم الفترة التي امتدت حتى العام 1958. في هذا الوقت أعاد البريطانيون هيمتهم المطلقة على العراق.<sup>89</sup>

## العراق وفلسطين

منذ العشرينيات كان العراق داعماً للقضية الفلسطينية بكونها جزءاً من القضية العربية الجامعة. وكان الضباط العراقيون من أشد الداعمين لهذه القضية وقد تجلّى ذلك في مواقفهم خلال ثورة 1936 – 1939، وخلال ثورة رشيد عالي الكيلاني التي تمت بالتنسيق مع مفتى القدس الحاج أمين الحسيني. وقد استمرّ هذا الدعم خلال الأربعينيات من القرن الماضي وصولاً لحرب فلسطين في العام 1948. وكانت العصابات الصهيونية قد أخذت زخماً كبيراً بعد الحرب العالمية الثانية، إذ توافد إلى فلسطين عشرات ألف المهاجرين اليهود من أوروبا بعد نجاتهم من المحارق النازية. كذلك توافدت إليها عشرات الوف المقاتلين اليهود من ذوي الخبرة الذين خاضوا ميادين القتال الحديث في الجيوش السوفياتية والأمريكية والبريطانية التي حاربت ألمانيا النازية خلال الحرب. إضافة إلى ذلك فلقد استفادت العصابات الصهيونية من خروج الولايات المتحدة كمنتصر أول من الحرب والقوة العالمية الأولى في العالم، علماً أنها كانت من أكثر الدول الداعمة للمشروع الصهيوني منذ بداياته، وكان أحد أسباب ذلك ترکز النفوذ الصهيوني بدرجة كبيرة في الولايات المتحدة وتحديداً

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p.p. 54 – 55. <sup>87</sup>

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 55. <sup>88</sup>

Counrtny Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p. 71. <sup>89</sup>

في دوائر المال في نيويورك. في المقابل كانت فلسطين تحت الانتداب البريطاني الداعم أيضًا للحركة الصهيونية، إضافة إلى كون معظم الدول العربية في ذلك الوقت تحت هذا الانتداب أو تحت السيطرة البريطانية، مثل العراق والأردن ومصر والسودان ودول الخليج وحتى سوريا ولبنان بعد الحرب العالمية الثانية.

وفي 29 تشرين الثاني نوفمبر وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على قرار تقسيم فلسطين وتدويل القدس. وفيما رحب الصهاينة بالمشروع فإن الدول العربية ومعظم القوى في مجتمعاتها رفضته باستثناء الأحزاب الشيوعية التي وافقت على القرار بتأثير من موسكو.<sup>90</sup> هذا أدى إلى تصاعد حدة المواجهات بين الفلسطينيين والعرب من جهة والعصابات الصهيونية وجيش الاحتلال البريطاني من جهة أخرى. وكانت بريطانيا العظمى قررت إنهاء انتدابها على فلسطين في 15 أيار مايو 1948، فاستغلت الحركة الصهيونية ذلك للإعلان عن قيام دولة إسرائيل بعد مشاورات أجراها مثل الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة موسعيه شاريت مع الإدارة الأميركية. وفي 26 أيار مايو من ذلك العام أعلن قيام الجيش الإسرائيلي عبر دمج العصابات الصهيونية فيه. ردًا على ذلك قامت القوات المسلحة العربية بدخول فلسطين لنجدتها أهلها وقد تألفت القوات الأساسية في البداية من 10000 جندي مصرى دخلوا فلسطين من جهة النقب وبئر سبع وغزة، ونحو 5000 جندي أردني عبروا نهر الأردن باتجاه الضفة الغربية، فيما حللت القوات العراقية ثالثة من حيث الحجم إذ بلغ تعدادها 2500 جندي، فيما بلغ تعداد القوة السورية التي هاجمت من منطقة الجليل نحو ألفي جندي، وشارك لبنان بـ 500 مقاتل. في المقابل بلغ تعداد القوات الصهيونية نحو 60000 مقاتل ارتفع عددهم فيما بعد إلى 110 آلاف مقاتل أي ثلاثة أضعاف القوات العربية مجتمعة.<sup>91</sup> خلال الحرب تمكّن الجيش العراقي من تحقيق عدد من الإنجازات الميدانية أهمها تحرير مدينة جنين من عصابات الهاغاناه بعد معارك شرسة، ومن ثم اتجه نحو حيفا وحاصرها وبدأ الاستعداد لتحريرها من الصهاينة حين أنتهت أوامر من القيادة السياسية في بغداد بوقف القتال والقبول بالهدنة،<sup>92</sup> وهو ما مهد لاحقًا إلى هزيمة الجيش العراقي والقوات العربية مجتمعة في ما عُرف بنكبة فلسطين والتي أدت إلى خسارة 80 في المائة من مساحتها لصالح العصابات الصهيونية وإلى تهجير نحو مليون فلسطيني من أرضهم إلى البلدان المجاورة ومن ثم إلى مختلف أقطار العالم.

<sup>90</sup> وليد الخالدي، خمسون عاماً على تقسيم فلسطين، ص.ص. 90 - 93.

<sup>91</sup> وليد الخالدي، خمسون عاماً على حرب 1948: أولى الحروب العربية - الصهيونية، بيروت: دار النهار، 1998، ص.ص. 39 - 50.

<sup>92</sup> Phebe Marr, The Modern History of Iraq, Boulder: Westview Press, 2012, p. 66.

## حلف بغداد

شكلت نكبة فلسطين ضربة قوية للعرب وأصبحت مثار سخط من قبل ضباط الجيوش العربية على السياسيين، خصوصاً أن هؤلاء حاولوا إلقاء تبعة الفشل على الجيوش العربية لتبرير قبولهم بتسويات عرضت عليهم من قبل القوتين البريطانية والأمريكية للقبول بحل القضية الفلسطينية بما يخدم الأهداف الصهيونية. وكان من نتيجة ذلك حصول سلسلة انقلابات في سوريا بين عامي 1949 و1951، تبعها انقلاب في مصر في العام 1952 بقيادة العقيد جمال عبد الناصر.<sup>93</sup> ولم يكن العراق بعيداً عن هذه الظاهرة إلا أن الجيش العراقي كان لا يزال يعاني من الضربات التي تلقاها على يد البريطانيين والملكية بعد العام 1941 ما جعلهم عاجزين عن التحرك في ظل القبضة البريطانية القوية في البلاد. في هذا الوقت كانت الحرب الباردة قد بدأت منذ العام 1946 بين الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية من جهة والاتحاد السوفيتي وكتلة الدول الشراكية في أوروبا الشرقية من جهة أخرى. وبناء على ذلك، وبالاستناد إلى نظريات الاحتواء لقلب أوراسيا التي أطلقها الاستراتيجي البريطاني هالفورد ماكيندر وطورها عالم الجغرافيا السياسية نيكولاوس سبيكمان،<sup>94</sup> فلقد أطلقت الولايات المتحدة حلف شمال الأطلسي في العام 1949 لمنع الاتحاد السوفيتي وحلفائه من النفاذ إلى المحيط الأطلسي.<sup>95</sup> وقد أطلقت حلفاً مشابهاً في جنوب شرق آسيا لمنع الاتحاد السوفيتي من أن تكون له إطلالة على طرق الملاحة في المحيط الهادئ. واستكمال عملية التطويق هذه تمهدأ لضرب الاتحاد السوفيتي قاتم الولايات المتحدة وبريطانيا بتطوير فكرة إنشاء حلف عسكري في منطقة الشرق الأوسط وذلك لمنع الاتحاد السوفيتي من الوصول إلى محيط الهند.<sup>96</sup>

وكانت تركيا وباكستان قد وقعتا اتفاقاً للتعاون العسكري المشترك في شباط فبراير 1954 يهدف إلى مواجهة التهديدات السوفياتية. في هذا الوقت كان رئيس الحكومة العراقية نوري السعيد قد ضغط في القمة العربية لتبني مفهوم الأمن الجماعي ومنه انطلق للترويج لفكرة حلف عسكري في منطقة الشرق الأوسط مواجهة الخطر الشيوعي. وفي 24 شباط فبراير وقع العراق اتفاقاً عسكرياً

M.E. Yapp, *The Near East since the First World War: A History to 1995*, Edinburgh, Longman, 1996, <sup>93</sup>  
p.p. 212 – 214.

Halford Mackinder: *The Geographical Pivot of History, the geographical journal*, Vol. 170, no 4, <sup>94</sup>  
December 1904, p.p. 298 - 300.

Nicholas Spykman, *America's Strategy in World Politics-The United States and the Balance of Power*,  
New Brunswick, Transaction Publishers, 2008

<sup>95</sup> راجع جمال واكيم، أوراسيا والغرب والهيمنة على الشرق الأوسط، بيروت: ابعاد، 2016.  
Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 74. <sup>96</sup>

مع تركيا أطلق عليه حلف بغداد، وقد انضمت إليه لاحقاً كل من إيران وباكستان. وكان الحلف يمتد من بحر إيجي في شرق المتوسط مروراً بهضبة الأنضول وبلاد ما بين النهرين والهضبة الإيرانية باتجاه جبال الهندو كوش الفاصلة بين باكستان وأفغانستان. لذلك فلقد كان هذا الحلف بحاجة إلى عمق استراتيجي يتمثل بضم الدول العربية وإسرائيل إليه. ونتيجة الأهمية التي أوليت للدور العربي في الحلف تم تعيين العراقي عوني الخالدي كأول أمين عام له من عام 1955 وحتى كانون الأول ديسمبر 1958 حين خرج العراق من الحلف بعد ثورة تموز يوليو ضد الملكية وتحتاجه اسم الحلف إلى الحلف المركزي أو السنّو. وكانت سوريا ومصر أبرز المعترضين على الحلف، لأنهما كانتا تعتبران أن الأولوية هي مواجهة الخطر الإسرائيلي على حدودهما، إضافة إلى اعتبارهما أن الحلف ما هو إلا محاولة لتجديد الهيمنة الاستعمارية على الدول العربية بأشكال أخرى.<sup>97</sup>

وكمقدمة لذلك كان على الولايات المتحدة أن تحلّ الصراع العربي الإسرائيلي. من هنا جاءت مبادرة جونستون الشهيرة. وكان الرئيس الأميركي المنتخب عام 1953 دوايت أيزنهاور قد فكر بطريقة لحل الصراع العربي الإسرائيلي وأرسل موFDAً خاصاً به إلى الشرق الأوسط هو رئيس مؤسسة كارنيجي للسلام جوزيف جونسون للباحث مع القادة العرب والإسرائيليين للتوصل إلى اتفاق حول الموضوع. وكانت الجبهتان المصرية والسويسرية مع إسرائيل لا تزالان تشهدان مواجهات عبر الحدود بين الفدائيين والصهاينة، فيما كان اللاجئون الفلسطينيون في المخيمات يعيشون أوضاعاً مزرية. وقد تضمن المشروع حل قضية اللاجئين بإعطائهم تعويضات مالية، ومنهم أراضي ليستوطنوا فيها بشبه جزيرة سيناء، والتعويض على مصر بمنحها طريقاً برياً يصلها بالأردن، والسامح لبعض اللاجئين بالعودة إلى أراضيهم ضمن سياسة للم الشمل بعد موافقة الإسرائيليين على الشخص الطالب للعودة. وقد تعرّض المشروع بسبب المعارضة الشعبية له إضافة إلى معارضة القيادتين المصرية والسويسرية. وقد سجل حوار طريف بين جوستون وعبد الناصر حين عرض الأول أن يتم إنشاء جسر فوق النقب يصل مصر بالأردن ويمر تحته طريق يسمح للإسرائيليين بالتنقل بين بئر سبع ومرفاً أم الرشراش والمعروف في الكيان الصهيوني بـ"بئر سبع". فلقد سأله عبد الناصر جونستون ماذا سيجري إذا أحسن مصرى بالحاجة للتبول وفعل ذلك على سيارة إسرائيلية مارة من تحت الجسر، فهل تندلع الحرب عندها؟ وقد سُمي ذلك بالـ "بي بي دبلوماسي" أو دبلوماسية التبول.<sup>98</sup>

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 75. <sup>97</sup>

راجع محمد حسين هيكل، ملفات السويس: حرب الثلاثين عاماً، القاهرة: دار الشروق، 1996. <sup>98</sup>

## أزمة السويس

في هذا الوقت كان عبد الناصر يتبع سياسة ت يريد الاستقلال عن القوى الغربية، وتدعوه إلى الحياد في الحرب الباردة بين الكتلة الغربية والكتلة الشرقية. وقد تجلّى ذلك في مشاركته في تنظيم وإعداد المؤتمر الذي عقد في باندونغ في إندونيسيا في العام 1954. وقد أعلن معارضته للانضمام لحلف بغداد لأنّه كان يرى فيه تجديداً للتبعية للغرب بأشكال أخرى. هذا دفع ببريطانيا والولايات المتحدة إلى تشجيع إسرائيل على رفع وتيرة اعتداءاتها ضد مصر والتي تمثلت بالهجوم على مركز الشرطة المصري في العام 1955 في قطاع غزة وقتل العشرات منهم على أيدي الجيش الإسرائيلي. هذا دفع بعد الناصر إلى البحث عن مصدر جديد للسلاح بسبب الحظر المفروض من الغرب على تسليح العرب. فاتجه إلى الاتحاد السوفيتي الذي وافق على إعطاء السلاح لمصر عبر تشيكوسلوفاكيا، وقد عرفت الصفقة باسم صفقة السلاح التشيكيّة. وقد أُصيب القادة الغربيون وعلى رأسهم الولايات المتحدة ووزير خارجيتها جون فوستر دالاس ورئيس الوزراء البريطاني انتوني إيدن ورئيس الوزراء الفرنسي غي موليه بالجنون نتيجة الصفقة، لأنّها كانت تعطي مصر قوة عسكرية كبيرة كما أنها كانت تمنح الاتحاد السوفيتي موطأ قدم في الشرق الأوسط وأفريقيا. في هذا الوقت كان عبد الناصر يفاوض البريطانيين على انسحاب قواتهم من مصر ومن منطقة قناة السويس وهو ما تمّ له في أوائل العام 1956. كما أن عبد الناصر كان يدعم حركات التحرر في تونس والجزائر والمغرب وهو ما أدى إلى استقلال تونس والمغرب في العام 1956 وإلى تصاعد الثورة الجزائرية التي كانت قد انطلقت في العام 1954.<sup>99</sup>

نتيجة السياسات الاستقلالية التي اعتمدتها عبد الناصر فقامت الولايات المتحدة وبريطانيا بالضغط على البنك الدولي لسحب عرضه بتمويل مشروع السد العالي الذي كانت مصر تزمع إنشاءه على نهر النيل في أسوان. رد عبد الناصر بتأميم شركة قناة السويس في 26 موز يوليو 1956. هذا دفع ببريطانيا وفرنسا وإسرائيل إلى التفكير بطريقة للتخلص من عبد الناصر، وكان نوري السعيد يدعم هذا المسعى، وقد نقل عنه أنه كان في لندن على مائدة العشاء مع انتوني إيدن عندما سمع بإعلان عبد الناصر قرار التأميم، فضرب بيده على الطاولة مخاطباً إيدن: "عليكم أن تضربوا بقوة وأن تضربوا الآن وإنما فإن عبد الناصر سيطيح بنا جميعاً". وكانت أهداف بريطانيا واضحة في ضرب عبد الناصر، إذ إنها كانت ترى فيه تهديداً لنفوذها في الشرق الأوسط ولهيمنتها على طرق المواصلات بين شرق المتوسط والمحيط الهندي. أما إسرائيل فكانت ترى فيه تهديداً لها على حدودها

الجنوبية، فيما كانت فرنسا ت يريد التخلص منه بسبب دعمه لحركات التحرر في أفريقيا وعلى رأسها الثورة الجزائرية. هذا دفع بالقوى هذه إلى عقد اجتماعات سرية في مدينة سيفر ز الفرنسية بين 22 و 24 تشرين الأول أكتوبر 1956 بمشاركة من رئيس الوزراء الإسرائيلي دافيد بن غوريون ورئيس الوزراء الفرنسي غي موليه ووزير الخارجية البريطاني سلوين لويد، إضافة إلى وزراء الدفاع ورؤساء أركان الجيوش في الدول الثلاث. وقد أقرت الاجتماعات خطة لغزو مصر تقوم بها جماعة إسرائيل مصر بالقرب من قناة السويس، فتتّخذ بريطانيا وفرنسا من ذلك ذريعة للطلب من مصر وإسرائيل إخلاء منطقة قناة السويس حتى تقوم قوات الدولتين بالإزالة هناك وتأمين الملاحة الدولية تحت طائلة التهديد باستخدام القوة ضد مصر إذا رفضت الانصياع للإملاءات البريطانية. وكانت القوى الثلاث تتوقع أن تقوم ثورة داخلية ضد عبد الناصر تطيّب به من الحكم.<sup>100</sup>

في المقابل كان جمال عبد الناصر يتوقع أن تقوم بريطانيا بتوجيه ضربة عسكرية لمصر بعد تأمينه قناة السويس. لكنه كان يتوقع ذلك خلال المئة يوم التي تلي تأمينه القناة على أن ينتفي هذا الاحتمال بعد ذلك. لكن عبد الناصر لم يتوقع أن تشارك إسرائيل مباشرة في العدوان، لأنه كان يعتقد أن بريطانيا ستسعى لئلا تظهر أمام العالم العربي كمتآمر مع إسرائيل ضده. في 29 تشرين الأول أكتوبر 1956 هاجمت إسرائيل مصر على طول خط الحدود الفاصل بينهما وقامت بإزالة فرقتي مظليين في مرتفعات سيناء المعروفة بمنطقة الممرات والتي تبعد بين عشرين وخمسين كيلومتراً عن قناة السويس من جهة الشرق. بعد ذلك قامت بريطانيا وفرنسا بتوجيه إنذار إلى مصر بوجوب إخلاء منطقة قناة السويس بعمق عشرة كيلومترات من جانبي القناة وهو ما رفضه عبد الناصر. هنا ووفقاً للخطة الموضوعة سلفاً بدأت الطائرات الحربية البريطانية والفرنسية التي انطلقت من حاملات طائرات البلدين بقصف المطارات المصرية ومراكز القيادة والسيطرة العسكرية والمرافق الاقتصادية في مصر، ثم بدأت قوتا البلدين بالإزالة في منطقة القناة وتقدّمت لاحتلال مدينة بور سعيد. إلا أن القوات المهاجمة لم تستطع التقدّم جنوباً لسيطرة على منطقة القناة وفق الخطة المرسومة كما أنها لم تتمكن من التقدّم إلى القاهرة لاجبار عبد الناصر على التخلي عن السلطة. في المقابل فلقد اجتاحت العالم العربي والغربي موجة تظاهرات واحتجاجات هاجمت المصالح البريطانية والفرنسية. وقد وقف الاتحاد السوفييتي في موقف الداعم لمصر فيما وقفت الولايات المتحدة في موقف الغاضب على حلفائها الغربيين الذين تجرأوا على التصرف من دون مشاورتها. كل هذه العوامل أدّت إلى فشل أهداف العدوان وإلى وقفه بعد صدور قرار عن مجلس الأمن في السابع من تشرين الثاني نوفمبر لوقف إطلاق النار. وبنتيجة ذلك خرج عبد الناصر

زعيمًا للعام العربي وتم توجيهه ضربة قاصمة للنفوذ البريطاني والفرنسي في الشرق الأوسط وللدور الهاشمي ولنوري السعيد.<sup>101</sup>

## ثورة تموز يوليو 1958

أدت التطورات التي رافقت وتلت أزمة السويس إلى إضعاف نفوذ البريطانيين ونوري السعيد في منطقة الشرق الأوسط. وقد شجع ذلك العناصر الوطنية في العراق، خصوصاً في الجيش العراقي إلى إعادة تفعيل نشاطهم ضد الملكية في العراق. وقد عادت النسمة ل تستعر في صفوف الضباط العراقيين عقب نكبة فلسطين في العام 1948 إضافة إلى سياسة الانضمام إلى الأحلاف الغربية التي اعتمدتها نوري السعيد، وتردي الأوضاع الاقتصادية داخل العراق في ظل هيمنة الشركات البريطانية على مختلف مراافق البلاد ومن ضمنها قطاع النفط. وقد شجع نجاح جمال عبد الناصر بإطاحة الحكم الملكي في مصر الضباط العراقيين على معاودة نشاطهم السري داخل الجيش العراقي ضد الملكية الهاشمية. وكان عدد من الضباط قد شكلوا عقب النكبة تنظيمًا عرف باسم تنظيم الضباط الوطنيين في أواخر العام 1949. وكان الرائد رفعت الحاج سري هو قائد هذا التنظيم الذي بدأ يتواصل مع مجموعات مماثلة في الجيش، وأصبحت الاجتماعات دورية ومنتظمة وكانت تجمع ضباطاً من مشارب قومية وشيوعية وحتى إسلامية. وقد قام هذا التنظيم مرات عدّة بوضع خطط لانقلاب، لكنها أوقفت أو أجهضت لسبب أو لآخر. وقد تنبأ نوري السعيد إلى وجود هذا التنظيم في صيف العام 1956 فقامت لجنة تحقيق عسكرية بالتحقيق مع العقيد رفعت الحاج سري والعقيد عبد الوهاب أمين والمقدم صالح عبد المجيد السامرائي والمقدم إسماعيل العارف، ورغم أنه لم تثبت عليهم أي شبهة إلا أن السعيد قرر نقلهم بعيداً عن وحداتهم وعن الجيش عبر تعينهم ملحقين عسكريين خارج العراق.<sup>102</sup>

لم يؤدّ إبعاد الضباط الآنفي الذكر إلا إلى تأجّيل الانقلاب على الملكية في العراق، فقد قفز إلى واجهة التنظيم العقيد عبد السلام عارف. وكان عارف قد انضمّ إلى الجيش العراقي في العام 1938 وشارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني وقد نقل إلى البصرة بعد إطاحة الكيلاني وبقي هناك حتى العام 1944. وفي العام 1948 شارك في حرب فلسطين وبعد مشاركته في دورات عسكرية عدّة تمّ ضمه إلى

Phebe Marr, The Modern History of Iraq, Boulder: Westview Press, 2012, p. 76.<sup>101</sup>

Phebe Marr, The Modern History of Iraq, Boulder: Westview Press, 2012, p.p. 83 – 84.<sup>102</sup>

التنظيم السري للضباط في العام 1957. عندها اقترح عارف على أعضاء التنظيم ضم قائد اللواء 19 في الجيش العقيد عبد الكريم قاسم الذي كان صديقه منذ العام 1938 عندما كانا تلميذين في الكلية الحربية. وقد توثقت علاقتهما خلال حرب فلسطين التي شاركا فيها. وبما أن عبد الكريم قاسم كان الأعلى رتبة بين الضباط الأعضاء في التنظيم فقد اقترح عارف أن يكون قاسم هو رئيس التنظيم مؤقتاً لحين عودة الرئيس الأصيل للتنظيم الفريق نجيب الريبيعي الذي كان قد أبعد من قبل الحكومة إلى وحدة عسكرية نائية عن بغداد. في أوائل تموز يوليو 1958 كانت الأوامر قد صدرت إلى وحدات من الجيش العراقي من ضمنها اللواء العشرون الذي يقوده عبد السلام عارف بالتحرك نحو الأردن بذرية مواجهة التهديدات الإسرائيلية. وكانت وحدة هاشمية قد أعلنت قبل أشهر عدة مواجهة الوحدة السورية - المصرية التي كانت قد أعلنت في شباط فبراير 1958. هنا رأى قاسم وعارف أنه يمكنهما أن يستغلوا الموقف للإطاحة بالملكية تحت ستار أن تحرّك القوات هو في إطار الانتقال إلى الأردن. وقد قام عارف وقاسim بالتوافق مع عبد الناصر طالبين منه التنسيق معهم إلا أن هذا الأخير نصحهم بالقيام بحركتهم وحدهم حتى لا تفسر حركتهم بأنها عمل استخباري من مصر ضد العراق. إلا أن عبد الناصر وعدهم بتقديم كل الدعم لهم في مواجهة أي محاولة للتدخل البريطاني أو الغربي ضدهم.

وفي صبيحة 14 تموز يوليو 1958 قام عبد السلام عارف بعزل قادة الوحدات المشكوك في ولائهم واحتجزهم وعين بدلاً منهم ضباطاً موالين له ثم بدأ بالتحرك للسيطرة على مقر قيادة الجيش العراقي ووزارة الدفاع ومعسكري الرشيد والوشوش، إضافة إلى مؤسسة الهاتف والإذاعة والقصر الملكي وقصر نوري السعيد. وقد سارع عبد السلام عارف شخصياً إلى دار الإذاعة للإعلان عن إطاحة الملكية الهاشمية وإعلان الجمهورية العراقية.<sup>103</sup> في هذا الوقت كانت قوة من الموالين لعارف تقترب قصر الملك فيصل الثاني وتطلب منه الاستسلام، فاستجاب الملك الشاب وخرج برفقة خاله وخالته وحدهما وزوجة خاله وعدد من أفراد الأسرة المالكة إلى الحديقة فسارع أحد الجنود إلى إطلاق النار عليهم وقتلهم جميعاً.<sup>104</sup> وقد يكون خلف القرار الخوف من قيام بريطانيا بالتدخل وإعادة الملكية إلى العراق كما حدث في العام 1941. في الوقت نفسه كان نوري السعيد قد فرّ من قصره متذمراً بلباس امرأة ولجأ إلى قصر صديقه التاجر الثري محمود الاسترابادي في الكاظمية كما فعل في السابق خلال ثورة رشيد عالي الكيلاني. لكن عبد السلام عارف أعلن مكافأة مالية من يقوم بإلقاء معلومات عن السعيد، فحاول في 15 تموز يوليو الخروج من منزل صديقه والتوجه بسيارة

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p.p. 84 – 85. <sup>103</sup>

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 85. <sup>104</sup>

إلى الحدود الأردنية إلا أن عدداً من المارة كشفوا أمره وأبلغوا عنه فقامت قوة من الجيش بتطويقه وأطلقت النار عليه وأرده قتيلاً. وفي روايات أخرى قيل إن نوري السعيد انتحر بمسدسه الخاص بعدما وجد نفسه محاصراً وخوفاً من أن يتم تعذيبه والتنكيل به.<sup>105</sup>

أحدثت الثورة العراقية انقلاباً كبيراً في الموازين الإقليمية في الشرق الأوسط، فلقد أطاحت الهاشميون الذين شكلوا عmad النفوذ البريطاني في المنطقة منذ الحرب العالمية الأولى. كما أن الثورة وجهت ضربة قاسمة لحلف بغداد وسياسة الأحلاف التي اعتمدها الغرب في المنطقة، إضافة إلى أنها صعدت من نفوذ جمال عبد الناصر ومن خلفه حليفه الجديد الاتحاد السوفيتي. وقد تفجر غضب القوى الغربية فأرسلت الولايات المتحدة قوات من الأسطول السادس للنزول في بيروت تحت ذريعة منع تمدد الشيوعية، فيما أرسلت بريطانيا قوات مظليلة إلى الأردن لمنع انهيار النظام الملكي الهاشمي فيه. في المقابل فلقد أعلن عبد الناصر دعمه للثورة العراقية واعتبر أن أي عدوان تتعرض له سيكون بمثابة عدوان مباشر على الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا). كذلك رحب الاتحاد السوفيتي بقيادة نيكita خروتشيف بالثورة العراقية وأعلن استعداد بلاده للتعاون معها في كافة المجالات.

## دستور العراق أثناء الحكم الملكي

في العام 1925 صدر الدستور العراقي الأول أثناء الحكم الملكي وتميز بالقيم الليبرالية التي حملها بتأثير من الاحتلال البريطاني وجاء فيه:

المادة الأولى يُسمى هذا القانون (القانون الأساسي العراقي) وأحكامه نافذة في جميع أنحاء المملكة العراقية.

المادة الثانية: العراق دولة ذات سيادة مستقلة حرّة. ملكها لا يتجزأ، ولا يتنازل عن شيء منه، وحكومته ملكية وراثية، وشكلها نياتي.

المادة الثالثة: تعتبر مدينة بغداد عاصمة العراق، ويجوز عند الضرورة اتخاذ غيرها عاصمة بقانون.

---

Phebe Marr, The Modern History of Iraq, Boulder: Westview Press, 2012, p. 85.<sup>105</sup>

المادة الرابعة: يكون العلم العراقي على الشكل والأبعاد الآتية:

طوله ضعفا عرضه ويقسم أفقياً إلى ثلاثة ألوان متساوية ومتوازية، أعلىها الأسود فالأبيض فالأخضر، على أن يحتوي على شبه منحرف أحمر من جهة السارية تكون قاعدته العظمى متساوية لعرض العلم، والقاعدة الصغرى متساوية لعرض اللون الأبيض، وارتفاعه ربع طول العلم، وفي وسطه كوكبان أبيضان ذو سبعة أضلاع يكونان على وضع عمودي يوازي السارية. أما أوضاع العلم وشعار الدولة وشاراتها ورتبها فتعين بقوانين خاصة.

المادة الخامسة: تعين الجنسية العراقية، وتكتسب، وتُفقد، وفقاً لأحكام قانون خاص.

المادة السادسة: لا فرق بين العراقيين في الحقوق أمام القانون، وإن اختلفوا في القومية، والدين، واللغة.

المادة السابعة: الحرية الشخصية مصونة لجميع سكان العراق من التعرض والتدخل، ولا يجوز القبض على أحدهم، أو توقيفه، أو معاقبته، أو إجباره على تبديل مسكنه، أو تعريضه لقيود، أو إجباره على الخدمة في القوات المسلحة إلا بمقتضى القانون، أما التعذيب، ونفي العراقيين إلى خارج المملكة العراقية، فممنوع باتفاقاً.

المادة الثامنة: المساكن مصونة من التعرض، ولا يجوز دخولها، والتحرى فيها، إلا في الأحوال والطرائق التي يعينها القانون.

المادة التاسعة: لا يُمنع أحد من مراجعة المحاكم، ولا يُجرِ على مراجعة محكمة غير المحكمة المختصة بقضيته إلا بمقتضى القانون.

المادة العاشرة: حقوق التملك مصونة، فلا يجوز فرض القيود الإجبارية، ولا حجز الأموال والأملاك، ولا مصادرة الأموال الممنوعة، إلا بمقتضى القانون. أما السخرة المجانية، والمصادرة العامة للأموال المنقولة وغير المنقولة، فممنوعة باتفاقاً. ولا يُنزع ملك أحد إلا لأجل النفع العام في الأحوال وبالطريقة التي يُعينها القانون، وبشرط التعويض عنه تعويضاً عادلاً.

المادة الحادية عشرة: لا تُفرض ضريبة إلا بمقتضى قانون تشمل أحكامه جميع الصنوف.

المادة الثانية عشرة: لل العراقيين حرية إبداء الرأي، والنشر، والاجتماع، وتأليف الجمعيات والانضمام إليها، ضمن حدود القانون.

المادة الثالثة عشرة: الإسلام دين الدولة الرسمي، وحرية القيام بشعائره المألوفة في العراق على اختلاف مذاهبه محترمة لا تمسّ، وتُضمن لجميع ساكني البلاد حرية الاعتقاد التامة، وحرية القيام بشعائر العبادة، وفقاً لعاداتهم ما لم تكن مخلة بالأمن والنظام، وما لم تناهِ الآداب العامة.

المادة الرابعة عشرة: للعراقيين الحق في رفع عرائض الشكوى، واللوائح في الأمور المتعلقة بأشخاصهم، أو بالأمور العامة، إلى الملك، ومجلس الأمة، والسلطات العامة، وبالطريقة وفي الأحوال التي يعيّنها القانون.

المادة الخامسة عشرة: تكون جميع المراسلات البريدية والبرقية، والتلفونية، مكتومة ومصونة من كل مراقبة وتوقيف، إلا في الأحوال والطائق التي يعيّنها القانون.

المادة السادسة عشرة: للطوائف المختلفة حق تأسيس المدارس لتعليم أفرادها بلغاتها الخاصة، والاحتفاظ بها على أن يكون ذلك موافقاً للمناهج العامة التي تعين قانوناً.

المادة السابعة عشرة: العربية هي اللغة الرسمية سوى ما ينص عليه بقانون خاص.

المادة الثامنة عشرة: العراقيون متساوون في التمتع بحقوقهم، وأداء واجباتهم، ويعهد إليهم وحدهم بوظائف الحكومة بدون تمييز، كل حسب اقتداره وأهليته، ولا يُستخدم في وظائف الحكومة غير العراقيين إلا في الأحوال الاستثنائية التي تُعين بقانون خاص.

ويستثنى من ذلك الأجانب الذين يجب أو يجوز استخدامهم بموجب المعاهدات والمقابلات.<sup>106</sup>

---

<sup>106</sup> راجع القانون الأساسي العراقي لعام 1925 على موقع المحكمة الدستورية العراقية <https://www.hjc.iq/view.86>



## الفصل الرابع

### فلسطين والأردن 1920 – 1958

سيربط تاريخ الأردن وفلسطين في القرن العشرين بالنضال ضد الحركة الصهيونية التي كانت قد بثت مشروعها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كحركة قومية يهودية متطرفة، والتي كانت قد أزمعت إقامة وطن قومي لليهود في العالم على أرض فلسطين. وقد توافقت مشاريع الحركة الصهيونية مع الأهداف الجيوسياسية لدولتين عظميين بالدرجة الأولى هما بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأمريكية. وسيشكل العالم الانغلوسكسوني بالدرجة الأولى والغربي بالدرجة الثانية الدعامة الأساسية للمشروع الصهيوني في منطقة الشرق الأوسط. وعلى الرغم من أن التاريخ الرسمي للحركة الصهيونية يبدأ في العام 1897 مع عقد مؤتمر بازل بقيادة مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتزل، إلا أن مجموعات صهيونية كانت قد تشكلت في وقت سابق على ذلك التاريخ وبدأت بإنشاء مستوطنات في منطقة الجليل في فلسطين بدءاً من العام 1870. والجدير ذكره أن الحركة الصهيونية وجدت جذورها في حركة الإصلاح الدينية البروتستانتية في أوروبا في القرن السادس عشر والتي سعت في تحديها لسلطة الكنيسة الكاثوليكية أن تعود إلى الانجيل والتوراة وتنظر إليهما لا على أنهما كتابان دينيان يعتمدان نصاً رمزاً بل على أنهما كتابا تاريخ للشعب اليهودي الذي بدأ اليهود وغير اليهود ينظرون إليه لا على أنه دين لأقوام متعددة بل على أنه شعب واحد تشتت في مختلف أصقاع الأرض ويجب أن يعود إلى فلسطين.

### نشوء الحركة الصهيونية

وقد سبق وظهرت حركات بين اليهود تدعو "إلى العودة إلى أرض الميعاد" منذ القرن السابع عشر. ففي العام 1648 قام يهودي من رعايا السلطنة العثمانية اسمه شباطي زئيفي بزعم أنه المسيح المخلص الذي سيُعيد اليهود إلى أرض الميعاد. وقد أدّت حركة زئيفي إلى بلبلة كبيرة في صفوف يهود السلطنة واليهود الأوروبيين الذين بدأوا ببيع ما يملكونه والتوجه إلى فلسطين. وقد انتهت هذه الحركة حين احتجّ كهنة الطائفة اليهودية وحاصمتها أمام السلطان مراد الرابع الذي استقدم

شبطاً رئيفي وهدده بفرض الحد اليهودي عليه، كما كانت تقتضي أحكام النظام الملي. عندها أشهر رئيفي إسلامه واتخذ اسماً آخر. والجدير ذكره أن حركة رئيفي ترافقت مع اشتداد حملة محاكم التفتيش في أوروبا وخصوصاً في إسبانيا والتي أدت إلى تصفية الوجود اليهودي والعربي المسلم نهائياً من إسبانيا. وفي العام 1868 قام اليهودي اليمني يهودا بن شالوم بقيادة حشد كبير من اليهود اليمنيين للهجرة من اليمن والاستقرار في فلسطين. وقد سجل في ذلك الوقت هجرة يهود جزائريين وكازاخستانيين إلى فلسطين. والجدير ذكره أنه في جميع هذه الحالات كانت المناطق والبلدان التي يأتي منها اليهود باتجاه فلسطين عرضة لأزمات عميقة. ففي ذلك الوقت كانت اليمن عرضة لصراع بريطاني عثماني أثر سلباً على حركة التجارة فيها والحياة الاقتصادية بشكل عام. أما في الجزائر فكانت البلاد تعاني نتيجة توسيع عمليات الاستعمار والاستيطان الفرنسي، وهو الحال نفسه الذي كان سائداً في كازاخستان التي كانت تشهد محاولات روسية حثيثة لاحتلالها والسيطرة عليها.<sup>107</sup>

والجدير ذكره أن عماد الحركة الصهيونية سيكون في البداية يهود أوروبا الذين كانوا يعانون من مختلف أنواع الاضطهاد منذ العصور الوسطى على يد الكنيسة الكاثوليكية وألمالك الأوروبية المختلفة. وقد تعمقت حركة اضطهاد اليهود في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر حيث أجبر اليهود في مدينة البندقية على العيش في حي خاص بهم مفصول عن باقي المدينة عُرف بالغيتو. وخلال القرن السادس عشر، وبعد سقوط الأندلس في يد ملكي قشتالة واراغون إيزابيلا وفرديناند تعمق اضطهاد اليهود خصوصاً بعد تأسيس محاكم التفتيش التي كانت تسعى لتنصير اليهود بالقوة، وقد امتدت هذه الحركة إلى إيطاليا التي شهدت أيضاً اضطهاداً منهجاً لليهود. لكن يهود أوروبا سيجدون بيئة حاضنة لهم بدءاً من القرن السادس عشر في شمال أوروبا خصوصاً في ظل انتشار الحركة البروتستانتية لسبعين، الأول هو اعتماد البروتستانتية في انتشارها على المراكز التجارية والمالية التي نشأت في تلك المنطقة نتيجة ازدهار حركة التجارة في البلطيق، وعداء البروتستانتية للكنيسة الكاثوليكية والبابا اللذين كانا يديران عملية اضطهاد اليهود. وقد وجدت البروجوازية الأوروبية الناشئة في اليهود الأثرياء حليفاً لهم خصوصاً بتاريخهم الطويل في تعاطي شؤون الصياغة وأعمال. والجدير ذكره أن عصر الأنوار الأوروبي في القرن الثامن عشر سيساهم في صعود حركة تنويرية بين اليهود دعت إلى التمرّد على سلطة الحاخامات على المجتمعات اليهودية وإلى تحرير اليهود من الغيتو ودمجهم في المجتمعات الأوروبية. وقد دعيت

<sup>107</sup> عوني فرسخ، التحدى والاستجابة في الصراع العربي - الصهيوني: جذور الصراع وقوانينه الضابطة 1799 - 1949، بيروت: مركز دراسات لوحدة العربية، 2008، ص.97 - 106.

حركة التنوير اليهودية هذه بالهسکالا. وكان أول بلد أوروبي يعترف بحقوق لليهود مساوية لباقي المواطنين هو فرنسا في ظل الثورة التي كانت قد قلبت نظام الحكم الملكي في العام 1789 لتعترف بحقوق اليهود بالمواطنة في العام 1791. وستنتظر بريطانيا حتى العام 1856 لتعترف بالحقوق الكاملة في المواطن لليهود وتتبعها ألمانيا في العام 1871.

لكن نهاية القرن العشرين ستشهد ركوداً سيضرب أوروبا وسيمتد حتى الحرب العالمية الأولى. وقد ترافق هذا الركود مع ترسیخ الكيانات القومية التي استندت إلى مفهوم الدولة الأمة في أوروبا والتي ستؤدي إلى إعادة تشكيل مفهوم الهوية على أساس قومي ووطني. وقد ترافق هذه الحركة مع اكتشافات علمية جغرافية وبيولوجية كان أبرزها إطلاق العالم داروين نظريته حول ارتقاء الأجناس والتي يعتبر فيها أن الأجناس تنشأ وتطور عبر التكيف مع المتغيرات البيئية وتموت حين لا تستطيع التكيف. وقد تأثر الكثير من علماء العلوم الإنسانية وتحديداً علماء الاجتماع الذين كانوا قد أطلقوا اختصاص علم الاجتماع في أواخر ذلك القرن بظروفات داروين واعتبروها تنطبق على "الأعراق البشرية"، وبالتالي فلقد اعتبروا أن التمايز بين الشعوب هو تمايز عرقي يعكس درجات من التطور، وبالتالي فلقد قاموا بإسقاط العرق على الشعوب التي اعتبروها أعرقاً مختلفة. وبالتالي فلقد اعتبر الشعب الفرنسي والألماني والبريطاني وغيرها شعوباً تتحدر من "متطرفة" نتيجة التطور الذي حققته في مجال الاقتصاد والعلوم والأهم السيطرة على الشعوب الأخرى التي اعتبروا شعوباً أقل تطوراً عرقياً ما يُبُرِّر الهيمنة عليها. وقد تم إسقاط هذا البعد على اليهود الذين اعتبروا عرقاً سامياً مختلفاً عن الأعراق الأوروبية من الأصل "الهندي أوروبي". وقد أصبح هذا مصدراً جديداً للتمييز تجلّى أكثر ما تجلّى في قضية الظلم الذي تعرض له الضابط الفرنسي اليهودي دريفوس الذي حوكم بتهمة التجسس لصالح ألمانيا قبل أن تثبت براءته. وقد أدى هذا إلى موجة استنكار عامة في أوروبا وإلى صدمة في أوساط اليهود المتنورين الذين ما عادوا ينادون بالاندماج بالمجتمعات التي يعيشون فيها بل بدأوا بالطالبة بأن يكون لهم وطن قومي. وبما أنهم استندوا إلى التوراة لا على أساس أنه كتاب ديني بل على أساس أنه وثيقة تاريخية فقد شكلت فلسطين محور المشروع الصهيوني بصفتها أرض الميعاد التي طرد منها اليهود.

في هذا الوقت في أوروبا الشرقية كانت الإمبراطورية الروسية تشهد بدايات التغلغل الرأسمالي فيها وبدايات تصدع النظام الإقطاعي التقليدي الذي يتمحور حول الملكية والبناء الروس والكنيسة الأرثوذكسيّة. وكان عmad هذا التحول هو طبقة بورجوازية ناشئة في المدن تعتمد على التجارة والصناعة التي كانت في بداياتها في الإمبراطورية الروسية. وقد وجد اليهود في هذه الطبقة

البورجوازية الناشئة حليفاً طبيعياً لهم بحكم تعاطيهم التاريخي بقضايا الصياغة والمال، وقد أصبحت الطبقة البورجوازية في المدن هي عmad التمرد على المجتمع التقليدي الروسي المتتشكل من الملكية والإقطاع والكنيسة الأرثوذكسية، وقد عبرت حركات التمرد عن نفسها بتيارات قومية واشتراكية ستنتشر بالدرجة الأولى في مدينتي موسكو وسانкт بطرسبرغ. وبما أن اليهود كانوا جزءاً من حركة التمرد الاجتماعية هذه فلقد انضم كثيرون منهم إلى الحركات القومية الليبرالية والاشراكية ما يفسّر أن كثريين من قادة الثورة الليبرالية التي حدثت ضد القيصرية في شباط فبراير 1917 ومن ثم الثورة البولشفية في تشرين الثاني نوفمبر 1917 كانوا من اليهود. بنتيجة ذلك فلقد تحولت محاولات قمع حركات التمرد الاجتماعية هذه من قبل السلطات القيصرية إلى حملة عنصرية منظمة من اضطهاد اليهود طبعت العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر في الإمبراطورية الروسية ما سيؤدي إلى هجرة يهودية واسعة منها باتجاه ألمانيا والنمسا في وسط أوروبا ما سيساهم لاحقاً في نشوء الحركات الفاشية المعادية لليهود في هذين البلدين.

لاقت المجموعات الصهيونية عطفاً في العالم الغربي منذ نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر خصوصاً في فرنسا في ظل الثورة الفرنسية، حيث كان الإمبراطور نابليون بونابارت أول من فكر في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. لكن بعد أربعة عقود كانت بريطانيا ستتحول إلى القوة الاستعمارية الأولى الداعمة لفكرة إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وقد ترافق ذلك مع حركة الإحياء البروتستانتي في العالم الانغلوساكسوني والتي شهدت صعوداً جديداً للأصولية البروتستانتية في بريطانيا والولايات المتحدة وأوستراليا، والتي كانت ستركت على البعد النصي للإنجيل والتوراة والنظر إليهما على أنهما يشكلان وثيقة تاريخية لا نصاً دينياً رمزاً. وقد نتج عن ذلك في العام 1838 افتتاح قنصلية بريطانية في القدس، تلاها في العام 1839 إرسال كنيسة اسكتلندية لبعثة إلى القدس لتحري أحوال اليهود هناك. وقد أصدرت البعثة توصية إلى ملوك أوروبا للعمل على "إعادة اليهود" إلى فلسطين. وقد كثرت المراسلات خلال القرن التاسع عشر بين مجلس اللوردات والحكومة البريطانية من جهة والقنصلية البريطانية في القدس من جهة أخرى ومحورت حول إعادة اليهود إلى فلسطين. وفي العام 1877 كتب اللورد ديزرايلي وهو يهودي سيصبح أول رئيس وزراء يهودي لبريطانيا بأن المسألة اليهودية ترتبط بعودة اليهود إلى فلسطين وأنه خلال خمسين سنة يجب العمل على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يتجمع فيه نحو مليون يهودي وذلك تحت حماية بريطانيا العظمى.

في أواخر العقد السابع من القرن التاسع عشر مول أثرياء يهود من عائلتي روتشيلد ومونتيفيوري إقامة أول مستوطنة يهودية لهاجرين روس في الجليل في فلسطين. وقد لاقى هؤلاء اليهود معارضة شديدة من الطائفة اليهودية الحريدية التي كانت تعيش في القدس لسبب ديني هو اعتبارها أن عودة اليهود إلى فلسطين لا يجب أن تتم قبل ظهور المسيح المخلص من ناحية ولأسباب اقتصادية تعود إلى اعتماد هذه الطائفة الفقيرة على المساعدات التي كانت تأتيها من أوروبا وخوفها من تحويل هذه المساعدات إلى المستوطنين اليهود. بالتوازي مع ذلك فلقد ظهرت حركة بين يهود شمال أفريقيا المسماة السفارديم للهجرة إلى فلسطين وذلك بتمويل من أثرياء يهود مغاربة، وذلك منذ بدايات القرن التاسع عشر باتجاه مدينة يافا في فلسطين حيث احتللت مع يهود أتوا من شرق أوروبا. وفي العام 1878 تأسست أولى المستوطنات الكبيرة في فلسطين في بتاح تيكفا وروش بينا. في العام 1882 نفذت السلطات القيصرية حملة منظمة ضد اليهود في روسيا ما أدى إلى هرب مئات الآلاف منهم من أراضي الإمبراطورية وقد وصلت أعداد من هؤلاء اليهود إلى يافا إلا أنهم واجهوا ضائقاً اقتصادية دفعت معظمهم إلى الرحيل عن أرض فلسطين إلى الولايات المتحدة، إلا أن من بقي من هؤلاء المهاجرين أسس مستعمرة أو مستوطنة ريشون ليتزيون ومستوطنة زيخرون ياكوف. وفي الوقت نفسه بدأ مهاجر يهودي من أوروبا الشرقية هو اليغازار بن يهودا بالعمل على تحديد اللغة العربية لتصبح لغة المستوطنين اليهود في الأراضي الفلسطينية. ومع نهاية القرن التاسع عشر كان تعداد سكان فلسطين نحو ست مئة ألف نسمة من المسلمين والمسيحيين وعدد من اليهود من نحو 60 ألف يهودي.<sup>108</sup>

مع نهاية القرن التاسع عشر كانت الدولة العثمانية في مرحلة من الضعف الشديد، وكانت قد فقدت ولاياتها في شمال أفريقيا باستثناء ليبية، إضافة إلى فقدانها معظم ولاياتها في البلقان باستثناء ألبانيا ومقدونيا وترقية، ومعظم ولاياتها في القوقاز باستثناء أرمينيا، إضافة إلى فقدانها سيطرتها العملية منذ زمن طويل على مشيخات الخليج ومنطقة نجد. وكان الجميع يتحدث عن قرب اختفاء هذه الدولة عن الخريطة. وكانت الدولة العثمانية التي باتت تقتصر آنذاك على ألبانيا ومقدونيا وترقية وأرمينيا والهلال الخصيب والجهاز واليمن الشمالي تعاني من أزمة اقتصادية خانقة ومديونية عالية لصالح فرنسا بالدرجة الأولى وأيضاً لصالح بريطانيا. وكانت أجهزة الدولة نفسها تدار من قبل أجانب إذ كان سلاح البحرية يدار من قبل ضباط إنكليز فيما كان جهاز الشرطة يدار من قبل ضباط فرنسيين، أما الجيش فكان بقيادة ضباط ألمان. في ظل هذه

<sup>108</sup> عوني فرسخ، التحدى والاستجابة، ص. 210.

الظروف وجدت المجموعات الصهيونية فرصة لعقد مؤتمرها في بازل في العام 1897 مع إعلانها النية لإظهار نياتها بتوطين اليهود في أرض فلسطين وإقامة وطن قومي لهم هناك. وقد لعب الصحافي اليهودي النمساوي تيودور هرتزل دوراً رئيسياً في عقد المؤتمر. وكان هرتزل صحافياً تأثراً كثيراً بقضية الضابط الفرنسي دريفوس ما جعله مقتناً بضرورة أن يكون لليهود وطن قومي خاص بهم. لذا فلقد أصدر كتابه "الدولة اليهودية" في العام 1896 اتبعه بكتاب آخر بعنوان "الأرض القديمة الجديدة" في العام 1902. وقد اعتبر هرتزل في كتابه الأول أن قضية دريفوس هي التي أقنعته بضرورة أن يكون لليهود كيان خاص بهم لأن المجتمعات الغربية لن تقبل بهم أبداً.<sup>109</sup> وفي العام 1897 كان مؤتمر بازل في سويسرا قد عقد وصدر عنه مقررات تضمنت:

- إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.
- دعم المستوطنات الزراعية اليهودية في فلسطين إضافة إلى دعم الحرفيين والصناعيين اليهود.
- تدعيم الوعي بالهوية الوطنية اليهودية.
- السعي لإقناع الحكومات المختلفة بالأهداف الصهيونية بغية تحقيق الهدف بإقامة وطن قومي يهودي.

وقد أقرت هيكلية للمنظمة الصهيونية مع تنظيم اجتماعات سنوية لمتابعة جدول الأعمال الذي كان يعدل كل عام.<sup>110</sup>

ما أن أنهى تيودور هرتزل كتابة مؤلفه الأول حتى لاقى تأييداً من دوائر يهودية مختلفة حول العالم كان من ضمنها تأييد مهاجر بولندي إلى الدولة العثمانية هو الكونت فيليب ميكال نيولينسكي الذي سعى لتنظيم لقاء بين هرتزل والسلطان عبد الحميد، إلا أن هذا اللقاء لن يحصل قبل خمس سنوات من ذلك التاريخ، إلا أن الكونت تمكّن من الاستحصال لهرتزل على وسام من رتبة فارس من السلطان العثماني. وقد التقى هرتزل في العام 1896 بالصدر الأعظم العثماني وعرض عليه منح فلسطين لليهود في مقابل تسوية ديون الدولة العثمانية للدول الغربية، وقد كرر عرضه هذا للسلطان عبد الحميد شخصياً في العام 1901 إلا أن السلطان رفض. هذا دفع بهرتزل إلى

<sup>109</sup> عوني فرسخ، التحدي والاستجابة، ص.ص. 106 – 108.

<sup>110</sup> عوني فرسخ، التحدي والاستجابة، ص.ص. 155 – 158.

البحث عن بديل في القارة الأمريكية وفي أفريقيا حيث ظهرت اوغندة كوجهة محتملة لليهود لإقامة دولتهم هناك، إلا أن هذا الخيار لم يلق تأييداً من معظم الدوائر الصهيونية التي كانت لا تزال تتحمّل الفرص للاستئثار بفلسطين.<sup>111</sup>

## التحولات في الدولة العثمانية وعلى الصعيد الدولي

في العام 1905 وقعت ثورة في الإمبراطورية الروسية بعد الهزائم التي مُنيت بها على يد اليابان في العام السابق. لكن السلطات القيصرية تمكنت من قمع هذه الثورة واتبعتها بموجة اضطهاد لليهود الذين انضوى كثيرون منهم في صفوف الثورة ضد السلطات القيصرية. هذا أدى إلى موجة هجرة جديدة من أراضي الإمبراطورية الروسية باتجاه وسط أوروبا وغربها. وقد اتجه جزء من هؤلاء اليهود إلى أرض فلسطين وقد أسس عدد من هؤلاء اليهود المهاجرين بلدة سموها تل أبيب، فيما أسس آخرون الجامعة العبرية في القدس إضافة إلى عدد من المدارس. وفي العام 1909 تأسست أول مستوطنة تعاونية في الجليل بالقرب من طبرية هي كيبوتس ديجانيا. وقد تأثرت جماعة الهجرة الثانية بالمثل الاشتراكية نتيجة احتكارهم بالتيارات الماركسية في روسيا ما جعلهم يعتمدون نماذج اشتراكية في المستوطنات الزراعية التي أقاموها. في هذا الوقت كان هرتزل قد توفي وخلفه في زعامة الحركة الصهيونية الدكتور في الكيمياء حاييم وايزمان.

في العام 1914 اندلعت الحرب العالمية الأولى، وقد اختارت الدولة العثمانية التي كانت قد أضحت تحت حكم جمعية الاتحاد والترقي بعد الانقلاب على السلطان عبد الحميد، أن تنضم إلى ألمانيا والنمسا في حربهما ضد بريطانيا وفرنسا والإمبراطورية الروسية. وكانت جمعية الاتحاد والترقي قد اختارت اعتماد مشروع قومي طوراني عنصري ما أدى إلى تعميق الحركة الاستقلالية بين السكان العرب في الإمبراطورية والذين كانت قد بدأت تتغلغل في صفوفهم الأفكار القومية العربية. القومية العربية ترجع بدايتها كتيار سياسي إلى العام 1798، تاريخ حملة نابليون بونابرت على مصر. والتي كان لها كبير الأثر في زعزعة ثقة المسلمين بنظامهم السياسي لأول مرة، حيث تعرفوا عن طريقها إلى أفكار وقيم جديدة لم يعرفوها من قبل. وكان القرن الثامن عشر بداية تقهقر وتراجع الإمبراطورية العثمانية وضعفها، خاصة على المستوى العسكري، بعد أن نجحت في ما سبق في الدفاع وحماية الأراضي الإسلامية ضد الأطماع التوسعية للغرب، الأمر الذي دفع بالنخب الفكرية

<sup>111</sup> عوني فرسخ، التحدى والاتسجابة، ص.ص. 108 – 109.

والسياسية فيها إلى أن تكون واعية لهذه التطورات، وأن الوقت قد حان لبدء التغيير. وترجع بدايات محاولات التجدد العثماني إلى القرن الثامن عشر، حيث عملت الحكومات العثمانية على إيجاد طرق وحلول تستطيع من خلالها استعادة تفوقها وقوتها العسكرية للوقوف في وجه الأطماع الغربية، وذلك من خلال البعثات العسكرية التي أوفدتها إلى أوروبا. إلا أن هذه البعثات لم تتحقق الغاية المرجوة منها، وذلك بسبب ندرتها واقتصرارها على النخب العسكرية. وقد ساهمت حملة نابليون في تعرّف العرب المصريين على القيم الغربية من خلال اتصالهم المباشر معهم، مثل: المساواة والحرية والتي كان لها دور في جذب العلماء إلى هذه الأفكار، وفتحت المدارس والأكاديميات التي جاءت متوافقة مع المنهج الفرنسي. وكانت هذه هي أهداف الحملة، التي صرّح عنها بونابرت.

وبعد بونابرت، تسلّم مقاليد الحكم في مصر محمد علي باشا، حيث عمل على استقلالها عن الإمبراطورية العثمانية، وذلك عن طريق أخذ موافقة المصريين وتأييدهم له، وبني شعاراته على ضرورة استقلال البلدان العربية من الحكم العثماني. وانتشر بعدها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الشعور بالقومية العربية وبشكل خاص في سوريا، وذلك لعوامل عدّة. وكان التطور الذي حصل في مجال الثقافة والتاريخ بالغ الأثر في جعل العرب يفخرون بهويتهم العربية. كما أن الضعف الذي أصاب جسم الإمبراطورية العثمانية وتراجع هيمنتها، كان سبباً في انتشار القيم الغربية، بالإضافة إلى الأفكار القومية التي انتشرت أيضاً وسط الشعوب الواقعة تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية. فضلاً عن الدور المهم للمسيحيين العرب في عملية إحياء الهوية العربية والمحافظة عليها. وفي العام 1908، زاد التأييد والانتشار للقومية العربية على إثر حادثة انقلاب "جمعية الاتحاد والترقي" التركية، التي كانت سبباً في عودة العمل بالدستور الذي سبق وأصدره من قبل السلطان عبد الحميد في العام 1876، وبحسبه تولّت "جمعية الاتحاد والترقي" مقاليد السلطة. وقد ازداد التأييد لفكرة القومية العربية، بسبب السياسات التي انتهجتها "جمعية الاتحاد والترقي"، حيث عمدت إلى فرض الهوية التركية على جميع الشعوب التي تقع تحت سيطرتها، وبشكل خاص بعد الهزائم التي مُنيت بها في منطقة البلقان عامي 1912-1913، والتي كانت سبباً في إحداث ردة فعل في الأوساط القومية التركية ودفعها إلى المحافظة على ما بقي من الإمبراطورية العثمانية. لكن، سياسة "الترريك" هذه، كانت دافعاً قوياً للعرب لاتخاذ موقف معارض وقوى

ضدّها، فعملوا على تنظيم أنفسهم ضمن هيئات اجتماعية ومجموعات، طالبت بعضُ منها بالحكم الذاتي، والبعض الآخر طالب بالاستقلال التام عن الحكم العثماني.<sup>112</sup>

عملت الحرب العالمية الأولى في الإسهام في فتح مرحلة جديدة في ما يتعلق بتاريخ القومية العربية. وكانت فترة حكم جمال باشا "الحاكم العسكري العثماني" في سوريا، سبباً في تعزيز فكرة الحركة القومية العربية.<sup>113</sup> لذا قام البريطانيون والفرنسيون بالتعاون مع ناشطين ومفكرين عرب، في إعداد ثورة وتنظيمها في سوريا، حيث كان يفترض قيامها مع حدوث غزو فرنسي - إنكليزي لمنطقة الساحل السوري. لكنها فشلت بسبب قيام جمال باشا بالعمل على نقل القوات العربية إلى شبه جزيرة "غالبولي"، بالإضافة إلى اتخاذه تدابير.<sup>114</sup> الأمر الذي كان سبباً في إشعال فتيل الثورة في منطقة الحجاز في العاشر من يوليو/تموز سنة 1916، بقيادة حاكم مكة الشرف حسين.<sup>115</sup>

تمكّن الشريف حسين والقوميون العرب وبالتعاون مع الحلفاء من أن يسيطروا سيطرتهم على جميع الأراضي العربية التي كانت واقعة سابقاً تحت النفوذ العثماني. لكن الأمر لم يتوقف هنا، فسرعان ما نشب صراعٌ وخلاف مصالح بين الفرنسيين والبريطانيين من ناحية، وبين الشريف حسين من ناحية أخرى، يُضاف إليها الصراع القائم بين البريطانيين والفرنسيين في ما بينهم على تقاسم مناطق النفوذ، الأمر الذي حال دون تحقيق القوميين العرب حلمهم في إقامة دولتهم القومية ضمن الأراضي العربية التي كانت واقعة تحت الحكم العثماني.<sup>116</sup> لكن العرب لم يوافقو على ما أصاب بلدانهم من تجزئة وتقسيم، فظلت شريحة كبرى منهم تتطلع إلى إقامة دولة موحدة.<sup>117</sup> ونرجع هنا إلى ما قاله جون كوتسيك عن "الحدود التي نجمت عن الاستعمار والتي اتّخذت شكل

---

Laurens, Henry: *l'Orient Arabe, Arabisme et Islamisme de 1798 à 1945* , Armand Colin, Paris, 2000.<sup>112</sup>

p.132

<sup>113</sup> المصدر نفسه ص. 133.

Tibawi: *A Modern History of Syria*, Macmillan St Martin, 1st edition, London, 1969, p.231.<sup>114</sup>

<sup>115</sup> قدرى قلعي، الثورة العربية الكبرى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت 1993 ص. 229

<sup>116</sup> بين عامي 1918 و1920 خاض السوريون نضالاً ضد المطامع الفرنسية والبريطانية ولفرض إرادتهم بإقامة مملكة عربية بقيادة الملك فيصل. وقد انتهى هذا النضال بمعركة ميسلون واحتلال الفرنسيين دمشق في يوليو من العام 1920.

Ajami, Fouad: *The End of Pan Arabism*, Foreign Affairs, vol 11, No 2, 1978/9, p.335.<sup>117</sup>

دول قومية بالمعنى القانوني، ولكن ليس بمعنى الأوطان". الأمر الذي أدى إلى قيام ما يُعرف بـ "القومية الإدارية".<sup>118</sup>

ما إن انتُزعت سوريا من السلطنة العثمانية حتى سارع الأمير فيصل إلى فرض حكمه على دمشق، مطالباً بملكية تضم بلاد الشام كاملة، تكون عاصمتها دمشق، على أن تشمل ولاية حلب ودير الزور ودمشق إضافة إلى جبل لبنان وفلسطين. وتمكن فيصل، في البداية، من تحقيق معظم أهدافه باستثناء فرض حكمه على لبنان وفلسطين، إذ منعه الفرنسيون من مد سلطته إلى جبل لبنان ومنطقتي بيروت وطرابلس في حين حال البريطانيون دون بسط سلطته على فلسطين. وبما أن الحرب انتهت، بات الفرنسيون يطمحون إلى نيل حصتهم من غنائم الحرب في المشرق. ووفقاً لاتفاق سايكس - بيکو، شمل النفوذ الفرنسي ما سيُعرف لاحقاً بلبنان الكبير وسوريا وكيليكيا وولاية الموصل، شمال العراق. بعد ذلك تخلّى الفرنسيون عن كيليكيا لمصطفى كمال وعن الموصل للبريطانيين، ليكتفوا بلبنان وسوريا، ورفضوا الاعتراف بحكومة فيصل. ومع حلول قموز/يوليو 1920 اجتاحتوا دمشق وفرضوا الانتداب على لبنان وسوريا.<sup>119</sup> وما إن احتلّ الفرنسيون سوريا حتى بدأوا بفرض تصوراتهم لخريطةها السياسية الجديدة. وقد اعتمدت السياسة الفرنسية على تعزيز وضع المسيحيين كحلفاء وشركاء اقتصاديين في المنطقة. وحدّد هذا تصوّرهم لسوريا على أنها مجتمع مشرذم بحسب المجموعات الطائفية، فقسموها بالتالي دواليات عدّة، فأنشأوا دولة جبل الدروز في منطقة جبل حوران، ودولة علوية على الساحل لمنع السنة من الوصول إلى المتوسط، ودولتين سنيتين واحدة في دمشق وأخرى في حلب، بهدف خدمة سياستهم الاستعمارية القائمة على مبدأ فرق تسد.<sup>120</sup> وحاول الفرنسيون إثارة النعرات الطائفية عقب احتلالهم سوريا لتبرير وجودهم فيها وانتدابهم عليها.<sup>121</sup>

<sup>118</sup> كلوتسكي كما ورد في Bassam Tibi, *Arab Nationalism, a critical enquiry*, Tr. par Marion Farouk-Shiyett et Peter Sniggett, MacMillan Press, London, 1981, p.19.

<sup>119</sup> *Zeine Zeine, the struggle for Arab Independence*, Beirut: Khayat, 1960.

<sup>120</sup> نصري الصايغ: عبد الحميد كرامي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ص. 121 - 120.

<sup>121</sup> Michael Province: *The Great Syrian Revolt and the Rise of Arab Nationalism*, Austin: University of Texas Press, 2005. P. 17.

## الحركة الصهيونية وال الحرب العالمية الأولى

على اعتاب الحرب العالمية الأولى كانت الحركة الصهيونية قد حققت انتشاراً واسعاً في صفوف التجمعات اليهودية في العالم. وكانت الدوائر الصهيونية قد تعزّزت خصوصاً في الولايات المتحدة التي لجأ إليها أثرياء اليهود ووظفوا أموالهم في القطاع المصرفي هناك وصولاً إلى السيطرة عليه. وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى أبدى زعماء الصهيونية العالمية استعدادهم لمساعدة من يدعم طموحاتهم في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين. وبما أنّ ألمانيا والنمسا كانتا متحالفتين مع الدولة العثمانية التي كان سلطانها قد رفض إعطاء هرتزل فلسطين، فلقد مال الصهاينة إلى صف الحلفاء وعززوا علاقاتهم ببارئ المسؤولين الفرنسيين والبريطانيين والأميركيين، وكان من أبرز هؤلاء اللورد أرثر بلفور الذي سيصدر وعده الشهير للصهاينة بإعطائهم فلسطين في رسالة أبرق بها إلى اللورد روتتشيلد في 2 تشرين الثاني نوفمبر 1917. وقد جاء في الرسالة أن:

«تنظر حكومة صاحبة الجلالة بعين العطف إلى إقامة وطن قومي للشعب اليهودي، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتي بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر». <sup>122</sup>

وقد جاء الوعود الشهير بعد أسبوعين قليلة من اختراق الجنرال اللبناني دفاعات الجيش العثماني في العريش واحتلاله مدينة القدس. وكان أحد أسباب صدور القرار، إضافة إلى تعاطف اللورد بلفور والقيادات البريطانية مع الحركة الصهيونية، هو مكافأة الصهاينة في الولايات المتحدة على الدور الذي لعبوه في إقناع واشنطن بالدخول في الحرب العالمية الأولى إلى جانب الحلفاء.

## فلسطين تحت الانتداب البريطاني

في أواخر العام 1918 كانت الدولة العثمانية قد هُزمت وبركان صراع قد بدأ بين العرب من جهة والبريطانيين والفرنسيين من جهة أخرى. وكان الأمير فيصل بن الحسين قد احتل دمشق بقواته وأرسل بيارقه إلى بيروت. لكن الفرنسيين الذين كانوا قد أنزلوا قواتهم على الساحل اللبناني

<sup>122</sup> عوني فرسخ، التحدي والاستجابة، ص.ص. 248 – 249

عرقلوا مساعي فيصل لفرض سلطته على لبنان. بعد أشهر قليلة في بداية العام 1919 عقد المؤتمر السوري العام الذي أعلن سوريا بما فيها سوريا ولبنان وفلسطين والأردن وكيليكيا مملكة بقيادة فيصل الذي اختير ملكاً عليها. لكن فرنسا رفضت مقررات المؤتمر مطالبة بالحصة التي اتفقت عليها مع بريطانيا في سوريا ولبنان. هذا دفع بفيصل إلى التوجه لفرنسا لحضور جلسات مؤتمر فرنسا، إلا أن الفرنسيين منعوه من ذلك، فتوجه إلى لندن حيث التقى بمسؤولين بريطانيين نصحوه بالتفاهم مع الحركة الصهيونية لتسهيل مطالبه في ما يتعلق بملكته. هنا كان اللقاء مع زعيم الحركة الصهيونية حاييم وايزمان واتفاقه معه على الاعتراف بطالب الصهاينة في فلسطين في مقابل مساعدته في مطالبه في سوريا. وقد أبقى فيصل هذا الاتفاق سراً عن حكومته في سوريا. وفي ما يلي نص البيان العربي:

إن الأمير فيصل ممثل المملكة العربية الحجازية والقائم بالعمل نيابة عنها والدكتور حاييم وايزمن ممثل المنظمة الصهيونية والقائم بالعمل نيابة عنه، يدركان القرابة الجنسية والصلات القديمة القائمة بين العرب والشعب اليهودي ويتحقق أن أضمن الوسائل لبلغ غاية أهدافهما الوطنية هو في اتخاذ أقصى ما يمكن من التعاون سبيل تقدم الدولة العربية وفلسطين ولكونهما يرغبان في زيادة توطيد حسن التفاهم الذي بينهما فقد اتفقا على الموارد التالية:

- 1 يجب أن يسود جميع علاقات والتزامات الدولة العربية وفلسطين أقصى النيات الحسنة والتفاهم المخلص. وللوصول إلى هذه الغاية تؤسس ويحتفظ بوكالات عربية ويهودية معتمدة حسب الأصول في بلد كل منها.
- 2 تُحدد بعد إتمام مشاورات مؤتمر السلام مباشرة الحدود النهائية بين الدول العربية وفلسطين من قبل لجنة يتفق على تعينها من قبل الطرفين المتعاقدين.
- 3 عند إنشاء دستور إدارة فلسطين تتخذ جميع الإجراءات التي من شأنها تقديم أوفى الضمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية المؤرخ في اليوم الثاني من شهر نوفمبر سنة 1917.
- 4 يجب أن تتخذ جميع الإجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مدى واسع والحت عليها وبأقصى ما يمكن من السرعة لاستقرار المهاجرين في الأرض عن طريق الإسكان الواسع والزراعة الكثيفة. ولدى اتخاذ مثل هذه الإجراءات يجب أن تحفظ حقوق الفلاحين والمزارعين المستأجرين العرب ويجب أن يساعدوا في سيرهم نحو التقدم الاقتصادي.

5- يجب أن لا يسنّ نظام أو قانون يمنع أو يتدخل بأي طريقة ما في ممارسة الحرية الدينية، ويجب أن يسمح على الدوام أيضاً بحرية ممارسة العقيدة الدينية والقيام بالعبادات دون تمييز أو تفضيل ويجب أن لا يطالب قط بشروط دينية لمارسة الحقوق المدنية أو السياسية.

6- إن الأماكن الإسلامية المقدسة يجب أن توضع تحت رقابة المسلمين.

7- تقترح المنظمة الصهيونية أن ترسل إلى فلسطين لجنة من الخبراء لتقوم بدراسة الإمكانيات الاقتصادية في البلاد وأن تقدم تقريراً عن أحسن الوسائل للنهوض بها وستضع المنظمة الصهيونية اللجنة المذكورة تحت تصرف الدولة العربية بقصد دراسة الإمكانيات الاقتصادية في الدولة العربية وأن تقدم تقريراً عن أحسن الوسائل للنهوض بها وستستخدم المنظمة الصهيونية أقصى جهودها لمساعدة الدولة العربية بتزويدها بالوسائل لاستثمار الموارد الطبيعية والإمكانيات الاقتصادية في البلاد.

8- يوافق الفريقان المتعاقدان أن يعملا بالاتفاق والتفاهم التامين في جميع الأمور التي شملتها هذه الاتفاقية لدى مؤتمر الصلح.

9- كل نزاع قد يُثار بين الفريقين المتنازعين يجب أن يُحال إلى الحكومة البريطانية للتحكيم.

وقد في لندن، إنجلترا في اليوم الثالث من شهر جانفي سنة 1919.<sup>123</sup>

في هذا الوقت كانت الحركة الصهيونية تستغلّ تعاطف سلطات الاحتلال البريطاني في فلسطين معها لإقامة أمر واقع يسهل مهمتها في طرد السكان العرب من فلسطين وإقامة وطن قومي يهودي على أرضها.<sup>124</sup> وكان تعين هربرت صامويل كأول مندوب سامٍ على فلسطين، وهو المعروف بتأييده للحركة الصهيونية، يأتي في سياق رغبة الحكومة البريطانية في دعم الحركة الصهيونية في فرض أمر واقع في فلسطين يؤدي إلى إقامة وطن قومي يهودي فيها.<sup>125</sup> وفي أواخر العام 1921 عقد المؤتمر الصهيوني العام في كارلسbad في تشيكوسلوفاكيا بحضور 450 مندوباً من مختلف أنحاء العالم يمثلون نحو 800 ألف عضو في المنظمة الصهيونية. وقد تم انتخاب حاييم وايزمان رئيساً للمنظمة الصهيونية اعترافاً له بجهوده للاستحصال على وعد بلفور من الحكومة البريطانية. وبعد أشهر قليلة اعترفت عصبة الأمم بالمنظمة الصهيونية وتبنّت برنامجها لإقامة وطن

<sup>123</sup> عوني فرسخ، التحدي والاستجابة، ص.ص. 277 – 278.

<sup>124</sup> عوني فرسخ، التحدي والاستجابة، ص.ص. 289 – 290.

<sup>125</sup> عوني فرسخ، التحدي والاستجابة، ص.ص. 321 – 323.

قومي لليهود في فلسطين.<sup>126</sup> وفي العشرينيات وأوائل الثلاثينيات من القرن الماضي تكشفت الهجرة اليهودية باتجاه فلسطين نتيجة الأزمات الاقتصادية التي عصفت بألمانيا وأوروبا الشرقية ومن ثم نتيجة صعود الحركة النازية في ألمانيا والفاشية في إيطاليا ومعاداتها لليهود وتحميلها لهم المسؤلية في هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى.

## الحركة الوطنية الفلسطينية

في الوقت الذي كانت الحركة الصهيونية تحقق تقدماً تلو الآخر في سبيل تحقيق مشروعها في انتزاع فلسطين من يد أهلها العرب، فلقد وعى شعب فلسطين مخاطر هذا المشروع على مستقبلهم، فواجهوه منذ بداياته. وستنقسم مراحل النضال الفلسطيني ضد الحركة الصهيونية في النصف الأول من القرن العشرين إلى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى ومتدة منذ الاحتلال البريطاني لفلسطين وحتى العام 1936، والمرحلة الثانية والتي شهدت ثورة مسلحة في فلسطين وامتدت لثلاث سنوات حتى العام 1939، ثم المرحلة الثالثة والتي امتدت منذ العام 1939 وحتى النكبة التي شهدت ضياع معظم أرض فلسطين وتأسيس الصهاينة لدولة إسرائيل. وقد تميّزت هذه المرحلة بتبوء قيادات تقليدية مقايل الزعامة الفلسطينية وعلى رأسها المفتى أمين الحسيني ومعه قادة من آل الحسيني وسلامة وغيرهم.

وقد ولد المفتى أمين الحسيني في العام 1895 في القدس لعائلة الحسيني الشهيرة التي تعود بنسبها إلى الإمام علي صهر النبي محمد والتي درج أفرادها على تبوء المناصب الإدارية والدينية في القدس. وقد تلقى تعليمه الأساسي في المدينة، حيث درس العلوم الدينية والتحق بمدرسة الفرير الإرسالية الفرنسية ليتقن اللغة الفرنسية قبل الانتقال إلى مصر، حيث تابع دروسه في الأزهر الشريف ثم في مؤسسة دار الدعوة والإرشاد الدينية الشهيرة التي كان قد أسسها الداعية الإسلامي الشهير رشيد رضا. وخلال الحرب العالمية الأولى التحق الحاج أمين الحسيني بالجيش العثماني وقاتل في صفوفه لأشهر عدة قبل عودته إلى القدس بسبب مرض ألم به. وعند اندلاع الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين انشقَّ عن الجيش العثماني والتحق بالجيش الشرفي الذي كان يقاتل إلى جانب البريطانيين ضد العثمانيين. وبعد سقوط القدس وفلسطين تحت الاحتلال البريطاني وإعلان وعد بلفور تزعم الحاج أمين الحسيني حركة المقاومة للمشروع البريطاني الصهيوني. وفي العام 1918 كان من أبرز الدعاة والمشاركين في المؤتمر العربي الفلسطيني الأول

<sup>126</sup> عوني فرسخ، التحدي والاستجابة، ص.ص. 291 – 296

الذي دعا إلى مقاومة المشروع الصهيوني في فلسطين.<sup>127</sup> وقد نظم وقاد التظاهرات الفلسطينية ضد الانتداب البريطاني والمشروع الصهيوني بدءاً من العام 1920 فأصدرت السلطات البريطانية قراراً باعتقاله، لكن الشباب الفلسطينيين هاجموا القافلة وتمكنوا من إطلاق سراح الحاج الحسيني الذي فر إلى سوريا وحكم بالسجن غيابياً لخمسة عشر عاماً.<sup>128</sup> لكن بعد أشهر قليلة صدر عفو عنه فعاد إلى القدس وما هي إلا أسبوع قليلة حتى توفي شقيقه الذي كان مفتياً للقدس فتم انتخاب الحاج أمين الحسيني خلفاً له كمفتي القدس والديار الفلسطينية. وسيتصدر المفتى الحاج أمين الحسيني النضال ضد الحركة الصهيونية طوال العشرينات والثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي.

## ثورة العام 1936

مع بداية الثلاثينيات تفاقمت مشكلة الهجرة اليهودية إلى فلسطين نتيجة الأزمة الاقتصادية التي عصفت بالولايات المتحدة وأوروبا الغربية ما جعلهما غير قادرتين على استيعاب هجرات جديدة إليها فحُرم يهود أوروبا الشرقية من القدرة على الهجرة إلى هناك. وفي الوقت نفسه أدت الأزمة الاقتصادية إلى مشاكل عرقية في شرق أوروبا ووسطها وإلى صعود النازية التي كانت تعادي اليهود وتحملهم مسؤولية الأزمات كافة ما جعل عشرات الآلاف من اليهود يهربون باتجاه فلسطين، حيث لاقوا ترحيباً من سلطات الانتداب على حساب أهل فلسطين.<sup>129</sup> وقد أثرت الأزمة الاقتصادية أيضاً على البلدان الواقعة تحت الحكم الأوروبي ومنها فلسطين التي تفاقم وضع البطالة فيها، خصوصاً في صفوف العمال العرب في ظل هجرة كثيفة من الريف إلى المدينة. وقد ترافق ذلك مع تصاعد دور الحركات الوطنية في البلدان العربية الخاضعة للسيطرة الفرنسية والبريطانية، خصوصاً في سوريا ولبنان التي تمكن قادتها من توقيع اتفاقيات مع سلطات الانتداب الفرنسي ينال بموجبها البلدان استقلالهما بعد مرحلة انتقالية. وقد شجع ذلك القادة الفلسطينيين على تصعيد حركتهم ضد سلطات الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية الاستيطانية في فلسطين. وقد بدأت المظاهرات تتطلق بدءاً من العام 1935 ضد سلطات الانتداب وسياستها الرامية إلى تكين الصهاينة من الإمساك بتفاصيل الاقتصاد الفلسطيني من مؤسسات عامة وشركات كهرباء

<sup>127</sup> عوني فرسخ، التحدي والاستجابة، 306 – 309.

<sup>128</sup> عوني فرسخ، التحدي والاستجابة، ص.ص. 312 – 314.

<sup>129</sup> عوني فرسخ، التحدي والاستجابة، ص.ص. 441 – 445.

وماء وغيرها من مفاصل السلطة، ووقف أعمال تملك الصهاينة للأراضي العامة والمشاعية وتشكيل سلطة وطنية فلسطينية تمثل العرب الذين يشكلون الغالبية الساحقة من السكان.<sup>130</sup> وقد تصاعدت الحركة وصولاً إلى إعلان الإضراب العام في فلسطين وتشكيل لجنة عليا فلسطينية بقيادة المفتى الحاج أمين الحسيني والتي ستتصبح لاحقاً الهيئة العربية العليا. وقد ضمت اللجنة وجهاء العائلات المقدسية مثل أحمد حلمي عبد الباقي والدكتور فخرى الخالدي وراغب النشاشيبي والجاج يعقوب الغصين وعوني عبد الهادي والفرد روك ويعقوب فراج وعبد اللطيف صلاح وفؤاد سابا وجمال الحسيني. وما لبست الحركة التي بدأت سلمية أن تحولت ثورة مسلحة شهدت هجمات على مراكز الشرطة البريطانية والجنود البريطانيين وثكناتهم ومكاتب موظفي الانتداب والمستوطنات الصهيونية وغيرها.

ففي أواخر نيسان أبريل 1936 تداعى عدد من الشبان في نابلس لتشكيل لجنة قومية للدعوة مجدداً للإضراب على أن يستمر حتى تستجيب السلطات البريطانية لكافة المطالب الوطنية الفلسطينية. وفي 25 نيسان أبريل التقت المجموعة بالجاج أمين الحسيني وأخذت مباركته لمشروعها، وما لبست الثورة أن عممت كافة المدن والقرى الفلسطينية. وقد بدأ الإضراب في مدينة يافا والتي كانت أبرز مدينة اقتصادية وإدارية في فلسطين آنذاك. وقد تمثلت المطالب الفلسطينية بوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومنع انتقال ملكية الأرض إلى اليهود وتشكيل حكومة وطنية فلسطينية تمثيلية. وقد استمر الإضراب لستة أشهر وأدى إلى شلل كامل في النشاطات الاقتصادية الصناعية والتجارية والزراعية والمواصلات كافة، إضافة إلى الامتناع عن دفع الضرائب لسلطات الانتداب.<sup>131</sup> وما لبث الإضراب أن أخذ شكل ثورة مسلحة مع تشكيل مجموعات مسلحة من قبل الثوار ومحاجمتهم لثكنات ومقار وأرفاد الجنود البريطانيين والمليشيات الصهيونية، علماً أن بدايات العام كانت قد شهدت تشكيل مجموعة بقيادة الشيخ عز الدين القسام إلا أنه استشهد في أول مواجهة عسكرية مع السلطات البريطانية، لكن مجموعته بقيت تناضل تحت قيادة فرحان السعدي. وقد بلغ عدد الثوار الآلاف، وبدأ متقطعون عرب يتواجدون إلى فلسطين للقتال إلى جانب الثوار كان أبرزهم الضابط الشهير فوزي القاوقجي الذي كان ضابطاً في الجيش العثماني وقاتل في هذا الجيش حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ثم كان له دور في الثورة السورية الكبرى حين قاد مجموعات من الثوار في منطقة حماة ضد الانتداب الفرنسي وذلك في العام 1925 قبل أن يأتي إلى فلسطين في صيف العام 1936 لتنظيم المقاومة المسلحة ضد السلطات البريطانية بدعوة من الحاج

<sup>130</sup> عوني فرسخ، التحدي والاستجابة، ص.ص. 525 – 528.

<sup>131</sup> عوني فرسخ، التحدي والاستجابة، ص.ص. 541 – 529.

أمين الحسيني. وقد أصبح القاوقجي هو القائد العام للثورة. وقد كبد الثوار القوات البريطانية مئات القتلى والجرحى إضافة إلى مئات القتلى والجرحى من الصهاينة في مقابل سقوط نحو 800 شهيد منهم ونحو ألفي جريح. كذلك بلغت الخسائر الاقتصادية لسلطات الانتداب نحو 4 ملايين جنيه استرليني ما يُعد مبلغًا ضخماً نسبياً لأسعار تلك الأيام.<sup>132</sup> هذا دفع بالحكومة البريطانية إلى إرسال لجنة لتقسيم الحقائق برئاسة اللورد بيل وقد وعدت اللجنة بالاستجابة لكافة المطالب العربية. وقد ضغطت السلطات البريطانية على الحكام العرب في المملكة العربية السعودية والعراق واليمن وشرق الأردن لتوجيهه نداء إلى قيادة الثوار بالقبول بوقف الإضراب؛ وهو ما جرى. فاستجاب قادة الهيئة العربية العليا معتقدين بأن البريطانيين استجابوا لمطالبهم.<sup>133</sup>

بعد توقف الإضراب قامت لجنة بيل بعملية تقسٌ للحقائق في فلسطين انتهت بعدها في حزيران يونيو 1927 إلى توصية رفعتها للحكومة البريطانية تدعو إلى تقسيم فلسطين إلى دولتين واحدة يهودية وأخرى عربية مع إبقاء الأماكن المقدسة ومدينة يافا تحت الانتداب البريطاني.<sup>134</sup> هذا أدى إلى اثارة غضب العرب الذين اندفعوا إلى الشوارع في موجة سخط عارمة ستؤدي مجددًا إلى اندلاع الثورة المسلحة في أيلول سبتمبر 1927. ففي 26 أيلول سبتمبر 1937 قامت مجموعة القسام باغتيال حاكم منطقة الجليل لويس يولاند اندرز، وكان الحادث أول استهداف لموظفي بهذه الرتبة العالية لسلطات الانتداب. وكانت هذه السلطات تنتظر تأججاً للثورة بعد التوصيات التي أصدرتها لجنة بيل فقامت بُعيد أيام قليلة بحل الهيئة العربية العليا وإلقاء القبض على بعض أفرادها ونفيهم إلى جزر سيشيل، ومحاولة اعتقال المفتي أمين الحسيني الذي تمكّن من الفرار إلى لبنان، وإقالته من رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى، وإصدار الأوامر للقطعات المسلحة البريطانية باللجوء إلى القمع الشديد ضد الثوار والحركة الوطنية الفلسطينية.<sup>135</sup> في المقابل أعاد الثوار تنظيم أنفسهم في مجموعات عديدة وبدأوا يهاجمون القوات البريطانية والصهيونية، وعمّت الثورة كافة الأراضي الفلسطينية. وتمكّن الثوار من تشكيل لجان إدارية لإدارة المناطق التي يسيطرون عليها. وقد شُكلت في لبنان وسوريا لجان دعم للثوار في فلسطين تحت إشراف المفتي أمين الحسيني نفسه. وقد استمرت الثورة إلى أيار مايو 1939 وأجبرت الحكومة البريطانية على إعلان الكتاب الأبيض وإعلان عدّها بمنح فلسطين الاستقلال خلال فترة عشرة أعوام. وقد تضمن الكتاب الأبيض

<sup>132</sup> عوني فرسخ، التحدي والاستجابة، ص.ص. 542 – 551.

<sup>133</sup> عوني فرسخ، التحدي والاستجابة، ص.ص. 563 – 574.

<sup>134</sup> عوني فرسخ، التحدي والاستجابة، ص.ص. 575 – 583.

<sup>135</sup> عوني فرسخ، التحدي والاستجابة، ص.ص. 614 – 618.

التخلّي عن فكرة تقسيم فلسطين والقبول بإقامة حكم موحّد فيها للعرب واليهود يتم تمثيلهم فيه وفقاً للنسبة المئوية للسكان وتقليل الهجرة اليهودية إلى 10000 في العام على أن تربط بالموافقة العربية. وكانت بريطانيا بحاجة لمهادنة الثوار نتيجة تحسبها لصعود نفوذ أدولف هتلر في ألمانيا وتصاعد احتمالات الحرب في أوروبا.<sup>136</sup> وقد عد الكتاب الأبيض أكبر انتكasaة تتعرّض لها الحركة الصهيونية منذ بداياتها.<sup>137</sup> لكن ما هي إلا أشهر قليلة واندلعت الحرب العالمية الثانية وتولى وينستون تشرشل المؤيد للحركة الصهيونية رئاسة الوزارة في بريطانيا. وما ان بدأ مهامه حتى أعلن تراجع بريطانيا عن التزامها بالكتاب الأبيض.<sup>138</sup>

بنتيجة الأكلاف التي تكبّدها الشعب الفلسطيني خلال ثورته الكبرى، ونتيجة قبول قياداته بالتسوية التي طرحتها بريطانيا عبر الكتاب الأبيض، إضافة إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية ودخول المناطق الخاضعة للسيطرة البريطانية في ظل الأحكام العرفية، فلقدت همدت الثورة في فلسطين فيما انتقل الحاج أمين الحسيني إلى ساحات أخرى يناضل منها من أجل القضية الفلسطينية. فمع انطلاق الحرب العالمية الثانية قررت السلطات الفرنسية اعتقاله لاشتباها بوجود علاقات بينه وبين ألمانيا النازية. فانتقل المفتى إلى العراق حيث بقي هناك حتى تاريخ اندلاع ثورة رشيد عالي الكيلاني التي كان له دور في إطلاقها وتنسيق الدعم الألماني لها عبر سوريا ولبنان اللذين كانا قد وقعا تحت سلطة نظام فيشي الفرنسي المتعاون مع الاحتلال الألماني لفرنسا. وبنتيجة فشل الثورة في العراق انتقل إلى طهران لينتقل منها سراً إلى تركيا فألمانيا، حيث التقى مع الزعيم الألماني أدولف هتلر وكبار المسؤولين في ألمانيا النازية. وقد اعتبر المفتى أن تقدم قوات المحور في الحرب العالمية الثانية ممكّن أن يدعم نضال العرب من أجل نيل الاستقلال عن الاستعمار البريطاني والفرنسي الذي كان يهيمن على الدول العربية منذ نهاية القرن التاسع عشر، كما يدعم نضال الشعب الفلسطيني ضد الحركة الصهيونية المدعومة من الاستعماريين البريطاني والفرنسي. وبنتيجة لقاءه مع قائد الاستخبارات الألمانية هينريخ هيمлер تقرّر تنظيم قوات عربية ومسلمة لقتال إلى جانب قوات المحور وتشكّل في ما بعد نواة جيش التحرير الذي يجب أن يحرر الديار الفلسطينية، واستصدار اعتراف من دول المحور بحق الدول العربية بالاستقلال، وتأسيس إذاعة باللغة العربية من برلين توجّه إلى الشعوب العربية لتحفيزها على الثورة لنيل الاستقلال. ومن قبيل سقوط برلين بيد السوفيات في نهاية الحرب العالمية الثانية ممكّن المفتى من الهرب إلى باريس،

<sup>136</sup> عوني فرسخ، التحدى والاستجابة، ص.ص. 658 – 664.

<sup>137</sup> وليد الخالدي، خمسون عاماً على تقسيم فلسطين، بيروت: دار النهار، 1998، ص.ص. 11 – 19.

<sup>138</sup> وليد الخالدي، خمسون عاماً على تقسيم فلسطين، ص.ص. 27 – 28.

حيث اعتقل لأيام إلا أنه تمكّن من الفرار بمساعدة مجندين مغاربة في الجيش الفرنسي ووصل إلى القاهرة، بحيث عاش متخفيًّا لأشهر قبل أن يتمكن في العام 1947 من مقابلة الملك فاروق الذي منحه الحصانة من الملاحقة البريطانية. ومن القاهرة بدأ المفتى جهوده مجدداً لتجنيد المتطوعين لإرسالهم إلى فلسطين للقتال ضد المنظمات الصهيونية والسلطات البريطانية.

## حرب فلسطين

ما إن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى نقضت بريطانيا العظمى كل ما كانت قد تعهّدت به للعرب وعادت إلى سياساتها الأولى بدعم الحركة الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين، ما أُجّج النضال العربي الفلسطيني ضد سلطات الانتداب والحركة الصهيونية. ومنذ بدايات العام 1947 بدأت المواجهات تصاعد بين الفلسطينيين من جهة والقوات البريطانية والصهيونية من جهة أخرى. وكان متطوعون من مختلف الأقطار العربية المجاورة لفلسطين قد أخذوا يتدفعون لمساعدة الفلسطينيين في نضالهم. وفي أواخر العام 1947 كانت سلطات الانتداب البريطاني تنوى الانسحاب من فلسطين نتيجة مواجهتها أزمة اقتصادية خانقة جعلتها تختار تقليل دورها في العام. وبنتيجة الدعم الذي كانت تلقاه الحركة الصهيونية من قطبي العالم الجديدين في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، فقد شعرت الحركة الصهيونية أنه بإمكانها دفع برنامجهما قدمًا في فلسطين. وفي 29 تشرين الثاني نوفمبر 1947 صوّتت الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهي المنظمة التي تشكلت عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية لتخلف منظمة عصبة الأمم، على قرار تقسيم فلسطين بغالبية 33 صوتاً ومعارضة 13 دولة معظمها دول عربية وإسلامية، إضافة إلى امتناع 10 دول عن التصويت. ويجُب قرار التقسيم منح العرب الفلسطينيون 42 بالمائة من أرض فلسطين مقابل 58 بالمائة لليهود، على أن تبقى القدس وبيت لحم تحت وصاية دولية. ويُعدّ القرار عودة إلى توصية لجنة بيل البريطانية في العام 1937 بتقسيم فلسطين والتي كان قد رفضها العرب. وبعد صدور التقسيم تصاعدت عمليات الفدائيين العرب ضد البريطانيين والصهاينة في فلسطين. وفي العالم العربي عارضت جميع القوى والأحزاب العربية

قرار التقسيم باستثناء الشيوعيين العرب الذين وافقوا عليه بضغط من الاتحاد السوفيتي فكان سبباً لانشقاقات حصلت في صفوفهم.<sup>139</sup>

مع حلول ربيع العام 1948 كانت بريطانيا تتهيأ لإنهاء انتدابها في فلسطين، وكان العرب يصعدون من مقاومتهم، فيما كان الصهاينة يتحضرون لإعلان دولة إسرائيل. وقد اعلنت السلطات البريطانية أنها ستنهي انتدابها على فلسطين وتسحب جميع قواتها من هذا البلد في يوم 15 أيار مايو 1948. هنا قام المجلس اليهودي الصهيوني بعقد جلسة له في تل أبيب أعلن بموجبها قيام دولة إسرائيل مع حلول منتصف ليلة 14 - 15 أيار مايو. وقد كان هذا القرار يلقى تأييداً أميركياً مسبقاً، إذ جرى التوافق عليه بين ممثل الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة موشي شاريت وإدارة الرئيس هاري ترومان. وقد سارعت الولايات المتحدة إلى الاعتراف بدولة إسرائيل فور إعلان قيامها، فيما اعترف بها الاتحاد السوفيتي بعد ثلاثة أيام. وقد امتنعت الحركة الصهيونية عن إعلان حدود للدولة لنيتها توسيع رقعتها عبر شن حروب توسعية. في المقابل، فإن الدول العربية التي كانت قد نالت استقلالها وهي مصر والأردن والعراق وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية أرسلت قوات للقتال ضد الحركة الصهيونية. وقد بلغت القوات العربية 10 آلاف جندي مصري والقوات الأردنية نحو 5000 جندي وال العراق نحو 3000 جندي وسوريا نحو 2000 جندي فيما شارك لبنان بقوة بلغت نحو ألف جندي والقوة السعودية بلغت نحو 3000 جندي. يضاف إلى هؤلاء جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي والذي تشكل من بضعة آلاف من المتطوعين. وبذلك يكون مجموع القوات العربية لا يتجاوز ثلاثين ألف جندي. في المقابل فلقد بلغ عدد جنود منظمة صهيونية وحدها نحو 45000 جندي يضاف إليهم نحو 2000 جندي لمنظمة البالماخ، اضيف إليهم نحو 30 ألف مجند من يهود فلسطين و20 ألف مجند استجلبوا من أوروبا ليبلغ عدد القوات الصهيونية نحو 110 آلاف جندي أي ما يوازي ثلاثة أضعاف القوات العربية.<sup>140</sup>

بدأت الحرب في اليوم التالي لانسحاب القوات البريطانية من فلسطين عبر تقدم الجيش المصري من جهة الجنوب والجيش الأردني مسنوداً بالجيش العراقي من جهة الشرق والجيش السوري واللبناني من جهة الشمال مسنودين بجيش الإنقاذ بقيادة القاوقجي. وقد تمكنت هذه الجيوش في البداية من تحقيق تقدم في مختلف الميادين على الرغم من التفوق العددي للصهاينة. ففي الجنوب تمكنت القوات المصرية من التوغل في النقب ومحاصرة مستوطنتي كفرداروم ونيريم

<sup>139</sup> وليد الخالدي، خمسون عاماً على تقسيم فلسطين، ص.ص. 90 - 93.

<sup>140</sup> وليد الخالدي، خمسون عاماً على حرب 1948: أولى الحروب العربية - الصهيونية، بيروت: دار النهار، 1998، ص.ص. 39 - 50.

والتمركز في غزة والانطلاق نحو عسقلان. وكان مركز قيادة القوات المصرية في الفلوجة، حيث خاض العقيد جمال عبد الناصر معارك ضارية ضد الصهاينة. وعلى الجهة الشرقية خاض الجيش الأردني الذي كان أقل عدداً من الجيش المصري، ولكنه كان أكثر تنظيماً وتسليحاً، معارك ضارية في باب الواد والطرون وجنين وانتصر فيها جميعها بمساندة من الجيش العراقي الذي كان له الفضل الأكبر بتحرير جنين من الصهاينة. وفيما كان الجيش المصري يتقدم شمالاً باتجاه تل أبيب صدر قرار عن مجلس الأمن الدولي بفرض هدنة في فلسطين ومنع توريد الأسلحة لأي من الأطراف المتحاربة.<sup>141</sup> وفيما التزمت الجيوش العربية بقرار الهدنة إلا أن القوات الصهيونية استفادت منها لإعادة تجميع قواتها وتهريب متطوعين أوروبيين للقتال في صفوفها إضافة إلى تهريب كميات ضخمة من السلاح والعتاد العسكري، خصوصاً الطائرات من المخازن الأوروبية. وفي تموز يوليو خرقت القوات الصهيونية قرار الهدنة واستأنفت القتال ضد القوات العربية فتمكنـت من دفع الجيش المصري جنوباً ومحاصرة قيادته في الفلوجة، كما تمكنـت من شن هجوم معاكس ضد القوات العراقية والأردنية في الشرق والقوات السورية واللبنانية في منطقة الجليل. ومع حلول كانون الثاني 1949 صدر قرار الهدنة الثاني بعد أن تمكنـت القوات الصهيونية من الاستيلاء على 80 بالمائة من فلسطين باستثناء الضفة الغربية والقدس الشرقية وقطاع غزة. وقد شكل ذلك هزيمة للعرب عرفـت بالنكبة.<sup>142</sup> ولقد كانت هنالك أسباب عـدة لهذه النكبة. فقد كان المناخ الدولي ما بعد الحرب العالمية الثانية متعاطـفاً مع الحركة الصهيونية خصوصاً من قبل الولايات المتحدة والقوى العربية الحليفة لها، وعدم اهتمام الاتحاد السوفيـاتي في المنطقة العربية. إضافة إلى ذلك فقد كانت الحركة الصهيونية تلقـى دعـماً من الدوائر المالية العالمية فيما كانت الدول العربية لا تزال ترـزح تحت هيمنـة النفوـذ البريطاني أو الفرنسي. وقد كان التفـوق العـددـي والتـسليـحي يـميل بشـدة لصالح الصهاينـة خـلافـاً لـلـفـكـرةـ الـتـيـ رـسـخـهـاـ الصـهـاـيـنـةـ أـنـفـسـهـمـ بـخـلـافـ ذـلـكـ. وقد عـانتـ الـجـيـوـشـ العـرـبـيـةـ مـنـ عـدـمـ وـضـوـعـ الـقـرـارـ السـيـاسـيـ مـنـ جـهـةـ وـمـنـ أـوـجـهـ قـصـورـ عـسـكـرـيـةـ مـنـ جـهـةـ أـخـرـيـ. فـيـمـاـ عـانـىـ الـجـيـشـ الـمـصـرـيـ مـنـ ضـعـفـ بـالـتـنـظـيمـ وـالـقـيـادـةـ فـلـقـدـ كـانـ مـعـظـمـ قـادـةـ الـجـيـشـ الـأـرـدـنـيـ مـنـ الـبـرـيطـانـيـنـ وـعـلـىـ رـأـسـهـمـ قـائـدـ الـجـيـشـ جـوـنـ غـلـوبـ باـشـاـ. كـلـ هـذـهـ الـعـوـامـلـ شـكـلـتـ مـسـبـبـاتـ لـلـنكـبـةـ الـتـيـ أـدـدـتـ إـلـىـ خـسـارـةـ الـجـزـءـ الـأـكـبـرـ مـنـ فـلـسـطـينـ. وـبـنـتـيـجـةـ النـكـبـةـ تمـ تـهـجـيرـ مـئـاتـ الـأـلـافـ مـنـ الـفـلـسـطـينـيـنـ مـنـ قـرـاهـمـ وـمـدـنـهـمـ لـيـعـيـشـوـاـ فـيـ مـخـيمـاتـ لـجـوـءـ فـيـ قـطـاعـ غـزـةـ وـالـضـفـةـ الـغـرـبـيـةـ وـالـأـرـدـنـ وـسـوـرـياـ وـلـبـنـانـ.

<sup>141</sup> ولـيدـ الـخـالـدـيـ، خـمـسـونـ عـامـاًـ عـلـىـ حـرـبـ 1948ـ، صـ.صـ. 53ـ 66ـ.

<sup>142</sup> ولـيدـ الـخـالـدـيـ، خـمـسـونـ عـامـاًـ عـلـىـ حـرـبـ 1948ـ، صـ.صـ. 91ـ 102ـ.

أدت النكبة إلى ضياع 80 بالمائة من فلسطين التي ستقام على أرضها دولة إسرائيل، كما أدت إلى تشتت معظم الشعب الفلسطيني على مخيمات لجوء في قطاع غزة والأردن والضفة الغربية والأردن وسوريا ولبنان. وسيقع قطاع غزة تحت الإدارة المصرية حتى حرب العام 1967. أما الضفة الغربية والقدس الشرقية فستلحقان بالمملكة الأردنية الهاشمية التي كانت قد أعلنت قبل أعوام من النكبة. وكان شرق الأردن قد شكل حتى نهاية الحرب العالمية الأولى امتداداً لولاية دمشق العثمانية، خصوصاً في قسمه الشمالي. وعقب انهيار الدولة العثمانية فلقد وقع الأردن ضمن المنطقة المخصصة للانتداب البريطاني إضافة للعراق وفلسطين. لكن في بدايات العام 1921 كانت بذور الثورة تنبض في سوريا، خصوصاً في منطقة جبل العرب ضد الانتداب الفرنسي الذي كان قد فرض على سوريا في تموز يوليو 1920، فاعتبر الأمير عبد الله بن الشريف حسين، الذي كان قد فقد فرصته في حكم العراق كما كان مقرراً بعد أن قرر البريطانيون وضع أخيه فيصل الذي كان قد فقد للتو عرش سوريا كملك على العراق، اعتبر أن الفرصة سانحة له ليطالب لنفسه بعرش سوريا. فجتمع حشدًا من القبائل الحجازية المناصرة له واتجه بها إلى عمان قاصداً الوصول إلى دمشق. لكن القوات البريطانية الم الرابطة هناك منعوه من التقدم باتجاه سوريا وأبقيته في عمان. وفي العام 1927 أجريت أول انتخابات تشريعية في الأردن. وفي العام 1946 نال الأردن استقلاله ليتحول من إمارة إلى مملكة باسم المملكة الأردنية الهاشمية ويختار الملك عبد الله الأول ملكاً عليها. وبنتيجة حرب فلسطين اعتبار الملك عبد الله متواطئاً على ضياع فلسطين فتم اغتياله في 20 تموز يوليو 1951 بعد أدائه الصلاة في المسجد الأقصى. وقد اتهم العقيد في الجيش الأردني عبد الله التل بتنظيم مؤامرة الاغتيال وحكم عليه بالإعدام غيابياً بعد هربه إلى مصر. كما اتهم المفتي أمين الحسيني بالتحريض على اغتيال الملك عبد الله. وقد تولى العرش من بعده نجله طلال الذي اتهم بالجنون فأودع مصححة عقلية ليتولى العرش من بعده نجله الحسين بن طلال في أوائل العام 1952. وقد خضع الأردن للنفوذ البريطاني المباشر حتى العام 1956 حين قام الملك حسين بن طلال بعزل جون غلوب باشا من قيادة الجيش الأردني بضغط من التيار القومي العربي في الأردن الذي كان يلقى دعماً من جمال عبد الناصر. وفي العام 1958، وبنتيجة الثورة العراقية ضد الهاشميين أرسلت بريطانيا قوات مظالية إلى الأردن لدعم الملك في مواجهة العناصر الوطنية المدعومة من عبد الناصر فيما كان لبنان يشهد إنزالاً أميركياً ملئ عبد الناصر من إدخال هذا البلد في دائرة نفوذه.

## أحزاب فلسطين

خلال فترة الانتداب، وحتى تاريخ النكبة تصدرت الساحة السياسية في فلسطين عائلات تقليدية كعائلات الحسيني والنشاشيبي، إلا أن الساحة الفلسطينية شهدت نشوء الحركة الشيوعية الفلسطينية في العام 1919 عندما تشكل حزب العمال الاشتراكي في فلسطين من عناصر يهودية انشققت عن الحزب الصهيوني "يوعالي تسيون" أو عمال صهيون ودعت إلى القطيعة مع الحركة الصهيونية بصفتها حركة فاشية قومية. وقد انضم حزب العمال الاشتراكي الفلسطيني الذي استقطب عملاً عرباً أيضاً إلى حركة الكومونtern التي أطلقتها موسكو لتكون مظلة للأحزاب الشيوعية في العالم. ولقد اعتمد الحزب الماركسي اللينينية كعقيدة رسمية للحزب وتميّز الجيل الأول من قياداته بأنه كان من اليهود المهاجرين من شرق أوروبا الذين تأثروا بالأفكار الصهيونية، لذلك أقام الحزب علاقات مع الحركة الصهيونية واستفاد من ذلك لتوسيع قاعدته في صفوف العمال اليهود. وفي العام 1922 حدث انشقاق في الحزب أدى إلى نشوء الحزب الشيوعي في فلسطين بقيادة جوزيف برزيلاي والحزب الشيوعي الفلسطيني بقيادة حاييم أورباخ. لكن في العام التالي تم توحيد الحزبين واعترف بالحركة القومية العربية كحركة معادية للاستعمار البريطاني ودعا إلى تأييدها. وقد تخلّى الحزب عن تأييده للصهيونية بصفتها حركة تقدمية واعتبرها حركة قومية تعبر عن مصالح البورجوازية اليهودية. وكان من نتيجة ذلك دعوة الحزب إلى زيادة عدد أفراد الحزب من العرب في ما عرف بتعريب الحزب وإقامة جبهة عمالية تضم العمال العرب واليهود إضافة إلى إقامة جبهة معادية للامبراليّة. وقد جرى ذلك بضغط من الكومونtern الذي كان يؤيد تعريب الحزب إلا أن العملية تمت عرقلتها من قبل الأمين العام للحزب حاييم أورباخ الذي كان ذا ميل صهيونيّة. وقد دفع ذلك بالكومونtern إلى تغيير قيادة الحزب ودعم وصول رضوان الحلول إلى الأمانة العامة للحزب في العام 1934، وكان أول عربي يتبوأ هذا المنصب في الحزب. وخلال الحرب العالمية الثانية أيد الحزب السوفيات في حربهم ضد ألمانيا النازية، وخلال الحرب وتهيؤ الصهاينة للسيطرة على فلسطين زادت حدة الاستقطاب داخل الحزب الشيوعي الفلسطيني بين أعضائه العرب وأعضائه اليهود فخرج الأعضاء العرب منه وألفوا عصبة التحرر الوطني لتكون حزب الشيوعيين العرب الفلسطينيين. وكان ثلاثة من العرب هم أميل حبيبي ويعقوب العماني وعبد الله البندك من أبرز قيادات العصبة، إذ نادوا بحزب يدعو إلى حركة تحرر عربية ويكون في عضويتها يهود، على أن تكون معادية للصهيونية. وقد أصدرت العصبة أول بيان لها في أوائل العام 1944 ومن ثم أصدرت جريدة "الاتحاد" في أيار مايو 1944 لتكون ناطقاً باسم العمال العرب. وقد ارتكبت

العصبة خطيئة الموافقة على قرار تقسيم فلسطين وكانت إلى جانب الشيوعيين العرب الطرف الوحيد في العالم العربي الذي وافق على قرار التقسيم. وقد أدى هذا إلى إدانة الشيوعيين العرب وابتعاد قسم كبير من الجماهير العربية عنهم وإلى انقسامات في صفوفهم. وبعد النكبة توحدت فروع عصبة التحرر الوطني التي بقيت في الأجزاء التي احتلها الصهاينة من فلسطين مع الحزب الشيوعي الفلسطيني لتعلن قيام الحزب الشيوعي الإسرائيلي. أما الشيوعيون الفلسطينيون في الضفة الغربية فقد اجتمعوا مع نظرائهم الأردنيين ليشكلوا الحزب الشيوعي الأردني، لكنه بقي حزباً ضعيفاً جداً ولم يلعب دوراً يذكر في الحياة السياسية الأردنية.<sup>143</sup>

ولقد كان هناك وجود لبعض العناصر للحزب السوري القومي الاجتماعي في الأردن، إلا أنه كذلك لم يلعب دوراً بارزاً في الحياة السياسية الأردنية على خلاف حزب البعث العربي الاشتراكي والأخوان المسلمين. ويعتبر حزب البعث في الأردن أول فروع الحزب خارج سوريا وقد حضر أردنيون المؤتمر التأسيسي للحزب في سوريا وكان من أبرز قياداته حمدي الساكت ومحمد البشير وامين شقير واحمد المساعدة. وقد كان البعشيون في الأردن معارضين للملك حسين لذلك حاول موازنتهم ومواجهتهم وغيرهم من القوميين بدعم الأخوان المسلمين. وقد نشأت جماعة الأخوان المسلمين في الأردن في العام 1945 بمبادرة من جماعة الأخوان في مصر. وقد تم الامر على يد عبد اللطيف أبو قورة الذي تواصل مع المرشد العام للأخوان في مصر حسن البنا. وقد أنشأت الجماعة الكلية العلمية الإسلامية في عمان وانضمت إلى رابطة العالم الإسلامية، وقد شارك أخوان الأردن كمتطوعين في حرب فلسطين 1948 واستشهد من بينهم عدد من المتطوعين. وبنتيجة خصومة الأخوان المسلمين في مصر مع عبد الناصر أيد أخوان الأردن خصمه العاهل الأردني الملك حسين وتمتعوا بذلك بتسهيلات كبيرة في العمل على الساحة السياسية. وقد استمرت فترة الوفاق مع العاهل الأردني إلى العام 1989 واستفادت الجماعة بذلك من الأردن كقاعدة لأعمالها العدائية ضد سوريا خلال السبعينيات والثمانينيات.<sup>144</sup>

<sup>143</sup> راجع الياس مرقص، *تاريخ الأحزاب الشيوعية في العالم العربي*، بيروت: دار الطليعة، 1964.

<sup>144</sup> راجع الإخوان المسلمون في الأردن.. من أركان المملكة الهاشمية إلى أعداء للنظام؟ الشروق 25 أكتوبر 2017.

# الدستور الأردني

وكان دستور أردني قد صدر خلال عهد الملك طلال عقب اغتيال والده الملك عبد الله، وفيه:

مادة 1: المملكة الأردنية الهاشمية دولة عربية مستقلة ذات سيادة ملکها لا يتجزأ ولا يتنازل عن شيء منه، والشعب الأردني جزء من الأمة العربية ونظام الحكم فيها نباتي ملكي وراثي.

مادة 2: الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها.

مادة 3: مدينة عمان عاصمة الدولة ويجوز نقلها إلى مكان آخر بقانون.

مادة 4: تكون الراية الأردنية على الشكل والمقاييس التالية: طولها ضعف عرضها وتقسم أفقياً إلى ثلات قطع متساوية متوازية، العليا منها سوداء والوسطى بيضاء والسفلى خضراء، يوضع عليها من ناحية السارية مثلث قائم أحمر قاعدته متساوية لعرض الراية وارتفاعه متساوٍ لنصف طولها وفي هذا المثلث كوكب أبيض سباعي الأشعة مساحته مما يمكن أن تستوعبه دائرة قطرها واحد من أربعة عشر من طول الراية وهو موضوع بحيث يكون وسطه عند نقطة تقاطع الخطوط بين زوايا المثلث وبحيث يكون المحور المار من أحد الرؤوس موازيًّا لقاعدة هذا المثلث.

مادة 5: الجنسية الأردنية تحدّد بقانون.

مادة 6: الأردنيون أمام القانون سواء لا تميّز بينهم في الحقوق والواجبات وإن اختلفوا في العرق أو اللغة أو الدين. تكفل الدولة العمل والتعليم ضمن حدود إمكانياتها وتكفل الطمأنينة وتكافؤ الفرص لجميع الأردنيين.

مادة 7: الحرية الشخصية مصونة.

مادة 8: لا يجوز أن يوقف أحد أو يحبس إلا وفق أحكام القانون.

مادة 9: لا يجوز إبعاد أردني من ديار المملكة. لا يجوز أن يُحظر على أردني الإقامة في جهة ما ولا أن يلزم بالإقامة في مكان معين إلا في الأحوال المبينة في القانون.

مادة 11: لا يُستملّك ملك أحد إلا للمنفعة العامة وفي مقابل تعويض عادل حسبما يعين في القانون.

مادة 17: للأردنيين الحق في مخاطبة السلطات العامة في ما ينوبهم من أمور شخصية أو في ما له صلة بالشؤون العامة بالكيفية والشروط التي يعينها القانون.

مادة 18: تعتبر جميع المراسلات البريدية والبرقية والمخاطبات الهاتفية سرية فلا تخضع للمراقبة أو التوقيف إلا في الأحوال المعينة في القانون.

مادة 19: يحق للجماعات تأسيس مدارسها والقيام عليها لتعليم أفرادها على أن تراعي الأحكام العامة المنصوص عليها في القانون وتخضع لرقابة الحكومة في برامجها وتوجيهها.

مادة 20: التعليم الابتدائي إلزامي للأردنيين وهو مجاني في مدارس الحكومة.

مادة 21: 1- لا يسلم اللاجئون السياسيون بسبب مبادئهم السياسية أو دفاعهم عن الحرية. 2- تحدد الاتفاques الدولية والقوانين أصول تسليم المجرمين العاديين.

مادة 22: 1- لكل أردني حق في تولي المناصب العامة بالشروط المعينة والأنظمة والقوانين أو. 2- التعيين للوظائف العامة من دائمة ومؤقتة في الدولة والإدارات الملتحقة بها والبلديات يكون على أساس الكفاءات والمؤهلات.<sup>145</sup>

---

<sup>145</sup> راجع الدستور الأردني على موقع وزارة الداخلية الأردنية.

[http://www.moi.gov.jo/EchoBusV3.0/SystemAssets/PDFs/AR/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B3%D8%AA%D9%88%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B1%D8%AF%D9%86%D9%8A%20%D9%88%D8%AA%D8%B9%D8%AF%D9%8A%D9%84%D8%A7%D8%AA%D9%87\\_0.pdf](http://www.moi.gov.jo/EchoBusV3.0/SystemAssets/PDFs/AR/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B3%D8%AA%D9%88%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B1%D8%AF%D9%86%D9%8A%20%D9%88%D8%AA%D8%B9%D8%AF%D9%8A%D9%84%D8%A7%D8%AA%D9%87_0.pdf)

الجزء الثاني 1970 – 1958



## الفصل الأول

### سوريا 1958 – 1970

ما أن انتصر جمال عبد الناصر ضد أركان العدوان الثلاثي في العام 1956 وتعزّزت فرنسا وبريطانيا إلى ضربة قاصمة في منطقة الشرق الأوسط، حتى أعلن الرئيس الأميركي دوايت أيزنهاور عن مبدئه القائم على "محاربة الشيوعية" والتدخل في "مناطق الفراغ" لمنع انتشارها. إضافة إلى ذلك فلقد أدى النصر الذي حققه عبد الناصر والذي حوله رمزاً لكل قوى التحرر في العالمين العربي والأفريقي، إلى خشية العائلة السعودية الحاكمة في شبه الجزيرة العربية على استقرار حكمها، خصوصاً أن معظم معارضي حكم الاسرة باتوا ينظرون إلى عبد الناصر كنموذج يحتذى للتغيير في المملكة. هذا جعل الملك سعود بن عبد العزيز يناسبه العداء بعدها كان متحالفاً معه في مواجهة الهاشميين. بل إن الحدّ وصل به إلى التحالف مع خصومه السابقين، أي الهاشميين، ضد جمال عبد الناصر. وقد حاول سعود اغتيال عبد الناصر مراراً، وقد أرسل شيئاً بـ ٣ ملايين الدولارات إلى عبد الحميد السراج حتى يقوم بإسقاط طائرة عبد الناصر إلا أن السراج كشف الخطة لعبد الناصر وسلمه الشيك. هذا دفع بالملك سعود إلى أن يسعى لتشجيع معارضي عبد الناصر في سوريا على الانقلاب ضده، وقد تضافرت جهوده مع جهود أخرى كانت تقوم بها الولايات المتحدة، إضافة إلى معارضة الحزب الشيوعي السوري والحزب القومي الاجتماعي للوحدة.<sup>146</sup>

## الوحدة السورية المصرية

وكانت الوحدة قد أعلنت بين مصر وسوريا في 22 شباط فبراير بعد توقيع ميثاق في هذا الشأن بين الرئيس المصري جمال عبد الناصر والرئيس السوري شكري القوتلي. وكان وفد من الضباط السوريين على رأسهم أمين الحافظ قد زاروا مصر سراً في أوائل كانون الثاني يناير 1958 وطالبوه بلقائه عبد الناصر عارضين عليه الوحدة بين البلدين. وقد جاءت الزيارة في ظل تهديدات تركية متصاعدة لسوريا باجتياحها بعد رفضها الانضمام لحلف بغداد. وقد رضي عبد الناصر هذه الوحدة بعد تردد نتائجه خوفه من المشاكل التي ستصاحب إعلان الوحدة والمعارضة التي يمكن أن تلقاها من الداخل

<sup>146</sup> جمال واكيم، صراع القوى الكبرى على سوريا، بيروت: المطبوعات للنشر، 2013، ص.ص. 112 – 115.

السوري أو من الأطراف الإقليمية والدولية. لكن في الوقت نفسه كان عبد الناصر يريد أن تكون سوريا تحت نفوذه في إطار تنافسه مع العراق وتركيا والمملكة العربية السعودية على النفوذ في المشرق العربي. لذلك فقد ارتفى عبد الناصر القبول بالوحدة على شرط حل الأحزاب في سوريا كما كان الحال في مصر، ومنع تدخل الضباط في السياسة، وتوحيد برماني البلدين وهو ما تم في العام 1960.<sup>147</sup> وقد تم تعيين القيادي البعثي أكرم الحوراني نائباً للرئيس، إلا أنه سرعان ما دب الخلاف بين قياديي حزب البعث الحوراني وميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار من جهة وعبد الناصر من جهة أخرى. فلقد كان البعثيون يتصورون أن الوحدة مع مصر ستجعلهم يصبحون الحزب الحاكم في مصر وسوريا، فيما كان عبد الناصر يعارض فكرة الأحزاب ويعتبرها عقبة في وجه وحدة الدولة ومسوغاً للتدخل الخارجي، بناء على تجربته في مصر، وبناء على ما شهد من انقسام في سوريا نتيجة تعدد الأحزاب وتعدد ولاءاتها بين القوى الإقليمية والدولية. إضافة إلى ذلك فإن قيادة البعث لم تكن على علم بزيارة وفد الضباط إلى مصر وبالتالي فلقد فوجئت بالعرض الذي تقدم به هؤلاء الضباط إلى عبد الناصر وموافقتها على الوحدة. ولم يكن القادة المدنيون في البعث قابلين ضمناً بهذه الوحدة، خصوصاً أنهم كانوا يعتبرونها تدعيمًا لنفوذ الضباط الناصريين في الجيش على حسابهم، إلا أنهم لم يكونوا يجرؤون على المجاهرة بنياتهم، خصوصاً أنهم كانوا يعلون شعار الوحدة في جميع خطاباتهم السابقة. وفي أواخر العام 1959 ظهر الخلاف إلىعلن بين البعثيين وخصوصاً الحوراني وبين عبد الناصر، ففاجأ الأول الجميع بتقادمه استقالته وهربه إلى لبنان، حيث بدأ بشن هجوم عنيف على دولة الوحدة.<sup>148</sup>

وقد شكلت الوحدة انقلاباً كبيراً في المعاذين الإقليمية والدولية ما جعل عدداً كبيراً من القوى تتكتل ضدها أولها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا إضافة إلى المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الحسين بن طلال وهاشمي العراق. لكن في صيف عام 1958 حصل انقلاب عسكري أطاح بالأسرة الهاشمية الحاكمة في العراق واستبدلها بنظام عسكري ميال للوحدة، أقله لحين إطاحة عبد السلام عارف المؤيد للوحدة بين العراق وسوريا ومصر وعبد الكريم قاسم المعارض لها. ففي صبيحة 14 تموز يوليو 1958 قام عبد السلام عارف بعزل قادة الوحدات المشكوك بولائهم واحتجزهم وعين بدلاً منهم ضباطاً موالين له ثم بدأ بالتحرك للسيطرة على مقر قيادة الجيش العراق ووزارة الدفاع ومع العسكري الرشيد والوشوش إضافة إلى مؤسسة الهاتف والإذاعة والقصر الملكي وقصر نوري السعيد. وقد سارع عبد السلام عارف شخصياً إلى دار الإذاعة للإعلان عن إطاحة الملكية الهاشمية

<sup>147</sup> جمال واكيم، صراع القوى الكبرى على سوريا، ص.ص. 116 - 118.

<sup>148</sup> كمال ديب، سوريا في التاريخ، ص.ص. 257 - 265.

وإعلان الجمهورية العراقية. في هذا الوقت كانت قوة من الموالين لعارف تقتسم قصر الملك فيصل الثاني وتطلب منه الاستسلام، فاستجاب الملك الشاب وخرج برفقة خاله وخالته وجده وزوجة خاله وعدد من أفراد الأسرة المالكة إلى الحديقة فسارع أحد الجنود إلى إطلاق النار عليهم وقتلهم جميعاً. وقد يكون خلف القرار الخوف من قيام بريطانيا بالتدخل وإعادة الملكية إلى العراق كما حدث في العام 1941. في الوقت نفسه كان نوري السعيد قد فرّ من قصره متذمراً بلباس امرأة ولجأ إلى قصر صديقه التاجر الثري محمود الاستريابادي في الكاظمية، كما فعل في السابق خلال ثورة رشيد عالي الكيلاني. لكن عبد السلام عارف أعلن مكافأة مالية لمن يقوم بإذلاء معلومات عن السعيد فحاول في 15 تموز يوليو الخروج من منزل صديقه والتوجه بسيارته إلى الحدود الأردنية إلا أن عدداً من المارة كشف أمره وأبلغ عنه فقامت قوة من الجيش بتطويقه وأطلقت النار عليه وأرداه قتيلاً. وفي روايات أخرى قيل إن نوري السعيد انتحر بمسدسه الخاص بعدما وجد نفسه محاصراً وخوفاً من أن يتم تعذيبه والتنكيل به.<sup>149</sup>

أحدثت الثورة العراقية انقلاباً كبيراً في الموازين الإقليمية في الشرق الأوسط، فلقد أطاحت الهاشميون الذين شكلوا عmad النفوذ البريطاني في المنطقة منذ الحرب العالمية الأولى. كما أن الثورة وجهت ضربة قاسمة لحلف بغداد وسياسة الأحلاف التي اعتمدها الغرب في المنطقة، إضافة إلى أنها صعدت من نفوذ جمال عبد الناصر ومن خلفه حليفه الجديد الاتحاد السوفيتي. وقد تفجر غضب القوى الغربية فأرسلت الولايات المتحدة قوات من الأسطول السادس للنزول في بيروت تحت ذريعة منع تمدد الشيوعية، فيما أرسلت بريطانيا قوات مظليلة إلى الأردن لمنع انهيار النظام الملكي الهاشمي فيه. في المقابل فلقد أعلن عبد الناصر دعمه للثورة العراقية واعتبر أن أيّ عدوان تتعرض له سيكون بمثابة عدوان مباشر على الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا). كذلك رحب الاتحاد السوفيتي بقيادة نيكيتا خروتشيف بالثورة العراقية وأعلن استعداد بلاده للتعاون معها في كافة المجالات.<sup>150</sup> وكان عبد السلام عارف ينوي ضم العراق إلى دولة الوحدة إلا أن قاسم عارضها بضحوط من الحزب الشيوعي العراقي الذي تأثر ب موقف زعيم الحزب الشيوعي السوري خالد بكداش المعارض للوحدة.

<sup>149</sup> Phebe Marr, The Modern History of Iraq, Boulder: Westview Press, 2012, p. 85.

<sup>150</sup> جمال واكيم، صراع القوى الكبرى على سوريا، ص.ص. 219 – 215

## سوريا.. الوحدة والانفصال

لم تعش الوحدة طويلاً نتيجة المعارضة الكبيرة التي لقittiها من القوى الإقليمية والدولية ومن القوى السورية المحلية. فلقد كان الحزب السوري القومي الاجتماعي والحزب الشيوعي معارضين للوحدة. وبعد الوحدة أعلن حزب البعث معارضته لها نتيجة خيبة أمله من أن يتحول إلى الحزب الحاكم. ناهيك عن معارضة الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين والإقليميين لهذه الوحدة، وحتى معارضة الاتحاد السوفيتي وحلفائه لها. إلا أن العامل الحاسم الذي قرر مصيرها وأنهاها كانت الإجراءات الاقتصادية التي قام بها جمال عبد الناصر في سوريا والتي أضررت بالدرجة الأولى بمصالح النخب الدمشقية التي كانت أهم عنصر مؤيد للوحدة مع مصر. فلقد أراد عبد الناصر منح الطبقات الريفية الفقيرة، خصوصاً الفلاحين حقوقاً متساوية للحقوق التي حصل عليها الفلاح المصري في ظل ثورة يوليو، فقام عبد الناصر بإصلاح زراعي حدد فيه الملكية الزراعية وأعطى مساحات شاسعة للفلاحين المدقعين بالفقر. وقد أضرر هذا الإجراء بمصالح البورجوازية الشامية العليا التي كانت تمتلك غالبية الأراضي الزراعية، بل والقرى في مناطق الغوطة وريف دمشق. كما أضرر ذلك بمصالح الطبقة البدوية العليا وطبقة الوجهاء في حمص وحماء وحلب. كذلك فلقد كان عبد الناصر قد خاب أمله من لعب البورجوازية المصرية دوراً في عملية التنمية الاقتصادية، بل إن هذه البورجوازية كانت قد بدأت تلعب دوراً في استقطاب عناصر معادية للثورة في مصر ما دفعه إلى القيام بالإجراءات الاشتراكية في العام 1960 في مصر. وقد نقل عبد الناصر هذه التجربة إلى سوريا وقام بسلسلة تأميمات كبرى أضررت بمصالح الطبقة البدوية السورية. هنا لم يكن غريباً أن يكون ضابطان من أبناء العائلات السورية البدوية وأملاك للأراضي الزراعية هما عبد الكريم النحلاوي وحيدر الكزبرى من قاما بالانقلاب على دولة الوحدة.<sup>151</sup>

وقد ولد عبد الكريم النحلاوي لأسرة دمشقية في العام 1926 ووصل إلى رتبة عقيد خلال مرحلة الوحدة، وكان ضمناً يؤيد الأخوان المسلمين وقد عين خلال مرحلة الوحدة نائباً لمدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر الذي كان قد عين كنائباً لعبد الناصر بعد استقالة أكرم الحوراني وهربه إلى لبنان. وقد أتاح مركز النحلاوي حرية الحركة له والتنسيق بين مختلف ضباط القطاعات المعارضين للوحدة ومن أبرزهم حيدر الكزبرى قائد قوات البدية والذي كان على علاقة وثيقة بالعاشر الأردني الحسين بن طلال. وقد تمكّن هذان الضابطان من قيادة الانقلاب في صبيحة 28 أيلول

<sup>151</sup> جمال واكيم، صراع القوى الكبرى على سوريا، ص.ص. 120 - 121.

سبتمبر 1961 في حركة فجائية وتمكّنوا من محاصرة عبد الحكيم عامر في مقرّه، فأرسل عبد الناصر قوة جوية إلى اللاذقية لتحريره وفي النهاية توصل إلى تسوية مع الانقلابيين تقضي بتحرير عامر في مقابل عدم تدخل مصر عسكرياً ضد الانفصاليين.

في اليوم التالي للانفصال تم تشكيل حكومة انتقالية برئاسة مأمون الكزبرى، شقيق حيدر الكزبرى وعضوية أفراد ينتمي معظمهم إلى طبقة الوجاهة وطبقة البورجوازية السورية، فتشكلت الوزارة من ليون زمريا وزيراً للمالية والتموين وفرحان الجندي وزيراً للصحة والإسعاف العام وعزّة النص وزيراً للتربية، والتعليم والإرشاد، وعدنان القوتلي وزيراً للداخلية، وأمين ناظيف وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي، وعوض بركات وزيراً للاقتصاد والصناعة، وفؤاد عادل وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل، وأحمد محمد سلطان وزيراً للعدل والأوقاف، ونعمان الأزهري وزيراً للتخطيط والشؤون البلدية والقروية وعبد الرحمن حورية وزيراً للأشغال العامة والمواصلات، ومصطفى البارودي وزيراً للإعلام وسعيد السيد وزيراً للإصلاح الزراعي. وقد نظمت الحكومة الانتقالية انتخابات رئاسية فاز فيها ناظم القدسي فيما اختير معروض الدوالىي رئيساً للحكومة. وقد صدرت مقررات عدّة عن الحكم الجديد في سوريا أهمّها إلغاء قانون العمل الذي كان قد أصدره جمال عبد الناصر وينحى فيه العمال حقوقاً كبيرة، والعودة للعمل بقانون العمل القديم الذي ينحاز لصالح رب العمل. كذلك فلقد ألغى الحكم الانفصالي القرارات الاشتراكية التي أصدرها عبد الناصر وأعاد المصانع والمؤسسات التي أمتّ إلى مالكيها، إضافة إلى إلغاء الكثير من مفاعيل الإصلاح الزراعي التي قام بها عبد الناصر ومن ضمنها إلغاء قرار منح الجنسية لآلاف الفلاحين الكرد في شمال سوريا لغرض انتزاع الأراضي الزراعية التي منحت لهم بمحض قانون الإصلاح الزراعي.<sup>152</sup>

## البعث في السلطة

لم يدم الانفصال لأكثر من عام ونصف إذ إنه في صبيحة الثامن من آذار 1963 قام ضباط بعثيون وناصريون بالانقلاب على الانفصاليين وألقوا بالقبض على عبد الكريم النحلاوي وقرروا نفيه إلى ألمانيا، ثم أعلناوا عزّمهم البدء بمحادثات وحدة ثلاثية مع مصر والعراق. وسبق للضباط البعثيين والناصريين أن أطاحوا بقاسم في شباط / فبراير من العام 1963. وقد اجتمعت عوامل عدّة، ساعدت في إسقاط عبد الكريم قاسم، وذلك في بداية العام 1963. أبرزها:

<sup>152</sup> كمال ديب، سوريا في التاريخ، ص.ص. 283 - 291

- التوتر الذي أصاب علاقته مع الحزب الشيوعي، والمتاتي من خوف زعيم العراقي وقلقه على نفوذه وسلطته، الأمر الذي أدى إلى تراجع نسبة المؤيدين له ضمن الحزب، وذلك برغم بقاء قيادات الحزب على ولائها له.

- في أيلول/ سبتمبر من العام 1961، حدث الانفصال بين سوريا ومصر، الأمر الذي أدى إلى إزالة التوتر والتشنج بين الضباط القوميين المعروفين بولائهم لعبد الناصر، وبين المعارضين له الذين جاهروه بالعداء، وذلك إثر خلافه مع نائبه في سوريا خلال فترة الوحدة، القيادي البعثي أكرم الحوراني، الذي قدم استقالته في سنة 1959. وهذا ما جعل التعاون بينهم من أجل تنسيق وتوحيد جهودهم ممكناً. وانطلقت في صباح الثامن من شباط/ فبراير من العام 1963، عدد كبير من السيارات التي كان يستقلها ضباط قوميون، قادمون من معسكر الوشوش ومتوجهون إلى منطقة أبو غريب، حيث كانت وجهتهم الكتيبة الرابعة المدرعة في الجيش، الواقعة تحت سيطرة الضباط البعثيين، والتي ستكون ركناً أساسياً في الانقلاب ضد قاسم. حيث قامت دبابات الكتيبة الرابعة بحصار جميع المقار الحكومية، خصوصاً مبني وزارة الدفاع ومبني الإذاعة الواقع في منطقة الصالحية، وذلك من أجل بث بيان الانقلاب. الذي كان خاطفاً ومفاجئاً، حيث تم بنجاح عزل قاسم عن جميع مناصريه، وخصوصاً الشيوعيين منهم، بعدها ألقى القبض عليه وبرفقته عدد من معاونيه، وذلك في التاسع من شباط/ فبراير في مبني وزارة الدفاع، ليتم بعدها نقله إلى مقر الإذاعة والتلفزيون حيث تجمعت قيادة الانقلاب، التي أقامت لقاسم محكمة ثورية سريعة، تم إثراها تنفيذ حكم الإعدام به. وقام الشيوعيون بمحاولة الدفاع عن قاسم، من خلال نزول المسلحين إلى الشارع، الأمر الذي أدى إلى اشتباهم مع البعثيين على مدى أيام عدة، لكن، الجيش تمكّن من فرض سيطرته عليهم والقضاء على تمردّهم. وعُذّ ذلك ضربة موجعة للاتحاد السوفيتي ولنفوذهم في المنطقة، فقد كان قاسم حليفاً لهم. وقام الضباط القوميون بعد احتجاز قاسم ونقله إلى مبني الإذاعة والتلفزيون، بالاتصال مع عارف الذي كان تحت الإقامة الجبرية، وقام وفد منهم بمرافقته إلى مقر الإذاعة والتلفزيون حتى يتمكن من حضور محاكمة قاسم. وهناك قام عارف جاهداً بمحاولة التوسط لدى لضباط من أجل العفو عنه، إلا أن محاولته باءت بالفشل، حيث أصرروا على تنفيذ حكم الإعدام به. ثم بعدها تم اختيار عارف ليكون رئيساً للجمهورية، فيما يتولى أحمد حسن البكر زعيم حزب البعث منصب نائب الرئيس.

وكان تأسس حزب البعث العربي الاشتراكي - فرع العراق، في بدايات الخمسينيات، وذلك نتيجة لتأثير من البعثيين السوريين.

وفي العام 1953، كانت بداية ظهور الحزب وللمرة الأولى إلى العلن، حيث جرى انتخاب أول قيادة قطرية للحزب، والتي تكَوَّنت من: محمد سعيد الأسود وفخرى ياسين قدوري وجعفر قاسم حمودي وشمس الدين كاظم وفؤاد الركابي الذي تم انتخابه أميناً للسر، وهو يُعدّ منصباً مساوياً لمنصب الأمين العام للحزب. وكانت للحزب نشاطات عدّة منها: رفضه الحكم الملكي، ومشاركته في ثورة عام 1958، ليكون شريكاً في أول حكومة بعد انتهاء الثورة. كما وقف الحزب إلى جانب عارف ومقدماً له كل الدعم المطلوب، وفضلة على قاسم، حيث قام بمعارضته، وذلك لأنّ قاسم أراد التفرّد بالحكم، معتمداً بذلك على الحزب الشيوعي كركن أساسياً في السلطة. حيث عمد إلى إبعاد البعثيين عن مقاليد السلطة، وذلك بعد إسقاطه عارف، ثم بعدها شارك الحزب في الثورة التي قام بها الشواف، لكنّ أعضاءه تعرضوا للتنكيل الذي مارسه ضدهم قاسم والشيوعيون، كما تَمَّت ملاحقة أعضاءه، إثراها قام الحزب بتنظيم محاولة لاغتيال قاسم - كما تَمَّ ذكره آنفًا - والتي باءت بالفشل، وذلك في تشرين الأول/أكتوبر من العام 1959. كما لعب الحزب دوراً مهماً ورئيسيّاً في عملية إسقاط قاسم، وذلك في العام 1963، الذي قبل أن يتّقاسم الحكم مع الضباط الناصريين المعروفين بولائهم لعبد الناصر، بالإضافة إلى قبوله بتنسمية عبد السلام عارف رئيساً للعراق، والذي كان معروفاً بقربه من الزعيم المصري، في حين يتولى منصب نائب الرئيس زعيم الحزب أحمد حسن البكر.

لكن الخلاف ما لبث أن وقع بين الضباط الناصريين وعارف من ناحية، والضباط البعثيين من ناحية أخرى. وذلك بسبب عزم البعثيين وإصرارهم على إعدام قاسم، وقيامهم بالتنكيل بالشيوعيين، الأمر الذي عمل عارف جاهداً لمنعه. ولكن السبب الرئيس يعود إلى قيام البعثيين العراقيين والسوريين على وضع العراقيين أمام محادثات الوحدة الثلاثية، التي سبق وأن دعا عبد الناصر إليها مع كل من العراق وسوريا، وذلك بعد إسقاط قاسم في العراق، في شهر شباط/فبراير من العام 1963، ثم حدث بعده الانقلاب الذي قام به البعثيون والضباط الناصريون في سوريا ضد نظام الانفصال، وذلك في شهر آذار/مارس من العام نفسه. وإثره سارع عارف في 18 تشرين الثاني/نوفمبر من العام 1963، بإطاحة العثيين وإبعادهم عن مقاليد الحكم، وفي مقدمتهم أحمد حسن البكر نائبه، وذلك ضمن حركة أسمائها بالحركة التصحيحية. فقد كان يخشى أن يقوم البعثيون بإطاحة هـ كما فعلوا في سوريا، وذلك عندما أقدم الحافظ على إطاحة الناصريين في شهر تموز/يوليو من العام 1963. كان الحافظ متسلماً منصب وزير الداخلية، وتشارك في الحكم الناصريين والبعثيون على حد سواء، وكان لؤي الأتاسي رئيساً للجمهورية، الذي عُرف عنه قربه للناصريين الذين عقدوا الآمال عليه في أن يكون عوناً ودعمًا لهم في عملية إعادة الوحدة بين سوريا ومصر.

إلا أنه بعد توليه منصبه أخذ يتلماً في تحقيق ذلك نتيجة الضغوط التي مارسها البعضون عليه. وفي 18 تموز / يوليو 1963 نظم الناصريون محاولة انقلاب بقيادة العقيد جاسم علوان، إلا أن المحاولة فشلت. فقام الحافظ بالتنكيل بالضباط الناصريين وقتل واعتقل العشرات منهم من ضمنهم قائد الانقلاب. بعد ذلك عزل الرئيس الأتاسي وتولى هو السلطة مباشرة. وبنتيجة ذلك ساءت العلاقات مع مصر وأنهيت محادثات الوحدة الثلاثية بين العراق وسوريا ومصر. وقد بقي الحافظ في السلطة حتى شباط فبراير 1963 حين قمت إطاحة ه وبالجناح اليميني في حزب البعث ومن ضممه المؤسسوں ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار وأكرم الحوراني من السلطة على يد صلاح جديد وحافظ الأسد. وقد حكم الثنائي جديد - الأسد سوريا حتى العام 1970 حين استئثار حافظ الأسد بالسلطة في العام 1970. وفي حين كان صلاح جديد ذا نزعة يسارية نادت بتطبيق إجراءات اشتراكية صارمة وتأميم الشركات الكبرى والقطاع الخاص لصالح الدولة، فإن حافظ الأسد تقرّب من تجار دمشق وتعهد بالمحافظة على مصالحهم ما أعطاهم في النهاية آلافضلية على جديد في الصراع على السلطة. وقد أدى الانقلاب على الحافظ وعفلق والبيطار والحوراني إلى إحداث شرخ كبير بين البعث السوري والبعث العراقي كان من نتائجه عداء سيدوم لعقود بين العراق وسوريا.<sup>153</sup>

## المناخ الدولي والإقليمي ودرب 1967

تزامنت الأحداث التي وقعت في سوريا، مع حدوث تحولات وتغييرات جذرية حصلت على مستوى النظام الإقليمي من جهة، وعلى مستوى النظام العالمي وتوازناته من جهة أخرى. حتى العام 1965، كان باستطاعة جمال عبد الناصر اللعب على التناقضات العديدة الموجودة بين الشرق والغرب، وذلك من أجل أن يبني قوة مصر، ويعزز من مكانتها الإقليمية والدولية. لكن، مع بداية عام 1965، بدأ الوضع يتغيّر، نتيجة لعوامل عدّة، كان أبرزها: أزمة الصواريخ الكوبية التي حدثت في العام 1962، وإثرها اقتنعت قيادات عليا ونافذة في الاتحاد السوفيتي، بضرورة العمل على خفض حدة التوتر الحاصل مع الولايات المتحدة. حيث قام ليونيد بريجينيف بإسقاط الزعيم السوفيتي نيكита خروتشيف في شهر تشرين الأول / أكتوبر من العام 1964، وكان بريجينيف يرى أنه يتوجب على الاتحاد السوفيتي الالتزام بالبنود التي أرساها وتم الاتفاق عليها في مؤتمر يالطا

<sup>153</sup> كمال ديب، سوريا في التاريخ، ص.ص. 307 - 312. وجمال واكيم، صراع القوى الكبرى، ص.ص. 119 - 122.

وذلك في عام 1945، وأن تكتفي موسكو بنفوذها على دول الكتلة الاشتراكية، الأمر الذي جعل دعمها محدوداً للدول القريبة منها، خصوصاً في دول العالم الثالث والشرق الأوسط. كما أن اغتيال جون كينيدي في شهر تشرين الثاني من العام 1963، أعطى دفعاً لتقديم تيار المحافظين الجدد وبالتالي صعوده في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كانوا يطمحون إلى بناء إمبراطورية عالمية تُشكل قوة عظمى. كما عمل هؤلاء إلى إسقاط كل الأنظمة التي لا تقدم فروض ولائها إلى واشنطن.

في الوقت ذاته عمل فيصل بن عبد العزيز على إطاحة أخيه سعود عن عرش حكم المملكة العربية السعودية، وبذلك يكون قد أغلق فصل صراع واقتتال الإخوة على السلطة. هذا الصراع الذي انطلقت شرارته منذ منتصف خمسينيات القرن الماضي، وذلك بسبب محاولات سعود الدائمة والرامية إلى إبعاد أخيه عن تسلم مقاليد الحكم. وقد ساعده في ذلك كون جد فيصل لأمه كان زعيم المشايخ الوهابيين، هذا الأمر دفع بالمؤسسة الدينية في السعودية لأن تدعم وتساند وصول فيصل إلى تسلم الحكم. الذي عمل بمجرد تسلمه السلطة على تقديم كل الدعم لمنظمة الأخوان المسلمين الموجودين في جميع الدول العربية والإسلامية، وذلك بغية تدعيم وتمكين النفوذ السعودي من ناحية، والوقوف في وجه المد المتزايد للتيار القومي واليساري وصعودهما في العالم العربي من ناحية أخرى. وهو أي فيصل لم يكتفي بذلك، بل عمل على إقامة المؤتمر الإسلامي الذي أراده بديلاً عن جامعة الدول العربية لكونها تُشكل امتداداً للنفوذ المصري، وقد استشعرت القاهرة بالضغوط التي مارستها عليها الإدارة الأمريكية منذ بداية العام 1965، وذلك حين قامت بإفشاء محاولة تمرّد كان الأخوان المسلمين قد نظموها بدعم من واشنطن والرياض. كما عملت الولايات المتحدة في العام 1967، بتقديم كل الدعم لإسرائيل أثناء عدوانها على الأردن ومصر وسوريا، وكان نتيجتها أن قامت إسرائيل باحتلال غزة والجولان والضفة الغربية وسيناء.

## نكسة 1967

في الوقت الذي كانت فيه الصراعات العربية تتفاهم وتتصاعد، كانت إسرائيل والولايات المتحدة تعملان من خلفهما وتحيكان المؤمرات من أجل توجيه ضربة موجعة للدول العربية التقديمية واليسارية، وكل ذلك كان يتم بالاتفاق مع المملكة العربية السعودية التي قدمت لهما كل الدعم المطلوب. ومنذ عام 1960، عملت إسرائيل على زيادة التوتر وتصعيده مع الدول العربية، وذلك بسبب قيامها على تحويل مياه نهر الأردن، في المقابل لم تستطع جامعة الدول العربية فعل أي

شيء ووقفت عاجرة أمام هذا الوضع. ومع بداية عام 1967، زادت حدة التوترات بين إسرائيل والدول العربية. حيث قام رئيس الوزراء الإسرائيلي ليفي اشكول في أوائل شهر أيار/مايو، بالعمل على تصعيد لهجته، كما هدد باجتياح دمشق بحجة وضع حد للعمليات الفدائية الفلسطينية التي كانوا يقومون بها عبر الحدود وذلك منذ بداية العام 1965. وقد حدثت إثرها مواجهات عدّة، بين الجيش الإسرائيلي من ناحية، وبين الجيشين الأردني والسوسي من ناحية أخرى. كما قام الجيش الإسرائيلي في 14 أيار/مايو من العام 1967، وبمناسبة الذكرى 19 لقيام دولة إسرائيل، بإجراء عرض عسكري في مدينة القدس الغربية، مخالفًا بذلك كل الأعراف والقوانين والمواثيق الدولية التي أكدت ودعت إلى تدويل قضية مدينة القدس، وبالتالي جعلها مدينة منزوعة السلاح.

كما أعلن عبدالناصر، وبرغم وجود خلافات كبيرة بينه وبين البعث السوري، أنه في حال حدوث أي عدوان على سوريا من قبل إسرائيل، ستقوم مصر بالرد بعملية عسكرية ضد إسرائيل. كما جاءت زيارة محمد فوزي رئيس الأركان في الجيش المصري لسوريا، ردًا على العرض العسكري الذي قام به الجيش الإسرائيلي، وكان الغرض من الزيارة هو العمل على تنسيق عسكري بين مصر وسوريا للوقوف في وجه التهديدات الإسرائيلية والتصدي لها. وعملت مصر في 15 أيار على حشد قواتها في منطقة سيناء، في الوقت نفسه تقدم المندوب السوري في الأمم المتحدة بمذكرة احتجاج إلى مجلس الأمن الدولي بسبب التهديد والتصعيد الإسرائيلي المستمر لسوريا. وبعدها بيومين أي في 17 أيار قامت مصر بالطلب من مجلس الأمن بالعمل على سحب القوات الدولية المتمركزة في منطقة سيناء منذ العام 1956. كما تحدثت معلومات عن قيام إسرائيل بحشد قواتها في منطقة النقب، ليكون مستعدًا لمواجهة الجيش المصري، في الوقت نفسه قام الأسطول الأميركي السادس بالتوجه إلى شرق المتوسط من أجل مراقبة التصعيد العسكري الحاصل في تلك المنطقة. وللتوضيق على الملاحة الإسرائيلية قام عبدالناصر بإغلاق مضيق تيران وذلك في 22 أيار، الأمر الذي اعتبرته تل أبيب إعلان حرب، وهذا أيضًا ما نفاه المندوب المصري في مجلس الأمن، وذلك في جلسة 29 أيار، من أن مصر لن تقوم بأية خطوات استفزازية أو حربية ضد إسرائيل. في الوقت ذاته عمل العراق على نقل وحدات إلى الجبهة السورية لتكون سندًا لها في وجه أي تحرك عسكري إسرائيلي محتمل.

لكن، الأحداث تسارعت بعد ذلك، حيث شنت طائرات حربية إسرائيلية، في صباح 5 حزيران/يونيو من العام 1967، غارات على المطارات المصرية، كان نتيجتها تدمير 80% من الأسطول الجوي الحربي المصري، ثم قامت بعدها بتدمير معظم الأسطول العسكري الجوي الأردني المتمركز في المطارات الأردنية، ثم لتنقل بعد ذلك إلى تحطيم 70% من الأسطول الجوي العسكري السوري. وبذلك استطاعت إسرائيل من تحقيق فوز كبير على القوات العربية التي كانت مكشوفة تمامًا لها.

حيث قامت المدرعات الإسرائيلية باحتياج سيناء، وقد تصدّى لها الجيش المصري في البداية، لكن مع غياب التغطية الجوية المصرية، استطاع الطيران الإسرائيلي تدمير المدرعات ووحدات المشاة المصرية، الأمر الذي أدى إلى هزيمتها. ومما زاد الأمر سوءاً القرار الذي اتخذه عبدالحكيم عامر قائد الجيش المصري، بالانسحاب الذي تم بصورة عشوائية ودون تنظيم، وكانت نتيجته انهيار الدفاعات المصرية، وزيادة الخسائر المصرية التي قام الطيران الإسرائيلي بضربها أثناء عملية الانسحاب. وفي التاسع من شهر حزيران، كانت شبه جزيرة سيناء وحتى الضفة الشرقية لقناة السويس واقعة تحت الاحتلال الإسرائيلي، الذي حول مساره لمواجهة الجيشين السوري والأردني.

بدأت القوات الأردنية في 6 حزيران/يونيو بضرب الجيش الإسرائيلي المتمركز على امتداد الخط الفاصل بين منطقة الضفة الغربية وأراضي 1948، وفي المساء كان الجيش الإسرائيلي قد فرض سيطرته على كامل مدينة القدس، ثم بدأ بعدها بالتوسيع فارضاً سيطرته على منطقة الضفة الغربية وصولاً إلى منطقة نهر الأردن. بعدها عملت إسرائيل على توجيه أنظارها إلى منطقة الجولان في سوريا والمطلأ أيضاً على سهل الحولة. عملت سوريا في ذلك الوقت بالاكتفاء بضرب المستعمرات الإسرائيلية، دون دخول قواتها للأراضي الفلسطينية المحتلة، فقد ظنت قياداتها أن مدة الحرب بين الجيش المصري والإسرائيلي ستطول، مما يعطيها الوقت الكافي من أجل تدعيم قواتها استعداداً للمواجهة مع الجيش الإسرائيلي. لكن الأمور جرت على غير المتوقع، خصوصاً بعد احتلال إسرائيل في 9 حزيران شبه جزيرة سيناء، والتي إثرها أخذت القيادة الإسرائيلية قراراً بفرض سيطرتها على الجولان واحتلاله، حيث قام سلاح الجو الإسرائيلي بقفز الموضع السوري التي لا تحظى بدفاع جوي، ترافق ذلك مع احتياج الجيش الإسرائيلي للهضبة وتصدّى غير منظم للجيش السوري للهجمات الإسرائيلية، كانت نتيجتها سقوط الدفاعات السورية في صباح 10 حزيران، واحتلال الجيش الإسرائيلي لهضبة الجولان ومدينة القنيطرة. وهكذا خرجت إسرائيل منتصرة بعد أن وجهت ضربة ثلاثة موجة لجيوش مصر والأردن وسوريا، وبموجبها احتلت إسرائيل شبه جزيرة سيناء التي تعادل مساحتها ضعف حجم مساحة فلسطين، كما احتلت غزة والضفة الغربية، وكذلك هضبة الجولان ذات الموقع الاستراتيجي والغنية باموال المائية الجوفية. أما بالنسبة لخسائر الحرب، فقد بلغت خسائر إسرائيل في هذه الحرب 1000 قتيل و5000 جريح، أما خسائر الجيش المصري فقد بلغت 10000 قتيل، و5000 أسير، في المقابل بلغت خسائر الجيش الأردني 6000 قتيل، و3000 جريح و500 جندي أسير، فيما بلغت خسائر الجيش السوري 1000 قتيل، و400 جندي أسير.<sup>154</sup>

<sup>154</sup> راجع محمد حسنين هيكل، الانفجار: حرب الثلاثين عاماً، القاهرة: الشروق، 1990.

ونتيجة لهذه الحرب التي وصفت بالنكسة، تكون الدول التقديمية العربية، قد مُنيت بضررية موجعة، خصوصاً أن سوريا ومصر كانتا من أكبر المتضررين من هذه الحرب.<sup>155</sup> وأصبحت إسرائيل للغالبية من العرب أمراً واقعاً فرض عليهم أن يتعاملوا معها ويتقبلوها.<sup>156</sup> وهذا ما فعلته خصوصاً دول الطوق، - طبعاً باستثناء سوريا - التي وافقت على القرار رقم 242، الذي يطلب من إسرائيل أن تسحب من الأراضي التي قامت باحتلالها في العام 1967، مقابل الاعتراف بإسرائيل والتوقع على اتفاقيات سلام معها. وكان من نتيجة الهزيمة في الحرب في سوريا إلى وجود نظريتين:

- الأولى: قادها صلاح جديد، والتي رأت أن الهزيمة كان سببها مؤامرة إمبريالية دُبرت وحيكت خيوطها بالتنسيق والتعاون مع "الأنظمة الرجعية العربية". في الوقت نفسه رأى هذا الموقف أن على سوريا إعادة بناء قوتها، وذلك عبر قيامها بثورة اشتراكية مماثلة تماماً للنموذج السوفياتي، مع الانحياز التام والكامل إلى جانب معسكر الدول الاشتراكية.<sup>157</sup>

- الثانية: قادها حافظ الأسد وزير الدفاع السوري، الذي أرجع الهزيمة في الحرب إلى الانقسامات الداخلية ضمن صفوف الشعب السوري، وإلى الصراعات والخلافات العربية، وبناء عليها دعا الأسد إلى ضرورة حل المشكلات الداخلية بين أبناء الشعب السوري، وإلى العمل على تقارب وجهات النظر بين جميع الدول العربية، وذلك ضمن إطار التضامن العربي، من أجل توحيد كافة الجهود وتوظيفها وتوجيدها ليتم بعدها تحرير كامل الأراضي المحتلة عام 1967.<sup>158</sup>

أما على مستوى القضية الفلسطينية، فقد أدّت نكسة حزيران عام 1967، إلى صعود وظهور الفصائل الفدائية المسلحة، وفي مقدّمتها: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وحركة فتح، كما تراجعت نسبة المصداقية التي تمتّعت بها القيادة المدنية التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية،

---

246 ماclaurin R.D. and Mughisuddin, Muhammad and Wagner, Abraham; <sup>155</sup>

Van Dam, Nikolas; *The Struggle for Power in Syria, Sectarianism, Regionalism and Tribalism in Politics, 1961-1978*, Groom Helm limited, London, 1979, p.84.

<sup>157</sup> المصدر نفسه

<sup>158</sup> محمد زهير دياب، الموقف السوري من التسوية السلمية للنزاع العربي الإسرائيلي، مجلة الدراسات الفلسطينية عدد 9 شتاء 1992 ، ص.ص. 87-86

والتي تأسست في العام 1964، وكان يمثلها أحمد الشقيري.<sup>159</sup> وقد زاد تأييد هذه الفصائل، خاصة بعد معركة الكرامة في العام 1968، والتي خاضوها ضد القوات الإسرائيلية. والتي عملت في ما بعد على تدعيم نفوذها ضمن مؤسسات و هيئات "منظمة التحرير"، الأمر الذي مهد الطريق أمام ياسر عرفات زعيم فتح في العام 1969، ليتسلم رئاسة اللجنة التنفيذية للمنظمة، وذلك خلفاً للشقيري. لكن عرفات وبحجة المحافظة على وحدة القرار الوطني الفلسطيني والمستقل، وذلك وفق ما ورد في الميثاق الموقع بين حركة فتح ومنظمة التحرير، عمل على التفرد باتخاذ القرارات السياسية لمنظمة التحرير. الأمر الذي أدى إلى حدوث صدام وخلاف بينه وبين القيادة الأردنية من جهة، وبينه وبين القيادتين اللبنانيّة والسوّرية من جهة أخرى، فقد وجدت ان تمركز الفدائيّين على أراضيها خطر عليها حيث باتوا يأسسون دولة داخل الدولة. في الوقت ذاته سعت الدول العربية إلى لعب دور مهم على الساحة الإقليمية، وخصوصاً سوريا التي سعت لانتزاع دور يقوى نفوذها على الساحة الفلسطينيّة، وذلك في إطار موقفها الشّرعي في قضية الصراع العربي - الإسرائيلي. هذا الأمر ساعد في بروز نجم ياسر عرفات المدعوم من مصر والسعودية في العام 1969.<sup>160</sup>

## دّساتير عقد الستينيات

بنتيجة الوحدة مع مصر ألغى الدستور السوري واعتمد دستور موحد للجمهورية العربية المتحدة المكونة من إقليم شمالي هو سوريا وإقليم جنوبي هو مصر. لكن بعد الانفصال في العام 1961 صدر دستور سُمّي بـ دستور الانفصال وهو في حقيقته الدستور السوري لعام 1950. وبعد انقلاب البعث وسيطرته على السلطة صدر دستور جديد لسوريا في العام 1964 والذي أقر مبدأ قيادة الحزب الواحد وهو حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم. وبعد الانقلاب الذي قاده الجناح اليساري في الحزب بقيادة صالح جديد على ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار صدر قرار عن القيادة القطرية لحزب البعث عدّ بمثابة دستور للبلاد. وقد تمّ اعتماد توزيع السلطات بين:

Laurens Henry ; *Le retour des exilés, la lutte pour la Palestine de 1869 à 1997* , Robert Laffont, Paris<sup>159</sup>  
1998, p.941.

<sup>160</sup> هنري لورنس، المصدر نفسه، ص. 945

- 1 السلطة السياسية: وتمثلها القيادة القطرية نفسها. وهي التي تعين رئيس الدولة ورئيس الوزراء والوزراء، ولها قول استقالتهم وإقالتهم .

- 2 السلطة الإدارية: وتمثلها رئيس الدولة ومجلس الوزراء. وهي تساهم في التشريع؛ حيث تصدر المراسيم التشريعية بتوقيع رئيس الدولة، بعد إقرارها في مجلس الوزراء.

أما رئيس الدولة فهو الأمين العام للقيادة القطرية، وهو صلة الوصل بين السلطتين السياسية والإدارية.

وفي أواخر العام 1969 صدر دستور استثنائي بعد المؤتمر القطري الرابع لحزب البعث، لكن لم يعملا بهذا الدستور طويلاً نتيجة قيام الحركة التصحيحية ووصول حافظ الأسد إلى الحكم ومسارعته إلى إصدار دستور مؤقت في أوائل العام 1971 ليتم بموجبه انتخابه رئيساً للجمهورية.

## الفصل الثاني

### لبنان 1958 – 1970

في عام 1956، مُنيت بريطانيا وفرنسا بهزيمة موجعة في الشرق الأوسط، وذلك بسبب خسائرها في الحرب وانتصار عبد الناصر على العدوان الثلاثي (بريطانيا، فرنسا، إسرائيل)، الأمر الذي دفع بالرئيس الأميركي دوايت أيزنهاور إلى الإعلان عن هدفه في "محاربة الشيوعية"، بالإضافة إلى تدخله في "مناطق الفراع" حتى يضع حدًا لانتشارها. فوز عبد الناصر حوله قدوة ورمزاً على امتداد الوطن العربي والأفريقي، خصوصاً لقوى التحرر، لكن، هذا الفوز أثار خشية وقلق الأسرة الحاكمة في السعودية على ضمان واستمرارية حكمها، خاصةً أن معارضيها جعلوا من عبد الناصر قدوة ونموذج يُحتذى من أجل إحداث تغيير في السعودية. مما دفع بملك سعود بن عبد العزيز بعد أن كان حليفاً مع عبد الناصر ضد الهاشميين، أن يتخد موقفاً مغايراً ويناصبه العداء. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل وضع يده بيد خصومه الهاشميين وتحالف معهم ضده، كما حاول الملك سعود أكثر من مرة، اغتيال عبد الناصر، بواسطة عبدالحميد السراج، حيث قام بإرسال شيكًا له بقيمة ملايين الدولارات، وذلك من أجل أن يُسقط الطائرة التي تُقل عبد الناصر، إلا أن السراج رفض وأخبر عبد الناصر بخطبة الملك سعود وسلمه الشيك. ورداً على ذلك عمل الملك سعود في سوريا على تشجيع ودعم معارضي عبد الناصر من أجل الانقلاب ضده، والتقي الجهد الذي قام به الملك سعود، مع المساعي المبذولة من قبل الولايات المتحدة الأميركيّة، ورفض الحزب السوري القومي الاجتماعي، والحزب الشيوعي السوري قيام الوحدة بين سوريا ومصر.

## التطورات الإقليمية والدولية

الوحدة بين سوريا ومصر، تمت في 22 شباط، إثر توقيع اتفاقية بهذا الخصوص بين كلٍ من الرئيسين شكري القوتلي وعبد الناصر. وقبل توقيع هذه الاتفاقية، في أوائل شهر كانون الثاني من العام 1958، قام وفد مؤلف من ضباط سوريين في مقدمتهم أمين الحافظ، بزيارة سرية إلى مصر، حيث عرضوا على عبد الناصر قيام وحدة بين مصر وسوريا. هذه الزيارة أتت في وقت كانت تتعارض سوريا فيه

لتهديدات تركية بشن حرب عليها، بسبب موقفها الرافض للانضمام لـ "حلف بغداد". وقيل عبد الناصر بقيام وحدة بين البلدين، ولكن بعد تردد شديد، بسبب خشيته من المشكلات التي سترافق إعلان قيام الوحدة، مع وجود معارضين لها سواء في الداخل السوري، أو معارضين من الدول الإقليمية والعالمية. في الوقت نفسه كان لعبد الناصر الرغبة في بسط نفوذه على سوريا، وذلك ظل تنافسه مع السعودية والعراق وتركيا على مناطق النفوذ في منطقة المشرق العربي. لذلك وافق عبد الناصر على قيام الوحدة، ولكن بشرط أن تُحل جميع الأحزاب المتمركزة في سوريا، كما هو الحال في مصر، بالإضافة إلى ذلك يمنع على الضباط التدخل في الشؤون السياسية، كما يتم العمل على توحيد برمطاني البلدين وهذا التوحيد تم في العام 1960.<sup>161</sup> وبناء على ذلك عين أكرم الحوراني القيادي البعثي في منصب نائب الرئيس. لكن ما لبث أن شب خلاف ونزاع بين قياديي حزب البعث، صلاح الدين البيطار، وميشيل عفلق، والحوراني من ناحية، وعبد الناصر من ناحية أخرى. حيث كان البعثيون يرون أن قيام الوحدة بين سوريا ومصر سيساهم في جعلهم الحزب الحاكم في البلدين، على خلاف عبد الناصر حيث كان يعارض فكرة قيام الأحزاب التي كانت من وجهة نظره عقبة تُعرقل وحدة الدولة، وتفتح الباب للتدخل الخارجي، ورأيه هذا جاء نتيجة تجربته التي عايشها في مصر، وأيضاً ما مرت به سوريا من حالات انقسام بسبب تعدد الأحزاب، التي تدين بولاءاتها إلى الأطراف الإقليمية والدولية. كما أن قيادة البعث لم تكن تعلم بالزيارة السرية التي قام بها وفد من الضباط السوريين إلى مصر، مما سبب لهم مفاجأة إثر عرض هؤلاء الضباط على عبد الناصر قيام الوحدة ومن ثم موافقته عليها. في الوقت نفسه اشتداد المعارضه الناصريين ونفوذهم في الجيش، كل ذلك على حسابهم. ولم تكن لهم الجرأة في الإفصاح عن نياتهم، خاصة أنهم في كل خطاباتهم السابقة يرفعون شعار الوحدة. لكن ما لبث هذا الخلاف أن بلغ الذروة وظهر إلى العلن، وذلك في أواخر العام 1959، وخاصة بين عبد الناصر والحوراني، الذي فاجأ الجميع بتقديم استقالته، وفر إلى لبنان حيث اتخذ منه منبراً لشن هجماته العنيفة والشديدة على دولة الوحدة.

---

<sup>161</sup> جمال واكيم، صراع القوى الكبرى على سوريا، ص.ص. 116 - 118.

## الوحدة وتبعاتها الإقليمية

كان لقيام الوحدة بين مصر وسوريا ارتدادات كبرى، إذ أدت إلى حدوث خلل في موازين القوى الإقليمية والدولية، مما جعلها تتحالف ضدها، وفي مقدمتهم: الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، وبريطانيا، وهاشمي العراق، والمملكة الأردنية الحسين بن طلال، وال السعودية. لكن لم تسر بشكل جيد، ففي العراق حدث انقلاب عسكري، وذلك في صيف عام 1958، كانت نتاجته سقوط الأسرة الهاشمية، التي استبدلت بنظام وحكم عسكري يميل إلى الوحدة، على الأقل حتى فترة إسقاط عبدالسلام عارف الذي كان من مؤيدي فكرة قيام الوحدة بين العراق ومصر وسوريا، وعبدالكريم قاسم الذي كان رافضاً لها. بعد ذلك أقدم عبدالسلام عارف في صباح 14 تموز/يوليو من العام 1958، على عزل قادة الوحدات الذين شكّ بأمر ولائهم، وتمّ احتجازهم، كما عمل على تعيين ضباط بدلاء عنهم معروفين بولائهم له، بعدها سارع إلى فرض سيطرته على مبنى قيادة الجيش العراقي، وعلى وزارة الدفاع، بالإضافة إلى معاشر الملك الرشيد والوشوش، كما عمل على وضع يد سلطته على مبنى الإذاعة والقصر الملكي إضافة إلى قصر نوري السعيد، ومؤسسة الهاتف. كما عمل عبدالسلام عارف في مبنى الإذاعة على إصدار بيان يعلن فيه إطاحة الأسرة الملكية الهاشمية وإعلان قيام الجمهورية العراقية. في الوقت نفسه كان الموالون لعارف يحاصرون قصر الملك فيصل الثاني، حيث اقتحموه وطلبو منه الاستسلام، فوافق الملك الشاب على الاستسلام، وخرج بناء على ذلك من القصر إلى الحديقة برفة خالته وخالة، وزوجة خاله وجدته، بالإضافة إلى بعض من أفراد الأسرة الهاشمية المالكة، لكن، قام أحد الجنود بإطلاق النار عليهم فأرداهم جميعاً. وقد جاء هذا التصرّف نتيجة الخوف من أن تتدخل بريطانيا كما فعلت في العام 1941، وتنعيid الحكم الملكي إلى العراق. أما نوري السعيد، فقد تنكر بشياب امرأة، وهرب من قصره إلى قصر محمود الاسترابادي صديقه التاجر الثري في منطقة الكاظمية، كما فعل في ما مضى خلال فترة ثورة رشيد عالي الكيلاني. خلال هذا الوقت أعلن عبدالسلام عارف عن مكافأة مادية لمن يقدم معلومات عن مكان تمركز السعيد، الذي حاول الخروج من بيت صديقه في 15 تموز/يوليو، متوجهاً إلى الحدود الأردنية بواسطة سيارة، لكن بعض المارة تعرفوا إليه وأبلغوا عنه، وعلى الفور سارعت قوة من الجيش بفرض حصار عليه، حيث أطلقت عليه النار وقتلته. وفي رواية أخرى، ذكر أن نوري السعيد أقدم

على الانتحار بواسطة مسدسه الخاص، بعد أن شعر بأنه محاصر، وخشية من أن يتم إلقاء القبض عليه وتعذيبه.<sup>162</sup>

كان للثورة العراقية تأثير كبير في تبدل موازين القوى الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط، حيث أسقطت حكم الهاشميين الذين كانوا يُشكلون ركناً أساسياً من النفوذ البريطاني ومركزهم في المنطقة، وذلك منذ الحرب العالمية الأولى، كما أصابت الثورة "حلف بغداد" في مقتل، وضربة موجعة لسياسة الأحلاف التي انتهجها الغرب في المنطقة، كما عملت على صعود نجم الرئيس عبدالناصر، إضافة إلى الاتحاد السوفيتي حليفه الجديد. الأمر الذي أثار غضب القوى الغربية، فعملت واشنطن على إرسال قوات من الأسطول السادس الذي نزل في بيروت، بحجة الحد من تجدد الشيوعية. كما سارعت بريطانيا إلى إرسال قواتها المظليلة إلى الأردن، من أجل حماية النظام الملكي الهاشمي فيها ومنع انهياره. في الجانب الآخر وقف عبدالناصر إلى جانب الثورة العراقية وباركها وأعلن دعمه لها، من خلال تصريحه أن أي محاولة عدوان عليها ستكون بمثابة حرب مباشرة على الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا). كما قام الاتحاد السوفيتي بقيادة نيكيتا خروتشيف بالترحيب بالثورة العراقية، ودعمها من خلال إقامة اتفاقيات تعاون بين البلدين في جميع المجالات.<sup>163</sup> وكانت رغبة عارف بانضمام العراق إلى دولة الوحدة، التي عارض فكرتها قاسم وبشدة، وذلك نتيجة ضغوط من الحزب الشيوعي، فقد تأثر ب موقف خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعي السوري، الذي كان رافضاً فكراً فكراً قيام الوحدة.

أما بالنسبة إلى لبنان فقد عُدّ حكم فؤاد شهاب بداية عهد جديد يُكتب في تاريخ الجمهورية اللبنانية والنظام، وذلك بين عامي 1958 و1964. ولد فؤاد شهاب في العام 1902، والده الأمير عبد الله شهاب ابن حميد الشقيق الأكبر للأمير بشير الشهابي، الذي كان يحكم منطقة جبل لبنان وذلك بين عامي 1788 و1840. في العام 1907، هاجر والده فانقطعت أخباره ولم يُعرف عنه شيء، فقامت أمه بدبعة حبيش وأخواله بتولي مهام تربيته مع أخيه فريد وشبيب. في العام 1916، وليقوم بمساعدة عائلته عمل فؤاد شهاب على الالتحاق بسرائي جونية، بعدها في العام 1919، التحق بالجيش الفرنسي من أجل أداء الخدمة العسكرية، وفي العام 1921، دخل الكلية العسكرية الفرنسية في مدينة حمص، حيث تخرج منها برتبة ملازم أول، وذلك في العام 1923. وفي هذه الأثناء تعرّف إلى ابنة ضابط فرنسي كانت وحده تعمل في لبنان، هذه الفتاة تُدعى روز رينيه بواتيو،

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 85. <sup>162</sup>

جمال واكي، صراع القوى الكبرى على سوريا، ص.ص. 115 - 119 <sup>163</sup>

والتي تزوجها سنة 1926. بعدها تمت ترقيته لرتبة نقيب وذلك في العام 1929، ثم تسلم بعدها بعام قيادة ثكنة راشيا. وتمت في العام 1937، ترقيته إلى رتبة مقدم في جيش الشرق الفرنسي. كما تم تعيينه بعد ذلك قائداً لفرقة اللبنانية التابعة للقوات الفرنسية في الشرق، إثر وقوع سوريا ولبنان تحت النفوذين الفرنسي والبريطاني في صيف العام 1941. بعدها رُقي شهاب إلى رتبة عقيد في العام 1944، وعندما حصل الاتفاق بين الحكومتين الفرنسية واللبنانية في العام 1946، والذي يقضي بموجبه التحاق الفرقة اللبنانية التي كانت تحت قيادة فؤاد شهاب بالحكومة الوطنية، فأصبح فؤاد شهاب قائداً للجيش اللبناني الذي سيعمل شهاب على تأسيسه من جديد. وبعد تقديم الرئيس بشارة الخوري استقالته في شهر أيلول / سبتمبر من العام 1952، تم تشكيل حكومة عسكرية ترأسها فؤاد شهاب، عملت على تنظيم وإجراء انتخابات رئاسية، رعت انتخاب كميل شمعون رئيساً للجمهورية اللبنانية. وقد زادت هذه الحادثة من رصيد شهاب، وذلك لترفعه عن توقيع زمام الحكم مع أنه كان باستطاعته أن يفعل ذلك وبكل سهولة. وفي ربيع عام 1958، وقع خلاف كبير بين الرئيس شمعون ومؤيديه من ناحية ومعارضيه من ناحية أخرى، مما دفع بشهاب إلى العمل على تحييد الجيش عن هذه الأزمة، وهذه الخطوة نالت تأييداً واستحساناً من القوى الإقليمية والدولية، وعندما تم حل الخلاف والوصول إلى تسوية، تقدم الرئيس كميل شمعون في صيف ذلك العام باستقالته، وذلك قبل انتهاء مدة ولايته ليُنتخب بعدها شهاب خلفاً له.<sup>164</sup>

## رموز العهد الجديد

ترافق عهد شهاب مع تراجع نفوذ بريطانيا وفرنسا في الشرق الأوسط عقب فشلها الذريع خلال العدوان الثلاثي على مصر، وبروز دور الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في العالم وفي المنطقة العربية. كذلك ترافق عهد شهاب مع أفلول نجم الهاشميين في العراق الذين كان قد أطاح بهم في العام 1958، وبروز نجم جمال عبد الناصر ومعه النفوذ المصري في المنطقة العربية، إضافة إلى بروز دور المملكة العربية السعودية كمنافس إقليمي لعبد الناصر. وقد أثر ذلك على لبنان الذي شهد أفلول نجم آل الصلح الذين هيمروا على الساحة السياسية المسلمة لعهدين من الزمن وصعود نجم رشيد كرامي، حليف عبد الناصر، خلال الستينيات من القرن الماضي وتوليه منصب رئاسة الحكومة معظم مراحله فؤاد شهاب وشارل حلو. إضافة إلى ذلك فلقد بُرِزَ في تلك الفترة حزب

<sup>164</sup> راجع باسم الجسر، فؤاد شهاب، بيروت: بيisan، 1998.

الكتائب كحزب مسيحي حليف للسلطة الجديدة، فيما برع الزعيم الدرزي كمال جنبلاط كحليف "مسلم" للسلطة والذي أنشأ علاقات مع مصر ومع الاتحاد السوفيافي وتبني شعارات يسارية وجمع حوله العديد من المجموعات والأحزاب ذات الطابع اليساري وغير المرخص لها. وقد شكلت مرحلة شهاب محاولة موازنة هذه الأطراف السياسية بغية فرض الاستقرار في البلاد.

ورشيد كرامي هو ابن عبد الحميد كرامي، الزعيم الطرابلسي الذي عارض قيام دولة لبنان الكبير ولم يقبل بالأمر الواقع إلا بعد قبول الزعامات الشامية بالتسوية مع الفرنسيين. وقد عرفت في عبد الحميد كرامي نزعته العروبية القوية وفضيلته علاقات قوية مع الشام. وقد ورث رشيد، وهو الإبن البكر لعبد الحميد، هذا التوجّه عن أبيه. وكان رشيد قد ولد في العام 1921، وخلافاً لمعظم أعضاء نادي النخبة اللبناني في ذلك الوقت والذين كانوا يدرسون الحقوق في الجامعات الفرنسية والجامعة اليسوعية في بيروت، فإن رشيد كرامي تابع دراسته للحقوق في القاهرة خلال الأربعينيات من القرن الماضي ثم مارس المحاماة في طرابلس. وفي العام 1951 انتخب رشيد نائباً عن طرابلس في الانتخابات الفرعية التي أجريت ملء الفراغ الذي نجم عن وفاة والده. ثم عين في ذلك العام وزيراً للعدل في حكومة حسين العويني. وفي العام 1953 عين وزيراً للاقتصاد في حكومة عبد الله اليافي. وفي العام 1955 أصبح كرامي رئيساً للحكومة لأول مرة في حياته، لكنه أقيل من قبل شمعون في أواخر العام 1956 نتيجة خلافهما حول الموقف الذي كان على لبنان اتخاذه خلال أزمة السويس. ففيما كان شمعون مؤيداً للبريطانيين ضمناً في عدوانهم على مصر، فلقد كان كرامي مؤيداً بقوة مصر. هذا الموقف جعله ينال حظوة جمال عبد الناصر الذي دعم صعود نجمه خلال المرحلة الشهابية في لبنان. وقد شكل كرامي أول حكومة في عهد فؤاد شهاب والتي استمرت لستين، استقال بعدها نتيجة تصاعد المعارضة لحكم شهاب من قبل شمعون وحلفائه ليعود ويشكل الحكومة في العام 1961 وتستمر حتى نهاية عهد شهاب في العام 1964. وبذلك يكون كرامي قد تولى رئاسة الحكومة لخمس سنوات من أصل ست خلال عهد شهاب. وقد شكل كرامي حكومة شارل حلو الثانية عام 1965 ليستقيل في العام 1966، لكن أعيدت تسميته رئيساً لحكومة أخرى في العام نفسه ليستمرة في الحكم حتى العام 1968. ثم شكل حكومة أخرى في العام 1969 وحتى نهاية عهد شارل حلو عام 1970.<sup>165</sup>

أما الرجل الثاني الذي سيبرز نجمه في تلك المرحلة كإحدى أدوات السلطة الجديدة فهو بيار الجميل، مؤسس حزب الكتائب اللبناني الذي سيتحول في عهد شهاب من حزب مغمور إلى حزب

<sup>165</sup> راجع جورج فرسخ، رشيد كرامي، بيروت: شركة المطبوعات، 2016.

رئيسي في لبنان. وقد ولد بيار الجميل في بكفيا في العام 1905. وفي العام 1914 اضطر للانتقال مع عائلته وعائلته عمله إلى مصر هرباً من السلطات العثمانية التي اكتشفت علاقات لوالد بيار الجميل بالقنصلية الفرنسية وتخطيطه مع آخرين للثورة على الحكم العثماني. وقد بقيت عائلة الجميل في مصر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. وقد تابع بيار الجميل دراسته في المدارس اليسوعية وتخرج من الكلية الطبية الفرنسية حاملاً شهادة في الصيدلة. وفي العام 1936 شارك بيار الجميل في أوطبياد بميونيخ وتأثر كثيراً بمنجزات النازية الألمانية والفاشية الإيطالية فعاد إلى لبنان وأسس حزب الكتائب اللبناني والذي استوحى اسمه الأول من كتاب موسوليني الفاشية. وقد كان معه في التأسيس شارل حلو الذي أصبح لاحقاً رئيساً للبنان، وشفيق ناصيف، واميل يارد وجورج نقاش. وبنتيجة ميوله الفاشية قررت سلطات الانتداب الفرنسي منع الحزب في العام 1937 فبدأ ينشط في مواجهة الانتداب وشارك لاحقاً في المظاهرات المطالبة باستقلال لبنان في العام 1943. وقد كان لحزب الكتائب يد في افتعال النزاع مع القوميين الاجتماعيين في العام 1949 بإيعاز من السلطات اللبنانية والتي أدت إلى ملاحقة القوميين ثم إعدام انطون سعاده في العام نفسه. وقد عرفت عن الحزب اتصالاته المبكرة بإسرائيل منذ الأربعينيات من القرن الماضي، كما عرفت عنه نزعته المسيحية المتعصبة. وقد شارك الحزب في القتال مع شمعون ضد خصومه خلال أزمة 1958 إلا أن الجميل وشمعون اختلفاً معظم فترة الشهابية في السبعينيات وحتى العام 1968 نتيجة مساندة الجميل للعهد الجديد ومعارضة شمعون له. وقد أصبح الجميل وزيراً في أول حكومة شكلها عمر كرامي في عهد شهاب ليصبح حزب الكتائب داعمة للعهد في مواجهة مناوئيه على الساحة المسيحية.<sup>166</sup>

وأخيراً فلقد كان كمال جنبلاط هو الشخصية الثالثة التي سييرز دورها المحوري خلال عهد فؤاد شهاب وبعده. وكمال جنبلاط من مواليد المختارة عام 1917، وكان في الرابعة من عمره حين تم اغتيال والده فؤاد جنبلاط على يد معارضين لسلطات الانتداب الفرنسي لشبهة تعامل فؤاد جنبلاط مع هذه السلطات. وقد درس جنبلاط في مدرسة عينطورة - المتن الأعلى، ثم تابع دراسة المحاماة في الجامعة اليسوعية. وبعد فترة قصيرة من تدرّجه في مكتب الرئيس اميل ادّه تحول جنبلاط إلى السياسة وأصبح نائباً في البرلمان اللبناني عن منطقة الشوف في العام 1943 خلفاً لعمه حكمت جنبلاط الذي توفي في ظروف غامضة. وقد تبنّى جنبلاط أفكاراً اشتراكية مثالية للمفكر الفرنسي تيلارد دي شارдан كما كان له نزاعات تأثرت بالفلسفة الهندوسية. وقد كان لأمه نظيرة جنبلاط تأثير كبير عليه. وفي العام 1949 أسس جنبلاط الحزب التقدمي الاشتراكي الذي أصبح واجهة لزعامته

<sup>166</sup> راجع رفيق غانم، بيار الجميل: قائد ومؤسسة، بيروت: حزب الكتائب اللبنانية، 1987.

التي بقيت تقليدية وغّلت بمحظه عصري. وقد أسس الجبهة الاشتراكية التقديمية في العام 1952 التي ضمت عدداً كبيراً من معارضي الرئيس بشارة الخوري والتي ساهمت في إصال كميل شمعون إلى سدة الرئاسة. لكن جنبلاط سيفترق عن شمعون في العام 1957 بعد مساهمة الأخير في إسقاطه في الانتخابات النيابية في إطار سعيه للتخلص من نفوذ الأسر الإقطاعية. وقد انتقل جنبلاط إلى صفوف معارضي شمعون وبدأ ينسج علاقات مع مصر بقيادة عبد الناصر وبالاتحاد السوفيافي. وقد أهله هذا للعب دور رئيسي في عهد شهاب الذي كان يبحث عن حلفاء في الساحة المسلمة في مواجهة الزعماء المسلمين التقليديين في إطار محاولته تهميشهم عن السلطة والدولة. وقد أصبح جنبلاط أيضاً وزيراً في أول حكومة يؤلفها رشيد كرامي في عهد شهاب في العام 1958.<sup>167</sup>

## عهد شهاب وحلو

ما إن تولى شهاب السلطة حتى سعى لتقلييم أظافر المقاطعجية اللبنانيين وتحييدهم قدر الإمكان عن السلطة. ولذلك فلقد أصدر خلال عهده سلسلة قرارات كان من شأنها تحصين الإدارة العامة وأجهزة الدولة نسبياً من تدخلات الوجهاء التقليديين فكان إنشاء مجلس الخدمة المدنية الذي كان يهدف إلى اختيار موظفين كفؤين بمعزل عن ولاءاتهم السياسية ليتبؤوا المناصب الإدارية، كما أنشأ ديوان المحاسبة ليراقب عمل الإدارات العامة ويشرف على المناقصات والتلزيمات في الدولة بمعزل عن تدخلات المقاطعجية التقليديين. وقد عزّز في عهده دور المدرسة الرسمية حتى تساهم في تعليم أولاد الطبقات الوسطى والفقيرة ولا يبقى التعليم حكراً على نخبة ثرية، كما عزّز دور الجامعة اللبنانية لتساهم في تعليم وتخريج كوادر من أبناء الطبقات الوسطى والفقيرة والذي سيكون له أثر كبير في ظهور نخب في الستينيات والسبعينيات من أصل فقير لتتبؤا صدارة المشهد السياسي. إضافة إلى ذلك سعى شهاب إلى تنمية مناطق الريف الزراعي في لبنان والذي كان قد بدأ يعاني كثيراً في عهدي سلفيه الخوري وشمعون نتيجة السياسات التي شجعت القطاعين السياحي والمالي على حساب القطاعين الزراعي والصناعي ما ساهم في تركيز الثروة في يد قلة قليلة من اللبنانيين وإفقار غالبية الشعب الذي كان الريف يشكل نسبة ستين بالمائة منه في ذلك الوقت. ولهذا السبب أنشأ شهاب المشروع الأخضر الذي كان من مهامه تقديم الدعم المالي والإرشاد للمزارعين لتحسين إنتاجيتهم وإيجاد أسواق لمنتجاتهم. وقد اعتمد شهاب في تلك السياسات على

<sup>167</sup> راجع ايغور تيموفيف، كمال جنبلاط الرجل والاسطورة، بيروت: دار النهار، 2000

التصيات التي قدمها لويس جوزيف لوبري من مؤسسة الأبحاث والتطوير والتنمية الفرنسية ايرفied بعد قيامه بتنظيم بعثة أجرت دراسة معمقة لبنية الاقتصاد اللبناني الاجتماعية وأوجه القصور فيها وقدمت تصياتها التي اعتمد شهاب جزءاً منها وفقاً لما تقدم. وقد أرسى شهاب أيضاً مفهوم المناصفة بين المسلمين والمسحيين في التوظيف ووسع عدد مقاعد مجلس النواب اللبناني ليصبح 99 عضواً. وقد وجد شهاب صعوبة في الدفع قدمًا بإصلاحاته الداخلية نتيجة معارضة الأسر الإقطاعية التقليدية ما دفعه إلى الاستقالة في العام 1960، إلا أنه عاد عن استقالته بعد تأكيد الولايات المتحدة وعبد الناصر دعمهما له فحاول الاعتماد على الجيش بالدرجة الأولى كقوة وأداة لتنفيذ سياساته، وهو ما عزز من دور ضباط الشعبة الثانية خلال عهده وعهد خلفه شارل حلو.<sup>168</sup>

وقد شهد عصر شهاب محاولة اعتماد سياسة متوازنة بين الولايات المتحدة من جهة ومصر بقيادة جمال عبد الناصر من جهة أخرى. وقد ساهم ذلك في ترسیخ الاستقرار السياسي في البلاد طوال عهده ولم تعركه إلا محاولة الانقلاب التي قام بها ضباط في الجيش اللبناني ينتمون إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي. وكان الحزب قد تلقى سلسلة ضربات موجعة في لبنان بعد إعدام سعاده عام 1949 وفي سوريا عقب التنكيل بأعضائه بذرية اتهامهم بقتل الضابط البعثي عدنان المالكي والتي وصلت حد سجن زوجة زعيمه جولييت امير. وعقب استقالة شمعون بدأ الحزب يتعرّض لمضايقات من قبل الدولة اللبنانية نتيجة دعمه لشمعون خلال أزمة 1958. وفي أواخر العام 1961 اعتقدت قيادة الحزب أن الظرف بات مواتياً لقلب الوضع في لبنان، خصوصاً بعد الانقلاب الذي وقع في سوريا والذي أدى إلى الانفصال عن الجمهورية العربية المتحدة وقيام نظام في سوريا معادٍ لمصر وتحالف الملك الأردني الحسين بن طلال الهاشمي مع المملكة العربية السعودية ضد عبد الناصر. وفي يوم رأس السنة الميلادية في 31 كانون الأول ديسمبر 1961، استغلّ القوميون الاحتفالات برأس السنة ليبدأوا تحركهم. وكانت الخطة تستند إلى قيام قائد كتيبة الدبابات في الجيش النقيب فؤاد عوض باحتلال مقر الإذاعة اللبنانية على أن تتجه وحدات أخرى إلى صربا لاعتقال رئيس الجمهورية وهو في منزله واعتقال قائد الجيش وقيادات عسكرية أخرى بالتزامن مع تحرك القوميين للسيطرة على الشارع. لكن النقيب سامي الخطيب، الذي كان على علاقة وطيدة بأجهزة الاستخبارات المصرية، والذي كان على علاقة أيضاً بضباط الشعبة الثانية العسكرية، والذي كان قد استمال أحد السوريين القوميين الاجتماعيين الذي أبلغه بالخطة، عمل

على تنبية شهاب وقيادة الجيش، ما مكّنها من التحرك لإفشال الانقلاب. وقد تمكّن القوميون في البداية من تحرير الضابط القومي المعتقل شوقي خير الله واعتقلوا رئيس الأركان العميد يوسف شميط وقائد منطقة بيروت عبد القادر شهاب والمدير العام للأمن العام المقدم توفيق جلبوط، والزعيم ميشال نوبل قائد قوى الأمن الداخلي إلا أنهم فشلوا باعتقال شهاب وقائد الجيش. وعند توجّه فرقة المدرعات إلى وزارة الدفاع فوجئت بالخطيب والعقيد انطوان سعد والعقيد اسكندر غانم وعدّ آخر من الضباط وقد تحضروا لمقاومة الانقلابيين وقد جرى تبادل إطلاق النار، في الوقت الذي كانت فرقة الحرس الجمهوري المتمركزة في صربا قد توجهت إلى وزارة الدفاع. عندها أسقط في يد الانقلابيين الذين بدأوا يواجهون مشكلات مع الضباط الأقل رتبة في وحداتهم لرفضهم تنفيذ الأوامر بإطلاق النار على الوحدات الموالية لشهاب. عندها جرى الإطباق على فرقة النقيب عوض التي استسلمت للقوات الموالية لشهاب. ويعود سبب فشل الانقلاب إلى ما تم ذكره آنفًا إضافة إلى دعم الولايات المتحدة لشهاب وأيضاً إلى دعم عبد الناصر له، خصوصاً أنه كان لا يزال الزعيم العربي الأبرز على الرغم من النكسة التي تلقاها في سوريا.

في أيلول سبتمبر 1964 رفض شهاب تعديل الدستور ليُتاح له تولي رئاسة الجمهورية لولاية ثانية، لكنه دعم انتخاب من اعتبره وفياً لمبادئه ونطجه وهو شارل حلو. وكان شارل حلو ولد في العام 1913 ودرس المحاماة في الجامعة اليسوعية وتدرج في مكتب الرئيس بترو طراد في منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي. كما عمل في الصحافة الفرنسية اللبنانيّة في جريدة لوجور وجريدة لوكلير دو جور ومجلة افورماسيون، كما كان من مؤسسي حزب الكتائب اللبناني مع بيار الجميل إلا أنه استقال من الحزب بعد فترة وجيزة من التأسيس. وقد عين سفيراً للبنان بين عامي 1946 و1949 وانتخب نائباً لبيروت عام 1951 وأصبح وزيراً للخارجية في حكومة عبد الله اليافي في آخر سنة من عهد بشارة الخوري. وفي العام 1954 عين وزيراً للصحة في وزارة سامي الصلح، ووزيراً للاقتصاد في حكومة رشيد كرامي عام 1957، ووزيراً للتربية الوطنية عام 1964. وفي آب أغسطس 1964 انتخب شارل حلو رئيساً بغالبية 92 صوتاً مقابل خمسة أصوات لمنافسه بيار الجميل. وقد مثل عهد حلو استمراً لعهد شهاب لجهة اعتماد سياسة متوازنة بين الولايات المتحدة من جهة ومصر من جهة أخرى، ولجهة تدعيم الدولة المركزية في مواجهة الإقطاع التقليدي، إلا أنه كان سيواجه جملة متغيرات إقليمية ومحليّة ستشكّل عنصراً للتفجير في وقت لاحق، مثل الحرب العربية الإسرائيليّة عام 1967 والتي ستنتهي بهزيمة العرب وتوجيه ضربة لزعامة عبد الناصر، وصعود المقاومة الفلسطينيّة والتي ستتساهم في زعزعة استقرار النظام الطائفي اللبناني، إضافة إلى

دخول لبنان طور الركود الاقتصادي الذي سيؤدي إلى تفجر الصراع الاجتماعي بين الفئات الريفية والفقيرة من جهة والنخبة المالية المسيطرة على الاقتصاد والدولة من جهة أخرى.

## التحولات الدولية والإقليمية وحرب 1967

شهدت مرحلة السبعينيات تحولات جذرية في التوازنات الإقليمية والدولية. فحتى العام 1965 كان بإمكان جمال عبد الناصر أن يلعب على التناقضات بين الشرق والغرب ليبني قوة مصر ويعزز من دورها الإقليمي وال العالمي. لكن هذا الوضع بدأ بالتغيير بدءاً من العام 1965. فأزمة الصواريخ الكوبية في العام 1962 أقنعت دوائر نافذة في الاتحاد السوفيتي بضرورة خفض حدة التوتر مع الولايات المتحدة. هذا توجّب بإطاحة الزعيم السوفيتي نيكيتا خروتشيف في تشرين الأول أكتوبر 1964 من قبل ليونيد بريجنيف. وكان بريجنيف يعتقد بأنه من الأفضل للاتحاد السوفيتي أن يلتزم بالقواعد التي أرساها مؤتمر يالطا في العام 1945 لجهة اكتفاء موسكو بدائرة نفوذ تقتصر على دول الكتلة الاشتراكية ما جعلها تحدّ من دعمها للدول القرية منها في الشرق الأوسط والعام الثالث. في المقابل فإن اغتيال جون كينيدي في تشرين الثاني 1963 آذن بصعود تيار المحافظين الجدد في الولايات المتحدة والذي كان يطمح إلى إقامة إمبراطورية عالمية. وقد اندفع هؤلاء بعد ذلك لإطاحة أنظمة لا تقدّم الطاعة للولايات المتحدة.

في الوقت نفسه فلقد كان فيصل بن عبد العزيز قد أطاح أخيه سعود عن عرش المملكة العربية السعودية وأنهى صراع الأخوة على السلطة والذي اندلع منذ منتصف الخمسينيات من القرن الماضي نتيجة محاولات سعود إبعاد أخيه عن السلطة. وقد كان جد فيصل لأمه زعيم المشايخ الوهابيين ما جعل المؤسسة الدينية السعودية تدعم وصول فيصل إلى السلطة. وما أن استلم فيصل السلطة حتى بدأ يدعم الأخوان المسلمين في كافة الدول العربية والإسلامية كوسيلة لتدعم النفوذ السعودي ومواجهة المد القومي واليساري في العام العربي. كذلك أقام المؤتمر الإسلامي كوسيلة ليكون بديلاً عن جامعة الدول العربية التي كانت تمثل امتداداً لنفوذ مصر. وقد أحست مصر بهذه الضغوط الأمريكية بدءاً من العام 1965 حين أفشلت محاولة تمرّد نظمها الأخوان المسلمين بدعم من الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية. وفي العام 1967 دعمت الولايات المتحدة إسرائيل في عدوانها على مصر وسوريا والأردن والتي أدّت إلى احتلال إسرائيل لسيناء والضفة الغربية وغزة والجولان.

فيما كانت الصراعات العربية تطفو على السطح، كانت إسرائيل والولايات المتحدة من خلفها تحضّر لتوجيه ضربة للدول العربية التقديمة واليسارية، بدعم من المملكة العربية السعودية. وكانت إسرائيل قد بدأت تصعد التوتر مع الدول العربية منذ العام 1960 على خلفية تحويل مياه نهر الأردن، فيما وقفت جامعة الدول العربية عاجزة عن القيام بأي مجهد للحؤول دون ذلك. وقد تصاعد التوتر بين إسرائيل والدول العربية منذ بدايات العام 1967. وفي أوائل شهر أيار مايو صعد رئيس الوزراء الإسرائيلي لييفي اشكول من لهجته وهدد بالزحف على دمشق بذرية مكافحة عمليات الفدائيين الفلسطينيين التي كانت قد انطلقت عبر الحدود منذ أوائل العام 1965. وبنتيجة هذه العمليات حدثت مواجهات عدّة بين الجيشين السوري والأردني من جهة والجيش الإسرائيلي من جهة أخرى. وفي 14 أيار مايو 1967، ولمناسبة الذكرى 19 لقيام دولة إسرائيل أجرى الجيش الإسرائيلي عرضاً عسكرياً في القدس الغربية، خارقاً الأعراف والمواثيق الدولية التي تدعو لتدوين قضية القدس وجعلها منزوعة السلاح. في المقابل، وعلى الرغم من الخلافات الكبيرة بين عبد الناصر والبعث السوري فلقد أعلن الزعيم المصري أن أي تصعيد إسرائيلي في مواجهة سوريا سيواجه بعملية عسكرية تقوم بها مصر ضد إسرائيل. ورداً على العرض العسكري للجيش الإسرائيلي قام رئيس الأركان في الجيش المصري محمد فوزي بزيارة إلى سوريا لتنسيق الجهد العسكري بين البلدين لمواجهة التهديدات الإسرائيلية. وفي 15 أيار مايو بدأت مصر بحشد قواتها في سيناء فيما قدم المندوب السوري في الأمم المتحدة مذكرة إلى مجلس الأمن الدولي يشكّو فيها من التهديدات الإسرائيلية لبلاده. وفي 17 أيار مايو طلبت مصر من مجلس الأمن سحب القوات الدولية العاملة في سيناء منذ العام 1956. وقد رشحت معلومات عن حشد إسرائيل قواتها في النقب في مواجهة القوات المصرية فيما توجّه الأسطول السادس الأميركي إلى شرق المتوسط لمراقبة الأعمال التصعيدية في المنطقة. وفي 22 أيار مايو أعلن عبد الناصر إغلاق مضيق تيران في وجه الملاحة الإسرائيلية ما اعتبرته إسرائيل إعلاناً لحالة الحرب، إلا أن المندوب المصري في مجلس الأمن أكد في جلسة 29 أيار مايو أن بلاده لن تكون البادئة بأي أعمال حربية ضد إسرائيل. في هذا الوقت كان العراق قد نقل وحدات إلى سوريا لتكون سندًا لها في مواجهة أي عملية عسكرية إسرائيلية.

في صباح الخامس من حزيران يونيو 1967 قامت الطائرات الحربية الإسرائيلية بالإغارة على المطارات المصرية مدمرة ثمانين بالمائة من الأسطول الحربي المصري، بعد ذلك وجهت القوات الجوية الإسرائيلية أنظارها نحو المطارات الأردنية ودمرت معظم الأسطول الجوي الأردني لتقوم بعده بتدمير الأسطول الجوي السوري بنسبة 70 بالمائة. وبذلك حققت إسرائيل تفوقاً جوياً كاسحاً على القوات العربية، ما مكّنها من مقاتلة الجيوش العربية وهي مكسوقة تماماً. بعد ذلك بدأت القوات

المدرعة الإسرائيلية بالهجوم في سيناء ضد القوات المصرية التي أبلت بلاء حسناً في البداية في صد التقدم الإسرائيلي، إلا أنه بسبب الغياب التام للإسناد الجوي تم استهداف الوحدات المصرية المدرعة ووحدات المشاة من قبل الطيران الإسرائيلي ما أدى إلى كسر المقاومة المصرية. وما زاد في الطين بلة القرار الذي أصدره وزير الدفاع قائد الجيش المصري عبد الحكيم عامر بأمره بالانسحاب غير المنظم للقوات والذي أدى إلى انهيار الدفاعات المصرية والى انسحاب عشوائي وغير منظم أدى إلى مضاعفة الخسائر المصرية بسبب استهدافها أثناء انسحابها من قبل القوات الجوية الإسرائيلية. ومع حلول التاسع من حزيران يونيو كانت القوات الإسرائيلية قد احتلت شبه جزيرة سيناء بالكامل حتى الضفة الشرقية لقناة السويس ووجهت أنظارها نحو القوات الأردنية والسورية.

في الضفة الغربية كان الجيش الأردني قد بدأ يقصف الحشود الإسرائيلية المتمركزة قبالته، وفي 6 حزيران يونيو بدأت القوات الإسرائيلية تهاجم القوات الأردنية على طول الخط الفاصل بين أراضي الـ 1948 والضفة الغربية. وبحلول مساء ذلك اليوم كانت القوات الإسرائيلية قد احتلت مدينة القدس بالكامل وبدأت بعد ذلك بتوسيع نطاق سيطرتها على الضفة الغربية وصولاً إلى نهر الأردن. بعد ذلك وجهت إسرائيل أنظارها نحو سوريا وعينها على الجولان المطل على سهل الحولة. وكانت سوريا اكتفت حتى ذلك الوقت بقصف المستعمرات السورية ولم تقم بتحريرك وحداتها للتغلغل في الأراضي الفلسطينية المحتلة، خصوصاً أن القيادة السورية كانت تعتقد أن الحرب ستطول بين مصر وإسرائيل بما ينحها وقتاً لتدعيم استعداداتها للمواجهة. لكن بعد سيطرة القوات الإسرائيلية على شبه جزيرة سيناء يوم 9 حزيران يونيو، قررت القيادة الإسرائيلية احتلال الجولان فبدأ الطيران الحربي الإسرائيلي بذك الموضع السوري التي كانت تفتقر إلى الدفاع الجوي، وفي الوقت نفسه بدأت القوات الإسرائيلية بالتغلغل في الهضبة في ظل دفاع سوري غير منظم. وفي صبيحة 10 حزيران يونيو كانت الدفاعات السورية قد انهارت وتمكنّت القوات الإسرائيلية من احتلال هضبة الجولان وصولاً إلى مدينة القنيطرة التي سقطت أيضاً تحت الاحتلال. وبنتيجة الحرب تمكّنت إسرائيل من توجيه ضربة قاسمة لثلاثة جيوش عربية لدول الطوق هي المصرية والأردنية والسورية، واحتلت شبه جزيرة سيناء التي تبلغ مساحتها ضعف مساحة فلسطين، إضافة إلى الضفة الغربية وغزة وهمبة الجولان الاستراتيجية والغنية بالمياه الجوفية. وقد تكبدت إسرائيل في هذه العملية نحو ألف قتيل و5000 جريح، فيما بلغت الخسائر المصرية نحو 10000 قتيل وخمسة آلاف أسير،

وبلغت الخسائر الأردنية 6 آلاف قتيل وثلاثة آلاف جريح و500 أسير، فيما سقط ألف قتيل سوري وأسر نحو 400 جندي.<sup>169</sup>

وبنتيجة النكسة تعرّضت الدول العربية التقديمة إلى ضربة كبيرة وكانت مصر وسوريا أكثر المتضررين.<sup>170</sup> وبالنسبة للكثير من العرب فإن إسرائيل باتت بالنسبة لهم واقعاً كان عليهم أن يتقبّلوه. هذا جعل دول الطوق باستثناء سوريا تقبل بالقرار 242 والذي يدعو إسرائيل إلى الانسحاب من الأراضي التي احتلتها في العام 1967 في مقابل إقامة سلام معها والاعتراف بها. وقد أدّت الهزيمة في سوريا إلى صعود وجهتي نظر، كانت أولاهما بقيادة صلاح جديد، واعتبرت أن الهزيمة كانت نتيجة مؤامرة إمبريالية بالتنسيق مع "الأنظمة الرجعية العربية". كذلك رأت أنه على سوريا بناء قوتها عبر القيام بثورة اشتراكية وفقاً للنموذج السوفياتي والانحياز التام إلى معسكر الدول الاشتراكية.<sup>171</sup> أما وجهة النظر الثانية فكانت بقيادة وزير الدفاع حافظ الأسد والذي رأى أن الهزيمة كانت نتيجة حتمية للصراعات بين العرب وللأنقسامات الداخلية في سوريا. لذلك فلقد دعا الأسد إلى إجراء تسوية داخلية للنزاعات بين اطياف المجتمع السوري وإلى التقارب مع كافة الدول العربية في إطار التضامن العربي لتوحيد الجهود لتحرير الأراضي المحتلة عام 1967.<sup>172</sup>

وفي ما يتعلّق بالقضية الفلسطينية، فإن نكسة 1967 أدّت إلى صعود الفصائل الفدائیة المسلحة وعلى رأسها حركة فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وإلى تراجع مصداقية القيادة المدنية لمنظمة التحرير الفلسطينية التي كانت قد أُسّست في العام 1964 والمتمثلة بأحمد الشقيري.<sup>173</sup> وقد اكتسبت هذه الفصائل رصيداً كبيراً عقب معركة الكرامة ضد القوات الإسرائيليّة في العام 1968 وكرّست نفوذها في هيئات ومؤسسات منظمة التحرير ما مهد لتبؤه زعيم فتح ياسر عرفات سدة رئاسة اللجنة التنفيذية للمنظمة خلفاً للشقيري في العام 1969. وقد نزع عرفات إلى التفرد بالقرار السياسي لمنظمة التحرير بذريعة الحفاظ على القرار الوطني الفلسطيني المستقل وفقاً لما

<sup>169</sup> محمد حسين هيكل، الانفجار: حرب الثلاثين عاماً، القاهرة: الشروق، 1990.

<sup>170</sup> Maclaurin R.D. and Mughisuddin, Muhammad and Wagner, Abraham; المصدر ما قبله ص. 246.

<sup>171</sup> Van Dam, Nikolas; *The Struggle for Power in Syria, Sectarianism, Regionalism and Tribalism in Politics, 1961-1978*, Groom Helm limited, London, 1979, p.84.

<sup>172</sup> محمد زهير دياب، الموقف السوري من التسوية السلمية للنزاع العربي الإسرائيلي، مجلة الدراسات الفلسطينية عدد 9 شتاء 1992 ص.86-87.

<sup>173</sup> Laurens Henry ; *Le retour des exilés, la lutte pour la Palestine de 1869 à 1997* , Robert Laffont, Paris 1998, p.941.

ورد في ميثاق فتح ومنظمة التحرير. وقد تسبّب ذلك بصدام بينه وبين القيادة الأردنية ومن بعدها السورية واللبنانية، التي وجدت أن الفدائيين على أرضها باتوا يشكلون دولة داخل الدولة. وفي الوقت نفسه كانت الدول العربية الطامحة إلى دور إقليمي ومن بينها سوريا تسعى لانتزاع نفوذ لها على الساحة الفلسطينية في إطار شرعة موقفها في الصراع العربي الإسرائيلي. وقد ساهم ذلك بصعود نجم ياسر عرفات بدعم سعودي مصرى في العام 1969.<sup>174</sup>

## ظهور المقاومة الفلسطينية

تم تأسيس "منظمة التحرير الفلسطينية" في شهر آذار/مارس من العام 1964، وذلك تطبيقاً والتزاماً بقرارات "المؤتمر العربي الفلسطيني الأول"، الذي تم عقده في القدس، وكذلك تفيذاً لمقررات "القمة العربية"، التي اجتمعت في العام نفسه في مدينة القاهرة. حيث طلبت إنشاء منظمة تكون الممثل الرسمي للشعب الفلسطيني المتمركز في الأراضي المحتلة، وأيضاً الموجود في بلدان الشتات. وتم انتخاب أحمد الشقيري كأول رئيس لـ"منظمة التحرير الفلسطينية".<sup>175</sup> وجاء في البيان الأول للمنظمة:

"إيماناً بحق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه المقدس فلسطين، وتأكيداً لحتمية معركة تحرير الجزء المغتصب منه وعزمها وإصراره على إبراز كيانه الثوري الفعال وتعبئته طاقاته وإمكاناته وقواه المادية والعسكرية والروحية، وتحقيقاً لأمنية أصلية من أمني الأمة العربية ممثلة في قرارات جامعة الدول العربية ومؤتمر القمة العربي الأول.

نعلن بعد الاتكال على الله باسم المؤتمر العربي الفلسطيني الأول المنعقد بمدينة القدس في 28 أيار 1964.

1. قيام منظمة التحرير الفلسطينية قيادة معبئة لقوى الشعب العربي الفلسطيني لخوض معركة التحرير، ودرعاً لحقوق شعب فلسطين وأمانية، وطريقاً للنصر.
2. المصادقة على الميثاق القومي لمنظمة التحرير الفلسطينية وعدد بنوده 29 بندأ.

<sup>174</sup> هنري لورنس المصدر نفسه، ص. 945.

<sup>175</sup> أحمد الشقيري، الجزيرة الوثائقية، 5 نيسان ابريل 2017.

3. المصادقة على النظام الأساسي وعدد بنوده 31 بنداً واللائحة الداخلية للمجلس الوطني والصندوق القومي الفلسطيني.
4. انتخاب السيد أحمد الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية وتكليفه باختيار أعضاء اللجنة التنفيذية وعدد هم 15 عضواً.
5. يصبح المؤتمر بكمال أعضائه، إلـ 397 عضواً، "المجلس الوطني الأول منظمة التحرير الفلسطينية".<sup>176</sup>

بدأت الفصائل الفلسطينية المسلحة تأخذ دورها بالظهور أكثر بعد نكسة حزيران العام 1967، وتسلم في العام 1969، ياسر عرفات زعيم حركة فتح منصب رئيس اللجنة التنفيذية لـ"منظمة التحرير الفلسطينية". في مصر عام 1965، وبالتعاون مع أجهزة المخابرات المصرية، تم تأسيس "حركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح"، وذلك من قبل مجموعة من الشبان الفلسطينيين، وكان من بينهم ياسر عرفات، وقد كانوا سابقاً منتمين كأعضاء في جماعة الأخوان المسلمين. وتكوين المجموعة الأولى بالإضافة إلى ياسر عرفات من صلاح خلف الملقب أبو إياد وخليل الوزير الملقب أبو جهاد. كما انطوى تحت لواء "منظمة التحرير" أشخاص آخرون من الفصائل الفلسطينية، مثل: "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين"، "جبهة التحرير العربي" و"منظمة الصاعقة" و"الجبهة الديمقراطي لتحرير فلسطين" و"حزب الشعب الفلسطيني".<sup>177</sup> وقامت "منظمة التحرير" في العام 1968، بإصدار ميثاقها، الذي أكد ضرورة تحرير فلسطين، والعمل على تأسيس دولة فيها نظامها ديمقراطي، مع الالتزام بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم. هذا وقد اتخذت قيادة المنظمة من الأردن مركزاً لها وذلك حتى العام 1970، حيث اضطرت إلى تركه والانتقال إلى لبنان، إثر أحداث "أيلول الأسود" التي وقعت مع الجيش الأردني. وقد شهد لبنان سابقاً صدامات جرت بين الفدائيين الفلسطينيين من جهة والجيش اللبناني من جهة أخرى، بسبب الاعتداءات الإسرائيلية على الأراضي اللبنانية، بحجة الرد على العمليات التي كان يقوم بها الفدائيون الفلسطينيون. هذا الأمر دفع الرئيس عبد الناصر إلى التوصل إلى حل بهذا الشأن، وذلك من خلال التوقيع على "اتفاق القاهرة" في عام 1969، بين الفدائيين الفلسطينيين من ناحية، والسلطات اللبنانية من ناحية أخرى،

<sup>176</sup> منظمة التحرير الفلسطينية، الجزيرة الوثائقية، 3 تموز يوليو 2011.

<sup>177</sup> Kamal Salibi, Crossroads to Civil War,

من أجل العمل على تنظيم العمل الفدائي داخل الأراضي اللبنانية، والذي سيشكل لاحقاً أحد الأسباب التي ستؤدي إلى إشعال فتيل الحرب الأهلية اللبنانية في العام 1975.<sup>178</sup>

## تأثير العمل الفدائي على لبنان

كانت العمليات الفدائية الفلسطينية تُشكل عاملاً ضاغطاً قوياً على الوضع اللبناني. وتم العمل على دمج اللاجئين الفلسطينيين تحت لواء النظام اللبناني بطريقة غير منظمة ومشوّهة. حيث تم العمل على إعطاء الجنسية اللبنانية لمعظم المسيحيين الفلسطينيين، مع منح الجنسية لعدد مساوٍ لهم تقريباً من اللاجئين الفلسطينيين المسلمين، بالإضافة إلى تجنيس الفلسطينيين الذين ينتسبون إلى الطبقة الوسطى والغنية، فيما ظل الآلاف من الفقراء الفلسطينيين يقطنون في مخيمات منتشرة على امتداد الأراضي اللبنانية، وذلك في فترة الخمسينيات أثناء عهد الرئيس كميل شمعون. وقد شكل الفلسطينيون الفقراء يداً عاملة بأجر رخيص، خصوصاً في المصانع والمزارع اللبنانية. فنسبة اللاجئين الفلسطينيين المتمركزين ضمن المخيمات اللبنانية وصلت إلى 10% من إجمالي مجموع اللاجئين الفلسطينيين الذين تم تسجيلهم لدى "منظمة الأونروا"، كما بلغت نحو 11% من إجمالي سكان لبنان.

وبحسب الإحصائيات التي قامت بها "منظمة الأونروا" في العام 2003، وصل عدد الفلسطينيين المتمركزين ضمن الأراضي اللبنانية إلى نحو 400 ألف فلسطيني، حيث يقيم 220 ألف فلسطيني في المخيمات، التي يبلغ عددها 12 مخيماً، وهي: برج البراجنة، الرشيدية، نهر البارد، عين الحلوة، البص، مار الياس، ضبية، البداوي، شاتيلا، المية مية، ويفل (الجليل)، برج الشمالي.<sup>179</sup>

وتجدر الإشارة هنا، إلى معاناة النظام السياسي والاقتصادي اللبناني، من مشكلات كثيرة وتشوّهات عملية الجذور، وذلك منذ القرن التاسع عشر. حيث عُرف عن النظام اللبناني مسؤولياته السياسية، وال العلاقات الشخصية الزبائنية التي ربطت علاقة الفرد بنظام الدولة. بالإضافة إلى سيطرة بعض من الأسر التجارية على حركة الاقتصاد اللبناني، والتي ربطتها علاقات تجارية مع الشركات الفرنسية، حيث كانت وسيلة احتكار لهذه الشركات من خلال سيطرتها على الوضع الاقتصادي والاجتماعي اللبناني. تزامن ذلك مع تطوير القطاع المصرفي، الذي ساهم في تدعيم القطاع المالي بالإضافة إلى

<sup>178</sup> المصدر نفسه.

<sup>179</sup> مي الزعبي، المخيمات الفلسطينية في لبنان، الجزيرة [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)

قطاع الخدمات في لبنان، وتم ذلك على حساب قطاعات أخرى، مثل: القطاع الصناعي والزراعي الذي بدوره سيكون سبباً في الستينيات إلى نزوح كثيف لسكان القرى باتجاه المدن، والذي سيكون عاملاً ضاغطاً إضافياً على الوضع اللبناني، خصوصاً أن هذه الهجرة قد بلغت 40 %، مما شكل في ما بعد، عاملاً مساهماً في إشعال فتيل الحرب الأهلية اللبنانية.<sup>180</sup>

## الحلف الثلاثي

كانت حرب النكسة في العام 1967، ضربة موجعة لجمال عبد الناصر، والتي بالضرورة أثرت على تشكيلة التوازنات الموجودة على الساحة اللبنانية، والتي كانت مرتبطة دائماً بالتوازنات الموجودة على الساحة الإقليمية والدولية.<sup>181</sup> وهذا الأمر شكل دافعاً للأحزاب المسيحية أن تحالف ضد الرئيس شارل حلو والفريق التابع لفؤاد شهاب بالحكم. كما عمل بيار الجميل رئيس حزب الكتائب على إعادة علاقته مع الرئيس كميل شمعون، وذلك بعد انقطاع دام عقد من الزمن، وبعد خروجه من الحكم، واتخاذ موقف معارض لحكم شهاب الذي كان يدعم "حزب الكتائب". وانضم إليهما ريمون إده في صف معارضة الحكم الشهابي.

وكان ولد ريمون إده في العام 1913، في مدينة الإسكندرية، وهو ابن أميل إده الرئيس اللبناني الأسبق، وزعيم "حزب الكتلة الوطنية اللبنانية". وبعدها في العام 1949، تم انتخابه خلفاً لأبيه في رئاسة الحزب، وظل عميداً لـ"حزب الكتلة الوطنية اللبنانية" حتى توفي في العام 2000. درس إده المحاماة، ودخل البرلمان اللبناني كنائب في العام 1953، وظل نائباً منذ ذلك العام وحتى العام 1992. وُعرف عنه توجهه الاقتصادي الليبرالي، حيث اقترح "قانون السرية المصرفية"، والذي لا يزال معمولاً به ومطبقاً في لبنان حتى الآن. عُين كوزير في حكومات لبنانية عدّة، كما رفض أن يُشارك في "الحرب الأهلية اللبنانية"، فتعرض على إثر موقفه هذا، إلى محاولات اغتيال عدّة، وذلك من قبل "حزب الكتائب" في العام 1977، فترك لبنان، وانتقل إلى العيش في فرنسا وبقي هناك حتى وفاته في العام 2000. كان سبب معارضة الحلف الثلاثي لحكم شهاب، هو رفضهم للأنشطة التي

---

Tabitha Petran, The Struggle Over Lebanon, New York: Monthly Review Press, 1987, p.p. 16 -16, 56, 180 .59 – 62, 126 – 128

Fawwaz Trabousli, p.p. 144 – 145. 181

كانت تقوم بها "منظمة التحرير الفلسطينية" في لبنان، فقد كانوا دائمًا يطالبون بضرورة تحديد لبنان عن النزاع العربي - الإسرائيلي.

ونالت أحزاب التحالف الثلاثي، 30 مقعداً من إجمالي المقاعد الـ 99 في "البرلمان اللبناني"، وذلك نتيجة لانتخابات النيابية التي جرت في ربيع العام 1968، في هذه الفترة تصاعدت حدة العمليات التي قام بها فدائيون فلسطينيون، ضد الكيان الصهيوني، وذلك انطلاقاً من الحدود اللبنانية، والتي رافقتها اعتداءات إسرائيلية على لبنان، الأمر الذي زاد من حدة التوتر بين "منظمة التحرير الفلسطينية" والسلطات اللبنانية.<sup>182</sup> فقد عملت إسرائيل في العام 1969، على قصف مطار بيروت، الأمر الذي أدى إلى تدمير الطائرات المدنية، والتي كانت تابعة لشركة "طيران الشرق الأوسط اللبنانية". وعلى إثرها انطلقت في شوارع بيروت مظاهرات نظمتها قوى يسارية وفلسطينية احتجاجاً ضد تفاسير لبنان في الرد على الاعتداءات الإسرائيلية، والتي كان نتيجتها استقالة رشيد كرامي رئيس الحكومة اللبنانية. ونجحت الوساطات المصرية في الوصول إلى حل للخلاف الذي وقع بين الفلسطينيين والقيادة اللبنانية، وذلك من خلال التوقيع على "اتفاق القاهرة" بين قيادة "منظمة التحرير" ممثلة بالرئيس التنفيذي لـ"منظمة التحرير الفلسطينية" ياسر عرفات، وبين أميل البستاني قائد الجيش اللبناني، برعاية مصرية من قبل محمد فوزي وزير الدفاع المصري، هذه الاتفاقية نصت على:

- العمل على تشكيل لجان تهتم بالفلسطينيين داخل المخيمات.
- ضرورة التنسيق بين الفدائيين من جهة، وقيادة الأركان اللبنانية من جهة أخرى، وذلك من خلال إنشاء وحدة ارتباط بينهم.
- كما يتم السماح بتسهيل مرور المواد الطبية والتمويلية وإيصالها إلى الفدائيين الفلسطينيين، الذين اختصر وجودهم العسكري في منطقة العرقوب الواقعة في جنوب لبنان.
- كما يستطيع الفلسطينيون المقيمون ضمن الأراضي اللبنانية من ممارسة حقوقهم في الانضمام والمشاركة في صفوف الثورة الفلسطينية.<sup>183</sup>

Fawwaz Traboulsi, 152 – 154. <sup>182</sup>

Fawwaz Traboulsi, 154. <sup>183</sup>

هذا الاتفاق صادق عليه بالموافقة كل من "حزب الأحرار" و"حزب الكتائب"، بينما رفضه ريمون إده وعارضه، الأمر الذي أدى إلى حدوث تصدع وخلاف أصاب الحلف الثلاثي. ولكن، قبل بروز الخلاف والتصدع استطاع هذا الحلف من إلحاقي الهزيمة بمرشح الشهابيين الياس سركيس لمنصب رئاسة الجمهورية اللبنانية وذلك في العام 1970، لصالح المرشح سليمان فرنجية، على إثر الانقسام والخلاف بين المرشحين، والذي حصل في كتلة كمال جنبلاط. وبذلك تم إنهاء نفوذ جمال عبد الناصر على الساحة اللبنانية، إذاناً بتصاعد تناقض على لبنان في فترة السبعينيات، بين "منظمة التحرير الفلسطينية" وسوريا والمملكة العربية السعودية.<sup>184</sup>

وبقيل انتهاء ولاية شارل حلو أصدر وزير الداخلية كمال جنبلاط مرسوماً يشرع فيه عدداً كبيراً من الأحزاب وعلى رأسها الحزب الشيوعي اللبناني والحزب السوري القومي الاجتماعي، وحزب البعث العربي الاشتراكي بجناحيه السوري والعراقي، وحركة المرابطون الناصرية بزعامة إبراهيم قليلات، وعشرات الأحزاب التي حملت شعارات ناصرية وماركسيّة. وبذلك بات على الساحة اللبنانية، إضافة إلى الأحزاب التي ذكرتها سابقاً عشرات الأحزاب الجديدة كان من أبرزها منظمة العمل الشيوعي في لبنان، وهي ضممت محسن إبراهيم وأعضاء آخرين كانوا من عدد حركة القوميين العرب خلال الخمسينيات والستينيات واختاروا تبني الماركسيّة اللبنانيّة كرد فعل على هزيمة 1967 واختاروا العمل كلبنانيين على الساحة اللبنانية فأسسوا منظمتهم بعد اندماجهم مع حركة لبنان الاشتراكي ومنظمة الاشتراكيين اللبنانيين وأخذوا ترخيصاً لمنظمتهم في العام 1970.<sup>185</sup>

أما التنظيم الثاني الذي سيخرج إلى العلن فكان حركة الناصريين المستقلين المرابطون بزعامة إبراهيم قليلات. وكان قليلات من المفاتيح الانتخابية للزعيم البيروتي صائب سلام، إلا أنه بعد العام 1958 اتّخذ منحى مستقلاً وشكّل مجموعة ناصرية، قيل إنها تمت بالتنسيق مع السفير المصري في بيروت عبد الحميد غالب، وقام بعمليات عدة استهدفت خصوم مصر وعبد الناصر في لبنان كان من أبرزها اغتيال رئيس تحرير جريدة الحياة كامل مروة. وبعد محاكمته وترئته من القضية في العام 1967 شكل حركة المرابطون التي أخذت ترخيصها في العام 1970 ولعبت دوراً بارزاً في الحرب الأهلية، إضافة إلى دوره في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي حتى العام 1985.<sup>186</sup>

Kamal Salibi, *Crossroads to Civil War*,<sup>184</sup>

راجع موقع بيروت المساء -<sup>185</sup>  
<http://beyrothel-massaa.com/tag/%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D9%84->

<http://www.almourabitoun.com/><sup>186</sup>

وفي العام 1973 أُعلن الزعيم الصيداوي معروف سعد عن تشكيل التنظيم الشعبي الناصري ليكون واجهة زعمته بعد هزيمته في الانتخابات التشريعية في العام 1972. وبعد اغتيال معروف سعد في العام 1975 واندلاع الحرب الأهلية تزعم الحزب النجل البكر معروف سعد مصطفى، وقد لعب دوراً بارزاً ضد الاحتلال الإسرائيلي لصيدا بين عامي 1982 و1985 ما دفع بقوات الاحتلال وعملائها إلى محاولة اغتياله بتفجير عبوة قرب منزله أدت إلى فقدانه البصر واستشهاد ابنته ناتاشا. وبعد انتهاء الحرب الأهلية اللبنانية كان سعد من المعارضين لرئيس الوزراء رفيق الحريري وبعد وفاته في العام 2002 تزعم التنظيم أخوه أسامة الذي نجح في أن يصبح نائباً في انتخابات العام 2018.<sup>187</sup> وإضافة إلى هذا التنظيم ظهرت عشرات الأحزاب الصغيرة خصوصاً في بيروت وطرابلس وكانت ممولة من الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات.

---

<sup>187</sup> راجع موقع التنظيم الشعبي الناصري <https://ar-ar.facebook.com/Nasserist.Popular.Party/>



## الفصل الثالث

### العراق 1958 – 1970

شكلت فترة حكم عبد الكريم قاسم بداية مرحلة جديدة من تاريخ العراق، انتهت معها الهيمنة البريطانية على البلاد والتي دامت أربعين عاماً، منذ سقوط العراق تحت الاحتلال البريطاني في العام 1917. كذلك فإن هذه المرحلة ترافقت مع نهاية الحكم الهاشمي للبلاد الذي شكل الدعامة الأساسية للهيمنة البريطانية، لتبدأ بعدها مرحلة تنافس على كسب ود العراق ما بين قوى دولية أهمها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وإقليمية أهمها مصر والمملكة العربية السعودية. وبعد إطاحة الحكم الهاشمي تولى عبد الكريم قاسم مناصب رئيس وزراء العراق والقائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع بالوكالة حتى إطاحته في العام 1963.<sup>188</sup> وقد سارع قاسم وعارف إلى إصدار عدد كبير من القرارات التي أثرت بشكل جذري على العراق. فلقد قاما بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين وألغيا قرارات نزع الجنسية التي كانت تصدرها المحاكم العراقية أثناء الحكم الملكي على معارضي الحكم، وسمحا بالحرفيات الحزبية، ولو إلى حين، وأصدرا دستوراً مؤقتاً في أواخر العام 1958، كما ألغيا نظام الإقطاع الذي كان قائماً في العراق منذ أيام الدولة العثمانية واعيدت هيكلة نظام التعليم وأصدر قراراً بالإصلاح الزراعي الذي يمنح الأرض للفلاحين، وصدر قرار بانسحاب العراق من منطقة الجنيه الاسترليني. وفي وقت لاحق أصدر قاسم القانون رقم 60 لعام 1961 والذي انتزع بوجبه معظم حقول النفط من الشركات الأجنبية التي كانت تستأثر بالنفط العراقي منذ نهاية الحرب العالمية الأولى.<sup>189</sup> كما بدأ قاسم ببناء وحدات سكنية لذوي الدخل المحدود والموظفين، إضافة إلى مساكن الضباط ونشر المدارس والمستشفيات في جميع المحافظات والمدن العراقية. وكان من أهم قراراته قانون الأحوال الشخصية الذي أعطى المرأة بوجبه الكثير من الحقوق التي قربتها من المساواة مع الرجل.<sup>190</sup>

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, 86. <sup>188</sup>

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p.p. 98 – 102. <sup>189</sup>

Counrtny Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p. 81. <sup>190</sup>

## الأحزاب الفاعلة خلال السنتينيات

بنتيجة الانقلاب على الملكية طفت على السطح أحزاب سياسية كانت قد تأسست منذ العشرينات، لكنه لم يتسع لها أن تلعب دوراً بارزاً على الساحة العراقية التي كانت حكراً على الوجاهء من ملوك الأراضي خلال الحقبة الملكية. ومن أبرز هذه الأحزاب هو الحزب الشيوعي العراقي الذي تأسس في العشرينات من القرن الماضي بالتوازي مع تأسيسه في كل من سوريا ولبنان. وقد ضمت أولى الحلقات الحزبية محمد أحمد المدرس وعبد الله جدوع وحسين الرحال ومصطفى علي وعوني بكري صدقي، الذين أصدروا في العام 1924 مجلة الصحفة التي كانت تصدر مرتين في الشهر. وقد ركزت موضوعات المجلة على نبذ العنصرية والقومية وركزت على النضال الطبقي. وفي العام 1927 تشكلت خلية البصرة التي ضمت ذكريا الياس وعبد الحميد الخطيب وعبد الوهاب محمود وسامي نادر مصطفى، وبعدها بعام واحد تشكلت خلية الناصرية التي ضمت غالى زويد وأحمد جمال الدين ويوسف سلمان الشهير بفهد والذي سيلعب الدور الأبرز في الحزب حتى قتله على يد المخابرات العراقية في العام 1949 نتيجة التعذيب أثناء التحقيق معه.

في العام 1958 دعم الحزب ثورة عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف ضد الملكية، علمأً أنه كانت تربط قاسم صلة قرابة بزعيم الحزب الشيوعي. وخلال حكم قاسم انحاز الحزب له خصوصاً في صراعه مع البعشين والقوميين بزعامة عبد السلام عارف. وقد تضخم حجم عضوية الحزب ليصل إلى نحو ثلاثة ملايين عضو. وقد ساهم الحزب في حملات التنكيل التي شنّها قاسم ضد خصومه، خصوصاً في الموصل وكركوك إثر محاولة انقلاب الشواف. وبعد الانقلاب البعثي القومي على قاسم في العام 1963 حصلت معارك شوارع بين الشيوعيين والقوميين والبعشين أدت إلى سقوط عشرات الآف القتلى من الطرفين ليحظر بعدها الحزب وينتقل إلى العمل السري العسكري، خصوصاً انطلاقاً من المناطق الكردية في شمال العراق.<sup>191</sup> وبعد الغزو الأميركي للعراق شارك الحزب الشيوعي في الإدارة المدنية التي شكلتها قوات الاحتلال الأميركي ثم في العملية السياسية، إلا أن وضعه كان قد ضعف كثيراً ولم يُعد يتمتع بالقوة التي قمّت بها خلال فترة قاسم.

أما الحزب الثاني الذي سيلعب دوراً بارزاً بعد إطاحة الملكية فهو حزب البعث العربي الاشتراكي. وكان الحزب قد تأسس في سوريا وكان من أعضائه العراقيين سعدون حمادي، الذي بقي طوال

<sup>191</sup> راجع موقع الحزب الشيوعي العراقي <http://www.iraqicp.com>

تاریخ البعث رمزاً للحزب لأنه لم يدخل بصراعاته الداخلية، إلا أن فؤاد الرکابی هو الذي أسسه في العراق في العام 1951. وقد دعا الحزب إلى الوحدة العربية وإحياء الدولة العربية بناء على النموذج الذي قامت عليه خلال القرن الهجري الأول. وفي العام 1953 تشكلت قيادة قطرية للعراق ضمت إلى فؤاد الرکابی كلاً من جعفر قاسم حمودي و محمد سعيد الأسود وشمس الدين كاظم وفخري ياسين قدوري. وقد دعم الحزب ثورة قاسم عارف في العام 1958 وشارك في أول حکومة بعد إطاحة الحكم الملكي إذ تولى فؤاد الرکابی وزارة الإعمار. إلا أن البعث العراقي تعرض للاضطهاد على يد قاسم بعد الخلاف الذي دبَّ بينه وبين عارف. وقد شارك أعضاء من الحزب على رأسهم صدام حسين بمحاولة اغتيال عارف في العام 1961 ردًا على قمعه لثورة الشواف وللبعثيين، ثم ساهم الحزب بإطاحة قاسم في العام 1963 وفي قمع الانتفاضة التي قادها الشيوعيون ردًا على ذلك. وقد شارك البعث في السلطة في العراق وعيّن رئيسه أحمد حسن البكر نائباً لرئيس الجمهورية حتى أواخر العام 1963. إلا أن الخلاف دبَّ بين البعث وعارف نتيجة عدم تأييد البعثيين الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا وال العراق التي كان عارف داعماً لها، فأطاح عارف البعثيين واستفرد بالحكم حتى العام 1966 حين سقطت مروحيته في ما قيل إنه محاولة انقلاب بعثية ضده. ولم تنجح المحاولة البعثية إذ خلفه أخوه عبد الرحمن الذي أطيح بانقلاب البعث الذي قاده صدام حسين في العام 1968. وقد أصبح صدام حسين نائباً للرئيس وألمسّك الفعلي بالسلطة، فيما كان أحمد حسن البكر الرئيس للعراق حتى العام 1979.

وكان الخلاف قد دبَّ مع الجناح السوري للبعث بعد انقلابه على مؤسس الحزب ميشيل عفلق في العام 1966. وفي العام 1971 أمر صدام حسين بقتل مؤسس الجناح العراقي للحزب فؤاد الرکابی في السجن نتيجة خوفه من نفوذه داخل حزب البعث. وفي العام 1975 أُعلن صدام حسين عن توجهاته اليمينية وتفضيله العلاقة مع الغرب على العلاقة مع الاتحاد السوفييتي فانفتح على شاه إيران وفرنسا حتى يكونا جسر العلاقة بينه وبين الغرب. هذا جعل المعارضة تكبر ضده داخل الحزب فقام بانقلاب ضد صدام مجموعة من العناصر القيادية الذي ظهروا في المحاكمة التلفزيونية الشهيرة التي أدّت إلى إعدام 22 من كبار القيادات البعثية العراقية بذرية التحضير لانقلاب في العراق بالتنسيق مع الرئيس السوري حافظ الأسد، ثم تم عزل أحمد حسن البكر وتسلّم صدام حسين مقاليد رئاسة الجمهورية العراقية حتى إطاحته والبعث على يد القوات الأميركيّة الغازية

في العام 2003. بعد ذلك أُعلنُ الحاكمُ الأميركيُ للعراق بول بريمر حلّ حزب البعث العراقي الذي انتقلَ مجدداً للعملِ السري.<sup>192</sup>

أما الحزب الثالث الذي خرج إلى العلن خلال حكم عبد الكريم قاسم فلقد كان حزب الدعوة الإسلامية في جنوب العراق. وقد جاء إطلاق الحزب على يد بعض المرجعيات الشيعية الشابة ردّاً على انتشار التأييد للحزب الشيوعي العراقي في صفوف الشباب. وقد تأسست النواة الأولى لهذا الحزب في العام 1957 على يد العلامة الشاب محمد باقر الصدر، وكان العلامة اللبناني محمد حسين فضل الله من مؤسسي هذا الحزب، إذ كان يدرس وقتها في النجف الأشرف. وقد نادى الحزب بحكم إسلامي يحكمه مرجع ديني يكون بمثابة ولی فقيه يحكم في ظل غياب الإمام المهدى المنتظر. وقد لقي الحزب خلال الستينيات دعماً من القوميين والبعثيين بصفته الرد الأنجح في مواجهة الشيوعيين الذين كانوا الخصم الأساسي للقوميين في العراق. لكن بعد تسلّم البعث للسلطة في العام 1968، وبنتيجة تراجع التأييد بشكل كبير للشيوعيين نتيجة التنكيل الذي لحق بهم، وتتوسّع القاعدة الجماهيرية لحزب الدعوة في جنوب العراق، تحوّل هذا الحزب إلى الخصم الرئيس للحكم البعثي أقله في جنوب العراق. وبنتيجة قيام حزب الدعوة بتظاهرات كبيرة في العام 1969 شنّ حزب البعث حملة اعتقالات واسعة ضده. وفي العام 1974، وبنتيجة الشكوك في أن الحزب يلقي دعماً من شاه إيران صدر حكم قضائي بالإعدام بحق قيادات من الحزب. وفي العام 1977 أطلق حزب الدعوة انتفاضة صفر التي استهدفت بالاغتيال قيادات حزب البعث. فرداً حزب البعث الحاكم بحظر الحزب واعتقال قياداته. وقد زاد ضغط البعثيين على حزب الدعوة خصوصاً بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران وخشية الحكم في العراق من أن يحذو حزب الدعوة العراقي حذو الإيرانيين فأمر الرئيس العراقي صدام حسين بإعدام مؤسس الحزب محمد باقر الصدر وشقيقته بنت الهدى في نيسان أبريل 1980. وخلال الحرب العراقية الإيرانية قاتل أعضاء حزب الدعوة في صفوف الجيش الإيراني ضد الجيش العراقي. وفي أعقاب حرب الخليج الثانية عام 1991 قاموا بانتفاضة في جنوب العراق لإطاحة حكم صدام حسين بدعم أمريكي، إلا أن الرئيس العراقي تمكّن من القضاء على الانتفاضة. وفي العام 2003 أيد حزب الدعوة الغزو الأميركي للعراق وتمكنوا من الوصول إلى الحكم فيه عقب إطاحة البعث. ومنذ العام 2005 تعاقب أعضاء من حزب الدعوة على حكم العراق.<sup>193</sup>

<sup>192</sup> راجع موقع حزب البعث على فيسبوك <https://ar-ar.facebook.com/HzbAlbthAlraqy/>

<sup>193</sup> راجع موقع حزب الدعوة الإسلامية <http://www.al-daawa.org/main>

إضافة إلى الأحزاب الثلاثة الآنفة الذكر ظهر في العراق حزبان كرديان رئيسيان. كان أول هذه الأحزاب الحزب الديمقراطي الكردستاني. وقد تأسس هذا الحزب في العام 1946 باسم الحزب الديمقراطي الكردي ليكون واجهة لزعامة الزعيم الانفصالي الكردي مصطفى البرزاني. وفي العام 1953 تغير اسم الحزب إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني مطالبًا بالاستقلال عن العراق على أن يمر ذلك بفترة حكم فدرايلي. وقد تولى هذا الحزب قيادة القتال ضد الحكم المركزي في بغداد طوال السنتين والسبعينيات مروراً بتأييده الغزو الأميركي للعراق في العام 2003 وحتى يومنا هذا. ويترسمه منذ أواخر السبعينيات نجل مصطفى البرزاني مسعود الذي عين حاكماً على إقليم كردستان العراق من قبل الأميركيين ولا يزال في منصبه إلى يومنا هذا.<sup>194</sup>

أما الحزب الثاني الذي ظهر في كردستان العراق فلقد كان الاتحاد الوطني الكردستاني وقد تأسس على يد شخصيات من الطبقة الوسطى الكردية انشقت عن الحزب الديمقراطي الكردستاني في العام 1975، وكان في مقدمة هذه الشخصيات جلال الطالباني وبرهم صالح. وعلى الرغم من الشعارات اليسارية التي نادى بها هذا الحزب إلا أنه كان الأقرب إلى الأميركيين منذ الثمانينيات من القرن الماضي وحتى غزو العراق عام 2003 والتي لعب فيها الطالباني وصالح دوراً كبيراً للترويج لحملة تأييد للغزو، ما مكن زعيمه جلال الطالباني من أن يصبح رئيساً للعراق في ظل نظام المحاصصة الطائفية التي أقرّها الأميركيون ل العراق ما بعد صدام، ولينتخب زعيمه الآخر برهام صالح رئيساً للعراق في صيف العام 2018.<sup>195</sup>

## الصراعات في ظل قاسم

على الرغم من هذه الإنجازات إلا أن العراق وقع في ظل قاسم في خضم صراع بين القوميين العرب من جهة والشيوعيين من جهة أخرى، وكان قاسم أقرب إلى الآخرين فيما كان عارف أقرب إلى القوميين العرب.<sup>196</sup> ولقد انقسم هؤلاء أيضاً بين بعثيين وقوميين مقربين من جمال عبد الناصر، ولكن الشرخ بينهم لم يظهر إلى العلن إلا عقب إطاحة قاسم. وكان أحد أبعاد هذا الصراع هو

<sup>194</sup> راجع موقع الحزب الديمقراطي الكردستاني <http://www.kdp.info/>

[https://www.pukmedia.com/AR\\_BabetiLekchu.aspx?Babet=YNK&Nawnishan=%D8%A3%D9%88%D9](https://www.pukmedia.com/AR_BabetiLekchu.aspx?Babet=YNK&Nawnishan=%D8%A3%D9%88%D9) <sup>195</sup>

83%

Phebe Marr, The Modern History of Iraq, Boulder: Westview Press, 2012, p. 88. <sup>196</sup>

صراع وقع بين جمال عبد الناصر من جهة والسوفيات بزعامة نيكيتا خروتشيف من جهة أخرى. فعلى الرغم من التقارب الذي حصل بين مصر والاتحاد السوفيتي عقب صفقة السلاح في العام 1955 والتي قام الاتحاد السوفيتي بموجبها بتسليح مصر عبر تشيكسولوفاكيا، فيما عرف بصفقة الأسلحة التشيكية، وعلى الرغم من الدعم السوفيتي لمصر خلال أزمة السويس عام 1956 إلا أن قيام الوحدة بين مصر وسوريا جعل عبد الناصر يصطدم بالدرجة الأولى بالحزب الشيوعي السوري بزعامة خالد بكداش. وكان بكداش معادياً لقيام الوحدة مع مصر بسبب إصرار عبد الناصر على حل الأحزاب كشرط لقيام الوحدة بين مصر وسوريا، وبسبب معاداة بكداش للقومية العربية والتي لعبت فيها أصوله الكردية دوراً بارزاً في ذلك. كذلك كان لطموحات الاتحاد السوفيتي في بسط هيمنتها على منطقة الشرق الأوسط ورفض عبد الناصر الانحياز للمعسكر الغربي أو الشرقي دور في هذا الصدام. ولقد أثر هذا الصراع سلباً على علاقات عبد الناصر بالسوفيات في أوائل السبعينيات. وفي العراق كان قاسم إبن خالة زعيم الحزب الشيوعي العراقي الذي اتخذ موقفاً مؤيداً لشيوعي سوريا وللاتحاد السوفيتي. فأسهم ذلك في إيجاد شرخ مع القوميين العرب والبعثيين العراقيين والذي تفجر خلافاً بين قاسم وعارف دفع الأول إلى إزاحة الأخير عن السلطة.<sup>197</sup> ففي 30 أيلول سبتمبر 1958 أصدر عبد الكريم قاسم قراراً بعزل عبد السلام عارف من منصبه كنائب لرئيس مجلس الوزراء وكوزير للداخلية، وعيّنه ملحقاً عسكرياً للعراق في ألمانيا الغربية، لكن بعد شهر من ذلك عاد عارف إلى العراق ما أثار ذعر قاسم الذي اتهمه بمحاولة اغتياله في 5 تشرين الثاني نوفمبر، بعد يوم واحد من عودته من العاصمة الألمانية الغربية بون، فاعتقله وأحاله إلى المحاكمة وأصدر بحقه حكماً بالإعدام في كانون الثاني يناير 1959، لكنه خفض الحكم بحقه إلى السجن مدى الحياة.<sup>198</sup>

في هذا الوقت كانت هنالك ثورة تتحضر في الموصل ضد عبد الكريم قاسم من قبل ضباط قوميين بقيادة العقيد الركن عبد الوهاب الشواف. وكان الشواف قد انضم لحركة الضباط الأحرار في العام 1953 لكنه لم يكن ضمن الحلقة الضيقة التي قامت بالثورة في 14 تموز يوليو 1958. وفي اليوم نفسه الذي جرت فيه الثورة تم تعينه حاكماً عسكرياً على العراق، إلا أنه عُزل في اليوم التالي وألغي المنصب من قبل عبد السلام عارف الذي عينه قائداً لحامية الموصل. وبعد إطاحة هذا الأخير حول الشواف الموصل إلى مركز للضباط القوميين المعارضين لحكم قاسم. وقد حاول عبد

Counrtny Hunt, The History of Iraq, London: Greenwood Press, 2005, p.p. 79 – 80. <sup>197</sup>

Counrtny Hunt, The History of Iraq, London: Greenwood Press, 2005, p. 76. <sup>198</sup>

الكريم قاسم بسط سيطرته على الموصل عبر تنظيم "مهرجان السلام" في المدينة بغية ضرب مجموعة الضباط القوميين. هذا دفع الشواف إلى إعلان التمرد على قاسم في آذار مارس 1959.<sup>199</sup> وقد شارك في حركة الشواف عدد من كبار الضباط العراقيين ذوي التوجه القومي مثل الزعيم الركن ناظم الطبقجي والعقيد الركن عبد العزيز العقيلي والعقيد رفعت الحاج سري، والرئيس الطيار عارف عبد الرزاق والعقيد نعمان الكنعاني والمقدم الطيار محمد سبع والرئيس أول خليل إبراهيم وعدد كبير من الضباط القوميين الآخرين. وكانت الخطة تقضي بأن يعلن الشواف التمرد في الموصل بالتوازي مع تمرد ناظم الطبقجي في شمال العراق على أن تتحرك القوات المتمردة بعد ذلك باتجاه معسكري الوشاش والهندسة في منطقة الرستمية ثم تسيطر على وزارة الدفاع على أن تقوم بعدها باعتقال قاسم وأنصاره وتجبرهم على الاستقالة ومغادرة العراق. وقد نسق الضباط المتمردون خطتهم مع قادة الأحزاب القومية وعلى رأسها القوميون العرب والبعشيين الذين كان من المطلوب منهم تنظيم تظاهرات في عدد من المدن بغية السيطرة على الأحياء ومنع أي حركة يمكن أن يقوم بها أنصار قاسم لإحباط التمرد. وكان رهان المتمردين على نجاح حركتهم واستبدال قاسم بالفريق الركن محمد نجيب الريبيعي. لكن الطبقجي تردد في إعلان التمرد في المناطق الشمالية التي كانت تحت سيطرته عندما قام الشواف بإعلان التمرد في الموصل ما نتج عنه تركيز قاسم لجهوده في قمع الثورة في الموصل. وقد أمر قاسم بتصفي الموصل بالطيران وهو ما لم يحسب الشواف حسابه، كما قامت القوات الموالية لقاسم باقتحام المدينة، حيث جرت معارك جرح خلالها الشواف فحاول أنصاره نقله إلى المستشفى، إلا أن أنصار قاسم اعتضوا موكبه وأردوه قتيلاً، فانهارت معنويات الضباط المتمردين الذين قتل بعضهم وفرّ معظمهم باتجاه سوريا. بعد ذلك أمر قاسم بحملة اعتقالات أدت إلى اعتقال عدد كبير من الضباط القوميين المشتبه بتأييدهم للتمرد حيث جرى إعدام عدد كبير منهم ومن ضمنهم العقيد رفعت الحاج سري والزعيم ناظم الطبقجي وعشرات آخرين بعد محاكمات سريعة.<sup>200</sup> هذه الإعدامات ستدى إلى محاولة الضباط القوميين الانتقام عبر محاولة اغتيال قاسم بعد شهر على تنفيذ آخر موجة إعدامات. وفي صيحة 27 تشرين الأول أكتوبر 1959 نصب ضباط قوميون كميناً لقاسم عند الساعة السادسة والنصف صباحاً أثناء مرور موكبه في شارع رشيد في بغداد.<sup>201</sup> وكانت الخطة تعتمد على الهجوم بمجموعتين، وكانت المجموعة الأولى تضم كلاً من الضباط خالد علي الصالح وسليم عيسى الزبيق ومسير عزيز نجم وعبد الحميد مرعي واياد سعيد ثابت وعبد الوهاب الغريري وأحمد طه العزوز، وكانت مهمتها تنفيذ الهجوم

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p.p. 89 – 90. <sup>199</sup>

Counrtny Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p. 80. <sup>200</sup>

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 92. <sup>201</sup>

على موكب قاسم. أما المجموعة الثانية فلقد تألفت من عبد الكريم الشيخلي وحاتم العزاوي وصدام حسين التكريتي. وكان من المقرر أن يبدأ الهجوم بإلقاء الغريري قبلة باتجاه سيارة قاسم يليها إمطار سيارته بالنار قبل أن يلقي الغريري قبلة دخانية ليسهل انسحاب المجموعة المهاجمة، إلا أنه قتل عند أول طلقة فلم تجر الخطة كما كان مقرراً. وعلى الرغم من مقتل سائق سيارة قاسم، إلا أن هذا الأخير تمكّن من النجاة والهروب ومراقبته الآخرين.<sup>202</sup>

## العلاقة مع الأكراد والحركة الأصولية

قدر لقاسم ان يواجهه، إضافة إلى التيار القومي، معارضة كبيرة في الشمال من قبل الرعيم الكردي مصطفى البرزاني. إضافة إلى تصاعد المعارضة له في جنوب العراق من قبل رجال الدين الذين سيطلق بعضهم حزب الدعوة الإسلامية. وكان أساس هاتين الحركتين بالدرجة الأولى عملية الإصلاح الزراعي التي كانت الثورة العراقية قد أطلقتها في بداياتها والتي مست بامتيازات زعماء العشائر الكرد في شمال البلاد، وعلى رأسهم البرزاني، كما مست في الجنوب بملكيات والأوقاف الزراعية التي كان ينتفع منها رجال الدين في النجف وكربلاء وغيرها من المناطق الجنوبية. والجدير ذكره أن البرزاني كان قد شارك في العشرينات من القرن الماضي بحركات تمرّد على النظام الملكي الهاشمي قادها أخيه البكر أحمد للمطالبة بانفصال الأكراد. لكن هذه الحركات تم قمعها من قبل الجيش الملكي العراقي وبمساندة من القوات البريطانية، على الرغم من أن بريطانيا كانت قد دعمت قيام دولة كردية في أجزاء من العراق والأناضول بعد انهيار الدولة العثمانية في العام 1918. وقد قصف الطيران البريطاني الأكراد بالأسلحة الكيماوية لقمع ثورتهم، وتم نفي مصطفى وأخيه أحمد إلى مدينة السليمانية في العام 1935. وخلال الحرب العالمية الثانية تمكّن البرزاني من الفرار إلى إقليم مهاباد في إيران الذي كان قد سقط في العام 1942 تحت الاحتلال السوفيتي، حيث انضم إلى الانفصاليين الكرد الذين أقاموا في العام 1945 جمهورية في شمال غرب إيران بدعم من الاتحاد السوفيتي. وقد تولى الملا البرزاني قيادة جيش الجمهورية الانفصالية. لكن بعد انسحاب القوات السوفييتية من شمال إيران استعادت السلطة المركزية في طهران سلطتها على الإقليم مطحنة بجمهورية مهاباد، فهرب البرزاني مع مئات من مناصريه إلى جمهورية أذربيجان حيث بقوا هناك لعقد ونيف من الزمن حتى قيام الثورة في العراق والسماح له بالعودة إلى بلاده بعد وساطة من

---

Counrtney Hunt, The History of Iraq, London: Greenwood Press, 2005, p. 80. <sup>202</sup>

الاتحاد السوفيaticي الذي كانت بغداد قد بدأت بالتقرب منه. وقد حاول عبد الكريم قاسم أن يتوصل إلى تسوية مع الملا البرزاني والقيادات الكردية فكرم البرزاني وخصص له راتباً شهرياً مقداره 500 دينار وخصص منزل رئيس الوزراء إبان العهد الملكي نوري السعيد كمقر للبرزاني. وفي بدايات العام 1960 أصدرت الحكومة العراقية ترخيصاً يسمح بتأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة البرزاني.<sup>203</sup> وقد حاول قاسم أن يعترف ببعض المطالب الكردية إلا أن ما عرقل هذه الجهود كان بالدرجة الأولى الإصلاح الزراعي الذي مسّ بامتيازات العائلات الإقطاعية في كامل العراق ومن ضمنها منطقة كردستان، بما فيها مصالح عائلة البرزاني التي كانت بالأساس عائلة إقطاعية زراعية منذ عهد الدولة العثمانية. كذلك فقد سعت بريطانيا التي خسرت مع الثورة نفوذها في العراق، ومن خلفها الولايات المتحدة الأمريكية، خلق مشكلات لنظام عبد الكريم قاسم الذي كان قد خرج من حلف بغداد وأعلن عداءه للغرب وبدأ يتقارب من الاتحاد السوفيaticي. كذلك لاقت حركة التمرد الكردي دعماً من إسرائيل<sup>204</sup>، التي كانت قيادتها تراهن على تجزيء الدول العربية إلى كيانات تقوم على عصبيات اثنية وعشائرية. وقد تمّ مدد البرزاني بالسلاح من هذه القوى فأعلن حركة تمرد في شمال العراق ما دفع بعبد الكريم قاسم إلى تجريد حملة ضده في العام 1961.<sup>205</sup>

وفي جنوب العراق بدأت المعارضة تصاعد في وجه عبد الكريم قاسم من قبل رجال الدين الذين ساءهم ما قام به قاسم من إصلاح زراعي أضعف قبضتهم على الأراضي الزراعية وال فلاحين، إضافة إلى ما منحه من حقوق قانونية واجتماعية للمرأة العراقية. وكان بعض رجال الدين الشباب قد تنادوا في العام 1957 لتأسيس حزب الدعوة الإسلامية كرد على تصاعد التيار القومي والشيوعي في العراق نتيجة تأثر الشباب بالنصر السياسي الكبير الذي حققه جمال عبد الناصر ضد العدوان الثلاثي في أواخر العام 1956. وقد أسس حزب الدعوة مواجهة لهذا المدد القومي واليساري، وقد قيل إن هذا جاء بتشجيع من السلطة الملكية العراقية ومن خلفها البريطانيون. وقد ارتكز حزب الدعوة بالدرجة الأولى على الشخصية الكاريزمية لرجل الدين الشاب العلامة محمد باقر الصدر. وينتمي الصدر إلى عائلة عريقة من علماء النجف، وقد ولد في مدينة الكاظمية وكان والده العلامة حيدر الصدر من رجال الدين ذائعي الصيت في العراق. وفي أوائل العشرينات من عمره نال محمد باقر الصدر درجة علامة نتيجة اجتهاده في عدد من المسائل الدينية خلال دراسته في الحوزة العلمية في النجف الأشرف. ومن أساتذة العلامة محمد باقر الصدر العلامة أبو القاسم الخوئي

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p.p. 93 – 94. <sup>203</sup>

104 – 106. Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p.p. <sup>204</sup>

Counrtney Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p. 77. <sup>205</sup>

والعلامة محمد رضا آل ياسين، وهو خال باقر الصدر، والشيخ محمد تقى الجواهري وأملا صدرا البادكوي. أما تلامذة باقر الصدر فقد كانوا كثراً ومن بلدان عربية وإسلامية متعددة ومن بينهم العلامة اللبناني السيد محمد حسين فضل الله والعلامة علي الحسيني الاشکوري والعلامة علي رضا اليزدي الحائرى والعلامة سلمان فاضل الأفغاني والشيخ محمد إبراهيم الأنصارى. ولقد تميزت مدرسته المنشقة عن أهل البيت عن مدرسة الإمام أبو القاسم الخوئي بأنها شاملة وعميقة، خلافاً<sup>206</sup> مدرسة الخوئي التي اعتمدت التبسيط والتوضيح.

## السياسة الخارجية في عهد قاسم

شكلت ثورة العام 1958 في العراق بداية تحول جذري في العلاقات الخارجية لبغداد إقليمياً ودولياً. وقد سارعت بغداد في نهاية العام نفسه إلى الانسحاب من حلف بغداد وطلبت خروج مستشاريه العسكريين من البلاد إضافة إلى طلبها من القوات البريطانية إخلاء قواudem العسكريه والخروج من العراق.<sup>207</sup> وقد سارع جمال عبد الناصر، الذي كان في ذلك الوقت رئيساً لكل من مصر وسوريا في إطار الجمهورية العربية المتحدة، إلى الاعتراف بحكومة الثورة وأبدى كل الدعم لها والذي ترجم بعقد اتفاقيات تكامل اقتصادي وتجاري مع العراق، إضافة إلى اتفاقية تعاون عسكري تتعهد بموجبه القاهرة بدعم بغداد في مواجهة أي عدوان خارجي، ناهيك عن اتفاق للتعاون الثقافي. كذلك فلقد سارع الاتحاد السوفييتي إلى إعلان دعمه للعراق بقيادة قاسم. وبنتيجة ذلك انحاز العراق إلى معسكر الدول الشرقية وبات عضواً فاعلاً في حركة دول عدم الانحياز وبات أكثر دعماً للقضية الفلسطينية وقضايا التحرر الوطني في العام الثالث.<sup>208</sup> لكن كان مقدراً لقاسم أن يختلف مع عبد الناصر لأسباب عدة قد يكون من أهمها كون العراق ومصر كانتا منذ فجر التاريخ مركزين جيوسياسيين يتنافسان على الهيمنة في منطقة المشرق، إضافة إلى طموحات عبد الكريم قاسم بالزعامة والتي كانت ستصطدم حكماً بزعامة عبد الناصر التي كانت قد تحققت بعد العدوان الثلاثي على مصر في العام 1956. إضافة إلى ذلك فإن العراق ومصر كانا يتنافسان منذ فجر التاريخ على الهيمنة على بلاد الشام، ولقد كانت هذه حقيقة لم يتمكن من الخروج منها لا قاسم ولا عبد الناصر. وكان عبد الناصر قد بسط نفوذه على الشام قبل أشهر من قيام الثورة في العراق عبر

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p.p. 102 – 104. <sup>206</sup>

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p. 106. <sup>207</sup>

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, Boulder: Westview Press, 2012, p.p. 107 – 108. <sup>208</sup>

تحقيقه للوحدة بين مصر وسوريا. وقد شكلت هذه الوحدة منطلقاً لعبد الناصر لدعم الضباط الأحرار في العراق ومن ضمنهم قاسم، وبالتالي فلقد كان هذا الأخير يعي قدرة عبد الناصر على التأثير في العراق نفسه. وقد اقترن هذه العوامل الجيوسياسية بعوامل مباشرة كان أهمها الخلاف الذي اندلع بين عبد الناصر والشيوعيين السوريين بقيادة خالد بكداش والتي أدت إلى خلاف كبير بين عبد الناصر والسوفيات، ما جعل الشيوعيين العرب ومن ضمنهم الشيوعيون العراقيون يعادون عبد الناصر. وكان شيوعيو العراق قد تقربوا من عبد الكريم قاسم وباتوا أحد الأعمدة الرئيسية للحكم في العراق بسبب ميل الزعيم العراقي إليهم نتيجة قربته من أحد قياديهم وهو العقيد فاضل عباس المهداوي.

## قاسم والحزب الشيوعي العراقي

وكان الحزب الشيوعي العراقي قد تأسس على يد عدد من المثقفين العراقيين الذين كانوا على اتصال بالشيوعيين السوريين في العشرينيات من القرن الماضي والذين كانوا قد بدأوا "يهربون" الكتب الماركسية إلى العراق خلسة خوفاً من السلطات الملكية وسلطات الانتداب البريطانية. وقد أعقب ذلك تشكيل حلقة ماركسية من كل من مصطفى علي وعوني بكري صدقى ومحمد أحمد المدرس وحسين الرحال وعبد الله جدوع الذين أصدروا مجلة "الصحيحة" بدءاً من أيلول سبتمبر 1924، والتي هاجموا فيها الإقطاع والطائفية في العراق ودعوا إلى ثورة اشتراكية تلغى العصبيات الطائفية والقبلية واحتياط الملكية الزراعية من قبل الإقطاع، إضافة إلى إعلانها عداءها لسلطات الانتداب البريطاني. وفي العام 1927 تشكلت خلية شيوعية في البصرة وكان من أعضائها زكريا الياس وعبد الوهاب محمود وعبد الحميد الخطيب وسامي نادر مصطفى، تلتها في العام 1928 خلية الناصرية التي ضمت عدداً من الأعضاء كان من أبرزهم أحمد جمال الدين وغالي زويد ويوسف سلمان الملقب بفهد. وقد وزع الشيوعيون العراقيون أول بيان لهم في كانون الأول ديسمبر 1932. وفي آذار مارس 1934 عقدت المجموعات الماركسية المختلفة اجتماعاً في بغداد حضره ممثلون عن المجموعات من مختلف أنحاء العراق وانتخبوا لجنة مركبة ومكتبًا سياسياً إضافة إلى انتخاب عاصم فيلح كأول أمين عام للحزب الذي اعتمد اسماً رسمياً هو الحزب الشيوعي العراقي. وفي العام 1941 انتخب يوسف سلمان الملقب بفهد أميناً عاماً للحزب بعد عودته من الاتحاد السوفيatic حيث خضع لدورات نظرية وتنظيمية في الماركسية اللينينية، إلا أنه اعتقل في العام 1949 وأخضع للتعذيب حتى الموت من قبل السلطات الملكية العراقية. وقد كان للشيوعيين العراقيين ضباط في

الجيش العراقي دعموا الانقلاب الذي جرى ضد الملكية في تموز يوليو 1958. وخلال حكم قاسم بات الحزب الشيوعي واسع النفوذ وتوسّعت قاعدته الجماهيرية لتقدر بنحو مليونين ونصف مليون عضو، ما جعل قاسم يخشى من تقدّم نفوذ الحزب على حساب سلطته هو. لكن ما منع الصدام بينهما كان خوف كل منهما من الضباط القوميين الذين كانوا يدعمون عبد السلام عارف المدعوم من عبد الناصر والذي بات يشكل الخطر الرئيس على قاسم حتى بعد وضعه في السجن.<sup>209</sup>

## أزمة الكويت

كان العراق يعاني من ضيق مساحة شاطئه جنوباً على الخليج العربي، وكان يعتبر أن إيران غبنته حقه نتيجة معااهدة رسم الحدود بينهما خلال زمن الدولة العثمانية والتي قسمت بموجبها منطقة المحمرة بما منح معظم الشاطئ الشرقي للخليج إلى إيران. وفي الوقت نفسه فلقد شكل وضع الكويت تحت الحماية البريطانية في العام 1899 انتزاعاً لهذا المرفأ لهم من ولاية البصرة ما اعتبره الوطنيون العراقيون على مر العقود غبناً كبيراً للعراق. وقد قدر لعهد قاسم أن يشهد أزمة كبيرة على الصعيد العربي وهي أزمة الكويت. وكانت بريطانيا قد اعلنت في حزيران يونيو 1961 الغاء معااهدة الحماية التي فرضتها على الكويت في العام 1899 ومنحتها بذلك استقلالها فأبرق قاسم إلى أمير الكويت عبد الله سالم الصباح مهنتاً ثم عقد بعد أيام مؤتمراً صحافياً في وزارة الدفاع العراقية طالب فيها بضم الكويت إلى العراق بذريةة "أن الكويت كانت جزءاً من محافظة البصرة"، ولوّح باستخدام القوة لتحقيق ذلك. ردّاً على ذلك قامت بريطانيا بإرسال قوات إلى الكويت ما دفع بالعراق إلى رفع شكوى إلى مجلس الأمن، فتقدمت بريطانيا بمشروع قرار إلى مجلس الأمن لشرعنة وجود قواتها في الكويت، فرددت مصر بطرح مشروع قرار آخر يقضي بإرسال قوات دولية، وقد استخدمت موسكو حق النقض الفيتو لإسقاط القرار البريطاني فيما سقط المشروع المصري بالتصويت. وفي النهاية قررت جامعة الدول العربية إرسال قوة عربية مشتركة من 2500 جندي إلى الكويت لقاء انسحاب القوات البريطانية. وقد شكلت الأزمة إحراجاً كبيراً لقاسم وإضراراً بصورته.<sup>210</sup>

Phebe Marr, A History of Iraq, p.p. 93 – 94. <sup>209</sup>

Phebe Marr, The Modern History of Iraq, Boulder: Westview Press, 2012, p.p. 109 – 110. <sup>210</sup>

في أوائل العام 1963 كانت جملة من العوامل قد تضافرت لتساهم بإطاحة عبد الكريم قاسم. كان من جملة هذه العوامل التوتر الذي ظهر في العلاقة بينه وبين الحزب الشيوعي العراقي نتيجة خشية الزعيم العراقي على سلطته، ما ساهم في تراجع التأييد له في صفوف الحزب على الرغم من أن قيادة الحزب بقيت على ولائها له. كذلك فقد ساهم انفصال سوريا عن مصر في أول سبتمبر 1961 في إزالة الكثير من أسباب التوتر بين الضباط القوميين الموالين لعبد الناصر والضباط البعثيين الذين كانوا قد جاهروا بالعداء له منذ تفجر الخلاف بين الزعيم المصري والقيادي البعثي أكرم الحوراني الذي كان نائباً لعبد الناصر خلال الوحدة، وتقديمه استقالته في العام 1959. هذا جعل الضباط القوميين الناصريين والضباط البعثيين أكثر استعداداً للتنسيق في ما بينهم وتوحيد جهودهم. وفي صبيحة الثامن من شباط فبراير 1963 انطلقت مجموعة كبيرة من السيارات التي تقل ضباطاً قوميين من معسكر الوشاوش إلى منطقة أبو غريب. وكانت وجهة الموكب باتجاه مقر الكتيبة الرابعة المدرعة في الجيش التي كان يسيطر عليها الضباط البعثيون والتي ستكون عmad الانقلاب على قاسم. وسرعان ما انطلقت دبابات الكتيبة الرابعة لمحاصرة المقار الحكومية ومقر وزارة الدفاع والإذاعة في منطقة الصالحية لبث بيان الانقلاب. وقد كانت الحركة الانقلابية خاطفة ونجحت في عزل قاسم عن مناصريه، خصوصاً الشيوعيين ومن ثم إلقاء القبض عليه مع عدد من معاونيه في التاسع من شباط فبراير في مقر وزارة الدفاع ثم نقله إلى مقر قيادة الانقلاب في مبني الإذاعة والتلفزيون العراقي، حيث أقيمت له محاكمة ثورية سريعة تمّ بعدها تنفيذ حكم بالإعدام فيه. وقد حاول الشيوعيون نجدة قاسم ونزلوا مسلحين إلى الشوارع واشتبكوا مع البعثيين لأيام عدة قبل أن يتمكن الجيش من قمع تمردهم. وقد عُدت إطاحة قاسم ضربة لنفوذ الاتحاد السوفيaticي في المنطقة.<sup>211</sup>

## عهد الأخوين عارف

ما إن تم احتجاز قاسم ونقله إلى مقر الإذاعة والتلفزيون حتى قام الضباط القوميون بالتواصل مع عارف المفروضة عليه الإقامة الجبرية وذهب وفد منهم إليه ورافقوه إلى مبني الإذاعة والتلفزيون حتى يحضر المحاكمة قاسم. وقد عاتب عارف قاسم لمحاولته الاستفراد بالحكم وحاول التوسط لدى الضباط للعفو عنه إلا أن الضباط البعثيين أصرروا على إعدامه. بعد ذلك اختير عارف رئيساً

Courtney Hunt, The History of Iraq, London: Greenwood Press, 2005, p. 81 – 82. <sup>211</sup>

للجمهورية على أن يكون زعيم حزب البعث أحمد حسن البكر نائباً للرئيس. وكان حزب البعث العربي الاشتراكي - فرع العراق قد تأسس في أوائل الخمسينيات بتأثير من البعثيين السوريين، وقد ظهر الحزب إلى العلن لأول مرة في العام 1953 وانتخب أول قيادة قطرية له والتي تألفت من جعفر قاسم حمودي ومحمد سعيد الأسود وشمس الدين كاظم وفخرى ياسين قدوري وفؤاد الركابي الذي انتخب أميناً للسر، وهو منصب موازٍ للأمين العام للحزب. وقد نشط الحزب في الخمسينيات ضد ضد الحكم الملكي وشارك في الثورة في العام 1958 ليشارك في أول حكومة بعد الثورة. وقد مال الحزب لدعم عارف على حساب قاسم، وعارض الأخير في توجيهه للتفرد بالسلطة والاعتماد على الحزب الشيوعي كدعامة للحكم. وقد أبعد البعثيون عن مفاصل السلطة بعد إطاحة قاسم بعارف، ثم شارك في الثورة التي اطلقها الشواف و تعرض أعضاؤه للتنكيل من قبل قاسم والشيوعيين، ولوحقوا، فنظموا محاولة لاغتيال قاسم في تشرين الأول أكتوبر 1959 كما ورد آنفًا لكن المحاولة فشلت. وقد كان للحزب دور رئيسي في إطاحة قاسم في العام 1963 وقد ارتضى تقاسم السلطة مع الضباط الناصريين الموالين لعبد الناصر وبتسمية عبد السلام عارف المقرب من الرعيم المصري رئيساً للعراق على أن يكون زعيمه أحمد حسن البكر نائباً لرئيس الجمهورية.<sup>212</sup>

لكن سرعان ما دبَّ الخلاف بين عارف والضباط الناصريين من جهة والضباط البعثيين من جهة أخرى. وكان السبب المباشر لذلك هو في إصرار البعثيين على إعدام قاسم وتنكيلهم بالشيوعيين وهو ما حاول عارف منعه. إلا أن السبب الأساسي في ذلك أن في عرقلة البعثيين العراقيين ومعهم البعثيين السوريون محادثات الوحدة الثلاثية التي كان عبد الناصر قد دعا إليها مع سوريا والعراق بعد إطاحة قاسم في العراق في شباط فبراير 1963،<sup>213</sup> ومن بعده انقلاب الضباط الناصريين والبعثيين في سوريا على نظام الانفصال في آذار مارس من ذلك العام.<sup>214</sup> هذا دفع بعارف إلى القيام بما أسماه حركة تصحيحية في 18 تشرين الثاني نوفمبر 1963 أطاح بها بالبعثيين من مفاصل السلطة وعلى رأسهم نائبه أحمد حسن البكر.<sup>215</sup> وما أن استتب الأمر لعارف حتى أوقف الملاحقات بحق الشيوعيين وحاول اعتماد سياسة متوازنة مع حزب الدعوة والمرجعيات الشيعية في جنوب العراق إضافة إلى محاولته حل المسألة الكردية.<sup>216</sup> وقد أصدر في شباط فبراير من العام 1964 أمراً بوقف العمليات العسكرية ضد الأكراد في شمال البلاد وتتوصل إلى اتفاقية مع زعماً منهم يعترف بها

Phebe Marr, *A History of Iraq*, p. 113. <sup>212</sup>

120 p. Phebe Marr, *A History of Iraq*. <sup>213</sup>

Phebe Marr, *A History of Iraq*, p. 114. <sup>214</sup>

Counrtny Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p. 82. <sup>215</sup>

Phebe Marr, *A History of Iraq*, p.127. <sup>216</sup>

بحقوقهم الثقافية والوطنية في إطار العراق الموحد. لكن الملا مصطفى البرزاني سعى لإفشال هذا الاتفاق نتيجة نزعاته الانفصالية وتشجيعه عليها من قبل إسرائيل ونظام الشاه في إيران الذي كان يمدّ المتمردين الأكراد بالسلاح والدعم المالي لزعزعة استقلال العراق.<sup>217</sup> وخلال عهده الذي دام ثلاث سنوات سعى عارف إلى الاستمرار في التقارب من السوفيات وتعزيز العلاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية معهم، خصوصاً أنه سعى لتحديث الجيش العراقي وتزويده بمنظومة أسلحة سوفياتية حديثة. كذلك سعى عارف إلى تصنيع العراق بغية تنويع مصادر إنتاجه والتخفيف من الاعتماد على البضائع المستوردة، فأنشأ مصانع في مختلف المحافظات العراقية. كذلك أسس عارف عدداً من الجامعات ونشر المدارس في المحافظات العراقية كما فرض التعرّيب في الدوائر الرسمية العراقية.

وقد قتل عارف في 13 نيسان أبريل 1966 بعد تحطم طائرة مروحية كانت تقله مع عدد كبير من الوزراء والضباط لزيارة مناطق حدودية مع إيران، للإشراف على عمليات ضبط الحدود ومنع المتسللين من إيران إلى العراق. وكان من ضمن القتلى وزير الداخلية اللواء عبد اللطيف الدراجي، ووزير الصناعة مصطفى عبد الله طه، ونائب وزير الصناعة عبد الهادي الحافظ، ومتصرف لواء البصرة محمد ندي مطر الحياني وعدد من قادة الألوية في الجيش العراقي. وقد حامت الشكوك حول البعضين في التسبب بالحادث بغية الاستيلاء على السلطة في العراق. بعد ذلك تنافس شقيق عبد السلام عارف قائد الجيش العراقي عبد الرحمن عارف ورئيس الوزراء عبد الرحمن البازار الذي فاز من يتولى منصب الرئاسة. وفيما دعم العسكريون عارف، فقد دعم المدنيون البازار الذي فاز بالدورة الأولى من التصويت، لكن بنتيجة الضغوط التي مارسها جمال عبد الناصر فلقد انسحب البازار لصالح عارف الذي أصبح رئيساً خلفاً لأخيه.<sup>218</sup> وكان تدخل عبد الناصر لصالح عارف نتيجة خوفه من ميول البازار للتقارب مع الغرب ويعينه بأن عارف سيكمل سياسة أخيه بالتقارب مع مصر وتشكيل دعامة لها على الساحة العربية.<sup>219</sup> لكن في حزيران يونيو 1967 تعرضت مصر ومعها سوريا والأردن لهزيمة عسكرية على يد إسرائيل، فشكل هذا ضربة قوية لصورة عبد الناصر كزعيم لlama العربية وأضعف نفوذه على الساحة العربية. هذا شجع البعضين العراقيين على تصعيد معارضتهم لعبد الرحمن عارف وصولاً إلى إطاحتة في انقلاب تموز يوليو 1968 ونفيه خارج العراق

<sup>217</sup> Phebe Marr, *A History of Iraq*, p. 128.

Counrtny Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p. 83. <sup>218</sup>

Phebe Marr, *A History of Iraq*, p. 130. <sup>219</sup>

إلى الأردن،<sup>220</sup> ومن هناك نفي إلى تركيا حيث بقي هناك حتى الثمانينيات من القرن الماضي حين سمح له الرئيس العراقي الراحل صدام حسين بالعودة إلى العراق.

## دستور العراق

خلال فترة السبعينيات صدرت دساتير عدّة للعراق عكست حال الصراع السياسي في البلاد. وكان دستور مؤقت صدر للبلاد فور إطاحة الحكم الملكي في صيف العام 1958 وجاء فيه:

المادة (1): الدولة العراقية جمهورية مستقلة ذات سيادة كاملة.

المادة (2): العراق جزء من الأمة العربية.

المادة (3): يقوم الكيان العراقي على أساس من التعاون بين المواطنين كافة باحترام حقوقهم وصيانة حرياتهم ويعتبر العرب والأكراد شركاء في هذا الوطن ويقر هذا الدستور حقوقهم القومية ضمن الوحدة العراقية.

المادة (4): الإسلام دين الدولة.

المادة (5): عاصمة الجمهورية العراقية بغداد.

المادة (6): يعين العلم العراقي وشعار الجمهورية العراقية والأحكام الخاصة بهما بقانون.

المادة (7): الشعب مصدر السلطة.

المادة (8): الجنسية العراقية يحددها القانون.

المادة (9): المواطنين سواسية أمام القانون في الحقوق والواجبات العامة ولا يجوز التمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة.

المادة (10): حرية الاعتقاد والتعبير مضمونة وتنظم بقانون.

المادة (11): الحرية الشخصية وحرمة المنازل مصونتان ولا يجوز التجاوز عليهما إلا حسب ما تقتضيه السلامة العامة وينظم ذلك بقانون.

المادة (12): حرية الأديان مصونة وينظم القانون أداء وظيفتها على أن لا تكون مخلة بالنظام العام ولا متنافية مع الآداب العامة.

المادة (13): الملكية الخاصة مصونة وينظم القانون أداء وظيفتها الاجتماعية ولا تنزع إلا للمنفعة العامة مقابل تعويض عادل وفقاً للقانون.

---

Counrtney Hunt, The History of Iraq, London: Greenwood Press, 2005, p p 83 – 84. <sup>220</sup>

المادة (14):

أ- الملكية الزراعية تحدد وتنظم بقانون.

ب - الملكية الزراعية مصونة بوجب القوانين المرعية إلى حين استصدار التشريعات واتخاذ التدابير الضرورية لتنفيذها.

المادة (15): لا يجوز فرض ضريبة أو رسم أو تعديلهما أو إلغاؤهما إلا بقانون.

المادة (16): الدفاع عن الوطن واجب مقدس وأداء الخدمة العسكرية شرف للمواطنين وتنظم أحکامها بقانون.

المادة (17): القوات المسلحة في الجمهورية العراقية ملك للشعب و مهمتها حماية سيادة البلاد وسلامة أراضيها.

المادة (18): الدولة وحدتها هي التي تنشئ القوات المسلحة ولا يجوز لأية هيئة أو جماعة إنشاء تشكيلات عسكرية أو شبه عسكرية.

المادة (19): تسليم اللاجئين السياسيين محظوظ.

المادة (20): يتولى رئاسة الجمهورية مجلس السيادة ويتألف من رئيس وعضويين.

المادة (21): يتولى مجلس الوزراء السلطة التشريعية بتصديق مجلس السيادة.

المادة (22): يتولى مجلس الوزراء والوزراء كل في ما يخصه أعمال السلطة التنفيذية.

المادة (23): القضاة مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون ولا يجوز لأية سلطة أو فرد التدخل في استقلال القضاء أو في شؤون العدالة وينظم القانون الجهاز القضائي.

المادة (24): جلسات المحاكم علنية إلا إذا قررت المحكمة جعلها سرية مراعاة للنظام العام والآداب.

المادة (25): تصدر الأحكام وتنفذ باسم الشعب.

المادة (26): تنشر القوانين في الجريدة الرسمية ويعمل بها من تاريخ نشرها إلا إذا نص فيها على خلاف ذلك، وإذا لم يذكر فيها تاريخ تفيذها تنفذ بعد عشرة أيام من اليوم التالي ل يوم النشر.

المادة (27): يكون للقرارات والأوامر والبيانات والمراسيم الصادرة من قائد القوات المسلحة أو رئيس الوزراء أو مجلس السيادة في الفترة من 14 تموز 1958 إلى تاريخ تفيذ هذا الدستور المؤقت قوة القانون وهي تعدل ما يتعارض مع أحکامها من نصوص القوانين النافذة قبل صدورها.

المادة (28): كل ما قررته التشريعات النافذة قبل 14 تموز سنة 1958 تبقى سارية المفعول ويجوز إلغاء هذه التشريعات أو تعديلها بالطريقة المبينة بهذا الدستور المؤقت.

المادة (29): ينفذ هذا الدستور المؤقت من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

المادة (30): على وزراء الدولة تنفيذ هذا الدستور.<sup>221</sup>

وبعد انقلاب عارف والبعث على قاسم في العام 1963 صدر دستور مؤقت آخر استند بكثير من مواده على دستور العام 1958 وجاء فيه:

المادة 63:

أ - يمارس السلطة التشريعية خلال فترة الانتقال مجلس شورى يكون مقره في بغداد ويحدد عدد أعضائه وشروط العضوية وطريقة تعيين الأعضاء ومخصصاتهم وصلاحيات المجلس وكيفية ممارسته لها بقانون.

ب - يتولى مجلس الشورى فور انعقاد أول اجتماع له الصلاحيات التشريعية المخولة للمجلس الوطني لقيادة الثورة ومجلس الوزراء في الدستور المؤقت.

ج - يستمر كل من المجلس الوطني لقيادة الثورة ومجلس الوزراء على ممارسة السلطة التشريعية إلى حين انعقاد مجلس الشورى.

د - يضع مجلس الشورى مشروع الدستور الدائم على أن يعرض على المجلس النيابي المنتخب، في أول دورة انعقاد له للبت فيه.

المادة الثانية: ينشر هذا التعديل الدستوري في الجريدة الرسمية وي العمل به من تاريخ نشره.

المادة الثالثة: على الوزراء تنفيذ هذا التعديل للدستور المؤقت.<sup>222</sup>

وبعد استيلاء البعث على السلطة في العام 1968 تم إصدار دستور مؤقت آخر جاء فيه:

المادة الثانية عشرة: يهدف النظام الاقتصادي إلى تحقيق الاشتراكية وذلك بتطبيق العدالة الاجتماعية التي تحظر أي شكل من أشكال الاستغلال.

المادة الثالثة عشرة: يكون الاقتصاد القومي موجهاً يتعاون فيه القطاعان العام والخاص تحقيقاً للتنمية الاقتصادية بزيادة الإنتاج وعدالة التوزيع.

المادة الرابعة عشرة: الثروات الطبيعية ملك الدولة وهي التي تكفل حسن استغلالها.

المادة الخامسة عشرة: يستخدم رأس المال في خدمة الاقتصاد القومي على أن لا يتعارض استخدامه مع الخير العام للشعب.

المادة السادسة عشرة: للأموال العامة حرمة وحمايتها واجب.

<sup>221</sup> راجع الدستور المؤقت لعام 1958 على موقع المحكمة الدستورية العراقية/<https://www.hjc.iq/view.85/>

<sup>222</sup> راجع تعديل الدستور المؤقت عام 1963 على موقع المحكمة الدستورية العراقية/<https://www.hjc.iq/view.84/>

## المادة السابعة عشرة:

أ - الملكية الخاصة مصونة وينظم القانون أداء وظيفتها الاجتماعية ولا تنزع إلا للمنفعة العامة لقاء تعويض عادل وفقاً للقانون.

ب - الإرث حق تحكمه الشريعة الإسلامية.

ج - على أن الأشخاص الذين ثبت أدانتهم من محكمة مختصة بجريمة التجسس لحساب الأجنبي أو التآمر على تقويض نظام الحكم التقديمي الاشتراكي وأساسه الاقتصادي والاجتماعي فتجوز مصادرة أموالهم المنقوله وغير المنقوله وقيدها إيراداً للدولة بموجب قانون<sup>(1)</sup>.

المادة الثامنة عشرة: يعين القانون الحد الأعلى للملكية الزراعية ويؤول للدولة ما زاد على الحد الأعلى من تعويض. ولا يجوز لغير العراقيين تملك الأراضي الزراعية إلا في الأحوال التي بينها القانون<sup>(2)</sup>.

المادة التاسعة عشرة: تشجع الدولة الحركة التعاونية وترعى منشآتها.

أولاً - مجلس قيادة الثورة:

المادة الحادية والأربعون: مجلس قيادة الثورة هو الجهاز الثوري الذي قاد جماهير الشعب والقوات المسلحة صبيحة اليوم السابع من تموز سنة 1968 وتم تسمية أعضائه بقانون.

المادة الثانية والأربعون:

أ - ملغاة<sup>(3)</sup>.

ب - تحدد رواتب أعضاء مجلس قيادة الثورة ونواب رئيس الجمهورية بقانون.

المادة الثالثة والأربعون:

أ - مجلس قيادة الثورة بأغلبية ثلثي أعضائه الأصليين إقالة أحد أعضائه، وله بأغلبية ثلثي أعضائه أيضاً ضم أعضاء أصليين جدد إليه على أن لا يزيد مجموع أعضاء المجلس على خمسة عشر عضواً.

ب - مجلس قيادة الثورة قبول استقالة أحد أعضائه بقرار صادر من أغلبية أعضائه.

ج - عند خلو منصب أحد الأعضاء لأي سبب كان يعين المجلس عضواً مكانه بقرار أكثريه أعضائه.

د - ينتخب مجلس قيادة الثورة من بين أعضائه نائباً للرئيس يتولى صلاحيات رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس الجمهورية في حالة غيابه<sup>(4)</sup>.

ثانياً - سلطات مجلس قيادة الثورة:

المادة الرابعة والأربعون: مجلس قيادة الثورة أعلى سلطة في الدولة ويمارس السلطات الآتية:

1 - انتخاب رئيس الجمهورية ونوابه.

2 - الإشراف على القوات المسلحة وقوى الأمن الداخلي.

- 3 - إعلان التعبئة وإعلان الحرب وقبول الهدنة وعقد الصلح.
- 4 - ملغاة.
- 5 - إقرار القوانين والأنظمة والمعاهدات والاتفاقيات الدولية.
- 6 - الإشراف على شؤون الجمهورية بما يحقق حماية الثورة والوصول إلى أهدافها التي أشار إليها بيان إعلانها والبيانات الرسمية الأخرى التي صدرت منه.
- 7 - إصدار قرارات لها قوة الإلزام وفقاً لأحكام هذا الدستور والقوانين النافذة.
- 8 - مجلس قيادة الثورة إصدار القوانين التي لها قوة القانون<sup>(5)</sup>.

### ثالثاً - حصانة عضو المجلس:

المادة الخامسة والأربعون: لكل عضو في مجلس قيادة الثورة حرية إبداء الرأي داخل المجلس.

المادة السادسة والأربعون: لا تتخذ إجراءات قانونية ضد عضو مجلس قيادة الثورة بسبب أعمال وظيفته إلا بقرار صادر من ثلثي أعضائه على أن يحاكم أمام محكمة خاصة على الوجه المبين في القانون.

### رابعاً - جلسات المجلس والتصويت فيه:

#### المادة السابعة والأربعون:

أ - جلسات المجلس سرية ويتم انعقادها بحضور أكثريه الأعضاء.

ب - يجتمع المجلس مرة في الأسبوع على الأقل ولا ينعقد إلا برئاسة رئيس المجلس أو من ينوب عنه.

ج - يجتمع المجلس بدعوة من الرئيس أو بطلب من عضوين على الأقل.

د - توقع القرارات من قبل الأعضاء وتتصدر بتوقيع الرئيس أو من يخوله تحريرياً.

المادة الثامنة والأربعون: تتخذ القرارات في المجلس بأكثريه أعضائه الحاضرين ما لم ينص على خلاف ذلك في الدستور وإذا تساوت الآراء فيرجع الجانب الذي فيه الرئيس، وللمخالف حق تدوين مخالفته.

#### خامساً - مكاتب المجلس: المادة التاسعة والأربعون:

أ - يشكل المجلس مكتباً لأمانة السر وتنظم أعماله بقانون.

ب - يشكل المجلس مكاتب استشارية تابعة له وتنظم بقانون.

المادة الخمسون: رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس الجمهورية هو رئيس الدولة القائد العام للقوات المسلحة ورئيس السلطة التنفيذية ويمارس السلطات التالية:

- أ - تعيين الوزراء وقبول استقالاتهم وإعفاؤهم من مناصبهم ويكونون مسؤولون أمامه في أداء وظائفهم وتصرفاتهم.
- ب - المصادقة على المعاهدات والاتفاques الدولية.
- ج - إصدار القوانين والأنظمة والقرارات الالزمه لتنفيذها.
- د - تعيين الموظفين وعزلهم وفصلهم وإحالتهم على التقاعد وفق القانون.
- ه - تعيين الضباط وإحالتهم على التقاعد وفق القانون.
- و - تعيين الحكام والقضاة وإحالتهم على التقاعد وفق القانون.
- ز - تعيين الممثلين السياسيين وإحالتهم على التقاعد.
- ح - اعتماد ممثلي الدولة الأجنبية والهيئات الدولية والدبلوماسية لدى الجمهورية العراقية.
- ط - إعلان حالة الطوارئ وإنهاوها في الأحوال المبينة في القانون 74<sup>(6)</sup>.

المادة الحادية والخمسون: لا ينفذ حكم الإعدام إلا بعد تصديق رئيس الجمهورية وله حق تخفيض أية عقوبة جزائية أو رفعها بعفو خاص أما العفو العام فلا يكون إلا بقانون.

المادة الثانية والخمسون: إذا لم يصادق رئيس الجمهورية على ما أقره مجلس قيادة الثورة فله أن يبدي رأيه إلى المجلس خلال سبعة أيام وفي هذه الحالة أو إذا مضت المدة دون إبداء رأيه فيعتقد المجلس جلسة يبحث فيها الموضوع مجدداً ويكون القرار صادراً بأكثرية ثلثي الأعضاء قطعياً.

المادة الثالثة والخمسون: إذا قدم رئيس الجمهورية استقالته من منصبه وجّه كتاب الاستقالة إلى مجلس قيادة الثورة وعندئذ يجتمع المجلس بكمال أعضائه الباقيين للنظر في الاستقالة قبولاً أو رفضاً وفي حالة قبولها ينتخب المجلس رئيساً جديداً.

المادة الرابعة والخمسون: إذا خلا منصب رئيس الجمهورية لأي سبب كان ينعقد مجلس قيادة الثورة بكمال أعضائه الباقيين لانتخاب رئيس للجمهورية خلال مدة لا تتجاوز سبعة أيام من تاريخه.

المادة الثامنة والخمسون: يمارس مجلس قيادة الثورة السلطة التشريعية إلى حين انعقاد الجلسة الأولى للمجلس الوطني.

المادة التاسعة والخمسون: يحدّد القانون طريقة تأليف المجلس الوطني.<sup>223</sup>

---

<sup>223</sup> راجع الدستور المؤقت لعام 1968 على موقع المحكمة الدستورية العراقية <https://www.hjc.iq/view.82>

## الفصل الرابع

### فلسطين والأردن 1958 – 1970

أدّت النكبة إلى صعود تيار شبابي غاضب بين الشباب الفلسطيني خاصة والشباب العربي عامة، ما ساهم في صعود جيل جديد من الثوار على حساب الجيل القديم الذي اعتُبر مسؤولاً عن النكبة. هذا يفسّر صعود حركة القوميين العرب في الخمسينيات من القرن الماضي والتي كان عمادها طلاب فلسطينيون وعرب ينتمون إلى الطبقة البورجوازية العليا وسيكون لهم دور في تحرير البلدان العربية من الاستعمار في ما بعد. وقد كان على رأس هؤلاء الطلاب جورج حبش وهو من مواليد اللّدّ عام 1926 وكان ينتمي إلى أسرة فلسطينية مسيحية من الطبقة الوسطى تمكّنت من إرساله إلى الجامعة الأميركيّة لمتابعة دراسة الطب. وهناك تعرّف إلى صديقه وديع حداد وكان من مواليد صفد عام 1927. وكان يدرس الطب أيضًا في الجامعة الأميركيّة. وقد انضم الإثنان إلى مجموعة فكرية في الجامعة اسمها العروة الوثقى وكان من أهمّ أعلامها المؤرخ السوري قسطنطين زريق ذو الأفكار القوميّة العربيّة.<sup>224</sup> وقد تأثّر حبش وداد بزريق، وعند النكبة قام الإثنان سرًا بتشكيل مجموعة سرية باسم كتائب الفداء العربي التي ستنفذ عدداً من الهجمات على السفارات الغربية انتقاماً للنكبة في أوائل الخمسينيات، وخطّطت لاغتيال عدد من القادة العرب الذين عدّتهم مسؤولين عن النكبة مثل الملك عبد الله وجون غلوب باشا وأديب الشيشكلي،<sup>225</sup> والتي ستكون النواة الأولى لحركة القوميين العرب التي سيطلقها جورج حبش نفسه وسيكون من أعلامها أحمد الخطيب من الكويت وحامد الجبوري من العراق وهاني الهندي من سوريا وصالح شبّل وأحمد اليماني. وقد اعتُبر حبش أنّ الهزيمة في فلسطين كانت نتيجة وقوع البلدان العربية تحت هيمنة الاستعمار ونتيجة تقسيم بلدان الأمة العربيّة. لذلك فلقد اعتُبر حبش أنه كي تتحرّر فلسطين فيجب أولاً تحرير الأقطار العربيّة من الاستعمار والسعى لتوحيد الأمة العربيّة. بنتيجة ذلك قام حبش بتأسيس مجموعات لحركة القوميين العرب في ليبيا والسودان واليمن ومنطقة الخليج. وقد تأثّر حبش بالشعارات التي طرحتها جمال عبد الناصر وبالنصر الذي حقّقه الأخير على قوات العدوّان الثلاثي في العام 1956 فجرى تقارب بين حركة القوميين العرب والزعيم المصري حتى

<sup>224</sup> فؤاد مطر، حكيم الثورة: سيرة جورج حبش ونضاله، بيروت: دار النهار، 2008، ص. 13.

<sup>225</sup> المصدر نفسه، ص.ص. 59 – 61.

العام 1967. وقد ساهمت الحركة في نضال الشعوب العربية من أجل الاستقلال في المغرب العربي والجزائر وتونس وليبيا ومنطقة الخليج والعراق والكويت واليمن الجنوبي والشمالي، كما أيدت الوحدة السورية المصرية ووقفت ضد الانفصال الذي وقع في أيلول سبتمبر 1961. وفي الخلاف بين عبد الناصر والبعث بعد العام 1963 وقفت الحركة إلى جانب عبد الناصر ودخلت في صراع مع البعث في سوريا والعراق.<sup>226</sup> وفي أواخر العام 1964 كانت حركة القوميين العرب هي الحركة الأولى التي تخرق خط الهدنة وتقوم بهجوم ضد دورية إسرائيلية عبر الحدود.

## صعود فتح

بعد سنوات قليلة على قيام حركة القوميين العرب، كان مقدراً أن يتم تأسيس حركة فتح على يد مجموعة من الشبان الفلسطينيين الذين كانوا ينتمون إلى الأخوان المسلمين وعلى رأسهم محمد عبد الرؤوف القدوة المعروف بياسر عرفات ومعه صلاح خلف أبو أياد وخليل الوزير أبو جهاد.<sup>227</sup> وقد ولد عرفات في القاهرة في العام 1929 وكان أبوه تاجر أقمشة في حي السكاكيني. ويقال إنه كانت لأسرته جذور فلسطينية من غزة وإن أمه تنتمي إلى عائلة الحسيني المقدسية. وقد قضى شبابه بالقاهرة وتقارب من الفتى أمين الحسيني أثناء إقامته في مصر وكان كثير التردد على حي اليهود في القاهرة ما أكسبه غضب أبيه عليه. وقد تعرّف في هذا الحي على موشيه دایان قبل النكبة وكانت ذريعته أنه "يريد أن يتعرّف على عدوه". وقد درس الهندسة المدنية في القاهرة وتخرج في العام 1950. وقد تطّوّع عرفات للقتال في فلسطين في العام 1948 إلا أنه عاد بعد أيام قليلة من دون المشاركة في قتال فعلي. وقد تعرّف في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي إلى صلاح خلف أبو أياد ثم هاجر إلى الكويت في العام 1957 للعمل هناك للعمل كمهندس إضافة إلى التجارة. وهناك تعرّف إلى خليل الوزير أبو جهاد الذي كان يعمل مدرساً في الكويت. بعد ذلك بدأ عرفات على تشكيل نواة لمجموعته التي ستعرف باسم حركة التحرير الفلسطينية، ولأن اختصارها هو "حـتـفـ" أي الهلاك فلقد تم قلب أحرفها لتصبح فـتـحـ. وقد اعتمد محمد القدوة اسم الصحابي الجليل عمار بن ياسر اسمـاً له لكنه قلبـهـ فـكانـ يـاسـرـ عـرـفـاتـ. ويـبيـدـوـ جـلـيـاـ من خـيـارـهـ لـاسـمـهـ ولاـسـمـ حـرـكـتـهـ الـبعـدـ الـأـيـدـوـلـوـجـيـ الإـسـلـامـيـ. وقد اعتمدـتـ حـرـكـةـ عـرـفـاتـ عـلـىـ التـقـدـيـمـاتـ وـالـتـبـرـعـاتـ منـ

<sup>226</sup> المصدر نفسه، ص.ص. 69 - 107.

<sup>227</sup> عوني فرسخ، الصراع العربي الصهيوني: متغيراته مستجداته 1949 - 2009، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2018، ص.

.136

الفلسطينيين الذين هاجروا إلى الخليج. وقد لاقت حركة فتح دعماً من البعث السوري الذي اعتبرها حليفاً طبيعياً له في مواجهة حركة القوميين العرب المدعومة من عبد الناصر.

وفي أوائل السبعينيات كانت المطالبات قد تصاعدت ليكون هنالك إطار وطني يجمع الفلسطينيين فأقرت القمة العربية التي عقدت في العام 1964 بالقاهرة بإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية. وبنتيجة ذلك تأسست منظمة التحرير الفلسطينية في آذار مارس 1964 تطبيقاً لمقررات المؤتمر العربي الفلسطيني الأول الذي كان عقد في مدينة القدس ومقررات القمة العربية التي كانت قد عقدت في القاهرة في العام نفسه والتي دعت لقيام منظمة تمثل الشعب الفلسطيني في الأراضي الفلسطينية المحتلة وفي الشتات. وقد انتخب أحمد الشقيري المدعوم من عبد الناصر كأول رئيس للمنظمة.<sup>228</sup> وقد نص بيان المنظمة الأول على ما يلي:

إيماناً بحق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه المقدس فلسطين، وتأكيداً لحتمية معركة تحرير الجزء المغتصب منه وعزمها وإصراره على إبراز كيانه الثوري الفعال وتبذل طاقاته وإمكانياته وقواه المادية والعسكرية والروحية، وتحقيقاً لأمنية أصيلة من أمني الأمة العربية ممثلة في قرارات جامعة الدول العربية ومؤتمر القمة العربي الأول.

نعلن بعد الاتصال على الله باسم المؤتمر العربي الفلسطيني الأول المنعقد في مدينة القدس في 28 أيار 1964.

1. قيام منظمة التحرير الفلسطينية قيادة معبدة لقوى الشعب العربي الفلسطيني لخوض معركة التحرير، ودرعاً لحقوق شعب فلسطين وأمانية، وطريقاً للنصر.
2. المصادقة على الميثاق القومي لمنظمة التحرير الفلسطينية وعدد بنوده 29 بنداً.
3. المصادقة على النظام الأساسي وعدد بنوده 31 بنداً واللائحة الداخلية للمجلس الوطني والصندوق القومي الفلسطيني.
4. انتخاب السيد أحمد الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية وتوكيله باختيار أعضاء اللجنة التنفيذية وعددهم 15 عضواً.
5. يصبح المؤتمر بكامل أعضائه، إلـ 397 عضواً، "المجلس الوطني الأول لمنظمة التحرير الفلسطينية".<sup>229</sup>

<sup>228</sup> أحمد الشقيري، الجريدة الوثائقية، 5 نيسان ابريل 2017.

<sup>229</sup> عوني فرسخ، الصراع العربي الصهيوني، ص.ص. 142 – 148.

وبعد أسبوع قليل على إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية وعلى قيام حركة القوميين العرب بعمليتها الأولى ضد إسرائيل قام أفراد من الحركة بهاجمة موقع إسرائيلي معلنة انعماستها في الكفاح المسلح ضد إسرائيل.

بعد انطلاق الكفاح المسلح ومنظمة التحرير الفلسطينية تطورت الأحداث بسرعة في المنطقة العربية لتشهد مواجهة بين الدول العربية وإسرائيل في العام 1967 والتي كان من نتيجتها هزيمة العرب وتوجيه ضربة للتيار القومي العربي بقيادة جمال عبد الناصر في مصر والبعث في سوريا. وبنتيجة هذه الحرب تمكنت إسرائيل من احتلال قطاع غزة والضفة الغربية محققة بالتالي حلم الصهاينة بالسيطرة على كامل التراب الفلسطيني، كما تمكنت إسرائيل من احتلال شبه جزيرة سيناء المصرية وهضبة الجولان السورية. وقد كانت لهذه الهزيمة تداعيات كبيرة على الساحة الفلسطينية، إذ ألقت القيادات الفلسطينية الشابة باللوم على عبد الناصر والقيادات العربية بالتسبب بالهزيمة. وقد استفاد ياسر عرفات وحركة فتح المدعومان من المملكة العربية السعودية ودول الخليج الأخرى من الهزيمة لإلقاء اللوم على القوى العربية التقديمة بالتسبب بالهزيمة. وبنتيجة ذلك فلقد أدانت الحركة قيادة منظمة التحرير المدعومة من جمال عبد الناصر وبدأت تنادي "بالقرار الوطني الفلسطيني المستقل". كذلك أعلنت حركة فتح أن "لا صوت يعلو على صوت المعركة"، معتبرة أن الكفاح المسلح هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين. بالتوازي مع ذلك فلقد أدت الهزيمة إلى تشكيك حركة القوميين العرب بالشعار الذي أطلقته وتبني قيادتها المتمثلة بجورج حبش طروحت إعطاء بعد الوطني الفلسطيني الأولوية على البعد القومي، "لأن العرب ضيّعوا ما تبقى من فلسطين نتيجة صراعاتهم"، كما تبني الخطاب الماركسي الليبي وكان بنتيجة ذلك قيام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لتكون ذراع حركة القوميين العرب في النضال على الساحة الفلسطينية<sup>230</sup>، فيما تشكلت جبهات شبيهة في كل قطر عربي، مثل الجبهة الشعبية لتحرير اليمن في اليمن الجنوبي، وجبهة العمل العربي في لبنان، وغيرها من المنظمات في باقي البلدان العربية. كذلك كانت لهذه الهزيمة تداعيات ديمografية على الأردن إذ لجأ نحو نصف مليون فلسطيني إضافي إلى الأردن هرباً من الضفة الغربية ما سيكون له تأثير سلبي على الأوضاع في الأردن. كما لجأ عشرات الآلاف منهم في ما بعد إلى لبنان ليضافوا إلى عشرات آلاف اللاجئين الذين

<sup>230</sup> عوني فرسخ، الصراع العربي الصهيوني، ص.ص. 141 - 142.

كانوا يعيشون في هذا البلد منذ العام 1949 ما سيكون له تأثير أيضاً على الأوضاع في هذا البلد وسيكون أحد عوامل تفجير الحرب الأهلية فيه العام 1975.<sup>231</sup>

بدأت حركة فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بتكثيف عملياتهما عبر الحدود من سوريا ولبنان والأردن ضد القوات الإسرائيلية. وقد شكل الأردن القاعدة الأساسية للفدائيين الفلسطينيين حتى العام 1970. وفي 21 آذار مارس 1968 كانت المقاومة الفلسطينية أمام لحظة مفصلية من تاريخها.<sup>232</sup> ففي ذلك اليوم وقعت معركة الكرامة في الأردن بين قوة إسرائيلية والفدائيين الفلسطينيين والجيش الأردني، وبنتيجة المعركة تكبّد الجيش الإسرائيلي خسائر كبيرة واضطرب للانسحاب ما عد انتصاراً كبيراً للفدائيين الفلسطينيين الذين تمكّنوا من الانتصار على "الجيش الذي لا يُهزم". وكان الفدائيون قد أقاموا مقر قيادتهم في بلدة الكرامة في غور الأردن غير بعيد عن الحدود مع الضفة الغربية. وكانت البلدة قد تعرضت لهجمات إسرائيلية عدّة بعد حرب العام 1967 ما جعل الفدائيين يقيمون إجراءات احترازية. وفي يوم 21 آذار مارس توغلت قوة إسرائيلية مدرعة باتجاه البلدة لكن الفدائيين كانوا متحسّبين للأمر وقاموا بنصب فخ للقوة الإسرائيلية فيما قامت مدفعية الجيش الأردني باستهداف القوة المهاجمة وتكبّدتها خسائر فادحة بلغت نحو 30 قتيلاً إضافة إلى تدمير عدد من المدرعات فيما استشهد نحو 150 فدائياً و20 جندياً إسرائيلياً.<sup>233</sup> وقد عدّت النتيجة انتصاراً للفدائيين الذين تصاعدت شعبيتهم في مختلف أنحاء العالم العربي، ما عزّز شعار الكفاح المسلح في مقابل عجز الجيوش العربية. وبنتيجة المعركة فلقد اعترف جمال عبد الناصر بالفصائل الفلسطينية المسلحة وتبّنى دعمها ودعم وصول ياسر عرفات إلى الرئاسة التنفيذية لمنظمة التحرير في شباط فبراير 1969.

وقد كان لصعود الفصائل المسلحة الفلسطينية في منتصف السبعينيات تأثير كبير على دولتين عربيتين بالدرجة الأولى هما الأردن ولبنان. وكان الأردن على علاقة سيئة مع مصر الداعمة لهذه الفصائل المسلحة منذ العام 1958، تاريخ سقوط الملكية العراقية وما تبعه من تدخل أميري بريطاني في الأردن ولبنان وفقاً لمبدأ أينهاور المنادي بملء الفراغ الذي تركته القوى الاستعمارية التقليدية بذريعة "مكافحة الشيوعية". وقد تقارب العاهل الأردني الملك حسين بن طلال مع أعدائه السابقين من الأسرة السعودية ليشكلا تحالفاً ضد عبد الناصر. وقد اشترك معهم في حرب اليمن ضد مصر قوى الثورة اليمنية بعد عام 1962، إلا أن حرب العام 1967 جعلته يتقارب مؤقتاً مع مصر.

<sup>231</sup> عوني فرسخ، الصراع العربي السهويوني، ص.ص. 113-122.

<sup>232</sup> عوني فرسخ، الصراع العربي الصهيوني، ص.ص. 159 - 163.

<sup>233</sup> عوني فرسخ، الصراع العربي الصهيوني، ص.ص. 164 - 168.

وكانت مصر بعد العام 1967 قد انتهت سياسة تقويم على التخفيف من المواجهة مع القوى العربية التقليدية بغية التحضير لحرب أخرى مع إسرائيل تمكنها من تحرير الأراضي التي احتلت في العام 1967. وبداءً من العام 1968 تزايدت العمليات انطلاقاً من الأراضي الأردنية ضد إسرائيل. وقد باتت الفصائل الفلسطينية المسلحة قوة مؤثرة في المجتمع الأردني وتشكل تحدياً للسلطة المطلقة التي كان الملك حسين يحاول فرضها في الأردن. وقد خرج الفدائيون خصوصاً التابعون لفتح إلى العلن وباتوا يهدون نفوذهم على قطاعات واسعة من الحياة المدنية والاجتماعية والسياسية الأردنية. وكانت العمليات التي تقوم بها فصائل المقاومة الفلسطينية تؤثر سلباً على علاقات الأردن بالقوى الغربية الحليف له وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية. وفي 15 أيلول سبتمبر قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بخطف خمس طائرات أميركية وغربية واتجهت بها إلى صحراء الأردن، حيث كانت قد أعدّت مطاراً ميدانياً حطت فيه الطائرات، حيث تم إطلاق الركاب ثم عمدت الجبهة إلى تفجير الطائرات الخمس. وكان الهدف من العملية لفت الأنظار إلى القضية الفلسطينية. ردّاً على ذلك أعلن الملك حسين الأحكام العرفية في الأردن وشنّ حملة عسكرية ضد الفصائل الفلسطينية دامت أسبوعين. وقد تدخلت مصر لحل النزاع بين الفصائل الفلسطينية والأردن إلا أن النزاع تواصل خصوصاً بعد وفاة الزعيم المصري جمال عبد الناصر في 28 تيوا سبتمبر 1970. وبمحصلة هذا النزاع تمكّن الملك حسين من الانتصار بـالمواجهة وطرد فصائل منظمة التحرير إلى لبنان.<sup>234</sup>

## لبنان والفصائل الفلسطينية المسلحة

في العام 1956، غاب نجم الحضور البريطاني في الشرق الأوسط، والذي نتج عنها عدم تمكّن حليفهم كميل شمعون من أن يُجدد لنفسه ولولاه جديدة كرئيس للجمهورية اللبنانية، فقد عارضته زعامات محلية، مثل: صائب سلام، رشيد كرامي، وكمال جنبلاط وغيرهم. كما أن بروز نجم واسم عبد الناصر من ناحية، وصعود الولايات المتحدة الأمريكية من ناحية أخرى، أدى إلى توصل الإثنين إلى تولي فؤاد شهاب قائد الجيش اللبناني منصب رئاسة الجمهورية اللبنانية. الذي عُدّ عهده بين عامي 1958 و1964، فاتحة عهد جديد في تاريخ لبنان. وتزامن عهده مع انتهاء حكم الهاشميين في العراق الذين تمت إطاحتهم في العام 1958، وصعود عبد الناصر والدور الإقليمي لمصر في المنطقة

<sup>234</sup> عوني فرسخ، الصراع العربي الصهيوني، ص.ص. 168 – 181.

العربية، يُضاف إليها ظهور دور السعودية، الذي شكل منافساً إقليمياً جديداً لعبدالناصر. كما شهد أيضاً غياب نجم آل الصلح الذين فرضاً وجودهم على الساحة السياسية كزعماء للطائفة المسلمة، وذلك ملدة عقدين من الزمن، وبروز اسم رشيد كرامي، الذي كان حليفاً لعبدالناصر، خلال فترة الستينيات من القرن الماضي، وقد تولّى كرامي منصب رئاسة الحكومة اللبنانية في فترة حكم كُل من فؤاد شهاب وشارل الحلو. كما بُرِزَ في تلك الحقبة "حزب الكتائب" المسيحي والداعم للسلطة، وأيضاً كمال جنبلاط الزعيم الدرزي "المسلم"، الذي وقف إلى جانب السلطة، كما عمل على نسج علاقات مع الاتحاد السوفياتي ومصر، بالإضافة إلى تبنيه شعارات يسارية، ووضمّ إليه العديد من الأحزاب والمجموعات التي تحمل أفكاراً يسارية لكن غير مُرخص لها، كما سيلعب كمال جنبلاط في منتصف الستينيات من القرن الماضي دوراً مهماً في محاولة تقارب وجهات النظر مع فصائل الثورة الفلسطينية، وذلك بسبب علاقته الجيدة بعبدالناصر من ناحية، ورغبته في تدعيم مكانته، التي تُمكّنه من أن يكون عماداً رئيسياً من أعمدة حفظ التوازنات الداخلية على الساحة اللبنانية. وكانت فترة عهد شهاب هي فترة حفظ التوازن بين كل هذه الأحزاب السياسية المتنوعة بأفكارها من أجل ضمان وحفظ الاستقرار في لبنان.

و عمل شهاب على وضع حد للمقاطعية اللبنانيين وإبعادهم قدر الممكن عن السلطة، وذلك من خلال القيام بالعديد من الإجراءات الإصلاحية، مثل:

- منع محاولات تدخل الوجهاء التقليديين، وذلك من خلال العمل على تحصين الإدارة العامة وأجهزة الدولة، عبر إقامة مجلس الخدمة المدنية، الذي من مهامه اختيار الموظفين الأكفاء بغض النظر عن اتجاهاتهم السياسية وولاءاتهم، وذلك من أجل تعينهم في مناصب إدارية.
- عمل شهاب أيضاً على تأسيس ديوان المحاسبة، بغية مراقبة أداء عمل الإدارات العامة، بالإضافة إلى إشراف ديوان المحاسبة على التلزيمات والمناقصات الحكومية، من تدخل المقاطعية التقليديين.
- ولم ينس المدرسة الرسمية التي عمل على دعمها وتقديم كل ما تحتاجه، حتى يكون لها دور فاعل في تعليم أبناء الفئات الفقيرة والمتوسطة الحال من الشعب اللبناني، وحتى لا يكون التعليم حصراً على النخب الغنية.
- وقام شهاب أيضاً في تعزيز مكانة الجامعة اللبنانية، لتكون شريكاً في مهمة التعليم وتخرّيج كوادر أكفاء من الفئات الفقيرة والمتوسطة الحال من الشعب اللبناني، والتي

سيكون لها دور كبير في فترة السبعينيات والستينيات، حيث ظهرت نخب فقيرة بُرُز اسمها على ساحة المشهد السياسي اللبناني.

- عمل شهاب على تطوير القطاع الزراعي في لبنان من خلال تنميته، فقد كان هذا القطاع يعني مشكلات عدّة في عهدي الخوري وشمعون، وذلك نتيجة السياسات الخاطئة التي قدمت كل الدعم والتشجيع للقطاع المالي والسياحي، فيما أهملت القطاع الزراعي والصناعي، مما أدى إلى تراكم الثروات في أيدي فئة محدودة من اللبنانيين، بينما يعني معظم الشعب من الفقر، حيث كان يُشكّل الريف منه نسبة تصل إلى 60% في تلك الفترة. من أجل كل هذا عمل شهاب على تأسيس "المشروع الأخضر" الذي تولى مهام تقديم كل الدعم المالي، والخدمات للمزارعين، من أجل العمل على تحسين وتطوير إنتاجهم وتسويقه.

هذه الإصلاحات التي قام بها شهاب كانت بناء على التوصيات التي تقدّم بها لويس جوزيف لوبري من "مؤسسة الأبحاث والتطوير والتنمية الفرنسية ايرفيفيد"، وذلك بعد أن قام بتشكيل بعثة عملت على إجراء دراسات معمّقة ودقيقة لبنية الاقتصاد والمجتمع اللبناني، وبناء عليها قامت بتقديم توصياتها، والتي تم اعتمادها من قبل شهاب الذي عمل على تطبيق جزء منها، وفقاً لما تم ذكره آنفأ.

- كما وضع شهاب أساس المناصفة في التوظيف بين الطائفتين المسيحية والمسلمة.  
- وعمل أيضاً على زيادة عدد المقاعد في المجلس النيابي اللبناني ليصبح 99 عضواً. ومع ذلك، لم تكن مهمة شهاب سهلة في إكمال إصلاحاته الداخلية، إذ وقفت في وجهه الأسر الإقطاعية اللبنانية التقليدية، الأمر الذي دفعه في العام 1960 إلى تقديم استقالته، لكنه تراجع عنها، نتيجة دعم واشنطن وعبدالناصر له، فأعتمد على الجيش اللبناني في المقام الأول كأداة قوة في إقرار وتنفيذ سياسته، الأمر الذي مكّن ضباط الشعبة الثانية وعزّز مكانتها فترة عهده وعهد شارل حلو الذي أتى من بعده. وقد عمل شهاب على الحفاظ على عملية التوازن في علاقته بواشنطن من ناحية، وبعبدالناصر من ناحية أخرى، الأمر الذي ساعد في ضمان وحفظ الاستقرار السياسي في لبنان طيلة فترة حكمه.

رفض شهاب بعد ذلك في شهر أيلول / سبتمبر من العام 1964، العمل على تعديل الدستور، حتى يتمكن من تجديد حكمه لولاية ثانية، في الوقت نفسه عمل على تأييد الشخص الذي سيسيّر على نهجه وهو شارل الحلو، الذي كانت فترة حكمه استمراً لحكم شهاب، وذلك في المحافظة على

علاقة سياسية متوازنة مع واشنطن من ناحية أخرى، وال القاهرة من ناحية أخرى، والعمل على تعزيز دور الدولة المركزي، من أجل الوقوف في وجه الإقطاع التقليدي. لكنه في ما بعد واجه مجموعة من التحولات التي طرأت على الصعيد الداخلي والإقليمي، مما شكلت عوامل ضاغطة لتفجير الوضع لاحقاً، مثل: نكسة حرب حزيران عام 1967، التي انتهت بفوز إسرائيل وهزيمة مدوية للعرب، وضربة موجعة لزعامة عبدالناصر، ترافق ذلك مع ظهور المقاومة الفلسطينية التي ستشكل عاملأً ضاغطاً على الوضع اللبناني وهزّ استقراره، بالإضافة إلى الأزمة الاقتصادية التي أصابت لبنان وأدت إلى حالة من الركود، كان نتيجتها اندلاع الصراع الطبقي الاجتماعي بين فئات الشعب الريفية والفقيرة من ناحية، وبين النخب المالية التي تفرض هيمنتها على الاقتصاد اللبناني والدولة من ناحية أخرى.

كانت مرحلة السبعينيات من القرن الماضي شاهداً على عدد كبير من التغييرات التي أثرت على موازين القوى الدولية والإقليمية معاً. وكان بإمكان جمال عبدالناصر حتى العام 1965، اللعب على المفارقات المتناقضة التي كانت بين الشرق والغرب، ليكون باستطاعته بناء قوة مصر، وبالتالي تمكين دورها في محيطها الإقليمي والدولي. ولكن للأسف، طرأت تغييرات في بداية العام 1965، مثل: أزمة الصواريخ الكوبية التي حصلت في العام 1962، وعلى أثرها اقتنعت دوائر نافذة في موسكو بضرورة العمل على خفض حدة التوتر مع وشنطن. والذي كان من نتائجها أيضاً أن أقدم ليونيد بريجينيف على إطاحة نيكита خروتشيف الزعيم السوفيتي وذلك في شهر تشرين الأول أكتوبر من العام 1964، حيث كان ليونيد بريجينيف يفضل التزام موسكو بالقواعد التي تم الاتفاق عليها في مؤتمر يالطا وذلك في العام 1945، باقتصرار نفوذ الاتحاد السوفيتي ضمن إطار دول الكتلة الاشتراكية فقط، الأمر الذي انعكس سلباً على الدعم المقدم للدول القرية منها في منطقة الشرق الأوسط ودول العالم الثالث. بالإضافة إلى أن عملية اغتيال الرئيس الأميركي جون كينيدي في شهر تشرين الثاني من العام 1963، كانت مؤشراً في صعود نفوذ تيار المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان يطمح هذا التيار إلى إنشاء إمبراطورية عالمية. لذلك عمل هؤلاء على إسقاط كل الأنظمة التي لا تتوافق مع سياساتهم ولا تقدم فروض الولاء لواشنطن.

خلال هذه الفترة قام فيصل بن عبدالعزيز بإطاحة أخيه سعود عن حكم السعودية، مدعوماً بجده من جهة أمه الذي يتزعم المشايخ الوهابيين، الأمر الذي دفع بالمؤسسات الدينية في السعودية لتأكيد وصول فيصل إلى عرش المملكة الذي عمل ومن بداية وصوله إلى الحكم إلى تقديم الدعم إلى حركة الأخوان المسلمين في جميع الدول العربية والإسلامية، وذلك لتكون قادرة على الوقوف في وجه تصاعد التيار القومي واليساري في دول العالم العربي. بالإضافة إلى ذلك تولى الملك فيصل

إقامة المؤتمر الإسلامي، حتى يكون بديلاً عن "جامعة الدول العربية"، التي كانت تشكل امتداداً لنفوذ مصر، التي دعمتها واشنطن وذلك من بداية عام 1965، حين قبضت على حركة تمرد قامت بها حركة الأخوان المسلمين، مدعومين من قبل السعودية وواشنطن. ولم تكتفي واشنطن بذلك، بل عملت على تقديم كل الدعم إلى إسرائيل خلال شن حربها على كل من الأردن ومصر وسوريا، والتي انتهت باحتلال الإسرائيلي لهضبة الجولان السورية ومنطقة سيناء المصرية والضفة الغربية وغزة في فلسطين.

وفي الوقت الذي بدأت تظهر الخلافات العربية، كانت واشنطن وتل أبيب تخطّطان لتجويعه ضربة إلى الدول العربية ذات الطابع اليساري والتقديمي، وذلك بدعم من السعودية. فعملت تل أبيب ومنذ عام 1960 على زيادة حدة التوتر مع الدول العربية، وذلك على إثر تحويل مياه نهر الأردن، في الوقت نفسه لم تستطع "جامعة الدول العربية" فعل شيء وبدت عاجزة تماماً أمام هذا الوضع. ووصلت حدة التوترات أوجها منذ بداية العام 1967، حيث قامت الطائرات الإسرائيلية في صباح 5 حزيران/ يونيو من العام 1967، بشن غارة على المطارات المصرية، تم على إثرها تدمير 80% من الأسطول العسكري المصري. ثم توجّحت الطائرات الإسرائيلية نحو المطارات الأردنية ودمرت غالبية الطائرات العسكرية الأردنية، وأكملت بعدها باستهداف الأسطول الجوي السوري ودمرته بنسبة وصلت إلى 70%. بعد ذلك جاء دور المدرعات الإسرائيلية التي قامت بشن هجوم على منطقة سيناء، وخلال أيام قليلة تمكنت من الوصول إلى ضفة قناة السويس الشرقية، فارضة بذلك سيطرتها على شبه جزيرة سيناء. في المقابل استطاع الجيش الإسرائيلي من هزيمة الجيش الأردني وفرض سيطرته على الضفة الغربية المطلة على نهر الأردن، تضاف إليها مدينة القدس الشرقية، لتعمل بعدها على توجيه أنظارها نحو هضبة الجولان السورية التي تمكنت من احتلالها خلال يوم واحد وذلك بعد انهيار الدفاعات السورية.

خسر العرب معركتهم ضد إسرائيل، فقد كانت هذه الخسارة بمثابة الصفعه الموجعة التي كانت سوريا ومصر من أكثر المتضررين منها.<sup>235</sup> أما غالبية العرب فقد اضطروا إلى التعامل مع تل أبيب على أنها أصبحت واقعاً يتوجّب عليهم التكيف معه وقبوله.<sup>236</sup> وهذا ما دفع بـ"دول الطوق" إلى الموافقة على القرار 242، باستثناء دمشق، وقد دعا هذا القرار إلى ضرورة انسحاب إسرائيل من

---

246 Maclaurin R.D. and Mughisuddin, Muhammad and Wagner, Abraham; <sup>235</sup> المصدر ما قبله ص.

Van Dam, Nikolas; *The Struggle for Power in Syria, Sectarianism, Regionalism and Tribalism in Politics*, <sup>236</sup> 1961-1978, Groom Helm limited, London, 1979, p.84.

الأراضي التي قامت باحتلالها منذ العام 1967. وبناء على تنفيذ هذا القرار من قبل الجانب الإسرائيلي سيتم الاعتراف بها وتوقيع معاهدات سلام معها. أما القضية الفلسطينية، فقد أدت نكسة حزيران في العام 1967، إلى تأسيس الفصائل الفدائية المسلحة وبالتالي زيادة حدة عملياتها ضد الكيان الصهيوني، وفي مقدمتهم "حركة فتح"، و"الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين"، كما أدت كذلك إلى تراجع مستوى مصداقية القيادة المدنية لـ"منظمة التحرير الفلسطينية" التي كانت قد أنشئت في العام 1964 وترعيمها أحمد الشقيري.<sup>237</sup>

زاد التأييد الشعبي للفصائل الفلسطينية، إثر "معركة الكرامة" التي نفذوها ضد الإسرائيليين في العام 1968، كما عملت هذه الفصائل على تعزيز دورها ونفوذها ضمن هيئات ومؤسسات "منظمة التحرير الفلسطينية"، الأمر الذي ساهم في تزعم ياسر عرفات قائد حركة فتح لمنصب رئاسة اللجنة التنفيذية للمنظمة بعد الشقيري وذلك في العام 1969. وقد مال عرفات إلى اتخاذ القرارات المنفردة خلال قيادته لـ"منظمة التحرير الفلسطينية" بحجة المحافظة على القرار الوطني الفلسطيني الحر والمستقل، وبما يتوافق مع ما جاء في ميثاق فتح ومنظمة التحرير. الأمر الذي تسبب في حدوث صدام بينه وبين القيادة الأردنية من جهة، ومن بعدها مع السورية واللبنانية من جهة أخرى، فقد وجدت الحكومة اللبنانية في تمركز الفدائيين على أرضها مشكلة كبيرة تهدد أمن لبنان. تزامن ذلك مع رغبة سوريا في تعزيز دورها الإقليمي، من خلال تمكين موقفها في الساحة الفلسطينية التي ستضفي عليها الشرعية في مسألة النزاع العربي - الإسرائيلي. وبدعم من السعودية ومصر بُرِز اسم ياسر عرفات وذلك في العام 1969<sup>238</sup> حيث تسلم منصب رئيس اللجنة التنفيذية لـ"منظمة التحرير الفلسطينية".

في العام 1965، في مصر قامت مجموعة من الشبان الفلسطينيين بتأسيس "حركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح"، وكان من بينهم ياسر عرفات، وكانوا سابقاً منتمين إلى "جماعة الأخوان المسلمين". وحركة فتح أنشئت بالتنسيق مع الاستخبارات المصرية، فالخلية الأولى تكونت من ياسر عرفات وخليل الوزير أبو جهاد وصلاح خلف أبو ايداد. كما انضوى تحت "منظمة التحرير"، فصائل

---

Laurens Henry ; *Le retour des exilés, la lutte pour la Palestine de 1869 à 1997* , Robert Laffont, Paris<sup>237</sup> 1998, p.941.

238 هنري لورنس المصدر نفسه. ص. 945

فلسطينية أخرى، منهم: "منظمة الصاعقة" و"الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين" و"الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" و"جبهة التحرير العربي" و"حزب الشعب الفلسطيني".<sup>239</sup>

كما عملت منظمة التحرير الفلسطينية في شهر تموز من العام 1968، على إصدار ميثاقها الذي كان مطلبها الأول هو تحرير الأراضي الفلسطينية، بالإضافة إلى العمل على إقامة دولة ذات نظام ديمقراطي، والمطالبة بضرورة عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم. واتخذت منظمة التحرير من الأردن مقراً لها وذلك حتى العام 1970، حيث أُجبرت على الخروج من الأراضي الأردنية والانتقال إلى لبنان، على إثر المواجهة التي تمت بينهم وبين الجيش الأردني بما عُرف بـ"أيلول الأسود". كذلك الأمر في لبنان الذي كان ساحة مواجهات جرت بين الفدائيين الفلسطينيين من جهة، والجيش اللبناني من جهة أخرى، إثر العدوان الإسرائيلي على لبنان بحجة ردهم على العمليات الفدائية التي كان الفلسطينيين يقومون بها ضدهم انطلاقاً من الأراضي اللبنانية، الأمر الذي جعل جمال عبد الناصر يسارع إلى التوسط بين الفلسطينيين واللبنانيين وتوقيع "اتفاق القاهرة" بين الجانبين وذلك في العام 1969، بغية تنظيم العمل الفدائي الفلسطيني داخل الأراضي اللبنانية، والذي سيكون لاحقاً سبباً في إشعال فتيل الحرب الأهلية التي ضربت لبنان العام 1975.<sup>240</sup>

في الواقع العمليات الفدائية الفلسطينية كانت عاملًا ضاغطًا على الساحة اللبنانية. بالإضافة إلى أن اللاجئين الفلسطينيين قد تم دمجهم بالمجتمع اللبناني بطريقة غريبة ومشبوهة. فقد تم في فترة حكم الرئيس كميل شمعون في خمسينيات القرن الماضي العمل على تجنيس غالبية الفلسطينيين المسيحيين، بالإضافة إلى ما يقاربهم من الفلسطينيين المسلمين، وأيضاً الأثرياء منهم تم تجنيسهم. في الوقت ذاته ظل الآلاف من الفقراء الفلسطينيين يقطنون في المخيمات المنتشرة داخل لبنان. كما بلغ عدد المخيمات الفلسطينية داخل الأراضي اللبنانية نحو 12 مخيماً، وهي: المية مية، مار الياس، الرشيدية، البص، شاتيلا، عين الحلوة، ويفل (الجليل)، برج البراجنة، ضبية، برج الشمالي، نهر البارد، البداوي.<sup>241</sup> وبالتالي فإن هؤلاء قد كونوا الطبقة العاملة الرخيصة الأجور التي عملت في المصانع والمزارع اللبنانية.

ولا ننسى هنا أن نشير إلى أن الاقتصاد اللبناني والسياسي، ومنذ القرن التاسع عشر كان يعاني من مشكلات متآمرة وعميقة. فقد غلب عليه طابع المحسوبيات بالإضافة إلى العلاقات الزبائنية التي

<sup>239</sup> Kamal Salibi, *Crossroads to Civil War*,

<sup>240</sup> Kamal Salibi, *Crossroads to Civil War*

<sup>241</sup> مي الزعبي، المخيمات الفلسطينية في لبنان، الجزيرة

صُبِغَت علاقَةُ الفردُ بأجهَزةِ الدُّولَةِ. أضَفَ إِلَى ذَلِكَ سِيَطْرَةُ بَعْضِ الأَسْرِ التِّجَارِيَّةِ الْمُرْكَبَاتِيَّةِ عَلَى وَضْعِ الْاِقْصَادِ الْلَّبَنَانيِّ، حِيثُ ارْتَبَطَتْ هَذِهِ الْعَائِلَاتُ بِالشَّرْكَاتِ الْفَرَنْسِيَّةِ وَشَكَلُوا بَيْنَهُمْ عَلَاقَةً اِحْتِكَارَ تَفْرُضُ سِيَطْرَتِهَا عَلَى اِقْصَادِ لَبَنَانِ، وَالْمَجَمُوعِ الْلَّبَنَانيِّ. فِي ظَلِّ تَطْوُرِ الْقَطَاعِ الْمَصْرِيِّ الَّذِي سَاهَمَ فِي تَمْكِينِ دورِ الْقَطَاعِ الْمَاَلِيِّ وَالْخَدْمِيِّ الْلَّبَنَانيِّ، وَذَلِكَ عَلَى حِسَابِ الْقَطَاعَاتِ الْأُخْرَى مِنِ الْزَّرْعِ وَالصَّنْعَةِ وَغَيْرِهَا.<sup>242</sup> الْأَمْرُ الَّذِي نَتَجَ عَنْهُ فِي سِتِينِيَّاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِيِّ حِرْكَةٌ نَزُوحٌ مِنِ الْأَرِيَافِ الْلَّبَنَانِيَّةِ بِاتِّجَاهِ الْمَدَنِ الرَّئِيْسِيَّةِ، وَتَحَوَّلُوا فِي مَا بَعْدِ ضَغْوَطٍ إِضَافِيٍّ حَمِلَتْ ثَقْلَهَا الْاجْتِمَاعِيِّ الْاِقْتَصَادِيِّ لِلنَّظَامِ الْلَّبَنَانِيِّ الْهَشِّ أَصْلًا، فَقَدْ وَصَلَتْ نَسْبَةُ هَذِهِ الْهَجْرَةِ حَوْالِي 40%， الْأَمْرُ الَّذِي أَدَى لاحِقًا إِلَى اِنْدِلَاعِ الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ الْلَّبَنَانِيَّةِ.

## التطورات الإقليمية وأثرها

كَانَ لِهَزِيمَةِ نَكْسَةِ حَزِيرَانِ الْعَامِ 1967، أَثْرَهَا السُّلْبِيُّ عَلَى تَوازنَاتِ الْقُوَّى عَلَى السَّاحَةِ الْلَّبَنَانِيَّةِ، الَّذِي يَرْتَبِطُ دَائِمًا بِالْأَحْدَاثِ الإِقْلِيمِيَّةِ وَالدُّولِيَّةِ حَوْلِهِ. فَهَزِيمَةُ جَمَالِ عَبْدِالنَّاصِرِ فِي الْعَامِ 1967، كَانَتْ ضَرِبَةً مُوجِعَةً وَبِالْوَقْتِ نَفْسِهِ شَكَلَتْ دَافِعًا لِلأَحْزَابِ الْلَّبَنَانِيَّةِ الْمُسِيَّحِيَّةِ لِأَنْ تَعِدَ اِصْطِفَافَاتِهَا وَتَقْفِي ضَدِّ شَارِلِ حَلْوَيِّ الرَّئِيْسِ الْلَّبَنَانِيِّ وَضَدِّ فَرِيقِ فَؤَادِ شَهَابِ فِي السُّلْطَةِ أَيْضًا. وَفِي مَقْدِمَتِهِمْ حَزْبُ الْكَتَائِبِ بِرَئَاسَةِ بِيارِ الْجَمِيلِ الَّذِي سَعَى إِلَى إِعَادَةِ نَسْجِ عَلَاقَاتِهِ مَعَ الرَّئِيْسِ كَمِيلِ شَمَعُونِ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ انْقَطَعَتْ مِنْذِ خَرُوجِ الْأَخِيرِ مِنِ السُّلْطَةِ وَاتِّخَادِهِ الْحَزَبِ الْمُعَارَضِ لِحُكْمِ الرَّئِيْسِ شَهَابِ الَّذِي كَانَ يَأْخُذُ فِي اِعْتِبَارِهِ حَزْبَ الْكَتَائِبِ. وَانْضَمَ إِلَيْهِمَا مُعَارِضُ ثَالِثٍ ضَدِّ الْحُكْمِ الشَّهَابِيِّ، وَهُوَ رِيمُونْ إِدَةُ ابْنِ الرَّئِيْسِ الْلَّبَنَانِيِّ الْأَسْبِقِ امِيلِ اَدَةِ وَرَئِيْسِ "حَزْبِ الْكَتَلَةِ الْوَطَنِيَّةِ الْلَّبَنَانِيَّةِ". وَحِجَّةُ مَعَارِضِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا ضَدَّ أَنْشَطَةِ "مُنْظَمَةِ التَّحْرِيرِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ" عَلَى الْأَرْضِ الْلَّبَنَانِيَّةِ، خَاصَّةً أَنَّ هَذِهِ الْأَحْزَابَ الْمُعَارَضَةَ كَانَتْ دَائِمًا تَدْعُو إِلَى الْعَمَلِ عَلَى تَحْيِيْدِ لَبَنَانِ عَنِ الْصَّرَاعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، وَخَصْوِصًاً النَّزَاعِ الْعَرَبِيِّ - الإِسْرَائِيلِيِّ.

وَفِي الْاِنْتِخَابَاتِ الْنَّيَابِيَّةِ الَّتِي جَرَتْ فِي الْعَامِ 1968، فَازَتْ هَذِهِ الْأَحْزَابُ الْمُعَارَضَةُ بِنَحوِ 30 مَقْعِدًا، وَذَلِكَ مِنْ أَصْلِ 99 مَقْعِدًا فِي مَجْلِسِ الْبَرْلَانِ الْلَّبَنَانِيِّ، وَذَلِكَ فِي الْفَتَرَةِ الَّتِي شَهَدَتْ فِيهَا

Tabitha Petran, *The Struggle Over Lebanon*, New York: Monthly Review Press, 1987, pp. 16 -16, 56, 242 .59 - 62, 126 - 128

أعمال الفدائيين الفلسطينيين تصعيدياً على الحدود اللبنانية ضد العدو الصهيوني. مما أدى إلى ارتفاع حالة التوتر الشديد بين الحكومة اللبنانية و"منظمة التحرير الفلسطينية". مما أسفر عن قيام إسرائيل في العام 1969، بشن هجوم على مطار بيروت الدولي، مستهدفة كافة الطائرات المدنية التابعة لشركة طيران الشرق الأوسط اللبنانية ودمّرتها. فعممت المظاهرات التي نظمتها القوى اليسارية والقوى الفلسطينية، شوارع العاصمة بيروت وذلك احتجاجاً على تباطؤ الدولة اللبنانية في اتخاذ أي موقف للرد على العدوان الصهيوني الغادر، الأمر الذي نتج عنها تقديم رشيد كرامي استقالته. وهنا دخلت الوساطات المصرية على خط الأزمة اللبنانية التي أفضت إلى توقيع "اتفاقية القاهرة" وذلك في العام 1969، بين الجانبين اللبناني والفلسطيني، وقد نصت على إقامة لجان للفلسطينيين داخل المخيمات، بالإضافة إلى تشكيل وحدة ارتباط مهمتها العمل على التنسيق بين الفدائيين من جهة، وقيادة الأركان اللبنانية من جهة أخرى، كما يتم السماح بتسهيل مرور المواد الطبية والتموينية أيضاً إلى الفدائيين، الذين انحصر تمركزهم العسكري ضمن منطقة العرقوب في الجنوب اللبناني، كذلك تكون للفلسطينيين المقيمين داخل الأراضي اللبنانية حرية الاختيار في الانضمام والعمل ضمن صفوف الثورة الفلسطينية. بارك هذا الاتفاق كل من "حزب الكتائب" والأحرار، بينما عارضه ريمون إدة، الأمر الذي أدى لاحقاً إلى انفراط عقد التحالف الثلاثي المعارض. وحدث قبل انهياره، أن استطاع هذا الحلف الثلاثي إسقاط الياس سركيس المرشح التابع للشوابين منصب رئاسة الجمهورية، وذلك بعد أن تم توزيع كتلة كمال جنبلاط وانقسامها بين المرشحين، وذلك في العام 1970، في مقابل فوز سليمان فرنجية. الأمر الذي عُدّ إيذاناً بأفول نفوذ جمال عبد الناصر عن الساحة اللبنانية، ومؤشراً على بدء التنافس الذي حصل بين "منظمة التحرير الفلسطينية" وسوريا وال سعودية في محاولاتهم لفرض سيطرة كل منهم على لبنان، وذلك في فترة السبعينيات.<sup>243</sup>

## الفصائل الفلسطينية

وقد ظهرت على الساحة الفلسطينية عشرات التنظيمات التي كانت تعكس تنافساً بين القوى الإقليمية على النفوذ في هذه الساحة. وكان من أبرز هذه التنظيمات حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" التي قلبت لتصبح فتح. ويعود تأسيس الحركة إلى أواخر الخمسينيات من

القرن الماضي من قبل شبان كانوا أعضاء في الأخوان المسلمين وعلى رأسهم ياسر عرفات وخليل الوزير وصلاح خلف وغيرهم. وقد أسسوا الحركة في الكويت حيث كانوا يعملون. وقد لقيت الحركة دعماً من مصر بدءاً من العام 1965 وحققت شهرتها بعد معركة الكرامة في العام 1968. وبعد العام 1969 أصبح قائدتها ياسر عرفات رئيساً للسلطة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية. وفي العام 1970 انتقلت قيادة منظمة التحرير إلى بيروت، حيث أصبح لحركة فتح نفوذ كبير في لبنان بالتحالف مع عدد كبير من القوى اليسارية اللبنانية. وكانت الحركة تمثل إلى العلاقة مع مصر ودول الخليج العربية، خصوصاً أنها كانت تتلقى الدعم المالي منها، عدا عن أيديولوجيتها الوطنية المتأثرة بالأخوان المسلمين والتي جعلتها في تناقض مع القوى العربية اليسارية والتقدمية وعلى رأسها سوريا. وقد اصطدمت الحركة ومنظمة التحرير خلال الحرب الأهلية بالدولة اللبنانية كما اصطدمت بسوريا. وبعد اجتياح إسرائيل للبنان عام 1982 قبلت المنظمة بمقررات قمة فاس في المغرب الداعية إلى سلام بين العرب وإسرائيل وفضلت اللجوء إلى تونس عوضاً عن دمشق حتى لا تكون تحت سيطرة سوريا. وقد أدى ذلك إلى انشقاق عدد من قيادات فتح المعارضة لعرفات عن الحركة وشكلوا تنظيم فتح الانتفاضة وجرت معارك دامية بين فتح وفتح الانتفاضة على خلفية رفض المنشقين للحل الإسلامي. وقد لقوا دعماً من السوريين ضد عرفات. وقد اختار عرفات الدخول في مفاوضات سرية مع إسرائيل بدءاً من العام 1987 بغية التوصل إلى حل سلمي للقضية الفلسطينية وفي العام 1993 وقع اتفاقية أوسلو مع الجانب الإسرائيلي وارتضى بالحكم الذاتي للفلسطينيين ما حول حركة فتح إلى جهاز سلطة متعاون مع الاحتلال الإسرائيلي.<sup>244</sup>

أما الفصيل الثاني الذي سيلعب دوراً كبيراً على الساحة الفلسطينية فلقد كان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش. وكانت الجبهة قد انبثقت عن حركة القوميين العرب بعد خيار الحركة بإياديه الساحات الوطنية أولوية بالعمل عقب هزيمة العام 1967. وقد استندت الجبهة إلى إرث حركة القوميين العرب في الخمسينيات والستينيات لتشكل الفصيل الأكبر على الساحة الفلسطينية بعد فتح لعقود. هذا دفع بياسر عرفات إلى محاولة تقليل أظافرها عبر دعم انشقاق في الجبهة أدى إلى خروج نايف حواتمة منها وتشكيله الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في العام 1967. وقد قامت الجبهة بعمليات شهيرة ضد المصالح الغربية حول العالم في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات وتبنت الماركسية اللينينية كأيديولوجيا ثورية لها وتحالفت مع العراق خلال السبعينيات ومع كتلة الدول الاشتراكية. وخلال الاجتياح الإسرائيلي عارضت الجبهة الحل الإسلامي

<sup>244</sup> راجع موقع حركة فتح <https://www.fateh-gaza.com/>

الذي اقترح في فاس. كما عارضات الجبهة اللجوء إلى تونس وفضلت اللجوء إلى سوريا حتى تكون قرية من ميدان القتال في فلسطين. وقد شاركت الجبهة في الحرب ضد أمين الجميل بين عامي 1982 و1984 تحت غطاء القوى الوطنية اللبنانية وكان لها دور كبير في قلب الموازين لغير صالح حزب الكتائب اللبناني وحلفائه. وقد عارضت الجبهة الشعبية أوسلو ولم تعرف بفاعليه حتى الآن. وفي العام 1998 اختار الزعيم التاريخي للجبهة التقاعد وخلفه في المنصب أبو علي مصطفى الذي اغتيل في غزة في العام 2000 خلفه أحمد سعدات الذي اعتقلته السلطة الفلسطينية بعد اغتيال الجبهة للوزير الإسرائيلي رحبيع زئيفي انتقاماً لاغتيال أبو علي مصطفى. وبعد ذلك بأعوام قادمة السلطة الفلسطينية بتسليم سعدات لقوات الاحتلال وهو لا يزال يقبع في الأسر حتى يومنا الراهن.<sup>245</sup>

أما التنظيم الثالث فلقد كان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة، وهو تنظيم أسسه أحمد جبريل في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي وتم الإعلان عنه في عملية ضد إسرائيل في العام 1965. وكان جبريل ذا خلفية بعثية ما جعله قريباً من سوريا منذ نشأة تنظيمه. وقد دعم عرفات انشقاقة داخل الجبهة نتيجة معارضتها لسياسات عرفات التسووية فانشق عن القيادة العامة جبهة التحرير الفلسطينية بقيادة أبو العباس وطلعت يعقوب. وقد عارض جبريل كل الخطوات السابقة اللاحقة نحو التسوية مع إسرائيل وتمسك بطلبه بتحرير كامل التراب الفلسطيني من الاحتلال الصهيوني.<sup>246</sup> ويبقى تنظيم الصاعقة بزعامة زهير محسن وقد تشكل من بعثيين فلسطينيين وكان قريباً من سوريا ومعارضاً لعرفات. وقد تلقى التنظيم ضربة كبيرة بعد اغتيال زعيمه في فرنسا في العام 1981.

## الميثاق الوطني الفلسطيني

وفي ما يتعلق بالميثاق الوطني الفلسطيني فلقد نص على أن "الشعب العربي الفلسطيني الذي خاض معارك ضارية متصلة من أجل الحفاظ على وطنه والدفاع عن شرفه وكرامته والذي قدم عبر السنين قواقل متتابعة من الشهداء الخالدين وسطر أروع صفحات البذل والتضحية والفداء. نحن

<sup>245</sup> راجع "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: المسيرة التاريخية خلال خمسين عاماً، دمشق: مركز الهدف للدراسات والتوثيق، 2016.

<sup>246</sup> راجع مقابلة شاملة مع طلال ناجي، مقابلة شاملة مع الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية القيادة العامة، بيروت: باحث، 2010.

الشعب العربي الفلسطيني الذي تأبّلت عليه عوامل الظلم والشر والعدوان وتأمّرت عليه قوى الصهيونية العالمية والاستعمار وعملت على تشريده واغتصاب دياره وأراضيه واستباحة حرماته وانتهاك مقدساته فما استكان أو لانت له قناة بعد. نحن الشعب العربي الفلسطيني الذي آمن بعروبه وبحقه في استخلاص وطنه وتحقيق حريته وكرامته وصمم على حشد قواه وتبئته كل جهوده وطاقاته من أجل متابعة نضاله والسير قدماً على طريق الجهاد المقدس حتى يتحقق له النصر النهائي الكامل. ونحن الشعب العربي الفلسطيني استناداً إلى حقنا في الدفاع عن النفس واسترداد الوطن السليم بكماله وهو الحق الذي أقرّته الأعراف والمواثيق الدولية وفي مقدمتها ميثاق الأمم المتحدة. وتطبيقاً لمبادئ حقوق الإنسان وإدراكاً منا لطبيعة العلاقات السياسية الدولية بمختلف أبعادها ومراميهما واعتباراً للتجارب التي خلت في مجابهتها ما يتعلّق بأسباب النكبة وأساليب وانطلاقاً من الواقع العربي الفلسطيني ومن أجل عزة الإنسان الفلسطيني وحقه في الحياة الحرة الكريمة.<sup>247</sup> وشعوراً بالمسؤولية الملقاة على عاتقنا، من أجل هذا كله نقسم على:

مادة 1: فلسطين وطن عربي تجمعه روابطه القومية العربية بسائر الأقطار العربية التي تؤلف معها الوطن العربي الكبير.

مادة 2: فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب وحدة إقليمية لا تتجزأ.

مادة 3: الشعب العربي الفلسطيني هو صاحب الحق الشرعي في وطنه وهو جزء لا يتجزأ من الأمة العربية يشتراك معها في آمالها وألامها وفي كفاحها من أجل الحرية والسيادة والتقدم والوحدة.

مادة 4: شعب فلسطين يقرّ مصيره بعد أن يتم تحرير وطنه ووفق مشيّته وبمحض إرادته واختياره.

مادة 5: الشخصية الفلسطينية صفة أصيلة لازمة لا تزول وهي تنتقل من الآباء إلى الأبناء.

مادة 6: الفلسطينيون هم المواطنون العرب الذين كانوا يقيمون إقامة عادلة في فلسطين حتى عام 1947 سواء من أخرج منها أو بقي فيها وكل من ولد لأب عربي فلسطيني بعد هذا التاريخ داخل فلسطين أو خارجها هو فلسطيني.

<sup>247</sup> المصدر: منظمة التحرير الفلسطينية : الميثاق، النظام الأساسي، نظام الصندوق القومي الفلسطيني، المصدق عليها " ::.د.م 1964 حزيران سنة 2 الموافق 1384 محرم سنة 21 من المجلس الوطني في جلسته المنعقدة يوم الثلاثاء في منظمة التحرير 1964 الفلسطينية، ص.م.8-2.

مادة 7: اليهود الذين هم من أصل فلسطيني يعتبرون فلسطينيين إذا كانوا راغبين بأن يتزموا العيش بولاء وسلام في فلسطين.<sup>248</sup> إضافة إلى غيرها من المواد.

---

عن موقع مؤسسة الدراسات الفلسطينية -  
<https://www.palestine-studies.org/sites/default/files/uploads/files/28-5-1964b.pdf>

الجزء الثالث 1991 – 1970



## الفصل الأول

### سوريا 1991 – 1970

أقدم وزير الدفاع السوري حافظ الأسد في 16 تشرين الثاني / نوفمبر من العام 1970، على انقلاب سياسي، استولى بنتيجه على مقاليد الحكم في سوريا، كما اعتقل جميع معارضيه وفي مقدمتهم صلاح جديد. بعدها عمل على إجراء انتخابات رئاسية كان هو مرشحها الوحيد، وبالطبع فاز بها، وظل في الحكم حتى توفي في 10 حزيران/يونيو من العام 2000. وصول الأسد إلى الحكم جاء وسط تحولات كبرى إقليمية. حيث تفجر في شهر أيلول/سبتمبر من العام 1970، الصراع بين الفدائيين الفلسطينيين من جهة والجيش الأردني من جهة أخرى، وقد عُرِفت بـ"أيلول الأسود". وكانت رغبة صلاح جديد الدخول في هذا النزاع لصالح الفلسطينيين، حيث قام بإرسال فرقة مدرعة سوريا إلى الحدود الشمالية للأردن، فرفض الأسد أن يؤمّن لها غطاء جوياً. وكانت وفاة عبدالناصر الزعيم المصري في 28 أيلول / سبتمبر، بمثابة الضربة القاصمة للتيار القومي العربي، ثم حدث بعدها بأسابيع عدة أن استولى حافظ الأسد على مقاليد الحكم في سوريا، التي اعتمدت على نهج سياسي براغماتي وأقل دوغمائي، وعملت سوريا في هذه الفترة على التركيز على حل مشكلاتها الداخلية، وتعزيز مكانة الجيش وبنائه من حيث العدد والعتاد ليكون جيشاً قوياً، كما عملت على تطوير البنية الصناعية، بالإضافة إلى الوصول إلى حل للصراع العربي - الإسرائيلي، مع ضرورة الحفاظ على كامل الحقوق العربية، والعمل على استرجاع مع خسره العرب في نكسة حزيران العام 1967، ومنع إسرائيل من أن تفرض نفوذها في منطقة المشرق العربي، خاصة أن سوريا وإسرائيل تتنافسان على منطقة حيوية واحدة وهي الهلال الخصيب وبلاد الشام. وكانت غاية الأسد استرجاع الأراضي السورية التي احتلتها إسرائيل، وذلك إلى خط الرابع من حزيران/يونيو. فهي ذات أهمية كبيرة بالإضافة إلى أنها تُشكل رمزاً وطنياً، وضرورة استراتيجية لكونها خط دفاع عن العاصمة دمشق، حيث تبعد عن هضبة الجولان مسافة 60 أو 70 كم، وفي الوقت نفسه تريد سوريا أن تعزّز حق الفلسطينيين في إقامة دولة لهم في مدينة غزة والضفة الغربية، كما تريد أيضاً إيجاد حل لمسألة

اللاجئين الفلسطينيين المنتشرين في الشتات، وذلك من خلال إعطائهم حقهم في العودة إلى فلسطين <sup>249</sup> أرضهم.

## بنية الحكم في ظل حافظ الأسد

حاول الرئيس السوري حافظ الأسد بعد تسلمه السلطة في سوريا أن يُجنب بلاده النزاعات الإقليمية، من أجل هذا الغرض عمل على تدعيم الجيش وتقويته، وكذلك الأمر بالنسبة إلى أجهزة المخابرات، مع إبقاءها على ارتباط به بشكل مباشر. تزامن ذلك مع تسلم أقربائه في العائلة مناصب حساسة في الدولة، بينهم أخوه رفعت، الأمر الذي دفع البعض إلى معارضته واتهامه بأنه يريد الاحتفاظ بالسلطة، وأن هذا الهاجس يطغى على الهدف الأكبر وهو العمل على المحافظة على المصالح السورية.<sup>250</sup> بينما يرى آخرون، أن محاولات الأسد تدعيم نظامه وتقويته، وإمساكه بزمام السلطة، كانت الغاية منه الحفاظ على الاستقرار السياسي في البلد، إضافة إلى منعه أي تدخلات خارجية في سوريا، خاصة أن الانقلابات السابقة التي حصلت قبل العام 1970، كان معظمها انعكاساً للنزاعات الإقليمية والدولية من أجل بسط هيمنتها على سوريا.<sup>251</sup> كما الضعف الموجود في المؤسسات المدنية السورية صعب مهمة حفظ الاستقرار السياسي إلا عن طريق أجهزة الاستخبارات.

و عمل الأسد في العام 1973، على إصدار دستور جديد لسوريا بغية جعل الحكم فيها مدنياً، إلا أنه ونتيجة للضغوط الإقليمية لم يتمكّن من تفيذه، مما اضطر الأسد إلى الاعتماد بشكل كلي على أجهزة الاستخبارات والجيش أيضاً، وهذا مكّنه من تمكّن دور سوريا إقليمياً، بعد أن كانت الصراعات تتنافسها، خصوصاً في فترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي.<sup>252</sup> وبناء على ذلك أعطى دستور 1973، الرئيس صفة الحكم المطلق. لذا فإن رئيس الجمهورية في دستور 1973، هو

Hinnebusch, Raymond; *Does Syria want Peace? Syrian Policy in the Syrian Israeli Peace Negotiations*, Journal of Palestine Studies Revue d'Etudes Palestiniennes, no. 101, Automne 1996.

Abou Khalil, Assad; *Syria and the Arab Israeli Conflict*. Current History, February, 1994, p.83.<sup>250</sup>

<sup>251</sup>باتريك سيل، الصراع على سوريا 1945-1958 ..

Perthes, Volker; *The Political economy of Syria Under Assad*, Ib. Tauris, London, 1995, p. 4.<sup>252</sup>

"رئيس الدولة السورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة، والرئيس الأعلى للسلطة القضائية، ومن حقه إعلان الحرب وإصدار وتصديق القوانين ورسم السياسة العامة للدولة. كذلك من حقه دعوة البريطان إلى الانعقاد وحله متى شاء، والتصديق على التعديلات الدستورية واقتراحها، وطرح مشاريع القوانين على الاستفتاء العام وإصدار القوانين حتى في ظل عدم انعقاد البريطان وفرض القوانين عليه في حالة الضرورة القصوى".<sup>253</sup> ولكي يُكرّس السلطة في يده بشكل أقوى، عمل الأسد على تولي مناصب إدارية عدّة، مثل: الأمانة العامة القومية والقطريّة لحزب البعث العربي الاشتراكي، تُضاف إليها صلاحيّة تعيين القضاة والوزراء والضباط في المراكز العسكريّة والأمنيّة الحساسة،<sup>254</sup> التي يُمثل فيها الجيش وأجهزة الاستخبارات الركّن الثاني لتشيّط السلطة في سوريا. وذلك الركّن الأول المتمثّل بشخص الرئيس المرتّب بمؤسسة رئاسة الجمهوريّة. فمنذ الخمسينيّات من القرن الماضي، شكل الجيش وأجهزة المخابرات الأداة الرئيّسة والقوية في سوريا، ومن خلالها استطاع حافظ الأسد القيام بانقلابه وتسلّمه السلطة في العام 1970، بينما حزب البعث الذي استقوى به صلاح جديـد غريـمه، لم يكـنـه من أـنـ يـقـفـ في وجـهـهـ وـوـجـهـ الجـيـشـ<sup>255</sup> الذي كانت أـجـهـزـهـ الاستـخـبـارـاتـ الأـدـاءـ الأـسـاسـ في فـرـضـ هـيـمـنـتـهـ عـلـىـ الجـيـشـ. كما عمل على عدم جمع سلطتها في جهة واحدة، من خلال تأسيـسـ أكبرـ عـدـدـ مـنـ أـجـهـزـهـ الأـمـنـ، مـرـتـبـتـهـ بـهـ مـبـاـشـرـةـ، وـبـنـاءـ عـلـيـهـ فـقـدـ كـانـ أـجـهـزـهـ الاستـخـبـارـاتـ العـسـكـرـيـةـ والـاستـخـبـارـاتـ الجـوـيـةـ وـسـرـاـيـاـ الدـفـاعـ بـإـدـارـةـ رـفـعـتـ أـخـيـهـ وـبـقـيـ فيـ هـذـاـ المـنـصـبـ منـ الـعـامـ 1971ـ إـلـىـ الـعـامـ 1983ـ، أـمـاـ فـيـ مـاـ يـخـصـ لـوـاءـ الـحـرـسـ الـجـمـهـورـيـ الـخـاصـ الـثـانـيـ فـقـدـ تـرـأـسـ عـدـنـانـ مـخـلـوفـ، بـيـنـمـاـ كـانـ أـجـهـزـهـ الـأـمـنـ السـيـاسـيـ وـالـقـوـاتـ الـخـاصـ وـأـلـوـيـةـ الـدـفـاعـ وـالـشـعـبـةـ الـعـسـكـرـيـةـ الـثـالـثـةـ، مـضـافـاـ إـلـيـهاـ عـدـدـ آـخـرـ مـنـ أـجـهـزـهـ الـأـمـنـ أـعـمـالـهـ كـلـهـ تـدـارـ مـنـ قـبـلـ مـجـلـسـ الـأـمـنـ الرـئـاسـيـ، التـابـعـ مـبـاـشـرـةـ لـرـئـيـسـ الـأـسـدـ الـذـيـ كـانـ يـرـأـسـهـ. عملـ هـذـهـ أـجـهـزـهـ كـانـ مـسـتـقـلـاـ عـنـ الجـهاـزـ الـآـخـرـ، وـمـهـمـتـهـ الـقـيـامـ بـجـمـعـ التـقـارـيرـ فيـ مـجـالـاتـ مـتـنـوـعـةـ، السـيـاسـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ وـغـيـرـهـ، سـوـاءـ كـانـتـ مـدـنـيـةـ أـوـ رـيفـيـةـ، أـوـ طـالـبـيـةـ، أـوـ نقـابـيـةـ، وـحتـىـ حـزـبـيـةـ، وـفـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ تـرـاقـبـ بـعـضـهـ الـبـعـضـ، ثـمـ تـقـوـمـ بـإـرـسـالـ كـافـةـ التـقـارـيرـ إـلـىـ الرـئـيـسـ الـأـسـدـ مـبـاـشـرـةـ لـيـطـلـعـ عـلـيـهـاـ".<sup>256</sup>

<sup>253</sup> مراجعة المواد 93, 111, 114 من الدستور السوري.. Revoir les articles 93, 111, 114 de la constitution syrienne..

<sup>254</sup> المصدر ما قبله ص. 236. Human Rights watch; *Syria unmasked*, Vail Ballou press, Binghamton, 1991, p. 2.

<sup>255</sup> المصدر ما قبله ص. 236. McLaurin R.D. and Mughisuddin, Muhammad and Wagner, Abraham.;

<sup>256</sup> تقرير هيومان رايتس واتش المصدر ما قبله

أما من جهة تركيبة المجتمع السوري، فقد واجه الأسد اتهامات تتجلى في كونه نظاماً أقلّياً، حيث يعتمد على طائفة العلوين لمواجهة طائفة السنة التي تُشكل غالبية سكان سوريا. والذي ساعد على تأزم هذا الوضع ترأس الضباط العلوين الأجهزة الأمنية بنسبة تزيد نسبتهم بالنسبة لـإجمالي مجموع الشعب السوري<sup>257</sup>. الأمر الذي جعل البعض يعتقد أن النظام يقوم على عصبية علوية تعمل على ضمان بسط سيطرتها على أجهزة الاستخبارات والجيش ومقاتلي الحكم في سوريا.<sup>258</sup> العلويون انتسبوا إلى الجيش خلال فترة الانتداب الفرنسي على سوريا، وغالبيتهم من أبناء الريف، حيث كان الجيش خيارهم الوحيد للعمل على تحسين وضعهم الاقتصادي، هرباً من الفقر الذي كانوا يعانون منه في قراهم، كما وجدوا فيه أداة لتطورهم الاجتماعي، حيث كانت نسبة العلوين في الجيش مرتفعة مقارنة بغيرهم من أبناء الريف، كما فرضاً سيطرتهم أكثر خصوصاً بعد إجهاضهم حركة التمرد التي قام بها سليم حاطوم الضابط الدرزي، وذلك في العام 1966، والتي أسفرت عن تسريح واعتقال حوالي 200 من الضباط الدروز من الجيش السوري.<sup>259</sup> في الظاهر يبدو أن الغاية تأخذ بعدها طائفياً، لكن نظام البعث في عهد حافظ الأسد، كان يُعبر عن جميع مصالح وطلعات أبناء وجوه الريف في سوريا، على اختلاف تنوع أطيافه من: سنة ومسحيين وعلويين ودروز، بالإضافة إلى تعزيز علاقاته مع البرجوازية التجارية في دمشق على وجه الخصوص.<sup>260</sup> ويعود ذلك إلى كون الذي يجمع بين المدينة والريف أكبر مما يجمع بين طائفة وأخرى.<sup>261</sup> أما ما يخص الامتيازات التي تم منحها للبرجوازية في دمشق لحماية مصالحها، فقد كانت تشمل إعطاءهم رخص استيراد وحوافز أخرى، كما كان يُسمح لهم بمتزاولة أعمالهم التجارية والترانزيت من مرفاً بيروت، وإلى بلدان الخليج، كما رفضت دمشق الانضمام إلى حركة التمرد التي قام بها الأخوان المسلمين وذلك خلال فترة 1975 و1982، نتيجة للضرر الكبير الذي أصاب مصالح الطبقة البرجوازية وخاصة في مدينة حلب، إضافة إلى مدن سوريا الشمالية، وذلك بسبب السياسات

Batatu, Hanna; *Some Observations on the Social Roots of the Syrian Political Elite*", The Middle East<sup>257</sup> Journal, volume XXV, été 1991.

Van Dam, Nikolas; *The Struggle for Power in Syria, Sectarianism, Regionalism and Tribalism in Politics, 1961-1978*, Groom Helm limited, London, 1979, p. 92.

Batatu, Hanna; *Some Observations on the Social Roots of the Syrian Political Elite*. p. 143-144<sup>259</sup>

Drysdale, Alasalair; *The Syrian Political Elite, 1966-1976: A Spatial and Social Analysis*, Middle Eastern<sup>260</sup> Studies, vol. XVII, Jan. 1 1981, p. 8 & p. 13.

Faksh, Mahmud; *The Alawi Community of Syria, a New Dominant Political Elite*, p. 146.<sup>261</sup>

التي انتهجتها الأنظمة البعثية التي تولت على حكم سوريا منذ العام 1963. لكن، حقيقة الأمر لم يُشكل التقلل الأساسي في الحكم، ودليل ذلك النزاع الذي نشب بين صلاح جديد الذي اعتمد فيه على الحزب، وحافظ الأسد الذي اعتمد على الأجهزة الأمنية والجيش.

مما جعل الحزب لا يكون له دور أساس في صنع القرار في وجود حافظ الأسد الذي كان يراعي عند اتخاذ أي قرار التوازنات الموجودة في أجهزة الاستخبارات والجيش، أكثر مما يُراعي التوازنات الموجودة ضمن حزب البعث. في الوقت نفسه شُكّل الحزب الغطاء الشرعي للسلطة في سوريا، وأداة لاحتواء جميع السوريين على اختلاف مذاهبهم ولنشر الهوية الوطنية لتكون جامعة لهم.<sup>262</sup> كما تم إعطاء الحزب صفة رسمية في الدولة، حيث كان القائد للدولة والمجتمع معاً، بالإضافة إلى أنه قائد للجبهة الوطنية التقديمية، التي تنتهي تحتها أحزاب سوريا عدة، كما أنه أي الحزب هو الذي يسمّي المرشحين لمنصب رئاسة الجمهورية.<sup>263</sup> والأهم من ذلك شُكّل الحزب وسيلة لإفشال كل الاتهامات التي كانت توجهه للأسد من معارضيه في الداخل والخارج بأنه نظام أقلية.<sup>264</sup>

وحتى تُعطى سوريا واجهة تعددية فقد تم جمع الأحزاب السورية في جبهة واحدة بقيادة حزب البعث هي الجبهة الوطنية التقديمية وقد ضمّت في عضويتها:

1. حزب البعث العربي الاشتراكي: وهو قائد الجبهة وأمينه العام يرأس القيادة المركزية للجبهة (عضو مؤسس).
2. حزب الاتحاد الاشتراكي العربي (عضو مؤسس كحزب موحد قبل أن ينشق عنه حزب الاتحاد العربي الديمقراطي).
3. الحزب الشيوعي السوري "بكداش" (عضو مؤسس كحزب موحد قبل أن ينقسم عنه الحزب الشيوعي الموحد).
4. الحزب الشيوعي السوري (الموحد) "فيصل" (عضو مؤسس كحزب موحد قبل أن ينقسم عن الحزب الشيوعي).
5. حزب الوحدويين الاشتراكيين (عضو مؤسس تحت اسم تنظيم الوحدويين الاشتراكيين).

---

Kienle, Eberhard, *Baath vs Baath, the conflict between Syria and Irak*, I.B. Tauris & Co. limited<sup>262</sup> publishers, London, 3rd ed., 1993, p. 153.

..228 المصدر ما قبله ص. McLaurin R.D. and Mughisuddin, Muhammad and Wagner, Abraham.<sup>263</sup>

Drysdale, Alasalair; *The Assad Regime and its Troubles*. Merip Reports nov/dec, 1982.<sup>264</sup>

6. حركة الاشتراكيين العرب (عضو مؤسس لحركة واحدة قبل أن تنقسم).
7. الحزب الوحدوي الاشتراكي الديمقراطي (انضم إلى الجبهة في 31 كانون الأول / ديسمبر 1988).
8. حزب العهد الوطني .
9. حزب الاتحاد العربي الديمقراطي (عضو مؤسس لحزب موحد قبل أن ينشق عن حزب الاتحاد الاشتراكي العربي).
10. الحزب السوري القومي الاجتماعي .
11. الاتحاد العام لنقابات العمال (تنظيم غير حزبي انضم إلى الجبهة في 31 آذار / مارس 1980).
12. الاتحاد العام للفلاحين (تنظيم غير حزبي انضم إلى الجبهة في 31 آذار / مارس 1980).

وقد نصّ ميثاق الجبهة على:

"إنّ ما قام به حزب البعث العربي الاشتراكي بعد الحركة التصحيحية من افتتاح على الجماهير والقوى الوطنية، وتفاعل هذه القوى إيجابياً مع الاستراتيجية العامة التي رسمها الحزب في بيان القيادة القطرية المؤقتة والمؤتمر القطري الخامس والمؤتمرون القومي الحادي عشر، وتأييدها للخطوات التي سار فيها الحكم بقيادة الرئيس حافظ الأسد في مجال العمل الداخلي والعربي والدولي... أدى إلى خلق المناخ الملائم لقيام هذه الجبهة وأرسى دعائم بنائها". وتضيف أخيراً "أنّ حزب البعث العربي الاشتراكي... من واقع تحمله قيادة الدولة والمجتمع منذ ثورة آذار حتى اليوم، وما حققه من إنجازات في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، هو المؤهل لأخذ موقع القيادة في هذه الجبهة، ولأنّ يكون الدعامة الأساسية في بنائها"... "وتتجسد قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي للجبهة بتمثيله بالأكثريّة في مؤسسات هذه الجبهة جميعها، وبأنّ يكون منهاج الحزب ومقرّرات مؤتمراته موجّهاً أساسياً لها في رسم سياستها العامة وتنفيذ خططها. وأنّ مهام الجبهة هي:

1. تحرير الأرض العربية المحتلة بعد الخامس من حزيران عام 1967 كهدف مرحلي في نضال الأمة. وهذا الهدف يتقدّم جميع الأهداف المرحلية الأخرى، وفي ضوئه يجب أن نرسم خططنا في كافة المجالات .
2. إقرار مسائل الحرب والسلم .

3. إقرار الخطط الخمسية ومناقشة السياسة الاقتصادية .
4. رسم خطط التثقيف القومي الاشتراكي .
5. العمل على استكمال بناء النظام الديمقراطي الشعبي ومؤسساته الدستورية ومجالسه المحلية .
6. متابعة استكمال البناء الديمقراطي للمنظمات الشعبية والمهنية .
7. العمل على توفير جميع الطاقات لدعم القوات المسلحة في الصمود والمواجهة. وتعهد أطراف الجبهة غير البعثية، لمنع أي صراع أو تناحر في أوساطها، بعدم القيام بأي نشاط حزبي أو تكتلي داخل الجيش والقوات المسلحة .
8. العمل المتواصل من أجل الوصول بالحوار الإيجابي، والتفاعل الجماهيري داخل الجبهة إلى التنظيم السياسي الموحد .
9. باعتبار أن الطلاب هم جيل المستقبل ومن الواجب تهيئة أحسن الشروط لتحقيق وحدة إرادتهم واتجاهاتهم، لا بد من أجل الوصول إلى هذا الهدف من أن ينتهي التنافس الحزبي في أوساطهم. لذلك فإن أطراف الجبهة غير البعثية تعهد بالعمل على وقف نشاطاتها التنظيمية والتوجيهية في هذا القطاع

## سوريا وحرب أكتوبر

كانت إسرائيل هي الهاجس الرئيسي لسوريا، خصوصاً أنها قامت في منطقة مهمة جداً في بلاد الشام هي فلسطين، حيث كانت تتنافس مع الكيان الصهيوني على نطاق جيوسياسي واحد، ألا وهو بلاد الشام أو المشرق. وقد عملت إسرائيل على فرض هيمنتها على منطقة الشرق الأوسط، وذلك خلال الفترة الممتدة من ستينيات القرن الماضي وحتى الآن. وقام في العام 1958، دايفيد بن غوريون رئيس الوزراء الإسرائيلي ومؤسس الكيان الصهيوني بإرسال رسالة إلى دوایت آیزنهاور الرئيس الأميركي، إثر الثورة العراقية، يُخبره فيها، أنه لا يمكن لأي نظام إقليمي أن يستمر ويستقر في الشرق الأوسط، وفي الوقت نفسه موالي للغرب، إذا اعتمد على دولة عربية، وعلى هذا فإنه يتوجب على النظام الإقليمي حتى يكون موالياً للولايات المتحدة يجب أن يكون متعمداً على بلدان شرق أوسطية غير الدول العربية، كإيران، وتركيا، إسرائيل، أثيوبيا.<sup>265</sup> ونتيجة لذلك، عملت واشنطن إلى تقديم كل التسهيلات والدعم الذي تحتاجه إسرائيل، وكانت في ما مضى تقدم لها دعماً غير محدود،

<sup>265</sup> محمد حسنين هيكل، عام من الأزمات-2000-2001، المصرية للنشر العربي، القاهرة 2001 ص.ص. 244-278.

وإن كان بطريقة غير مباشرة، وذلك قبل أن تقيم دولتها في العام 1948. بينما العرب لم يتلقوا الدعم نفسه من الاتحاد السوفيتي الذي يعتبر حليفهم، حيث كان يتردد في أن يرسل لهم السلاح المتطوّر، بما يساوي السلاح المرسل من الولايات المتحدة إلى إسرائيل، وخاصة بعد العام 1964، وتسليم ليونيد بريجينيف الحكم، الذي عمل على سياسة مزنة مع الغرب لتجنب أي توتر في العلاقات معهم.<sup>266</sup>

عُدّ تسلّم الأسد الحكم في سوريا تغييرًا مهمًا في الحياة السياسية السورية، حيث بدأت تتقاраб مع كل من مصر وال السعودية، وذلك في ظل التنسيق والتحضيرات للحرب ضد إسرائيل من أجل تحرير واستعادة الأراضي العربية المحتلة عام 1967، طبعًا من ضمنها هضبة الجولان.<sup>267</sup> فقد كانت حرب تشرين الأول/أكتوبر من العام 1973، فرصة كبيرة للسوريين حتى يتمكنوا من تعويض خسارتهم في عام 1967. وفي وقتها وصل عدد الجيش السوري إلى حوالي 200 ألف جندي مسلّح بأسلحة سوفياتية متطوّرة. وعمل الجانبان المصري والسوسي على توحيد جهودهم وذلك لإجبار إسرائيل القتال على جبهتين في الوقت نفسه. ولكن، أنور السادات الرئيس المصري كانت له غاية أخرى من الحرب، فلم يكن يريد أن يكون هدف الحرب تحرير جميع الأراضي العربية المحتلة عام 1967، بل كان يهدف من ورائها إلى جر إسرائيل وإجبارها على الجلوس على طاولة المفاوضات، وهذا كان مخالفًا لما كان يريد الأسد. بدأ الجيشان المصري والسوسي القتال على جبهتين، وذلك في 6 شهر تشرين الأول/أكتوبر العام 1973. واستطاع الجيش المصري وخلال ساعات عدّة من عبور "قناة السويس"، وفرض سيطرته عليها بعمق وصل من 10 إلى 15 كم شرق القناة، كما عمل على إنشاء خط دفاعي هدفه التصدّي للهجمات الإسرائيلي، وهذا يعني أن الجيش المصري تخلى عن الجيش السوري الذي بقي وحيدًا في الحرب يواجه التفوق العسكري الإسرائيلي الكبير، الذي ركّز جهوده فيما تلاها من أيام على قتال الجيش السوري، حيث استطاعوا إيقاف تقدّمه، واحتلال هضبة الجولان مرة أخرى، وتقدّموا نحو دمشق العاصمة السورية. ولكن، ونتيجة الدعم الأميركي من خلال الجسر الجوي من أجل تعويض إسرائيل للخسائر التي فقدتها في الحرب، والمعلومات التي قدمها الأميركيون للإسرائيليين، الذين استطاعوا إحداث ثغرة، فتمكنوا من خلالها العبور إلى الضفة الغربية للقناة، وحاصروا الجيش المصري الثالث ليحولوا النصر العربي إلى فشل وهزيمة.<sup>268</sup> وإثرها

<sup>266</sup> محمد حسين هيكل، 1967- الانفجار، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1987..

. 246 McLaurin R.D. and Mughisuddin, Muhammad and Wagner, Abraham.<sup>267</sup>

<sup>268</sup> باتريك سيل، الأسد - الصراع على الشرق الأوسط، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، 1987، ص.ص. 319.

وقع السادات الرئيس المصري على اتفاقية الغاية منها، فصل القوات الأولى مع إسرائيل وذلك بوساطة أمريكية في العام 1974، ثم تبعتها بعد ذلك باتفاقية "سيناء الثانية"، وذلك من أجل فصل القوات في بدايات العام 1975، وبهذا تكون مصر قد خرجت من الصراع العربي - الإسرائيلي، فيما بقيت سوريا وحدها تواجه التفوق العسكري الإسرائيلي الكبير.<sup>269</sup>

وبرعاية أمريكية - سوفياتية، تم بعدها عقد "مؤتمر جنيف" من أجل إقامة السلام بين كل من العرب وإسرائيل.<sup>270</sup> الأمر الذي لم يقبله الأسد ورفض بالتالي حضور المؤتمر، وذلك لشكه في النيات الإسرائيلية، كما أعلن صراحة معارضته لأي تطبيع مع الكيان الصهيوني قبل تحقيق السلام العادل في منطقة الشرق الأوسط، واستعادة كامل الحقوق للفلسطينيين.<sup>271</sup> فقد كان حافظ الأسد يشك بالدعم اللامحدود الذي تقدمه واشنطن لإسرائيل.<sup>272</sup> بالنهاية فشل المؤتمر، وذلك بسبب التعتن الإسرائيلي ورفضهم الانسحاب الكامل من الأراضي التي قامت باحتلالها في العام 1967، باستثناء شبه جزيرة سيناء، التي وافقت على إعادتها لمصر في مقابل خروجها من قضية الصراع العربي - الإسرائيلي، حيث كان لخروجها أثر كبير في اختلال ميزان القوى وجعله يميل إلى صالح إسرائيل. لذا سارع الأسد إلى تشكيل جبهة شرقية تضم كلاً من سوريا ولبنان والعراق والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية من أجل مواجهة إسرائيل. كما أن الأسد تعلم درساً مهماً، ولم يعد بعد هذه الحرب الوثوق بأي قائد عربي، بسبب الخداع الذي أصابه من السادات، الأمر الذي جعله يعمل على فرض سيطرته على نظرائه بدلاً من التعاون معهم.<sup>273</sup> هذا الأمر جعله يشك أيضاً بياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، حيث كان يعتقد بوجود رغبة لديه في توقيع سلام منفرد مع الكيان الصهيوني، كما فعل السادات من قبل، وللأسف هذا ما قام به ياسر عرفات لاحقاً.<sup>274</sup> وعمل الأسد بعدها على إحداث توازن قوى استراتيجي مع إسرائيل، وذلك من خلال بناء جيش

---

Kienle, Eberhard: "Baath vs Baath, the conflict between Syria and Iraq". p. 135.<sup>269</sup>

عبد الله السيد ولد اباه، التسوية في الشرق الأوسط ومستقبل النظام العربي، المستقبل العربي عدد 192 شباط 1995 ص. 34.<sup>270</sup>

McLaurin R.D. and Mughisuddin; "Muhammad and Wagner, Abraham. 253<sup>271</sup>

Eisenstadt, Michael; "Arming for Peace? Syria's Elusive Quest for Strategic Parity", The Washington Institute for Near East Policy, Washington D.C., 1992, p. 1.<sup>272</sup>

Seale, Patrick and Linda Butler; "Assad's Regional Strategy and the Challenge from Netanyahu". Journal of Palestine Studies, no. 101, Automne 1996.<sup>273</sup>

..255 McLaurin R.D. and Mughisuddin; "Muhammad and Wagner, Abraham. 274

قوى فعمل لتحقيق ذلك بزيادة عدد الجيش السوري وتسلیحه بأسلحة متطرفة جداً، وهذا ما يفسّر الإنفاق الضخم والكبير على الناحية العسكرية خلال فترة السبعينيات والثمانينيات، ليصل الإنفاق العسكري إلى نصف ميزانية سوريا في بعض الأوقات. وهذا التسلیح للجيش كان متاحاً للرئيس الأسد من خلال الدول الاشتراكية والاتحاد السوفيافي.<sup>275</sup>

## الأسد وال الحرب اللبنانية

كان للبنان أهمية خاصة في وجدان سوريا، خاصة أن لبنان قد تم سلخه عن وطنه الأم سوريا في العام 1920. ومع تسلّم الأسد مقايد الحكم في سوريا تحول دور لبنان في الاستراتيجية السورية عنصراً هاماً في مواجهة إسرائيل.<sup>276</sup> وأثناء حرب تشرين 1973، أراد الأسد مشاركة الجبهة اللبنانية من خلال تفعيلها ضد الكيان الصهيوني، وذلك من خلال تقديم كل الدعم لأنشطة الفدائين التي كانوا يقومون بها عبر الحدود، من أجل دفع القوات الإسرائيلي إلى نشر وحدات عسكرية على الحدود الشمالية مع لبنان، بغية تخفيف الضغط الذي تعرّض له القوات السورية في هضبة الجولان. كما كانت دمشق قلقة من أن تعمد إسرائيل على الالتفاف على قواتها وذلك عبر الأرضي اللبناني، والتقدم مباشرة باتجاه العاصمة دمشق.<sup>277</sup> ولكن، بعد نشوب الحرب الأهلية في لبنان، اضطرت سوريا إلى دخول لبنان، خاصة بعد تحالف وتعاون "حزب الكتائب" مع الكيان الصهيوني.<sup>278</sup> فقد كانت الحرب الأهلية في لبنان تُشكل تهديداً أميناً يصيب الاستقرار في سوريا، مع خشية دمشق أن تنتقل الحرب إلى سوريا، لهذا عملت على إيقاف الحرب الأهلية الواقعة في لبنان وبأي ثمن كان.<sup>279</sup> فدخل الجيش السوري في ربيع عام 1976، إلى لبنان، بناء على طلب من سليمان فرنجية رئيس الجمهورية اللبنانية، بالإضافة إلى قادة الجبهة اللبنانية بيار الجميل وكميل شمعون. هذا التدخل صبّ في تحسين العلاقات السياسية بين سوريا وواشنطن، التي كانت قلقة من ازدياد

---

Seale, Patrick and Linda Butler; "Assad's Regional Strategy and the Challenge from Netanyahu". p. 65.<sup>275</sup>

Ma'oz, Moshe; "Assad the Sphinx of Damascus, a Political Biography". London, Widenfield and Michalson, 1988, p. 288.<sup>276</sup>

Roberts, David; "The USSR in Syrian Perspective". p. 221.<sup>277</sup>

Harris, William; "Syria in Lebanon". Merip Reports, July , 1985, p. 76.<sup>278</sup>

Chalala, Elie; "Syrian Policy in Lebanon, Moderate Goals and Pragmatic Means", p. 70.<sup>279</sup>

قوة "منظمة التحرير الفلسطينية" ممثلة بياسر عرفات في الساحة اللبنانية، بالإضافة إلى رغبة واشنطن في توريط سوريا في الأزمة اللبنانية، لتكون أداة لها لابتزازها. كذلك الأمر بالنسبة إلى دمشق التي كانت تخشى من ازدياد نفوذ "منظمة التحرير الفلسطينية" في الأراضي اللبنانية، خاصة أنها بدأت تشك في نيات ياسر عرفات، ورغبته في إيجاد حل سلمي أو تأسيس كيان ووطن بديل للدولة الفلسطينية في لبنان. تضاف إليه خشية دمشق من انضمام اليسار اللبناني إلى ياسر عرفات، والذي سيشكل حجة لليمين اللبناني في إقامة تحالف وتعاون مع إسرائيل.<sup>280</sup>

واعتقد الأسد أنه في حال فرض سيطرته على لبنان، سيستطيع السيطرة على "منظمة التحرير الفلسطينية"، واستخدامها كوسيلة ضد رغبة حسين ملك الأردن في توقيع سلام منفرد مع الكيان الصهيوني.<sup>281</sup> في الوقت نفسه شكل لبنان بالنسبة إلى سوريا نقطة انطلاق للقيام بحرب محدودة مع إسرائيل، وبذلك تبقى قضية الصراع العربي - الإسرائيلي قائمة، من دون تصعيد يؤدي إلى تعريضها لخسارة كبرى، وذلك حتى تتمكن من تحقيق سلام شامل.<sup>282</sup>

في ذلك الوقت وقعت مصر على اتفاقية "كامب ديفيد" مع تل أبيب وذلك في العام 1979، فشكل ذلك ضربة قوية إلى سوريا.<sup>283</sup> ولمنع سوريا من عرقلة المفاوضات، شجّعت بشير الجميل على محاربة القوات السورية الموجودة ضمن الأراضي اللبنانية، وذلك في صيف عام 1978 وقد سُميت هذه الحرب بـ"حرب المئة يوم". كما أن سوريا فشلت في جعل القوات اللبنانية توقف تعاملها مع إسرائيل، بالإضافة إلى السعي الدائم من أجل إنشاء كيان مسيحي في بعض المناطق ضمن الأراضي اللبنانية.<sup>284</sup> ولم تتوقف سوريا في الشك بنيات عرفات الذي بقي على تواصل مع مصر برغم اتفاقية "كامب ديفيد"، وكانت سوريا قلقة من سعي عرفات الدائم إلى الانضمام لهذه

---

Devlin, John; "Syria: Modern state in an ancient land", Westview Press, Boulder Colorado, 1ère édition<sup>280</sup> 1983, p. 120.

Drysdale, Alasdair and Hinnebusch Raymond; "Syria and the Middle East Peace Process", p. 74.<sup>281</sup>

Harris, William; "Syria in Lebanon". P78<sup>282</sup>

Abu Khalil, Assad; "Syria and the Arab-Israeli Conflict", 84.<sup>283</sup>

Chalala, Elie; "Syrian Policy in Lebanon, Moderate Goals and Pragmatic Means". p. 74.<sup>284</sup>

الاتفاقية، وإعطائها الشرعية التي كانت تفتقد لها.<sup>285</sup> فعملت إسرائيل على الاستفادة من هذا المناخ واستغلته في عملية اجتياح جنوب لبنان في شهر آذار/مارس/ من العام 1978، لتعمل على إنشاء شريط حدودي ضمن الأراضي اللبنانية.

## الاجتياح الإسرائيلي للبنان

كان لانتخاب رونالد ريجن رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية في العام 1981، أثر كبير على مستوى العلاقات السياسية الدولية، وذلك بسبب نزعته في زيادة التصعيد ضد الاتحاد السوفيتي في جميع أنحاء العالم، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط. الأمر الذي استغلته إسرائيل ووجدت فيه فرصة سانحة لرفع مستوى تصعيد الصراع في منطقة الشرق الأوسط، من أجل فرض وقائع تتناسب مصالحها ضد خصومها وفي مقدمتهم سوريا. هذا الأمر جعل الأسد ينتزع دعماً أكثر وأكبر من الاتحاد السوفيتي، من خلال التوقيع مع موسكو على اتفاقية صداقة، وبموجبها أصبحت دمشق تحت حماية الاتحاد السوفيتي.<sup>286</sup> الذي كان مشغولاً بأزمته في بولندا وأفغانستان، الأمر الذي حال دون تقديم الدعم الكافي إلى دمشق.<sup>287</sup> ووسط هذه التغييرات، تم إجراء تعديل حكومي في تل أبيب، أسفراً عن تسلّم أرييل شارون لوزارة الدفاع، مما عُدّ إشارة لازمات متفجرة في منطقة الشرق الأوسط.<sup>288</sup>

سعت إسرائيل إلى دفع عملية التطبيع من جديد، وذلك من خلال جعل دولة عربية توقع على اتفاقية سلام أخرى، بغية عزل سوريا.<sup>289</sup> وقد تلقت إسرائيل كل الدعم المطلوب لتحقيق ذلك من

---

Ma'oz, Moshe and Yaniv, Evner; "On a Short Leash, Syria and the PLO". Dans Maoz Moshe and Yaniv<sup>285</sup> Evner eds; "Syria Under Assad, Domestic Constraints and Regional Risks", Groom Helm, London, 1ere edition 1986, p. 201.

Karsh, Efriam; "The Soviet Union and Syria, the Assad Years". p. 55.<sup>286</sup>

Bulloch, John; "Final Conflict, the War in Lebanon. Century", publishing Co. limited, 1983, p. 84.<sup>287</sup>

جوناثان راندل، حرب الالاف عام في لبنان، ترجمة فندي الشعار، دار المرجع، 1984 ص. 243..<sup>288</sup>

Elezzi Ghassan ; "De la Paix en Galilée à la Relance de la Guerre Civile, Quand l'Armée Israélienne<sup>289</sup> "sauvait" le Liban". Le Monde Diplomatique, juin 1992, p 23

واشنطن. <sup>290</sup> وسط خشية القادة الإسرائيليين من تزايد النقمـة الفلسطينية عليهم في الأراضـي المحتلة، حيث كانوا متـخوفـين من اندـلاع انتـفـاضـة في وجهـهم، ولـذلك ظـنـوا أنـهم إذا عملـوا على ضـرب "منظـمة التـحرـير" المـتمـركـزة في لـبنـان، فإنـهم بذلك سيـتمـكـنـون من وأـدهـا في الأـراضـي الـفـلـسـطـينـية المـحتـلة. <sup>291</sup> لـذا عملـ بشـير الجـمـيل قـائـدـ القـوـاتـ الـلـبـنـانـية على تـشـجـيعـ الإـسـرـائـيلـيـين لـاجـتـياـحـ لـبـنـانـ، في مـقـابـلـ وـعـدـهـ لـهـمـ بـتـوـقـيـعـ اـتـفـاقـيـةـ سـلـامـ مـعـهـمـ، بـعـدـ أنـ يـتـمـ اـنـتـخـابـهـ رـئـيـسـاـ لـلـجـمـهـورـيـةـ الـلـبـنـانـيـةـ، الـأـمـرـ الـذـيـ سـيـدـفـعـ دـوـلـاـ عـرـبـيـةـ أـخـرـىـ لـتـخـطـوـ نـفـسـ الـخـطـوـةـ مـعـ إـسـرـائـيلـ، وبـذـكـرـ يـتـمـ عـزـلـ سـوـرـيـاـ. <sup>292</sup>

اجـتـاحـتـ إـسـرـائـيلـ لـبـنـانـ في 6 حـزـيرـانـ / يـونـيـوـ منـ العـامـ 1982ـ، وـذـكـرـ منـ مـحاـورـ عـدـةـ فيـ مـنـطـقـةـ الـجـنـوبـ الـلـبـنـانـيـ، وـسـطـ اـنـسـحـابـ سـرـيعـ لـلـقـوـاتـ الـتـابـعـةـ لـ"ـمـنـظـمةـ التـحرـيرـ الـفـلـسـطـينـيةـ". وـفـيـ الـيـوـمـ التـاسـعـ مـنـ حـزـيرـانـ قـامـ الجـيـشـ إـسـرـائـيلـ بـضـربـ مـوـاـقـعـ سـوـرـيـاـ مـتـمـرـكـزـةـ ضـمـنـ الـأـرضـيـ الـلـبـنـانـيـةـ فيـ مـنـاطـقـ عـالـيـهـ وـالـبـقـاعـ وـالـشـوـفـ. وـسـطـ دـفـاعـ الـقـوـاتـ السـوـرـيـةـ وـالـتـصـدـيـ لـلـهـجـومـ إـسـرـائـيلـيـ فيـ ظـلـ الـغـطـاءـ الجـوـيـ منـ قـبـلـ سـلاـحـ الطـيـرانـ إـسـرـائـيلـيـ، الـذـيـ دـمـرـ 80 مـقـاتـلـةـ سـوـرـيـاـ، بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ 25ـ بـطـارـيـةـ دـفـاعـ جـوـيـ منـ طـرـازـ سـامـ 6ـ كـانـتـ مـوـجـودـةـ فيـ مـنـطـقـةـ الـبـقـاعـ. وـاسـتـطـاعـ فـيلـيـبـ حـبـيـبـ الـمـوـفـدـ الـأـمـيـرـيـ، مـنـ التـوـصـلـ إـلـىـ اـتـفـاقـ وـذـكـرـ فيـ مـنـتـصـفـ آـبـ/ـأـغـسـطـسـ، يـتـمـ بـمـوجـبـهـ اـنـسـحـابـ "ـمـنـظـمةـ التـحرـيرـ الـفـلـسـطـينـيةـ" مـنـ الـأـرضـيـ الـلـبـنـانـيـةـ. بـعـدـهاـ فيـ شـهـرـ أـيـلـولـ وـتـحـديـدـاـ فيـ 14ـ أـيـلـولـ/ـسـبـتمـبرـ، تـمـ اـغـتـيـالـ بـشـيرـ الجـمـيلـ، حـيـثـ قـامـ حـبـيـبـ الشـرـتوـنيـ عـضـوـ فيـ الـحـزـبـ السـوـرـيـ الـقـومـيـ الـاجـتمـاعـيـ، بـتـفـجـيرـ مـقـرـ حـزـبـ الـكـتـائـبـ بـبـشـيرـ وـرـفـاقـهـ، الـقـائـمـ فيـ مـنـطـقـةـ الـاـشـرـفـيـةـ، وـذـكـرـ بـعـدـ أـسـابـعـ عـدـةـ مـنـ اـنـتـخـابـهـ رـئـيـسـاـ لـلـجـمـهـورـيـةـ الـلـبـنـانـيـةـ، وـبـاـغـتـيـالـ بـشـيرـ الجـمـيلـ تـمـ إـجـهـاضـ الـمـشـرـوـعـ الـصـهـيـونـيـ فيـ لـبـنـانـ. وـعـمـلـ إـسـرـائـيلـ بـعـدـهاـ عـلـىـ دـخـولـ قـوـاتـهاـ إـلـىـ بـيـرـوـتـ، حـيـثـ قـامـواـ مـعـ حـلـيـفـهـمـ "ـحـزـبـ الـكـتـائـبـ" بـاـرـتـكـابـ مـجـزـرـةـ "ـصـبـرـاـ وـشـاتـيـلاـ" فيـ 15ـ وـ16ـ وـ17ـ أـيـلـولـ/ـسـبـتمـبرـ. الـأـمـرـ الـذـيـ أـسـفـرـ عـنـ زـيـادـةـ الـمـقاـومـةـ الـلـبـنـانـيـةـ فيـ وـجـهـ قـوـاتـ الـاـحـتـالـلـ، تـضـافـ إـلـيـهاـ الـخـسـائـرـ الـتـيـ مـنـيـتـ بـهـ إـسـرـائـيلـ فيـ الدـاخـلـ نـتـيـجـةـ تـزاـيدـ الـمـعـارـضـةـ فيـ وـجـهـ مـنـاحـيمـ بـيـغـنـ رـئـيـسـ حـكـومـتـهاـ. <sup>293</sup> هـذـاـ وـقـدـ أـدـدـتـ "ـمـجـزـرـةـ صـبـرـاـ وـشـاتـيـلاـ" إـلـىـ

Drysdale, Alasdair and Hinnebusch Raymound; "Syria and the Middle East Peace Process", p190. <sup>290</sup>

Jansen, Michael; "The Battle of Beirut, Why Israel invaded Lebanon?", London Zed Press, London, 1ère <sup>291</sup> edition 1982, p. 66

.599 <sup>292</sup> بـاتـرـيكـ سـيلـ، الـأـسـدـ، صـ

Jansen, Michael; "The Battle of Beirut, Why Israel invaded Lebanon?" p. 69. <sup>293</sup>

إقالة الكسندر هيج وزير الدفاع الأميركي من منصبه، حيث كان مؤيداً لاجتياح إسرائيل للبنان. وعملت كُلُّ من إيطاليا وبريطانيا وفرنسا وواشنطن إلى إرسال قواتها إلى لبنان من أجل دعم ومساندة أمين الجميل الرئيس المنتخب بعد اغتيال أخيه بشير الجميل كرئيس للجمهورية اللبنانية. كما أعلن الرئيس الأميركي رينغن عن مبادرة سلام في منطقة الشرق الأوسط من دون الرجوع إلى إسرائيل والتشاور معها، الأمر الذي أثار غضب مناصرين بيغن.<sup>294</sup> وقد تضمنت مبادرة رينغن جعل لبنان تحت الحماية الأميركيّة المباشرة، مع توقيع لبنان اتفاقية سلام مع تل أبيب، على أن تقوم بعده كل من السعودية والأردن بالتوقيع على اتفاقية سلام مع إسرائيل، الأمر الذي يضع حدًّا للنزاع العربي - الإسرائيلي وينهي، وبالتالي عزل سوريا، وطبعاً لصالح إسرائيل وواشنطن.<sup>295</sup> ضمنياً كان ياسر عرفات من المؤيدين لهذه الخطوة، حيث كان يرغب بتوقيع سلام مع تل أبيب.<sup>296</sup> وفيما وافقت "منظمة التحرير الفلسطينية" والأردن على مبادرة رينغن، عارضتها كُلُّ من دمشق و"الجبهة الشعبية - القيادة العامة" بزعامة أحمد جبريل، و"الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" برئاسة جورج حبش، بالإضافة إلى بعض قيادات فتح التي قامت بالانشقاق عن ياسر عرفات، وأسست ما عرف بـ"فتح الانتفاضة" برئاسة العقيد أبو موسى. في البداية وافقت سوريا على مبادرة رينغن ولكن شرط مراعاة مصالحها،<sup>297</sup> غير أن واشنطن اعتقدت أن سوريا أصبحت في موقف ضعيف، لذا لن تقوم بوضع العقبات أمامها في منطقة الشرق الأوسط.<sup>298</sup>

## الصراع على لبنان

تقدّمت دمشق بمبادرة بهدف مساومة واشنطن، حيث أبدت استعدادها لسحب قواتها المتمركزة في لبنان، مقابل انسحاب تل أبيب، فرفض الأميركيون.<sup>299</sup> الأمر الذي جعل سوريا تعمل

<sup>294</sup> شيمون شيفر، أسرار الغزو الإسرائيلي للبنان عملية كرة الثلج ص. 132.

Drysdale, Alasdair and Hinnebusch Raymound: Syria and the Middle East Peace Process. p. 126.<sup>295</sup>

Rabinovitch, Itamar. "The Changing Prism". dans Ma'oz Moshe and Yaniv, Evner: Syria Under Assad, <sup>296</sup> Domestic Constraints and Regional Risks. Groom Helm, London, 1ere edition 1986, p. 187.

Bulloch, John. Final Conflict, the War in Lebanon. p. 151.<sup>297</sup>

Karsh Efriam. "The Soviet Union and Syria, the Assad Years". p. 74. <sup>298</sup>

Chalala, Elie. "Syrian Policy in Lebanon, Moderate Goals and Pragmatic Means". p. 84.<sup>299</sup>

على استخدام كل الوسائل التي تقدر عليها للمواجهة، برغم العزلة الإقليمية المفروضة على دمشق، وخوفها من تزايد معارضة "جماعة الأخوان المسلمين" في الداخل السوري، بدعم من واشنطن وال سعودية. في المقابل ستعمل سوريا على الاستفادة من مجموعة من التغييرات التي ستحول الوضع لصالحها، وذلك من خلال تحالفها وتعاونها مع بعض القوى اللبنانيّة وفي مقدمتها "حركة أمل"<sup>300</sup>، حيث كانت حركة أمل والحزب التقدمي الاشتراكي غير راضية على الرضوخ للأمر الواقع الذي عملت تل أبيب على فرضه داخل لبنان بعد عملية الاجتياح في العام 1982، وهذا خلافاً موقف القيادات السنّية التقليدية التي قبلت بالتعاطي مع أمين الجميل رئيس الجمهورية اللبناني بعدم من السعودية.<sup>301</sup> كما أن وصول يوري اندروبوف للسلطة رئيس جهاز المخابرات السوفياتية في الاتحاد السوفياتي، بعد وفاة ليونيد بريجنيف، فتح المجال لدفع السياسة السوفياتية قدماً في العام، من أجل تعويض الخسائر التي مُنيت بها خلال الفترة الماضية، حيث كان اندروبوف يرغب في اتخاذ موقف معارض ومواجهة للسياسة الأميركيّة في العام، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط، وذلك من خلال تقديم كل الدعم المطلوب لسوريا وخاصة على المستوى السياسي والمستوى العسكري.<sup>302</sup> لذا عمل آندروبوف على وضع سوريا تحت حماية مظلة الاتحاد السوفياتي، وذلك من خلال أن تكون قيادتها، إضافة إلى منظومة دفاعها الجوي مرتبطة بشكل مباشرة بالقيادة العسكريّة الموجودة في موسكو. هذا الأمر أدى إلى تقوية ودعم الموقف السوري في مواجهته وواشنطن وتل أبيب. وفي الوقت نفسه استطاعت سوريا من استغلال تأثير الولايات المتحدة في فرض إملاءاتها على الساحة اللبنانيّة، من أجل العمل على إكمال كافة التجهيزات التي تحتاجها ل تستطيع من دعم حلفائها ولتتمكن في ما بعد من تغيير الأوضاع لصالحها في العام 1983.<sup>303</sup>

استطاعت دمشق بالتعاون مع حلفائها في لبنان من تغيير المواقف وقلب موازين القوى على الساحة اللبنانيّة لصالحهم، وذلك في بداية عام 1983، من خلال إرسال السلاح إلى كل من وليد جنبلاط الموجود في الجبل، وكذلك الأمر إلى نبيه بري المتمركز في ضاحية بيروت الجنوبيّة فاندلعت حرب الجبل. كما اتهم الكثير سوريا وحلفاءها بأنهم وراء تفجير مقر المارينز الأميركي والمظليين الفرنسيين في خريف عام 1983، بالإضافة إلى دعم دمشق عمليات المقاومة الموجّهة ضد إسرائيل، وكذلك دعمت المنشقين عن "حركة فتح" ضد ياسر عرفات، مما أدى إلى عرقلة الجهود

Dickey, Christopher; "Assad and His Allies, Irreconcilable Differences". Foreign Affairs, vol. 66 automne<sup>300</sup> 1987, p. 166

Laurent, Annie & Basbous, Antoine ; "Guerres secrètes au Liban", Gallimard, Paris, 1987, p. 187.<sup>301</sup>

<sup>302</sup> باتريك سيل، الأسد، ص. 651.

Karsh, Efrat; "The Soviet Union and Syria, the Assad Years". p. 74.<sup>303</sup>

المبذولة من عرفات بشأن التفاوض غير المباشر مع واشنطن. وأدى انتصار حلفاء دمشق في "معركة الشوف" وذلك في أواخر عام 1983، إلى بدء نهاية المشروع الإسرائيلي - الأميركي في لبنان.<sup>304</sup> في وقت كانت تتزايد المعارضة الإسرائيلية ضد بيغن، مما جعله يفكر في اعتزال العمل السياسي، نتيجة للخسائر الكبيرة التي مُنيت بها القوات الإسرائيلية في لبنان.<sup>305</sup> وكان انتصار حلفاء دمشق في معركة الجبل والشوف، نقطة البداية لفرض سيطرتهم على العاصمة بيروت، وذلك في السادس من شهر شباط عام 1986. وإثرها اضطرت القوات المتعددة الجنسيات إلى الانسحاب من لبنان، الأمر الذي جعل أمين الجميل وحيداً ومعزولاً، فاضطر مجبراً إلى الذهاب إلى دمشق، وقبول الشروط التي وضعها حافظ الأسد، وهي: إلغاء "معاهدة 17 أيار" التي وقعتها الحكومة اللبنانية مع الجانب الإسرائيلي، بإبعاد شفيق وزان وعزله عن رئاسة الحكومة، مع العمل على تشكيل حكومة جديدة يترأسها رشيد كرامي حليف دمشق، وعضوية كُلِّ من نبيه بري ووليد جنبلاط حليف سوريا.<sup>306</sup>

على المستوى العالمي شكل وصول ميخائيل غورباتشوف في عام 1985، إلى سدة الحكم في الاتحاد السوفيتي، نقطة البداية لقضية تضمنت مشاكل عرقية واقتصادية عدّة، حيث أدّت محاولات غورباتشوف تفكيك الاتحاد السوفيتي إلى إضعاف المؤسسات، فزادت المشاكل الداخلية بالإضافة إلى المشكلات الخارجية، حيث عانى الاتحاد السوفيتي من مشاكل عدّة تتعلق بالفساد والركود الاقتصادي، وخلل في ميزان الديمقرatie، ومشاكل بنوية وعرقية، والتي أثرت بشكل سلبي على سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية. فقد عانى الاتحاد السوفيتي من حالة جمود في السياسة الخارجية، منذ سبعينيات القرن الماضي. جعلته عاجزاً على حل أزمتي أفغانستان وبولونيا. أما في منطقة الشرق الأوسط ومنذ عام 1967، بدأ نفوذ الاتحاد السوفيتي بالتراجع. ومنذ "مؤتمر هلسنكي" عام 1975، ظهرت علامات تغييرات في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية. وتم التأكد من ذلك في باريس خلال عقد مؤتمر الأمن والتعاون في القارة الأوروبي، وذلك في العام 1985.<sup>307</sup> على أثرها انسحب الاتحاد السوفيتي وغاب عن الساحة السياسية الدولية، كما اعتمد نتيجة مشاكله الاقتصادية على الولايات المتحدة الأمريكية، مما أفسح المجال لواشنطن بالتقدم

Saliba, Najib; "Syrian Lebanese Relations". P 155.<sup>304</sup>

Drysdale Alasdair et Hinnebusch Raymond: "Syria and the Middle East Process", p 127.<sup>305</sup>

. Laurent Annie et Basbous Antoine : « Guerres Secrètes au Liban. », p.205.<sup>306</sup>

يوسف الصايغ: "دلائل التحولات الجوهرية في مجموعة البلدان الاشتراكية الأوروبية بالنسبة إلى الوطن العربي وقضية فلسطين"، المستقبل العربي، عدد رقم 150، آب/أغسطس 1991، ص. 5.<sup>307</sup>

وتصبح القوة العظمى، خاصة من دون وجود منافس لها، فالىبابان وأوروبا اللتان تعداد قوى محتملة كانتا بعيدتين كثيراً عن تشكيل ندٍ عسكري وسياسي لواشنطن.<sup>308</sup>

وجود غورباتشوف في السلطة، صعب الوضع كثيراً على البلدان العربية الراديكالية (الأصولية)، من حيث طلب التعديل على مساعداتها العسكرية والسياسية والاقتصادية المقدمة من الاتحاد السوفيتي السابق<sup>309</sup>، مما أضعف موقفها وخصوصاً أمام إسرائيل. سوريا كانت أكثر الدول تضرراً من جراء ذلك.<sup>310</sup> فقد قام غورباتشوف في شهر نيسان/أبريل من العام 1987، بعلام الأسد أنه لن يستطيع تقديم الدعم له لتنفيذ خططه في تحقيق توازن استراتيجي مع تل أبيب، الأمر الذي أدى إلى إيقاف كل هذه الخطط، التي كانت تعتمد على المساعدات العسكرية التي يقدمها الاتحاد السوفيتي إلى سوريا. في الوقت نفسه عمل غورباتشوف على نسج علاقات تعاون مع دول عربية وصفت بأنها معتدلة، مما أضعف الموقف السوري باعتبارها كانت الحليف الاستراتيجي للاتحاد السوفيتي، فانعكس هذا الأمر إيجاباً على الجانب الإسرائيلي الذي زادت قوته، والمدعوم من واشنطن، كما ارتفعت هجرة اليهود الروس.<sup>311</sup> ظنّ الاتحاد السوفيتي أنه بشركته لواشنطن سيحافظ على ما تبقى له من نفوذ ضمن منطقة الشرق الأوسط، خاصة من خلال العمل على زيادة الفرص المتعلقة بمفاضلات السلام.<sup>312</sup>

إلا أن واشنطن كانت لها حسابات مغايرة عن الاتحاد السوفيتي، فعملت على استغلال الوضع لتعزيز فرض سيطرتها على منطقة الشرق الأوسط العالم على بحر من النفط<sup>313</sup>، وبنسبة تصل إلى حوالي 65% تقريباً من إجمالي الاحتياطي العالمي.<sup>314</sup> فقد كانت واشنطن تريد أن تكون هي المسسيطرة على النفط، لتكون المورد الوحيد الذي يُزوّد أوروبا واليابان به، فيجعل موقفها بالتألي أفضل، لتمكن من خلاله على الضغط على سياسات هذه الأخيرة.<sup>315</sup> غياب الاتحاد السوفيتي كقوة

---

Hermann, Richard, "Russian Policy in the Middle East: Strategic change and Tactical Considerations",<sup>308</sup> Middle East Journal, vol.84, no.3, été 1994, p.454.

Atherton, Alfred Leroy, "The Shifting Sands of the Middle East Peace", Foreign Policy, no.83, spring<sup>309</sup> 1992, p.118.

Atherton, Alfred Leroy, "The Shifting Sands of the Middle East Peace", p.118.<sup>310</sup>

Karawan, Ibrahim A.: "Arab Dilemmas in the 1990's: Breaking taboos and searching for signposts", p.435.<sup>311</sup>

Hanna, John P.: "At arms length Soviet Syrian relations in the Gorbachev era", p.5.<sup>312</sup>

ريتشارد نيكسون، "1999 نصر بلا حرب". يعطي هذا الكتاب فكرة جيدة عن أهمية النفط في العلاقات الدولية خصوصاً بعد نهاية الحرب الباردة لا سيما أن الولايات المتحدة كانت تتنظر منافسين جدداً كروسيا وأوروبا واليابان والصين.<sup>313</sup>

محمد ذكري إسماعيل: "النظام الدولي الجديد بين الوهم والخداع"، ص. 15.<sup>314</sup>

سمير أمين: "بعد حرب الخليج، الهيمنة الأمريكية إلى أين؟"، المستقبل العربي، رقم 170، نيسان/أبريل 1993، ص. 15.<sup>315</sup>

عالمية تقف في وجه الأميركيين كان له الاثر السلبي على العرب. وهذا ما دفع صدام حسين إلى القول في "قمة عمان" في 24 شهر شباط/فبراير، بأن انتهاء الحرب الباردة كان كارثياً على العرب، لأنها أعطت الحرية الكاملة للأميركيين للتحرك وبسط هيمنتهم على منطقة الشرق الأوسط.<sup>316</sup> وهذا الأمر ألقى الأسد كثيراً، وذلك بسبب التحولات الكبيرة التي حدثت على ساحة الاتحاد السوفيافي، مما أصاب ميزان توازن القوى بالخلل لصالح تل أبيب. وبات الأسد مقتنعاً أن واشنطن ستفرض هيمنتها على العالم خلال السنوات العشر المقبلة.<sup>317</sup> الأمر الذي اضطره إلى العمل على تحسين علاقته بالولايات المتحدة الأميركية، وإلى الابتعاد عن معارضته سياستها في منطقة الشرق الأوسط.<sup>318</sup> التي أصبحت هي المتحكم في فيه فقد أصبح لها كامل الحرية في الحركة ضمن منطقة الشرق الأوسط وذلك بعد عام 1985. فقد شكل نفط منطقة الشرق الأوسط ضرورة حتمية للدول الصناعية، خصوصاً لليابان التي كانت تستورد حوالي 70% من احتياجاتها النفطية من منطقة الشرق الأوسط، كذلك الأمر لفرنسا 32% وإيطاليا 35%.<sup>319</sup> حتى أن واشنطن في العام 1990، كانت تستورد حوالي 50% من احتياجاتها النفطية من منطقة الشرق الأوسط.<sup>320</sup> وفي الحقيقة، عرفت واشنطن أهمية النفط في منطقة شبه الجزيرة العربية، خصوصاً في الفترة الواقعة بين عامي 1942 - 1943، خلال عهد روزفلت، خاصة بعدهما تبين لها أن الموارد النفطية ضمن القارة الأميركيه وكأنها في طور النفاذ. في المقابل شكل نفط منطقة الشرق الأوسط مصدر الطاقة البديل لها.<sup>321</sup> لذلك عملت الولايات المتحدة ومن ذلك الوقت على بسط هيمنتها على منطقتى الخليج والشرق الأوسط، وكان هذا الغرض هو أساس سياستها الشرق أوسطية.

Rodman, Peter: "Middle East Policy after the Gulf War", Foreign Affairs, vol.70, printemps 1991, p.223.<sup>316</sup>

Fuller, Graham E.: "Moscow and the Gulf War", Foreign Affairs, vol.70, été 1991, p.65.<sup>317</sup>  
Karawan, Ibrahim A.: "Arab Dilemmas in the 1990's: Breaking taboos and searching for signposts", p.434.<sup>318</sup>

محمد ذكري إسماعيل، "النظام الدولي الجديد بين الوهم والخدعة"، ص. 9.<sup>319</sup>

Raich, Bernard "The United States in the Middle East", Current History, janvier 1991, p.7.<sup>320</sup>  
Laurens, Henry: Pourquoi Ryad préfère le parapluie américain? , Le Monde Diplomatique août 1992,<sup>321</sup>

p.8.

## مؤتمر السلام

في العام 1985، عاد الحديث مجدداً عن مؤتمر سلام منطقة الشرق الأوسط، وذلك نتيجة جولة دبلوماسية قام بها جورج شولتز وزير الخارجية الأميركي، والتي جاءت في الوقت نفسه الذي تسلم فيه ميخائيل غورباتشوف للسلطة في الاتحاد السوفيتي، الأمر الذي أعطى إشارة بتراجع دور الاتحاد السوفيتي، وبالتالي انهيار وتفكك كتلة الدول الاشتراكية، التي كانت تابعة له وذلك في العام 1989، والانهيار الذي أصاب الاتحاد السوفيتي في العام 1991. وقد استطاع شولتز إحراز نجاح كبير أثناء جولته هذه، وذلك حين تمكّن من انتزاع وثيقة موقعة من ياسر عرفات الذي أدان الإرهاب، وهذا عُدّ كمؤشر لاستعداده بترك الكفاح المسلح، بالإضافة إلى قبوله بالحلول السلمية وبالشروط التي وضعتها واشنطن وإسرائيل. وهذا الأمر أثار استياء الأسد، وكان عاملاً من عوامل حرب المخيمات التي اندلعت في لبنان. وبعدها بفترة قليلة، عقدت مفاوضات سرية جمعت كلاً من ممثلين عن "منظمة التحرير الفلسطينية" من ناحية، وممثلين عن الحكومة الإسرائيلية برئاسة إسحق شامير من ناحية أخرى، حيث اعترف شامير بحق الفلسطينيين تقرير مصيرهم.<sup>322</sup> وهنا نذكر الاجتماعات السرية التي ترجع بدايتها إلى سبعينيات القرن الماضي بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، من أجل الوصول إلى حل القضية الفلسطينية، ولكن بما يضمن مصالح الإسرائيليين أولاً.<sup>323</sup> فقد كان ياسر عرفات قابلاً للتنازل مقابل الوصول إلى حل سلمي، ومن أجل ذلك توجه بعد العام 1982، إلى اليمن ثم تونس ليكون بعيداً عن سيطرة السوري عليه وبالتالي حراً في الوصول إلى الذي يبعيده مع كل من الجانبين الإسرائيلي والأميركي. ومن أجل أن يسبب حرجاً للسوريين، عمل علىأخذ جزء من الورقة اللبنانية من خلال تقديم التمويل والمساعدة لبعض الأحزاب والفصائل اللبنانية، الأمر الذي شكل دافعاً لسوريا إلى دفع "حركة أمل" أن تفرض حصاراً على المخيمات الفلسطينية، وشنّ حرب عليها، دامت تقريرياً حوالي سنتين. بعدها تمّ عقد مؤتمر المجلس الوطني الفلسطيني، وذلك في نيسان/أبريل من العام 1988، أُعلن فيه عرفات قيام "دولة فلسطين"، ولكن هذا الإعلان كان واجهة تخفي خلفها المفاوضات السرية التي كانت تجري بين الإسرائيليين وممثلين عنه. وقد كانت دمشق على علم بها، مما جعل الأسد في خطابه الذي ألقاه في 8 آذار من العام

<sup>322</sup> راجع محمود عباس

<sup>323</sup> محمد حسنين هيكل، "سلام الأوهام: أوسلو ما قبلها وما بعدها"، دار الشروق، الطبعة الرابعة، القاهرة، 25 تشرين الثاني/نوفمبر 1996، ص.ص. 62-63

1989، إلى القول إن دمشق رفضت اتفاق كامب ديفيد، وأنها سترفض وتعارض أي اتفاقية شبيهة له بين تل أبيب وأي دولة عربية أخرى.

كما أشار الرئيس الأسد أيضاً إلى تعديل ميثاق "منظمة التحرير الفلسطينية" الذي تم في دولة الجزائر، وأنه يكتفي فقط بالطالبة بالأراضي التي كانت إسرائيل قد احتلتها عام 1967، في الوقت نفسه ترفض تل أبيب أن تغيّر طلبها بإقامة دولة إسرائيل التي تمتد من النيل غرباً إلى الفرات شرقاً، وذلك بذرية أنّ هذا الاتفاق تم إرساله لهم، لكونهم الشعب المختار. وحذّر الأسد أيضاً رفضه للتنازل عن الحقوق العربية المحققة، مشيراً في الوقت نفسه إلى اللقاءات والمجتمعات السرية التي تمت بين منظمة التحرير الفلسطينية والأردن من ناحية، والأميركيين من ناحية أخرى، من أجل العمل على عقد مؤتمر للسلام في منطقة الشرق الأوسط.<sup>324</sup>

ورداً على كلام الأسد، دفعت واشنطن العmad ميشال عون، الذي كان يترأس حكومة عسكرية في لبنان، إلى شنّ حرب ضد القوات السورية المتمركزة في لبنان. ولم تتوقف "حرب التحرير" هذه إلا بعد أن وافقت سوريا على مقررات "قمة الدار البيضاء" وذلك في العام 1989، والتي وافقت على كل ما قامت به "منظمة التحرير الفلسطينية" من خطوات ماضية ولاحقة من أجل التوصل إلى سلام مع تل أبيب. في المقابل كان على الجميع انتظار انتهاء الحرب الباردة، وذلك في عام 1989، وما تلاها من ضرب العراق في بداية العام 1991، قبل أن يشاركوا بمؤتمر السلام الذي تم عقده برعاية أميركية - روسية، في الوقت نفسه الذي انهار فيه الاتحاد السوفيتي في العام 1991، والذي أسفّر عن جعل روسيا تحت السيطرة الأميركيّة لعقد من الزمن.

وبعد نهاية حرب العراق، كثفت واشنطن جهودها لعقد مؤتمر سلام. وتمكن جايمس بايكر وزير الخارجية الأميركي من إقناع حكومة شامير الإسرائيليّة بالموافقة على مبدأ الأرض مقابل السلام، ومع وجود وفد فلسطيني داخل الوفد الأردني، وسط حضور مراقبين من "منظمة الأمم المتحدة" إلى "مؤتمر السلام"، إلا أن تل أبيب لم تتوافق على الطلب الأخير، إلا إذا كان الفلسطينيون من سكان قطاع غزة أو مدينة الضفة الغربية، وليسوا من مدينة القدس، وذلك في ظل وجود ضمانات أميركية لإسرائيل، بأن لا يكون للأمم المتحدة أي دور في المفاوضات.<sup>325</sup> وبناء على ذلك تم عقد "مؤتمر مدريد" بعد أن سحبّت واشنطن المبادرة من البلدان العربية وفوزها في الحرب الباردة.<sup>326</sup> الامر

<sup>324</sup> مراجعة حافظ الأسد في صحيفة السفير اللبنانيّة في 1 نيسان/أبريل 1989

Claude, Julien, *Amère victoire*, Le Monde Diplomatique, août 1992. p.1<sup>325</sup>

<sup>326</sup> غسان سلامة، "العرب، إسرائيل، أميركا والمفاوضات"، المستقبل العربي، العدد 172، حزيران/يونيو 1993، ص.9-10

الذي اضطر الأسد بـالموافقة على شروط واشنطن كـي لا يصطدم معها. معتمداً ومراهناً في الوقت نفسه على الجانب الإسرائيلي و موقفه المتشدد بهذا الخصوص لعرقلة مؤتمر السلام، الذي سيتم انعقاده وسط ظروف غير مرضية ومناسبة لدمشق من جهة وللعرب من جهة أخرى.<sup>327</sup>

على الجهة المقابلة، أدرك الرئيس بوش أن قيام السلام في منطقة الشرق الأوسط دون دمشق هو أمر غير ممكن أبداً ومستحيل.<sup>328</sup> لكن في الوقت نفسه، عرف الرئيس الأسد انه وسط هذه الظروف الصعبة، لم يكن أمامه أي خيار، سوى الموافقة والقبول بالتعهدات التي تقدّم بها الرئيس بوش لحل النزاع العربي الإسرائيلي وذلك وفق مبدأ "الأرض مقابل السلام"، بناء للقرارين الدوليين 242 و 338.<sup>329</sup>

## دستور العام 1973

في العام 1973 تم إصدار دستور جديد لسوريا كان بدأ الإعداد له منذ العام 1971 تاريخ انتخاب حافظ الأسد رئيساً للجمهورية العربية السورية. وأهم ما جاء في هذا الدستور هو الهوية العربية لسوريا ونضال السوريين والعرب ضد الاستعمار واعتبار ما تحقق في سوريا تويجاً لهذا النضال. كما نصّ الدستور على أن حزب البعث هو القائد للدولة والمجتمع، معتبراً أن "حزب البعث العربي الاشتراكي أول حركة في الوطن العربي أعطت الوحدة العربية محتواها الشوري الصحيح، وربطت بين النضال القومي والنضال الاشتراكي، ومثلت إرادة الأمة العربية وتعلقاتها نحو مستقبل يربطها بحاضريها المجيد، ويؤهلها للقيام بدورها في انتصار قضية الحرية لكل الشعوب".

ومن أهم مواد الدستور أن:

**المادة الأولى:** الجمهورية العربية السورية دولة ديمقراطية شعبية واشتراكية ذات سيادة لا يجوز التنازل عن أي جزء من أراضيها، وهي عضو في دولة اتحاد الجمهوريات العربية. القطر العربي السوري جزء من الوطن العربي. الشعب في القطر العربي السوري جزء من الأمة العربية يعمل ويناضل لتحقيق وحدتها الشاملة.

**المادة الثانية:** السيادة للشعب ويمارسها على الوجه المبين في الدستور.

Claude, Julien, *Amère victoire*, Le Monde Diplomatique, août 1992. p.1. <sup>327</sup>

Seale Patrick, "Israel and Syria; Contradictory aims", Middle East International. Nov. 1996. p. 16 <sup>328</sup>

جود الشيتني، "الأسد يقبل وعد بوش، فلسطين الثورة". العدد 855. في 4/8/1991، ص. 17. <sup>329</sup>

**المادة الثالثة: دين رئيس الجمهورية الإسلام.**

**المادة الحادية عشرة: القوات المسلحة ومؤسسات الدفاع الأخرى مسؤولة عن سلامة أرض الوطن وحماية أهداف الثورة في الوحدة والحرية والاشتراكية.**

**المادة الثالثة عشرة: الاقتصاد في الدولة اقتصاد اشتراكي مخطط يهدف إلى القضاء على جميع أشكال الاستغلال.**

**المادة الحادية والعشرون: يهدف نظام التعليم والثقافة إلى إنشاء جيل عربي قومي اشتراكي علمي التفكير، مرتبط بتاريخه وأرضه، معتز بتراثه مشبع بروح النضال من أجل تحقيق أهداف أمته في الوحدة والحرية والاشتراكية والإسهام في خدمة الإنسانية وتقدمها.**

**المادة السادسة والعشرون: لكل مواطن حق الإسهام في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وينظم القانون ذلك.**

**المادة السابعة والعشرون: يمارس المواطنون حقوقهم ويتمتعون بحريياتهم وفقاً للقانون.**

**المادة الثامنة والثلاثون: لكل مواطن الحق في أن يُعرب عن رأيه بحرية وعلنية بالقول والكتابة وكافة وسائل التعبير الأخرى، وأن يسهم في الرقابة والنقد البناء بما يضمن سلامة البناء الوطني والقومي، ويدعم النظام الاشتراكي، وتケفل الدولة حرية الصحافة والطباعة والنشر وفقاً للقانون.**

**المادة الثالثة والخمسون: يحدّ القانون الدوائر الانتخابية وعدد أعضاء مجلس الشعب، على أن يكون نصفهم على الأقل من العمال والفلاحين، ويبين القانون تعريف العامل والفلاح.**

**المادة الثالثة والثمانون: يشترط في من يرشح لرئاسة الجمهورية أن يكون عربياً سورياً متمتعاً بحقوقه المدنية والسياسية متماً الأربعين عاماً من عمره.**

**المادة الرابعة والثمانون: يصدر الترشيح لمنصب رئاسة الجمهورية عن مجلس الشعب، بناء على اقتراح القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، ويعرض الترشيح على المواطنين لاستفتائهم فيه.**

**المادة الخامسة والثمانون: ينتخب رئيس الجمهورية مدة سبعة أعوام ميلادية تبدأ من تاريخ انتهاء ولاية الرئيس القائم.**

**المادة الحادية والتسعون: لا يكون رئيس الجمهورية مسؤولاً عن الأعمال التي يقوم بها في مباشرة مهامه إلا في حالة الخيانة العظمى، ويكون طلب اتهامه بناء على اقتراح من ثلث أعضاء مجلس الشعب على الأقل، وقرار من مجلس الشعب بتصويت علني وبأغلبية ثلثي أعضاء المجلس بجلسة خاصة سرية، ولا تجري محاكمته إلا أمام المحكمة الدستورية العليا.**

**المادة الثالثة والتسعون:** يسهر رئيس الجمهورية على احترام الدستور، وهو يضمن السير المنظم للسلطات العامة وبقاء الدولة.

**المادة المائة:** يعلن رئيس الجمهورية الحرب والتعبئة العامة ويعقد الصلح بعد موافقة مجلس الشعب.

**المادة مائة وواحد:** يعلن رئيس الجمهورية حالة الطوارئ ويلغىها على الوجه المبين في القانون.

**المادة مائة وثلاثة:** رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للجيش والقوات المسلحة، ويصدر جميع القرارات والأوامر الالزمة لمارسة هذه السلطة، وله حق التفويض ببعض هذه السلطات.

**المادة مائة وسبعة:** رئيس الجمهورية أن يحل مجلس الشعب بقرار معلل يصدر عنه، وتجري الانتخابات خلال تسعين يوماً من تاريخ الحل.

**المادة مائة وعشرة:** رئيس الجمهورية أن يعد مشاريع القوانين ويحالها إلى مجلس الشعب للنظر في إقرارها.

**المادة المائة والتاسعة والثلاثون:** تؤلف المحكمة الدستورية العليا من خمسة أعضاء يكون أحدهم رئيساً يسمّيهم رئيس الجمهورية بنفسه.

**المادة المائة والثالثة والخمسون:** تبقى التشريعات النافذة والصادرة قبل إعلان هذا الدستور سارية المفعول إلى أن تُعدل بما يوافق أحکامه.<sup>330</sup>

---

<sup>330</sup> راجع نص الدستور السوري لعام 1973 على موقع المركز الوطني للأبحاث [ncro.sy/wp-content/uploads/2016/04/19731.pdf](http://ncro.sy/wp-content/uploads/2016/04/19731.pdf)



## الفصل الثاني

### لبنان 1970 – 1991

في سبعينيات القرن الماضي، حدثت تحولات كبرى على المستويين الإقليمي والدولي، الأمر الذي انعكس سلباً على الاستقرار السياسي في لبنان. كما عملت واشنطن ومن عام 1965، على تقديم كل الدعم للانقلابات العسكرية التي شهدتها الدول الاشتراكية، بغية تغيير الأنظمة فيها، فدعت الانقلاب ضد أحمد بن بلة في دولة الجزائر، وفي اندونيسيا دعمت الانقلاب ضد أحمد سوكارنو في العام 1966<sup>331</sup>، وكذلك في مصر حيث دعمت محاولة انقلاب قاتم ضد الرئيس جمال عبد الناصر وذلك في العام 1965<sup>332</sup>، بعدها أتت الضربة العسكرية على يد تل أبيب ضد مصر التي خسرت الحرب وذلك في العام 1967، وأيضاً دعمت واشنطن الانقلاب ضد سيكوتوري وموديوكيتا... وغيرهم من قادة دول العالم الثالث. تزامن ذلك اختيار القيادة في الاتحاد السوفيافي التي خلفت خروتشيف في العام 1965، لخيار الانكفاء وراء الستار الحديدي الذي أنشأته بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، الأمر الذي أصاب ميزان القوى العالمية بالخلل على الصعيدين الإقليمي والدولي لصالح واشنطن وحلفائها، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط، بعد أن خسرت سوريا ومصر حرب حزيران 1967 أمام إسرائيل. في الوقت نفسه، أدى النزوح الكثيف من الريف اللبناني إلى المدن، إلى تشكيل أحيا ملية بالبؤس والفقر طوقاً يحيط بالمدن اللبنانية وفي مقدمتها العاصمة بيروت، حيث كان الفقراء يتنافسون في ما بينهم من أجل الحصول على فرصة عمل ضمن سوق تجارية ضيقة، وذلك بسبب ضعف الصناعة اللبنانية. بالإضافة إلى تشكيل المخيمات الفلسطينية، إلى نقطة تجمع فيها أبناء الريف اللبناني الذين نزحوا إليها، فاختلطوا مع الفلسطينيين وتزاوجوا معهم، فكونوا نسيج فقر واحد معاً. حيث عملوا بعدها إلى العمل من أجل الحصول على حقوقهم الاجتماعية والاقتصادية، الأمر الذي ساهم في انتشار الأحزاب القومية واليسارية، مما شكل خطراً على أركان الاستقطاب الطائفي، الأمر الذي هدد أساس النظام الطائفي الموجود في لبنان. تزامن مع ذلك صعود برجوازية جديدة خالطة البرجوازية اللبنانية التي كان معظمها من الطائفة

<sup>331</sup> Deidre Griswold, Indonesia the Second Greatest Crime in History, Workers.org

Steven Cook, The Struggle for Egypt: From Nasser to Tahrir Square, Oxford: Oxford University Press, <sup>332</sup> p. 90. 2012,

المسيحية، وهذه البرجوازية الجديدة كانت ذات طابع سني وشيعي، والتي نتجت بسبب الطفرة النفطية في منطقة الخليج، وكذلك الاغتراب اللبناني في مناطق أفريقيا. وعملت هذه الفئات البرجوازية إلى تقديم كل الدعم المطلوب إلى الأحزاب الطائفية، مثل: "حركة أمل" و"حزب الكتائب"، وذلك من أجل الوقوف في وجه الأحزاب اليسارية والقومية التي اجتمعت تحت مسمى "الحركة الوطنية" بقيادة كمال جنبلاط الزعيم الدرزي، حيث كان تُعد منزلته متقدمة ضمن تسلسل تراتبيات الزعامات الطائفية في لبنان، وقد حاول كمال جنبلاط أن يعزز مكانته من خلال قيادته للأحزاب اليسارية.<sup>333</sup>

في ذلك الوقت كان العرب ما زالوا تحت تأثير صدمة خسارة حرب حزيران العام 1967، والتي استطاعت تل أبيب بنتيجة فرض سيطرتها واحتلال المزيد من الأراضي العربية غزة والضفة الغربية، وسيناء وهضبة الجولان السوري. ومن نتائج حرب حزيران ظهور الكفاح المسلح الفلسطيني، كما تم انتخاب زعيم "حركة فتح" ياسر عرفات رئيساً للجنة التنفيذية لـ"منظمة التحرير الفلسطينية" وذلك في العام 1969. وقد أدى اتخاذ "منظمة التحرير الفلسطينية" من الساحة اللبنانية نقطة انطلاق لعملياتها الفدائية ضد المحتل الصهيوني، إلى تزايد نسبة الضغوط على النظام اللبناني الضعيف أصلاً، والذي أدى بطبيعة الحال إلى تفجيره لاحقاً. بالإضافة إلى التراجع الاقتصادي، الذي كان سبباً في ظهور حركات اجتماعية اجتماعية، وعممت التظاهرات العمالية الشوارع وذلك بين الفترة من 1970 و1975، في الوقت نفسه التي كانت "منظمة التحرير الفلسطينية" نقلت مركزها إلى بيروت، وذلك بعد أحداث "أيلول الأسود" في الجمهورية الأردنية الهاشمية، حيث حدثت مواجهة بين الفلسطينيين من جهة، والجيش الأردني من جهة أخرى، انتهت بتطويق الجيش الأردني لهم وانتصاره عليهم، ثم طردتهم من الأردن وذلك في العام 1970.<sup>334</sup>

## تحولات السبعينيات والستينيات

كما كانت فترة السبعينيات مرحلة تكون النخب الاقتصادية التي فرضت هيمنتها على لبنان. فخلال فترة القرن التاسع عشر، كانت هناك عائلات هي في حقيقة الأمر تجتمع من "كتلة عليا من عائلات" يحوي أمراء الحرب، وأصحاب الأعمال والتجار، الذين هيمنوا على المصالح الخاصة،<sup>335</sup> حيث جمع

<sup>333</sup> إغور تيموفيف، كمال جنبلاط، الرجل والأسطورة، بيروت: دار النهار للنشر، 2001، ص. 97.

<sup>334</sup> Kamal Salibi, *Crossroads to Civil War*,

<sup>335</sup> كمال ديب، أمراء الحرب وتجار البيكل: خبابا رجال السلطة وأعمال في لبنان، بيروت: الفارابي، 2017، ص. 28.

التحالف هذا العائلات المركنتالية التي تمركزت في منطقة الساحل، كما تمركزت الزعامات الإقطاعية في منطقة جبل لبنان. حيث تلاقي المحوران اقتصادياً في مدينة بيروت التي أعطت الأولوية لتعزيز المصالح التجارية فيها، وذلك على حساب الريف الذي كان يعني من أزمات عدّة، والتي أدّت في ما بعد إلى تفجر الوضع في جبل لبنان وبعدها دولة لبنان الكبير ثم الجمهورية اللبنانية.<sup>336</sup> كما تم تعزيز هذه الطبقة التجارية ودورها في فترة الانتداب الفرنسي بين عامي 1920 و1943<sup>337</sup> والتي كانت غالبتها من الكاثوليك والروم الأرثوذكس، بالإضافة إلى عدد قليل من العائلات البرجوازية من الطائفة السنّية والمارونية. والتي ارتبطت بغالبية مصالحها مع الرأس المال الفرنسي وذلك منذ القرن التاسع عشر.<sup>338</sup> وما لبث أن تبدل الحال بعد الحرب العالمية الثانية، حيث ربطت هذه الطبقة البرجوازية المركنتالية علاقاتها التجارية مع الرأس المال البريطاني، وبعدها ربطته بالأميركي، خاصة في فترة السبعينيات من القرن الماضي، ثم لاحقاً.

وفي فترة الخمسينيات من القرن الماضي، تطّعّمت هذه الطبقة المركنتالية بصعود طبقة من الأغنياء الجدد، الذين ارتبطوا بالبترودولار - الخليجي، الذي سيلacci ازدهاراً كبيراً، إثر الطفرة النفطية في منطقة الخليج العربي، مثل: الكويت وال السعودية والإمارات وقطر والبحرين. وخير مثال على ذلك، هو يوسف بيدس الذي يُعد أبرز شخصيات هذه الطبقة من الأغنياء الجدد، والتي ارتبط صعودها وظهورها بالبترودولار - الخليجي، حيث استطاع تأسيس إمبراطورية مالية كبرى هي "انترا"، أصبحت في ما بعد أكبر كارتل مالي في منطقة الشرق الأوسط، خلال فترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي. واستطاع بيدس بكتفه من أن يخترق نادي النخب اللبناني، التي تحالفت ضده لتنهار وتسقط إمبراطوريته 1966.<sup>339</sup> وذلك بدعم من واشنطن التي كانت تخشى من أن يقوم بيدس بتأييد ودعم المقاومة الفلسطينية وجمال عبد الناصر. وعدّت مؤامرة إفلاس إمبراطورية بيدس وانهيارها، ضربة أميركية في وجه المشروع القومي العربي بزعامة جمال عبد الناصر.<sup>340</sup> كما ظهرت خلال فترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، فئة برجوازية من الطائفة الشيعية جمعت ثروتها من أفريقيا، حيث وجدت في الإمام موسى الصدر دعوته، ملذاً وسندًا لها بالإضافة إلى كونه الممثل السياسي لطّلّعاتها ضد الإقطاع الشيعي التقليدي الذي كان يتزعّمه آل الأسعد. وقد أدى هذا الأمر في ما بعد إلى تصدّع أصابع نادي النخب المركنتالية، وإلى تعدد ولاءاتها وتوزّعها

<sup>336</sup> المرجع نفسه، ص. 30

<sup>337</sup> المرجع نفسه، ص.ص. 112 - 114

<sup>338</sup> المرجع نفسه، ص.ص. 121.

<sup>339</sup> كمال ديب، يوسف بيدس: إمبراطورية انترا وحيتان المال في لبنان 1949 - 1968، بيروت: المكتبة الشرقية، 2017، ص. 53.

<sup>340</sup> راجع كمال ديب، يوسف بيدس امبراطورية انترا وحيتان المال، بيروت: المكتبة الشرقية، 2017.

على القوى الإقليمية والعالمية، مما سيساهم في زيادة تنافسها في ما بينها، من أجل تمكين وتعزيز هيمنتها في لبنان، وبالتالي تدعيم مواقف القوى الكبرى التابعة لها.

## الحرك الاجتماعي والسياسي

كانت الانتخابات اللبنانية التي تم إجراؤها في العام 1972، خير دليل على التصدع الذي أصاب بنية النظام الطائفي اللبناني، وذلك لصالح الطبقات الوسطى والفقيرة التي استطاعت أن تخترقه وإن كان بحسب قليلة، لكنها ذات أهمية وإشارات كبرى في المجلس النيابي اللبناني، والذي يُعد حكراً على النخب اللبنانية فقط. ففي مدينة طرابلس تمكن الدكتور عبد المجيد الرافعي من الفوز، وهو مثل حزب البعث العراقي في لبنان، حيث حجز لنفسه مقعداً نيابياً خارقاً بذلك قائمة رشيد كرامي الزعيم الطرابلسي ورئيس الحكومة السابق، ومتفوغاً عليه في نسبة عدد الأصوات.<sup>341</sup> أما في صور فقد فاز الدكتور علي الخليل، فيما سجل الاختراق الأبرز والأهم الذي حصل في مدينة بيروت، حيث فاز وللمرة الأولى فقير من أبناء الريف، وهو نجاح واكيم الذي حجز مقعداً نيابياً، خارقاً بذلك قائمة صائب سلام رئيس الحكومة، ومتفوغاً عليه بنسبة عدد الأصوات، فقد حصد ضعف الأصوات التي انتخب سلام. ونشير هنا، إلى أن نجاح واكيم ينحدر من عائلة فقيرة من قرية البربرة التابعة لقضاء جبيل، حيث كان والده يعمل أستاداً ثانوياً، كما درس في مدرسة الجامعة الوطنية في منطقة عاليه،<sup>342</sup> بالإضافة إلى ذلك كان هناك اختراق أيضاً في صيدا حققه النائب معروف سعد، وذلك منذ الخمسينيات من القرن الماضي، حيث خسر في الانتخابات التي أجريت في العام 1972.

في الوقت نفسه بدأت القوى العلمانية واليسارية تحالف ضمن ما سيعرف بـ"الحركة الوطنية"، بقيادة كمال جنبلاط الزعيم الدرزي، الذي كان يصرّح بأنه يريد الخروج من عباءة عائلته الإقطاعية والطائفية. حيث تكونت الحركة الوطنية من: "الحزب التقدمي الاشتراكي" بقيادة جنبلاط، وـ"الحزب الشيوعي اللبناني" الذي تم تأسيسه في العام 1924، وـ"منظمة العمل الشيوعي" بقيادة محسن

<sup>341</sup> الانتخابات النيابية في طرابلس 1972، البيان 19 - 1 - 2018.

<http://www.albayanlebanon.com/news.php?id=4951&idC=10>

<sup>342</sup> السي أبي عاصي، نجاح واكيم، برنامج زيارة خاصة، قناة الجزيرة، 8 تشرين الأول أكتوبر 2011.

<sup>343</sup> بوابة صيدا - الشهيد معروف سعد: سيرة مناضل حتى الشهادة، موقع صيدا غيت،

<http://www.saidagate.net/Show-4683>

إبراهيم، و"الحزب السوري القومي الاجتماعي - جناح انعام رعد، و"حزب البعث العربي الاشتراكي" بفرعيه السوري والعراقي، و"حركة الناصريين المستقلين المراقبون" بقيادة إبراهيم قيلات، و"التنظيم الشعبي الناصري" بقيادة النائب معروف سعد، و"الحزب الديمقراطي الشعبي" بقيادة نزيه حمزة، بالإضافة إلى مجموعات من الأحزاب التنظيمات والتشكيلات الأخرى ذات التوجه اليساري والعلمي. وبعد فترة وجيزة من اندلاع فتيل الحرب الأهلية اللبنانية، تضمن نص برنامج الحركة الوطنية على: "إلغاء الطائفية السياسية كمرحلة نحو الوصول إلى العلمنة الكاملة للنظام السياسي، وإزالة كل أثر للصيغة الطائفية في جميع مجالات الحياة اللبنانية، ونقطة البداية تتمثل في إلغاء الطائفية السياسية في مجال التمثيل الشعبي وفي الإدارة والقضاء والجيش".<sup>344</sup> كما أكد البرنامج ضرورة العمل على "إلغاء الطائفية السياسية، وجعل لبنان كله دائرة وطنية واحدة، والأخذ بنظام التمثيل النسبي، وتخفيض سن الانتخاب لثمانية عشر عاماً، والاستخدام المتساوي والمجانى لأجهزة الإعلام الرسمية في الدعاية الانتخابية، واعتبار الرشوة جنحة وتشدد في معاقبتها، إخضاع النائب لمراقبة ديوان المحاسبة وملحكمة الإثراء غير المشروع، ووضع سن لتقاعد النواب في الرابعة والستين".<sup>345</sup> كذلك أكد البرنامج المرحلي على "تقسيم جديد للمحافظات وإنشاء مجالس جديدة من شأنها إقرار موازنات محلية، وإعادة تنظيم البلديات"، وطالب أيضاً باعتماد "طريقة الاستفتاء الشعبي العام والمبادر حول بعض المواضيع المهمة وتكون نتيجة الاستفتاء ملزمة للمجالس التمثيلية والسلطات التنفيذية، ومنع الجمع بين الوزارة والنيابة وإعطاء حق الطعن بالقوانين لجميع المواطنين وإقرار قانون محاسبة جرائم الإثراء غير المشروع وإصلاح الإدارة العامة وتنعيمها ومكافحة الفساد فيها".<sup>346</sup> وفي الختام شدد البرنامج المرحلي للحركة الوطنية بضرورة تعزيز "الحقوق المدنية والحرفيات العامة وإعطاء المرأة حقوقها، وتعزيز الحركة النقابية ومنحها مزيداً من السلطات للدفاع عن حقوق العمال، وإجراء تعديل على قانون الصحافة بما يضمن حريتها وديمقراطيتها واستقلاليتها عن سلطتي السياسة والمال حتى تكون أمينة في التعبير عن الرأي العام".<sup>347</sup>

<sup>344</sup> البرنامج المرحلي للحركة الوطنية اللبنانية، وثائق الحركة الوطنية 1975 - 1981، بيروت، 1981، ص.ص. 5 - 24.

<sup>345</sup> البرنامج المرحلي للحركة الوطنية اللبنانية، وثائق الحركة الوطنية 1975 - 1981، بيروت، 1981، ص.ص. 5 - 24.

<sup>346</sup> البرنامج المرحلي للحركة الوطنية اللبنانية، وثائق الحركة الوطنية 1975 - 1981، بيروت، 1981، ص.ص. 5 - 24.

<sup>347</sup> البرنامج المرحلي للحركة الوطنية اللبنانية، وثائق الحركة الوطنية 1975 - 1981، بيروت، 1981، ص.ص. 5 - 24.

في المقابل تشكلت في بداية الحرب الأهلية جبهة تضم الأحزاب المسيحية ومن ضمنها حزب الكتائب اللبناني وحزب الوطنيين الاحرار وحزبين صغيرين هما حزب التنظيم وحزب حراس الأرض، إضافة إلى قوات المردة بزعامة طوني فرنجية ابن الرئيس سليمان فرنجية.

## البعد الإقليمي والدولي للأزمة اللبنانية

عُدّت الأزمة اللبنانية في جانب منها امتداداً للنزاع العربي - الإسرائيلي، الذي ومنذ إنشائه في العام 1948، شكلت إسرائيل تهديداً للدول العربية، كما لعب الكيان الصهيوني دوراً في كونه أداة للقوى الاستعمارية وفي مقدمتها واشنطن في بسط سيطرتها على دول المنطقة. وبعد انتهاء أزمة السويس، أرسل دافيد بن غوريون مؤسس الكيان الصهيوني رسالة إلى دولت أينها ور الرئيس الأميركي، يطالبه فيها بعدم قيام أي دولة عربية بدور لاعب أساسي فيها، مؤكداً أن النظام الإقليمي يجب أن يستند إلى تحالفات مع دول غير عربية، هي: إيران وتركيا وإثيوبيا وإسرائيل.<sup>348</sup>

واستطاعت تل أبيب من توجيه ضربة موجعة من خلال انتصارها على سوريا ومصر والأردن في حرب حزيران التي سُمّيت بالنكسة وذلك في العام 1967. مما سيؤدي إلى نقل النزاع العربي - الإسرائيلي إلى مرحلة جديدة تلعب فيه المقاومة الفلسطينية دوراً أساسياً.<sup>349</sup> وعملت بعدها كل من سوريا ومصر إلى إعادة تشكيل وبناء قواتهما العسكرية بعد نكسة حزيران العام 1967، من أجل تحرير أراضيهما التي خسرتها أمام إسرائيل. بعدها تسلم أنور السادات الحكم في مصر، بعد وفاة جمال عبدالناصر في شهر أيلول/سبتمبر من العام 1970، ثم بعد قربة الشهرين تمكن حافظ الأسد من الوصول إلى سدة السلطة في سوريا، بقيامه بانقلاب أبيض ضد كل من صلاح جديد ونور الدين الأتاسي. وعمل السادات على بعث رسائل بشكل سري إلى واشنطن يعلن رغبته بالوصول إلى حل سلمي للنزاع العربي - الإسرائيلي. بالتزامن مع محاولات الأسد تحسين علاقاته السياسية

---

Haykal Mohammad Hassanein : « *Am mina al Azamat, 2000 2001* » Almisriya lil Nashr al Arabi<sup>348</sup> wa Dawli 4e édition décembre 2001, p.244- 278.

Diab, Mohammed, Zuhayr. « *El Mawquef El Souri min El Taswiya El Silmeyeh l'il Nizaa El-Arabi - El-Israeli* » p. 85.<sup>349</sup>

مع السعودية وبقية الدول العربية وخاصة مصر، وذلك ضمن الاستعدادات التي كان يقوم بها الأسد لحرب حتمية مع الكيان الصهيوني.<sup>350</sup>

وقام الجيشان السوري والمصري في شهر تشرين الأول/أكتوبر من العام 1973، بشن حرب منسقة من جهة الغرب وجهة الشرق ضد الكيان الصهيوني. وتمكن الجيش المصري خلال ساعات عدة من عبور قناة السويس والقضاء على خط بارليف الذي أقامته إسرائيل حتى قمع الجيش المصري من تنفيذ العبور، الذي عبر القناة وأنشأ خطًا دفاعيًّا بعمق من 10 إلى 20 كم. أما على الجهة الشرقية، فقد استطاعت المدرعات التابعة للجيش السوري من تحقيق اخترق في التحصينات التي أقامها الجيش الإسرائيلي في هضبة الجولان المحتل، واستطاعت الوصول خلال ساعات عدة إلى بحيرة طبرية. وحدث ما لم يكن في الحسبان، حيث كانت رغبة السادات هي القيام بحرب ذات نطاق محدود بعكس ما تم إبلاغه للرئيس الأسد، وإثر ذلك تم وقف هجوم الجيش المصري على إسرائيل بعد مرور 48 ساعة على بداية الحرب، الأمر الذي دفع الجيش الإسرائيلي إلى وضع كل إمكاناته لصد هجوم الجيش السوري، الذي بقي وحيدًا في ساحة المعركة، ووجهًاً لوجه ضد التفوق الإسرائيلي، الذي بدأ بالتقدم حتى وصل إلى محيط بلدة سعسع، فعُدَ ذلك تهديدًا للطرق الواصلة إلى العاصمة دمشق. كما عمل الجيش الإسرائيلي على القيام بهجوم مضاد ضد الجيش المصري، فأحدث ثغرات في الدفاعات المصرية وذلك في منطقة الدفرسوار، الأمر الذي أدى إلى محاصرة الجيش المصري الثالث، وإسقاط كل الإنجازات العسكرية العربية التي تحققت في بداية الحرب.<sup>351</sup> وإثر هذه الحرب في بداية العام 1974 قامت مصر بالتوقيع مع الجانب الإسرائيلي على "اتفاقية سيناء الأولى"، والتي نصت على ضرورة فصل القوات بين الطرفين. ثم بعد ذلك تم إلهاقها بمعاهدة أخرى هي: "سيناء الثانية" في بداية العام 1975، فتم إخراج مصر عمليًّا من النزاع العربي - الإسرائيلي، هكذا بقيت سوريا والجبهة الشرقية وحدها، تواجه التفوق الكبير للقوات العسكرية الإسرائيلية.<sup>352</sup> وبعدها بأشهر عدة تم إقامة مؤتمر للسلام في مدينة جنيف بين الدول العربية من جهة، وإسرائيل من جهة أخرى تحت رعاية كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، لكن هذا المؤتمر لم يتوصل إلى حل شامل للنزاع العربي - الإسرائيلي، وذلك بسبب التعتن في الموقف الصهيوني. الأمر الذي أجبر أنور السادات على اتخاذ و اختيار طريق الحل

Mclaurin R.D. and Mughisuddin, Muhammad and Wagner, Abraham. Foreign Policy Making in the <sup>350</sup> Middle East, Domestic Influences on Policy in Egypt, Irak and Syria, p. 246.

<sup>351</sup> باتريك سيل، الأسد: الصراع على الشرق الأوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987، 319.  
<sup>352</sup> Drysdale, Alasdair; "The Assad Regime and its Troubles", Merip Reports, Nov/Dec 1982.

المنفرد مع الجانب الإسرائيلي، والذي بدأ بزيارة السادات لمدينة القدس في 19 نوفمبر 1977)، وبعدها دخول السادات في طريق آخر نتج عنه توقيع "اتفاقية كامب ديفيد" في العام 1978 مع الطرف الإسرائيلي، الأمر الذي أدى وبشكل نهائي إلى خروج مصر من النزاع العربي - الإسرائيلي.<sup>353</sup> وبذلك أصبحت تل أبيب صاحبة القرار ولها حرية الحركة والتصريف في الجبهة الشرقية ضد باقي الدول العربية.<sup>354</sup>

الأمر الذي دفع دمشق في محاولة منها للتعويض عن خسارة مصر إلى الاسراع في تشكيل جبهة شرقية بزعامتها تضم كلاً من: منظمة التحرير الفلسطينية والأردن ولبنان.<sup>355</sup> الذي كان يُعد بالنسبة إلى سوريا محوراً هاماً، حيث يشاركان بحدود طويلة، يُضاف إليه الترابط التاريخي بين المجتمعين السوري واللبناني، بالإضافة إلى كون لبنان دائماً يشكل الخاصرة الرخوة لسوريا، والذي كان نقطة انطلاق لغالبية الانقلابات التي حدثت في سوريا خلال الفترة الممتدة بين عامي 1949 و1970. وفي فترة حرب أكتوبر من العام 1973، كان لبنان يشكل امتداداً لجبهة سوريا في المواجهة ضد إسرائيل.<sup>356</sup> ولهذا الأمر عندما اشتعل قتيل الحرب الأهلية على الساحة اللبنانية في ربيع 1975، كانت دمشق ترى في جانب من جوانبها محاولة إسرائيلية لافتعال خلل في الساحة اللبنانية، يكون مقدمة لأحداث حالة من الفوضى وعدم استقرار في الساحة السورية، خاصة أن إسرائيل ومنذ فترة الثلاثينيات والأربعينيات كانت على علاقات تعاون وتحالف مع أطراف مسيحية لبنانية، وأيضاً إسلامية، حيث كان لعبت دوراً رئيسياً في الحرب.<sup>357</sup>

مما دفع بالأسد إلى التدخل السريع في الأزمة اللبنانية، من خلال إعطاء الأمر لقواته بالدخول للبنان وذلك في ربيع عام 1976، من أجل الحد من تفاقم تأزم الأوضاع في لبنان، والتي

<sup>353</sup> عبد الله السيد ولد اباه، التسوية في الشرق الأوسط ومستقبل النظام العربي، المستقبل العربي عدد 192، شباط فبراير 1995، ص. 34.

<sup>354</sup> جعفر قاسم محمد، سوريا والاتحاد السوفييتي، دراسة في العلاقات العربية السوفياتية، لندن: رياض الرئيس، 1987، ص. 50.

<sup>355</sup> McLaurin R.D. and Mughisuddin Muhammad and Wagner, Abraham. "Foreign Policy Making in the Middle East, Domestic Influences on Policy in Egypt, Irak and Syria", p. 254.

<sup>356</sup> Ma'oz, Moshe; "Assad the Sphinx of Damascus, a Political Biography". London, Widenfield and Michalson, 1988, p. 288.

<sup>357</sup> Harris, William; "Syria in Lebanon". Merip Reports, Juillet – Aout, 1985, p. 76.

تشكل تهديداً مباشراً للاستقرار السياسي في سوريا، وأيضاً منع تل أبيب من فرض هيمنتها على لبنان.<sup>358</sup>

الدخول السوري العسكري على الساحة اللبنانية، حصل على تأييد ومبرأة من الجانب الأميركي، وذلك بسبب خشية واشنطن من زيادة نفوذ "منظمة التحرير الفلسطينية" في لبنان. في الوقت نفسه كان الرئيس الأسد قلقاً من العلاقات الوثيقة التي ربطت بين "منظمة التحرير الفلسطينية" وحلفائها من الأحزاب اليسارية التابعة للعراق، حيث كان على خلاف مع سوريا منذ ستينيات القرن الماضي.<sup>359</sup> كما شُكّ الرئيس الأسد في نيات عرفات بما يتعلق في الالتحاق بتركيب الرئيس أنور السادات للوصول إلى حل منفرد مع الطرف الإسرائيلي، في الوقت ذاته الذي تسعى فيه دمشق إلى وضع عقبات في طريق هذه المساعي التي تأتي على حساب الحقوق العربية. بالإضافة إلى أن تزايد قوة "منظمة التحرير الفلسطينية" الذي أعطى حجة لعدد من الأحزاب اللبنانية، منها: الوطنيين الأحرار، والكتائب، وحراس الأرز والتنظيم، حتى تبرر وتفسّر علاقاتها مع الجانب الإسرائيلي.<sup>360</sup> الامر الذي ظن فيه الرئيس الأسد أنه لو استطاع النجاح في السيطرة على لبنان، فهذا سيساعده من فرض كامل سيطرته على قادة "منظمة التحرير الفلسطينية" وبالتالي منعها من التوقيع بشكل منفرد على اتفاقية سلام مع الطرف الإسرائيلي. كذلك هذا الأمر سيدعم موقفه في منع الحسين بن طلال الملك الأردني من التوقيع بشكل منفرد أيضاً مع تل أبيب. خاصة أن الرئيس الأسد كان على علم بالعلاقات التي كانت بين الجانبين الأردني والإسرائيلي وذلك خلال فترة العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي.<sup>361</sup> لذا عمل الأسد على إيجاد تسوية للأزمة اللبنانية من خلال القيام بتعديلات بسيطة على الدستور اللبناني والتي عُرفت بـ"الوثيقة

---

Chalala, Elie; "Syrian Policy in Lebanon, Moderate Goals and Pragmatic Means". *Journal of Arab Affairs*, vol. 4, no. 1, 1985, p. 70.

Harris, William. "Syria in Lebanon". p. 78.<sup>359</sup>

Devlin, John; "Syria: Modern state in an ancient land", Westview Press, Boulder Colorado, 1ère édition<sup>360</sup> 1983, p. 120.

Drysdale, Alasdair and Hinnebusch Raymond; "Syria and the Middle East Peace Process", p. 74.<sup>361</sup>

الدستورية"، وشكلت في ما بعد أساس "اتفاق الطائف".<sup>362</sup> لكن، الأزمة اللبنانية، امتدت لمدة 15 سنة، وذلك بسبب تحويل لبنان ميداناً لتصارع فيه القوى الإقليمية والعالمية المختلفة.

تراجع النفوذ السوري في لبنان مع بداية العام 1978، في الوقت الذي كانت مصر تعمل على توقيع سلام منفرد مع الجانب الإسرائيلي.<sup>363</sup> وكان معروفاً الموقف السوري المعارض لاتفاق هكذا، لذا عملت واشنطن على ممارسة أنواع الضغوط كافة على سوريا ضمن الساحة اللبنانية، وذلك ظهر بتلويح الياس سركيس الرئيس اللبناني بعدم إمكانية التجديد لقوات الردع العربية الموجودة ضمن الأراضي اللبنانية. جاء ذلك متزامناً مع التصعيد الذي قامت به أطراف لبنانية وفي مقدمتها بشير الجميل قائد القوات اللبنانية، والجبهة اللبنانية، حيث عملت على توجيه الانتقاد إلى قوات الردع العربية والدور الذي تلعبه في لبنان. هذه البيانات الصادرة عنهم سبق وقام الرئيس الأسد بانتقادها، فقد دعت بيانات الجبهة اللبنانية إلى قيام نظام الفدرلة، والتي اعتبرها الأسد دعوات تؤدي إلى تقسيم لبنان.<sup>364</sup> وضمن هذا الجو المتفاقم بالأزمات والتصريحات التي أثارت جدلاً، أتت "حادثة الفياضة" في شهر شباط/فبراير من العام 1978، والتي أسفرت عن عدد كبير من القتلى والجرحى، ثم حدث اشتباك بين الجيش اللبناني والقوات السورية وذلك ضمن محيط وزارة الدفاع اللبنانية في منطقة اليرزة. على أثرها جاء إعلان وزارة الخارجية الأمريكية عن خشيتها من تجدد القتال مرة أخرى في لبنان، وأنها تراقب عن كثب تطورات الوضع. في الجانب الآخر قامت وزارة الخارجية السوفيتية بتوجيهه أصابع الاتهام إلى تل أبيب، بأنها وراء هذا الحادث المفتعل.<sup>365</sup> وبعد ذلك بحوالي شهر اجتاحت إسرائيل منطقة الجنوب اللبناني وحتى نهر الليطاني، في الوقت نفسه الذي أعلنت فيه "الجبهة اللبنانية" تأجيل إعلان موقفها في ما يخص موضوع قوات الردع السورية المتمركزة على الأراضي اللبنانية.<sup>366</sup> وفي ليلة 13 و14 من شهر آذار/مارس، بدأت عملية الاجتياح الإسرائيلي للبنان، بذرية أنها تريد القضاء على "الإرهابيين" الذين يشكلون تهديداً لأمن المستوطنات الإسرائيلية في منطقة الجنوب اللبناني. وذلك من خلال العمل على تدمير قواعدهم التي استخدموها كنقطة انطلاق لعملياتهم، كذلك العملية التي قامت بها دلال المغربي

---

Saliba, Najib; "Syrian-Lebanese Relations". Ed dans Barakat, Halim, "Toward a viable Lebanon", Groom<sup>362</sup> Helm, London, 1988, p. 152

Abu Khalil, Assad; "Syria and the Arab-Israeli Conflict", p. 84.<sup>363</sup>

وثائق الحرب اللبنانية لعام 1978، ص. 99.<sup>364</sup>

المراجع نفسه، ص. 100.<sup>365</sup>

المراجع نفسه، ص. 109.<sup>366</sup>

ومجموعتها في شمالي فلسطين المحتلة. هذا واستمر الإسرائييليون في عدوانهم على الأراضي اللبنانية لمدة أسبوعين، حيث انتهى بإصدار قرار عن مجلس الأمن الدولي رقم 425 يقضي بضرورة سحب إسرائيل قواتها الغازية، على أن تحل مكانها قوات دولية تعمل على مراقبة الحدود. بعدها عمل الأميركيون على تشجيع حلفائهم في القوات اللبنانية والجبهة اللبنانية على ضرب القوات السورية المتمركزة ضمن الأراضي اللبنانية وذلك بحجة العمل على تحرير المناطق المسيحية منهم، وسميت هذه الحرب بـ"حرب المئة يوم"، والتي توقفت في أواخر صيف ذلك العام بعد انسحاب القوات السورية من كافة المناطق التي تقطنها غالبية مسيحية.<sup>367</sup> في وقت ساءت فيه العلاقات السورية مع "منظمة التحرير الفلسطينية"، وذلك نتيجة لخشية الأسد من نية عرفات ورغبته في الانضمام إلى محادثات السلام التي كانت تجري بين الجانبين المصري والإسرائيلي، والتي نصّت على قبوله بحكم ذاتي للفلسطينيين، مما يعني عملياً عزل سوريا.<sup>368</sup>

## اجتياح لبنان

تمكن رونالد ريجن من الوصول إلى سدة الرئاسة في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك في بداية العام 1981. وعرف عهده توترةً كبيرةً في العلاقات مع كتلة الدول الاشتراكية والاتحاد السوفيتي. الأمر الذي استغلته تل أبيب وصعدت مواقفها ضد سوريا خاصة في لبنان. وعملت سوريا مسبقاً على توقيع "اتفاقية صداقة" مع الاتحاد السوفيتي<sup>369</sup> الذي كان في حالة تردد حول إمكانية مواجهته لواشنطن في منطقة الشرق الأوسط، وذلك بسبب انشغاله بأزمتي بولندا وأفغانستان.<sup>370</sup> وفي ظل هذه الظروف حدث في إسرائيل تعديل طال الحكومة الإسرائيلية، حيث تسلّم منصب وزير الدفاع ارييل Sharon، الذي عُدّ عالمة لتصعيد شديد الحدة في منطقة الشرق الأوسط.<sup>371</sup> حيث كانت

Chalala, Elie; "Syrian Policy in Lebanon, Moderate Goals and Pragmatic Means". p. 74.<sup>367</sup>

Ma'oz, Moshe and Yaniv, Evner; "On a Short Leash, Syria and the PLO". In Maoz Moshe and Yaniv<sup>368</sup> Evner eds; "Syria Under Assad, Domestic Constraints and Regional Risks", Groom Helm, London, 1ere edition 1986, p. 201.

Karsh, Efriam; "The Soviet Union and Syria, the Assad Years". p. 55.<sup>369</sup>

Roberts, David; "The USSR and Syrian Perspective". p. 229<sup>370</sup>

جوناثان راندل، حرب الألف عام في لبنان، بيروت: دار المروج، 1984، ص. 243.<sup>371</sup>

إسرائيل ترغب في إحداث خلل في ميزان القوى الموجود في الساحة اللبنانية، وذلك من خلال العمل على تقديم الدعم لحليفها بشير الجميل من أجل الوصول إلى رئاسة الجمهورية اللبنانية، حتى يستطيع بعدها توقيع اتفاقية سلام مع الجانب الإسرائيلي بما يساعد على كسر العزلة المفروضة على مصر.<sup>372</sup> هذا الامر عملت تل أبيب على تنفيذه مع وصول رihan للبيت الأبيض في واشنطن وذلك في العام 1982.<sup>373</sup> فزادت الخشية الإسرائيلية من قيام انتفاضة داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، وظن قادة الكيان الصهيوني انهم إذا سعوا إلى القضاء على "منظمة التحرير الفلسطينية" في الأراضي اللبنانية، فهذا من شأنه أن يقوّض الانتفاضة داخل الأراضي المحتلة.<sup>374</sup>

وبناء لهذا الوضع كانت "معركة زحلة" التي قامت بين القوات اللبنانية من جهة، والقوات السورية من جهة ثانية، بداية الاجتياح الإسرائيلي، حيث هدفت إلى إحداث خرق داخل الدفاعات السورية في منطقة البقاع، الأمر الذي يعني إمكانية اخترافه من قبل إسرائيل، وتشكيكه تهديداً فعلياً للطريق الوالص بين بيروت والعاصمة دمشق. واستطاع أفراد تابعون للقوات اللبنانية من الوصول إلى زحلة حيث عملوا على ضرب القوات السورية المتمركزة على أطراف المدينة وذلك في الأول من شهر نيسان/أبريل العام 1981. الأمر الذي دفع بالقوات السورية إلى فرض حصار عسكري حول المدينة وضربها بامدادات. بعدها عملت القوات السورية على توسيع نفوذها وسيطرتها حول مدينة زحلة، من خلال التمركز على مرتفعتات جبل صنين بالإضافة إلى منطقة الزعرور، ما جعلها تتحكم بالطريق الوالصلة بين مدينة زحلة ومنطقة جبل لبنان. وقام الإسرائيليون بالرد على ذلك بإسقاط طائرة هليكوبتر تابعة للقوات السورية فوق منطقة صنين والبقاع، مما دفع القيادة في سوريا إلى الإسراع بنشر بطاريات الدفاع الجوي في البقاع، حيث شكلت تهديداً لسلاح الطيران الإسرائيلي فوق الأراضي اللبنانية. بعدها تمت تسوية النزاع عن طريق اتفاق هدنة بوجبه تسحب القوات اللبنانية ميليشياتها من المدينة، وقد تم تأكيد هذا الاتفاق في شهر حزيران/يونيو من العام 1981.

في شهر حزيران/يونيو من العام 1982، في لندن جرت محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي، اتخذتها القيادة الإسرائيلية حجة تبرر عملية اجتياحها للبنان، الذي بدأ في 4 حزيران/يونيو من العام 1982،

---

Elezzi Ghassan ; "De la Paix en Galilée à la Relance de la Guerre Civile, Quand l'Armée Israélienne <sup>372</sup>  
"sauvait" le Liban". Le Monde Diplomatique, juin 1992, p 23

Drysdale, Alasdair and Hinnebusch Raymound; "Syria and the Middle East Peace Process", p190.<sup>373</sup>

Jansen, Michael; "The Battle of Beirut, Why Israel invaded Lebanon?", London Zed Press, London,<sup>374</sup>  
1ère édition 1982, p. 66

بقيام سلاح الطيران الإسرائيلي بغارات استهدفت فيها المبني التابعة لقيادي منظمة التحرير الفلسطينية، في مدينة بيروت وضواحيها الجنوبية. وأسفر العدوان الإسرائيلي عن مقتل وإصابة حوالي 270.<sup>375</sup> بعدها عملت قوات المدرعات الإسرائيلية في 5-6 حزيران/ يونيو، بعملية الاجتياح البري داخل الأراضي اللبنانية. بالتزامن مع إعلان الناطق الرسمي باسم الحكومة الإسرائيلية أن هدفهم من الاجتياح هو العمل على إخراج جميع القوات الأجنبية من الأراضي اللبنانية بما فيها القوات السورية وقوات "منظمة التحرير الفلسطينية"، بالإضافة إلى تقديم كل الدعم المطلوب للقوات اللبنانية من أجل فرض سيطرتها على مدينة بيروت، عبر مساعدة بشير الجميل المتحالف مع إسرائيل من أجل بلوغ رئاسة الجمهورية اللبنانية، بعدها يتم التوقيع على اتفاقية سلام بين الطرفين اللبناني والإسرائيلي، وبذلك تضمن تل أبيب ضبط الحدود الشمالية لإسرائيل وحمايتها. لكن القوات الإسرائيلية حصلت ضدها مقاومة عنيفة في منطقة جنوب لبنان، وقلعة الشقيف التي تطل على النبطية، حيث كلفت الإسرائيليين خسائر فادحة. كما حصلت مواجهة مع القوات السورية البرية والجوية، التي تكبدت خسائر كبيرة. كما تمكنت القوات السورية من وضع عقبات وعرقائل أمام التقدم الإسرائيلي باتجاه منطقة البقاع، خاصة بعد معركة عين دارة في منطقة جبل لبنان، والسلطان يعقوب في منطقة البقاع الغربي. والتي أسفرت عن خسائر أصابت القوات السورية، إذ بلغت نحو 85 طائرة مقاتلة، بالإضافة إلى 25 بطارية سام تابعة للدفاع الجوي، في المقابل تم إسقاط نحو 20 طائرة للكيان الصهيوني.<sup>376</sup> وتمكنت القوات الإسرائيلية في 9 حزيران/ يونيو من الوصول إلى العاصمة بيروت، وفرض حصار عليها.<sup>377</sup>

وتم في بيروت منتصف شهر آب/أغسطس من العام 1982، محاصرة قوات تابعة لمنظمة التحرير والحركة الوطنية اللبنانية وبالإضافة إلى كتيبتين تابعتين للجيش السوري، على إثرها تم تشكيل قيادة مشتركة من أجل الدفاع عن المدينة، وقد صمدت هذه القوات أمام الحصار والتعرض العنيف للقصف قرابة شهرين ونصف. ورغم محاولات إسرائيل لاقتحام المدينة أو حتى القيام بعمليات اغتيال تطال فيها قيادات المقاومة وفي مقدمتهم ياسر عرفات، لكن محاولاتها كلها باءت بالفشل الذريع.

في الوقت نفسه كان فيليب حبيب مبعوث الرئيس الأميركي إلى لبنان، يقوم بجولاته على عدد من القيادات اللبنانية، والتي انتهت بالخروج باتفاق على ضرورة وقف إطلاق النار وذلك في 12 آب

<sup>375</sup> اجتياح لبنان: بوميات، صور وثائق، وكالة مختارات الأخبار العربية والعالمية، بيروت: 1982، ص. 12.

<sup>376</sup> المراجع نفسه، ص. 20.

<sup>377</sup> المصدر نفسه، ص. 30.

أغسطس من العام 1982،<sup>378</sup> وفي 20 آب/أغسطس، تم بعدها العمل على إخراج "منظمة التحرير الفلسطينية" بالإضافة إلى 15000 مقاتل من مدينة بيروت وانتقالهم إلى تونس.<sup>379</sup> بعدها بأيام عدّة اجتمع مجلس النواب اللبناني لانتخاب بشير الجميل رئيساً للبنان. تزامن ذلك مع تقديم رونالد ريفن الرئيس الأميركي، مبادرة من أجل الدفع قدماً بعملية السلام في منطقة الشرق الأوسط، والتي عملت القمة العربية على تبنيها وذلك أثناء انعقاد القمة في مدينة فاس في 6 من أيلول/سبتمبر من العام 1982 بحضور تسع عشرة دولة عربية، وغياب كل من مصر ولibia.

لكن، الذي حدث أن تمّ اغتيال بشير الجميل الرئيس اللبناني المنتخب وذلك في 14 أيلول/سبتمبر. وعلى إثر ذلك قامت قوات إسرائيلية بالإضافة إلى حلفائهم من "حزب الكتائب" بارتكاب مجزرة صبرا وشاتيلا، راح ضحيتهاآلاف المدنيين اللبنانيين والفلسطينيين، الأمر الذي أخرج تل أبيب، ودفع واشنطن إلى التدخل السريع والمبادر، من خلال القيام بإرسال قوات متعددة الجنسيات إلى العاصمة بيروت.

اغتيال بشير الجميل كان ضربة موجعة للمشروع الصهيوني، فقد حدث ذلك في وقت كانت فيه المقاومة اللبنانية تزداد حدتها ضد القوات الاسرائيلية، ما انعكس سلباً وأدى إلى ارتفاع نسبة المعارضة لسياسة بيغن في إسرائيل.<sup>380</sup> كما أسفرت أيضاً عن تقديم الكسندر هيفيك وزير الدفاع الأميركي استقالته بسبب وقوفه ومساندته للعدوان الإسرائيلي على لبنان والتي نتجت ولأول مرة من دون التشاور مع الجانب الإسرائيلي عن إرسال قوات أميركية بالإضافة إلى قوات متعددة الجنسيات (فرنسية وإيطالية وبريطانية) إلى لبنان.<sup>381</sup> وبعد أن تقدم ريفن بخطبة عمل لحل النزاع الدامي في الساحة اللبنانية<sup>382</sup> نصت على أن يكون لبنان تحت الحماية الأمريكية المباشرة، كما عملت واشنطن على وضعه ضمن جبهة واحدة تضم كلاً من السعودية والأردن ومصر، بغية العمل على عزل سوريا، والتوصل إلى فرض تسوية وحل للنزاع العربي - الإسرائيلي بما يتاسب مع المصالح الإسرائيلية.<sup>383</sup> ونتيجة للضعف الذي أصاب الموقف السوري، عمل كل من الأردن و"منظمة التحرير

<sup>378</sup> المصدر نفسه، ص. 92.

<sup>379</sup> المرجع نفسه، ص. 110.

Jansen, Michael; *"The Battle of Beirut, Why Israel invaded Lebanon?"* p. 69. <sup>380</sup>

Bulloch, John; *"Final Conflict, the War in Lebanon."* p. 138. <sup>381</sup>

شيمون شيفر، عملية كمة الثلج، أسرار الغزو الإسرائيلي للبنان، ص. 164. <sup>382</sup>

Drysdale, Alasdair and Hinnebusch Raymound: Syria and the Middle East Peace Process. p. 126. <sup>383</sup>

الفلسطينية" إلى الرضوخ والموافقة على خطة ریغان، متّجاهلين رفض منظمات فلسطينية عديدة كالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لهذه الخطة. ولو وضع الأميركيون المصالح السورية بعين الاعتبار وكانت دمشق وافقت على التعاون معهم، لكنهم لم يفعلوا ذلك.<sup>384</sup> فقد اعتقدوا أن سوريا أصبحت في موقف ضعيف بحيث لا يمكنها وضع العرّاقيل أمام مشاريعهم، حيث تبين لاحقاً أنهم مخطئون في حساباتهم.<sup>385</sup>

## هجوم سوري مضاد

بقيت دمشق وحدها في ساحة المواجهة ضد الإسرائييليين والأميركان، وذلك بعد أن رفضوا اقتراحاً تقدّمت به دمشق بسحب قواتها من الأراضي اللبنانيّة بشرط أن تفعل إسرائيل المثل.<sup>386</sup> ورداً على ذلك عملت دمشق على الاستفادة من علاقتها الجيدة مع نبيه بري الزعيم الشيعي ووليد جنبلاط الزعيم الدرزي، من أجل إعادة هيمنتها على الساحة اللبنانيّة،<sup>387</sup> خاصة بعد رفض الدروز والشيعة مد يدهم بالتعاون إلى أمين الجميل خلال فترة الحكم.<sup>388</sup> بعدها طرأ تغيير على الساحة السوفياتية، ففي خريف عام 1982، تمكن يوري اندروبوف من الوصول إلى الرئاسة بعد وفاة بريجنيف، الأمر الذي استفاد منه الرئيس الأسد من أجل الحصول على مساندة أكبر من الحليف السوفيaticي في وجه السيطرة الأميركيّة على الساحة اللبنانيّة. فالوقوف في وجه الهيمنة الأميركيّة، خاصة في منطقة الشرق الأوسط، كان يدعمه آندروبوف عندما كان رئيس جهاز الاستخبارات السوفيaticية الـ "كي. جي. بي" ، عبر تقديم الدعم المفتوح إلى دمشق<sup>389</sup> التي وضعها آندروبوف تحت الوصاية المباشرة التابعة للاتحاد السوفيaticي وبموافقة حافظ الأسد نفسه، متعهداً بحمايتها، ومهدداً في حال تعرّض سوريا لأي عدوان سيرد عليه بالقوة. ويُعد الموقف الروسي هذا

---

Bulloch, John. *Final Conflict, the War in Lebanon*. p. 151. <sup>384</sup>

Karsh Efriam. "The Soviet Union and Syria, the Assad Years". p. 74. <sup>385</sup>

Chalala, Elie. "Syrian Policy in Lebanon, Moderate Goals and Pragmatic Means". p. 84. <sup>386</sup>

Dickey, Christopher; "Assad and His Allies, Irreconcilable Differences". *Foreign Affairs*, vol. 66 <sup>387</sup>  
automne 1987, p. 166

Laurent, Annie & Basbous, Antoine ; "Guerres secrètes au Liban", Gallimard, Paris, 1987, p. 187. <sup>388</sup>

سيل، مصدر سابق، ص. 651. <sup>389</sup>

هو الأول من نوعه منذ أزمة عام 1956، الأمر الذي دعم الموقف السوري في نظر واشنطن وتل أبيب.<sup>390</sup> كما دفع هذا الموقف بسوريا إلى الاعتماد بشكل كبير على الاتحاد السوفييتي.<sup>391</sup> بعدها عملت دمشق على الاستفادة من تأثير واشنطن في مساعدة حلفائها على فرض سيطرتهم على لبنان، حيث اضطروا إلى الانتظار حتى أيار / مايو من العام 1983، حين عملوا على فرض اتفاقية سلام بين كل من إسرائيل ولبنان.<sup>392</sup>

ورداً على هذه الخطوة قامت دمشق بتقديم كل الدعم إلى حلفائها في لبنان، وذلك من خلال مساندتها لـ حزب جنبلاط، وـ "حركة امل" وأحزاب وطنية لبنانية أخرى. بعدها وجهت أصابع الاتهام إلى دمشق بأنها كانت وراء التخطيط لعملية تفجير السفارة الأمريكية في لبنان وذلك في ربيع عام 1983، كما جرى اتهامها أيضاً بالتفجير المزدوج الذي أصاب في شهر تشرين الأول / أكتوبر مركز القوات الأمريكية والفرنسية في محبيط مدينة بيروت.

قدمت دمشق كامل دعمها لعمليات المقاومة الموجهة ضد إسرائيل، وأيضاً ساندت تحركات الفصائل الفلسطينية المعاشرة لسياسة ياسر عرفات، وذلك من أجل منعه من السير قدماً لتوقيع سلام منقوص مع الجانب الإسرائيلي وطبعاً برعائية واشنطن. وقد كانت "معركة الشوف" في العام 1983، نقطة تحول كبيرة في طبيعة الصراع<sup>393</sup>، حيث اكتسبت سوريا قدرة كبيرة في تنفيذ العرائيل ضد أي مشروع لا يأخذ بعين الاعتبار المصالح السورية،<sup>394</sup> في وقت ارتفعت فيه المعاشرة داخل إسرائيل، وذلك بسبب الخسائر الفادحة التي تكبّدها الإسرائيليون في لبنان.<sup>395</sup> تزامن ذلك مع محاولات القوات اللبنانية والجيش اللبناني فرض سيطرتهم على مناطق عاليه والشوف والجبل، والتي انتهت بخسارتهما في "معركة الجبل".<sup>396</sup> والتي مهدت في ما بعد إلى خسارة الجيش في معركة مدينة بيروت، والتي أدت إلى سقوط منطقة بيروت الغربية تحت سيطرة القوى المعاشرة لحكم أمين الجميل الذي كانت واشنطن تدعمه، بحركة الانتفاضة التي قامت في 6 شباط / فبراير من العام

---

Karsh, Efrim; "The Soviet Union and Syria, the Assad Years". p. 74. <sup>390</sup>

Ja'afar, Kassem Muhammad; "Surya Wa Al Itihad Al Soviati, Dirasat fi Al alakat alarabia alsoviatia". <sup>391</sup>  
p. 620.

سيل، م.س.، ص. 651. <sup>392</sup>

Saliba, Najib; "Syrian Lebanese Relations". P 155. <sup>393</sup>

Hopwood, Derek; "Syria 1945-1986, Politics and Society". P. 74. <sup>394</sup>

Drysdale Alasdair et Hinnebusch Raymond: "Syria and the Middle East Process", p 127. <sup>395</sup>

Mackey Sandra: "Lebanon, Death of a Nation", p 188. <sup>396</sup>

1984. وعلى إثرها تم سحب القوات المتعددة الجنسيات من الأراضي اللبنانية، وترك أمين الجميل وحده، فاضطر مجبوراً للذهاب إلى العاصمة دمشق، والموافقة على شروط الرئيس الأسد الذي طالب بالغاء "معاهدة 17 أيار" الموقعة مع الجانب الإسرائيلي، بالإضافة إلى إقالة حكومة شفيق الوزان والعمل على تشكيل حكومة جديدة يترأسها رشيد كرامي حليف دمشق. كما تم تعيين كلٍ من نبيه بري ووليد جنبلاط حليفي دمشق كوزيرين في الحكومة اللبنانية الجديدة.<sup>397</sup>

## الصراع الفلسطيني السوري على لبنان

شهدت الساحة اللبنانية نزاعاً على فرض النفوذ بين كلٍ من الرئيس السوري حافظ الأسد من جهة وياسر عرفات رئيس الهيئة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية من جهة ثانية. فقد كان الرجالان على عداء شخصي، بالإضافة إلى الاختلاف الحاصل في مواقف كلٍ منهما وخياراتهما، وخصوصاً بعد عام 1982. فالرئيس الأسد اختار المواجهة مع واشنطن في الأراضي اللبنانية، معتمداً في ذلك على دعم الاتحاد السوفيتي، فيما فضل ياسر عرفات التوقيع على سلام منقوص مع الإسرائيليين، حتى قبل حصول عملية الاجتياح وذلك في العام 1982. فعرفات ومنذ فترة سبعينيات القرن الماضي يحاول المضي قدماً فيأخذ طرف المبادرة من أجل إجراء تفاوض مباشر ومنفرد مع الجانب الإسرائيلي، وظهر ذلك جلياً في خطابه الشهير في مجلس الأمم المتحدة وذلك في العام 1974. بالإضافة إلى تصريحه الدائم بأنه يقبل بإقامة دولة فلسطينية ولو كانت على متر مربع واحد يعطيه له الإسرائيليون. يُضاف إليها تأييده الضمني لاتفاقية السلام وللخطوة المنفردة التي اتخذها أنور السادات الرئيس المصري في توقيعه عليها مع الجانب الإسرائيلي. ولم يقبل عرفات في العام 1982 الذهاب إلى دمشق، واختار أن يذهب بمقاتليه الموجودين في تونس، بعيداً عن خط المواجهة مع الإسرائيليين، وتتجدر الاشارة هنا، إلى أن الحبيب بورقيبة كان من أول المبادرين بتقديم اقتراح سلام بين الجانبين العربي والإسرائيلي وذلك في العام 1965، وقبول بالرفض والاستنكار الكبير في جميع العواصم العربية التي زارها لشرح مبادرته.<sup>398</sup> تزامن ذلك مع تقدم واشنطن بمبادرتها لقضية السلام، حيث قامت القمة العربية التي تم عقدها في مدينة فاس بتبنيها، واضطر الرئيس الأسد لقبولها على مضض. بعدها حدث تغيير في ميزان القوى العالمي حيث وصل اندريلوبوف إلى

Laurent Annie et Basbous Antoine : « *Guerres Secrètes au Liban.* », p.205. <sup>397</sup>

Robert Fisk, *Pity the Nation*, New York: Thunder Mouth Press, 2002, 409. <sup>398</sup>

الرئاسة في الاتحاد السوفيتي، خلفاً لبريجنيف، ما انعكس إيجاباً وأعطى دفعاً قوياً للرئيس الأسد في تحديه الهيمنة الأميركية في المنطقة.

أدى الاختلاف بين الرجلين الأسد وعرفات إلى انعكاسه على الساحة اللبنانية. وعمل عرفات مستغلاً علاقته التاريخية مع بعض الجماعات اللبنانية للتأثير عليها، وخاصة الأحزاب اليسارية والحركة الوطنية. كما عمل عرفات للسيطرة على مدينة طرابلس وانتزاعها من السيطرة السورية، لتكون نقطة انطلاق لإحداث خلل في الاستقرار في المدن الشمالية السورية، مكرراً ما فعله سابقاً في العام 1982، خلال المواجهات التي قامت بين الأخوان المسلمين والجيش السوري في مدينة حماه. فأعلن في مدينة طرابلس في شهر آب/أغسطس من العام 1982، تأسيس "حركة التوحيد الإسلامي" حيث كان لافتاً انطلاقها في هذا التوقيت بالذات، وكان جلياً تأثيرها ب Yasir عرفات وبالجانب السعودي. وانطوى تحت لوائها عدد من المجموعات الإسلامية، أبرزها: "المقاومة الشعبية" بزعامة خليل عكاوي، و"الجمعيات المسجدية" بزعامة علي مرعب، و"حركة لبنان العربي" بزعامة عصمت المراد، و"قوات جند الله" بزعامة فواز حسين آغا، وتم اختيار الشيخ سعيد شعبان قائداً لها. وعملت حركة التوحيد في أول عمل لها بارتكاب مجزرة قامت بها بحق الأعضاء المنتسبين إلى أحزاب علمانية، وبشكل خاص الشيوعيين بحجج أنهم كفار. بالإضافة إلى فرض سيطرتها على مدينة طرابلس، ومحاجمة مراكز الجيش السوري، تزامن ذلك مع نزول عرفات بصحبة قواته في شوارع المدينة، لتقديم الدعم لحركة التوحيد ضد السوريين وحلفائهم. واضطر عرفات في العام 1983، على الانسحاب من مدينة طرابلس، التي بقيت خارج الهيمنة السورية وذلك حتى عام 1985، حيث قامت قوات الردع وحلفائها بشن هجوم عليهم، تم خلاله القضاء على حركة التوحيد، بالإضافة إلى اعتقال جميع قادتهم ومن ضمنهم الشيخ شعبان وإيداعهم السجون.

تزامنت هذه الأحداث مع حدوث انشقاق ومعارضة داخل حركة فتح، والتي قام بها بعض من كبار قادتها، وذلك احتجاجاً على السياسة التي اتخذها ياسر عرفات في عملية السلام. وأبرز هؤلاء القادة: العقيد سعيد مراغة المعروف بأبو موسى، بالإضافة إلى نائب قائد قوات العاصفة (الجناح المسلح لفتح) نمر صالح والعقيد أبو خالد العملة. هذا التصعيد أدى إلى وقوع معارك بين الطرفين، وأطلق المنشقون على أنفسهم اسم "فتح - الانفاضة"، والتي قامت دمشق بتقديم كل الدعم لها ضد عرفات.<sup>399</sup> التناقض في المواقف والتوجهات سيكون بالتأكيد له أثره في عملية النزاع مع تل أبيب، بين الرئيس الأسد من جهة، وعرفات من جهة أخرى، والذي ستتنعكس

---

Robert Fisk, Pity the Nation, 483 <sup>399</sup>

تردداته على أحداث مهمة للغاية في الساحة اللبنانية، مثل: النزاع القائم بين المرابطون المدعومين من ياسر عرفات من جهة، وأمل والاشتراكية المدعومين من دمشق من جهة أخرى، بالإضافة إلى "حرب المخيمات" التي جرت خلال الفترة بين عامي 1985 و1987.

## نهاية الحرب الباردة وأثرها

أدى تسلم ميخائيل غورباتشوف الرئاسة في الاتحاد السوفيتي وذلك في العام 1985، إلى تحول تاريخي في العالم عامة ومنطقة الشرق الأوسط خاصة. فقد كان مؤشراً لبداية تراجع هيمنة الاتحاد السوفيتي في العالم والتي أدى في ما بعد إلى انهيار وسقوط كتلة الدول الاشتراكية في العام 1989، وبعدها تفكك الاتحاد السوفيتي وذلك في العام 1991. الذي عانى ومنذ سبعينيات القرن الماضي من أزمات عدّة على الصعيدين الداخلي والخارجي، وخاصة في بولونيا وأفغانستان. الأمر الذي كان سبباً ضاغطاً على الاتحاد السوفيتي الذي أراد تخفيف العبء عنه والانسحاب من أماكن عدّة من العالم، وبذلك بقيت الساحة لواشنطن وحدها.<sup>400</sup> وهذا بدوره أثر على دمشق التي أدركت عدم قدرتها في الاعتماد على موسكو. حيث قام غورباتشوف في شهر نيسان / أبريل من العام 1987، بإبلاغ الرئيس الأسد أنهم ليسوا بـ قادر لـ تقديم العون له في دعم مشاريعه التي يريد من خلالها تحقيق توازن استراتيجي مع الجانب الإسرائيلي. في الوقت نفسه عمل غورباتشوف على نسج علاقات تعاون مع دول عربية في حالة تنافس مع دمشق، مثل: السعودية ومصر.<sup>401</sup> ترافق ذلك إلى سماح الاتحاد السوفيتي بـ هجرة اليهود الروس باتجاه إسرائيل.<sup>402</sup> وقد ظلت موسكو أنها بذلك ستكون نداً وشريكاً للولايات المتحدة في سياساتها الاستراتيجية، وذلك من خلال تقديم الدعم المطلوب لعملية السلام في منطقة الشرق الأوسط.<sup>403</sup>

وذلك لأن لواشنطن حسابات مغايرة عن موسكو، وخاصة بما يخص فرض هيمنتها على منطقة الشرق الأوسط الغني بالثروة النفطية. وهذا ما جعل قادة الأنظمة العربية بـ من فيهم حلفاؤها بالإحساس بأن واشنطن ترغب بـ فرض سيطرتها على ما تمتلكه المنطقة من موارد طبيعة.

Hermann, Richard, "Russian Policy in the Middle East: Strategic change and Tactical Considerations", <sup>400</sup> Middle East Journal, vol.84, no.3, Summer1994, p.454.

Karawan, Ibrahim A, "Arab Dilemas in the 1990's: Breaking taboos and searching for signposts" Middle <sup>401</sup> East Journal, vol.48, no.3, summer 1994, p.434.

Karawan, Ibrahim A.: "Arab Dilemas in the 1990's: Breaking taboos and searching for signposts", p.435. <sup>402</sup> Hanna, John P.: "At arms length Soviet Syrian relations in the Gorbatchev era". p.5. <sup>403</sup>

وهذا ما بدا واضحًا في كلام صدام حسين الرئيس العراقي في "قمة عمان" في 24 شباط/فبراير، بأن انتهاء الحرب الباردة سيكون لها ارتدادات عكسية وكارثية على المنطقة العربية.<sup>404</sup> كما أثارت هذه التغييرات حفيظة الرئيس الأسد وزاد قلقه على بلاده سوريا، فقد كان يتوقع أن تستمر وتطول سيطرة واشنطن على العالم ربما لعقد من الزمن. الأمر الذي دفعه ليكون أكثر ليونة في مواقفه وللموافقة على التعاون مع البيت الأبيض في مقابل ضمان مصالح سوريا.<sup>405</sup> وشكل العراق بما يمتلكه من مقدرات عسكرية واقتصادية وديمغرافية إحدى أبرز العوائل أمام السيطرة الأمريكية على الخليج العربي. ولهذا السبب كانت واشنطن ترغب في تدمير العراق عسكريًا. بالإضافة لمنع تأسيس كتلة أوراسية من شأنها وضع العقبات أمام واشنطن في بسط سيطرتها على العالم. فقد كان الأميركيون يعتقدون أن أوراسيا هي نقطة العبور لفرض هيمنتهم على العالم. وبالتالي من يسيطر هيمنته على هذه المنطقة بإمكانه فرض كامل سيطرته على العالم، وهذا ما قاله بريجنسكي: "إن أوراسيا هي الساحة التي تجري عليها المعركة الدائمة للهيمنة على العالم".<sup>406</sup> ويمكننا هنا، أن نفهم الحرب التي قامت بها واشنطن ضد العراق في العام 1991، بحجة محاولة العراق احتلال الكويت، فقد جاء هذا الهدف ل تستطيع واشنطن من تنفيذ هدفين استراتيجيين. فالعراق استطاع خلال حربه مع إيران أن يبني قوة عسكرية كبيرة وذلك خلال عامي 1980 و1988، وهو وبالتالي يشكل تهديداً لوجود إسرائيل، التي تمثل جزءاً أساسياً من سياسة الإدارة الأمريكية الخارجية، والركن الأساسي ل سياستها الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط. وهذا يفسر لنا تجميع واشنطن كل الحجج والدلائل المزيفة ل تتخذ منها سبباً تشنّ به حربها الثانية على منطقة الخليج. بالإضافة إلى طلب البيت الأبيض من الإمارات العربية المتحدة والكويت وال السعودية لرفع إنتاجهم من النفط، الأمر الذي أدى إلى هبوط حاد في سعر البرميل إلى 11 دولاراً أميركياً. في الوقت نفسه عملت السفيرة الأميركية في العراق على إيهام صدام حسين الرئيس العراقي أن واشنطن لن تكون طرفاً في الحرب في حال قرر إعلانه حرباً على الكويت.<sup>407</sup>

---

Rodman, Peter: "Middle East Policy after the Gulf War", Foreign Affairs, vol.70, printemps 1991, <sup>404</sup> p.223.

Karawan, Ibrahim A.: "Arab Dilemmas in the 1990's: Breaking taboos and searching for signposts", p.434. <sup>405</sup>  
 زبغنيو بريجنسكي: "رقة الشطرنج الكبرى"، ترجمة أمل الشرفي، الأهلية للنشر، الطبعة الأولى، عمان، 1991، ص 12.  
 134 Haghighat Chapor: Comment les États-Unis avaient prévu d'écraser l'Irak: les dessous de la guerre 38 du Golfe. Le Monde Diplomatique, avril 1992, p.14.

Rodman, Peter: "Middle East Policy after War", Foreign Affairs, vol.70, printemps 1991, p.223. <sup>407</sup>

وعلى إثر ذلك الوعد الأميركي الواهم، قامت القوات العراقية باحتياج دولة الكويت وذلك في شهر آب/أغسطس من العام 1990. والتي استغلتها واشنطن واتخذتها حجة لإعلان حربها على العراق من أجل فرض القانون الدولي. وبالطبع أيدت قرارها هذا غالبية الدول والاتحاد السوفيافي بالإضافة إلى كتلة الدول الاشتراكية. وخشية أن يكون مصير سوريا المصير العراقي نفسه، فضلت دمشق أن تقف إلى جانب التحالف الدولي على الأقل سياسياً. وتم إعلان الحرب ضد العراق وذلك في 15 كانون الثاني/يناير من العام 1991. فاضطر صدام حسين في النهاية إلى سحب قواته من الأراضي الكويتية خلال 45 يوماً. استطاعت دمشق من الاستفادة من موقفها الذي اتخذته بالوقوف مع التحالف الدولي ضد العراق، لأنها كانت تتطلع إلى أن تكون شريكاً لواشنطن في منطقة الشرق الأوسط. كما حصلت دمشق على قرابة 2 مليار دولار أمريكي من السعودية، وجددت تحالفها مع مصر وكذلك دول الخليج (إعلان دمشق). كما تمكّنت دمشق من انتزاع موافقة واشنطن لضرب العماماد ميشال عون الذي كان يترأّس حكومة عسكرية مؤقتة، وذلك منذ انتهاء ولاية أمين الجميل رئيس الجمهورية اللبنانية، وذلك في شهر أيلول /سبتمبر من العام 1988.<sup>408</sup>

---

Akins, James E, “*The New Arabia. Foreign Affairs*”, vol.70, été 1991, p.44<sup>408</sup>



## الفصل الثالث

### العراق 1970 – 1991

في تموز يوليو من العام 1968 استولى حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق على السلطة بعد انقلاب قام به ضد الرئيس عبد الرحمن عارف الذي نفي خارج البلاد إلى الأردن ومن ثم إلى تركيا. وسيكون دور البعث متحمّلاً حول شخصية صدام حسين الذي سيُلْعِب الدور الرئيس في البعث العراقي منذ منتصف السبعينيات، وحتى إطاحته على يد القوات الأميركيّة الغازية للعراق في العام 2003، ومن ثم إعدامه من قبل عُملاء الاحتلال الأميركي في العام 2006.<sup>409</sup>

### صدام حسين وصعود البعث

وقد ولد صدام حسين في 28 نيسان أبريل 1937 في بلدة العوجة التابعة لمحافظة تكريت. وبما أن والده توفي وهو لم يولد بعد فلقد تولى تربيته خاله خير الله طلفاح الذي زوجه ابنته ساجدة في ما بعد. وكانت لخير الله طلفاح نضالات ضد سلطات الانتداب وميول ل القومية العربية ما أثر في توجهات صدام السياسية وأدى إلى تبنيه للفكر القومي العربي. وقد انضم صدام إلى حزب البعث العراقي في الخمسينيات وهو لما يزال شاباً، في ظل المد القومي الجارف الذي أطلق عنانه جمال عبد الناصر. وقد شارك صدام في شبابه في المظاهرات التي كانت تنطلق ضد الحكم الملكي والانتداب البريطاني. وقد حاول صدام التطوع في الجيش العراقي إلا أنه رسب في امتحان الدخول إلى الكلية العسكرية. وبعد الثورة على الحكم الملكي شارك حزب البعث لفترة وجيزة في الحكومة التي شكلها عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، إلا أنه بعد افتراق الرجلين ووضع عارف في الإقامة الجبرية تم إبعاد البعث عن مفاصل السلطة، بل إن أفراده تعرضوا حتى للتنكيل على يد الشيوعيين العراقيين، خصوصاً بعد ثورة عبد الرحمن الشواف. بنتيجة ذلك حاول البعشيون اغتيال قاسم في تشرين الأول أكتوبر 1959 إلا أن المحاولة فشلت، فاضطر صدام الذي شارك في المحاولة وجرح،

---

Con Coughlin, Saddam: His Rise and Fall, Harper Collins Ebook, 2016. <sup>409</sup>

إلى الهرب إلى مصر حيث بقي هناك لسنوات عدة التحق خلالها بجامعة القاهرة لدراسة الحقوق.<sup>410</sup>

وكان صدام قد مرّ بدمشق في طريقه إلى القاهرة فتعرف إلى أحد مؤسسي حزب البعث ميشيل عفلق الذي سيلعب في ما بعد دوراً رئيسياً في صعود صدام إلى الصفوف القيادية في حزب البعث العراقي. وفي القاهرة التقى صدام أعلام بارزین من القوميين العرب من مختلف أنحاء العالم العربي، ويُحکى أنه التقى عبد الناصر لكن الرواية غير مثبتة، كما حُکي عنه أنه وضع في موضع الشبهات بعد تردداته إلى السفارة الأمريكية في القاهرة. وبعد إطاحة قاسم عاد صدام إلى العراق وتواصل مع قائد الضباط البعثيين أحمد حسن البكر الذي كان له الدور الأبرز بإطاحة قاسم، والذي عينه عارف رئيسيًّا للوزراء نتيجة ذلك. وقد استفاد صدام من تزكية عفلق له لتبوء مركز قيادي في الحزب. لكن العامل الأبرز في صعود نجمه كان في نجاحه في مواجهة الشيوعيين العراقيين الذين حاولوا مواجهة الانقلاب على قاسم بإطلاق حرب شوارع ضد عارف والبعثيين. وقد لعب صدام دوراً رئيسياً في تأسيس الحرس القومي الذي شكل ميليشيا مسلحة لمواجهة الشيوعيين، كما لعب دوراً رئيسياً في اعتقال وتعذيب الشيوعيين العراقيين طوال أشهر عدة. هذا دفع بعارف إلى التحرّك ضد البعثيين وتصرّفاتهم العنفية في العراق وعزلهم من السلطة. وقد ساهم الانقسام داخل البعث العراقي بين الجناح المدني بقيادة صالح السعدي والذي كان يؤيّد الوحدة مع مصر وسوريا، والجناح العسكري بقيادة البكر المعارض لهذه الوحدة، إلى تسهيل مهمة عارف بإطاحة البعثيين في تشرين الثاني نوفمبر 1963 واستفراده بالحكم.

بعد إطاحتهم من قبل عارف قرر البعثيون إنشاء جهاز أمن تابع لحزب البعث، وسرعان ما اكتشفت أجهزة الأمن العراقية أمر الجهاز فقامت باعتقال قادة البعثيين ومن بينهم البكر، كما لاحقت أعضاءهم. لكن صدام تمكّن من الهرب وبدأ يعمل على إنشاء تنظيم سري تابع للحزب، وبدأ بالتخطيط أما للقيام بانقلاب على عبد السلام عارف أو اغتياله.<sup>411</sup> وقد اكتشف أمر المؤامرة ومحبأ صدام فتم تطويقه ودارت معركة بين رجال الأمن وبينه قبل من بعدها الاستسلام، فسُجن في مديرية الأمن في بغداد ووضع تحت حراسة مشدّدة. وخلال اعتقاله في السجن قررت القيادة القومية لحزب البعث في دمشق، والتي كانت قد استولت على السلطة منذ آذار مارس 1963، انتخابه أمين سر القيادة القطرية للبعث العراقي رغم أنه كان لا يزال معتقلًا. وقد وجّهت له الشبهات وفي 23 تموز يوليو 1966، وأثناء نقله إلى المحكمة لحضور جلسة محاكمته، تمكّن صدام

Counrtny Hunt, The History of Iraq, London: Greenwood Press, 2005, 85 – 86. <sup>410</sup>

86. Counrtny Hunt, The History of Iraq, London: Greenwood Press, 2005, p. <sup>411</sup>

من الفرار، ليعمل في الخفاء على التحضير للاستيلاء على السلطة في العراق. وكان عبد السلف عارف قد قُتل بعد تحطّم المروجية التي كانت تقله مع عدد من المسؤولين في نيسان أبريل من ذلك العام وقيل إنه كان لتنظيم صدام السري، والذي كان يتلقى تعليماته من صدام عبر زوجته ساجدة التي كانت تزوره في السجن، اليد الطولى بالتسبب بالحادث. لكن بنتيجة الضغوط المصرية فإن عبد الرحمن شقيق عبد السلام عارف كان قد خلف أخاه كرئيس على العراق. وكانت الخلافات قد ازدادت في ذلك الوقت بين بعثي سوريا والعراق من جهة والضباط الناصريين الموالين لجمال عبد الناصر في العراق وسوريا من جهة أخرى، نتيجة فشل الجهود في تحقيق الوحدة الثلاثية بين العراق وسوريا ومصر والتي أقيمت باللائمة عليها على البعثيين السوريين الحاكمين في سوريا. وقد واصل صدام جهوده لإطاحة عارف واستفاد من الضربة التي تلقتها مصر في العام 1967 وضعف نفوذ عبد الناصر بعدها لقيادة الانقلاب على عارف الذي وقع في 17 تموز يوليو 1968. وقد كان صدام في الدبابات الأولى التي اقتحمت حديقة قصر الرئاسة حيث كان يُقيم عارف، فأُسقط في يد الأخير وقدم استقالته وارتضى الذهاب إلى المنفى لقاء وعد من صدام بعدم التعرّض لابنه الذي كان ضابطاً في الجيش العراقي. وبنتيجة حركة صدام هذه وصل البعث إلى السلطة في العراق، وتم تعيين أحمد حسن البكر رئيساً للدولة، فيما تولى صدام منصب نائب الرئيس ومسؤول الأمن القومي، إلا أنه في الحقيقة كان الرجل القوي في النظام الجديد والممسك بتفاصيل السلطة بشكل فعلي، فيما كانت صلاحيات البكر صورية.<sup>412</sup>

## نائب الرئيس والرئيس

تميّز حكم صدام حسين باستخدام القوة ضد معارضيه وكان أول من تم استهدافه هم معارضو صدام داخل حزب البعث العراقي ومن أبرزهم أحد مؤسسي الحزب وأول أمين عام قطري له وهو فؤاد الركابي. وكان الركابي قد أصبح وزيراً للإعمار في أول حكومة شكلت بعد الثورة في العام 1958، لكنه استقال من منصبه في شباط فبراير 1959 احتجاجاً على السياسات المعادية للوحدة مع مصر وسوريا التي انتهجهما عبد الكريم قاسم، ثم لجأ بعد ذلك إلى سوريا. وفي الخلاف بين البعث السوري وعبد الناصر انحاز الركابي إلى الأخير ما جعل البعثيين العراقيين يعادونه. وبعد تفرّد عبد السلام عارف بالحكم عاد إلى العراق وبات من أبرز مؤيديه ويشغل منصب وزير الشؤون البلدية

والقروية في حكومته. ثم أسس مع عدد من القوميين الحركة الاشتراكية العربية في العام 1965. وقد اعتقل الركابي بعد انقلاب البعث على عبد الرحمن عارف في العام 1968 ثم قتل في السجن في العام 1971 على يد أحد السجناء بأمر مباشر من صدام حسين. في الوقت نفسه كان صدام حسين يركّز السلطات في يده، إضافة إلى سيطرته على جهاز الأمن وتطويره ليصبح من أهم أجهزة المخابرات التي تدير البلاد، فلقد عين نفسه مسؤولاً عن دائرة الفلاحين في الحزب، إضافة إلى بسط سلطاته على قطاعات التعليم والدعائية وغيرها. وقد شكل البكر وصدام الجبهة الوطنية التقديمية لتكون واجهة لنظام تعددي في العراق يضم مختلف الأحزاب العراقية، على غرار الجبهة الوطنية التقديمية في سوريا، لكن هذه الجبهة كما مثيلتها السورية لم تكن إلا واجهة للسلطة لتشريع استفراد حزب البعث بالحكم. وكان الحزب الشيوعي العراقي قد تعرض لضربة قاسمة على يد البعثيين بعد إطاحة قاسم في العام 1963 فارتضى زعيمه عزيز محمد بالدخول في الجبهة الوطنية التقديمية في العام 1973. وقد شكل هذا اعترافاً من الحزب بفقدان نفوذه الذي بدأ يتراجع لصالح حزب البعث في وسط العراق ولصالح حزب الدعوة في جنوب العراق.<sup>413</sup>

## صدام وحزب الدعوة

كان نفوذ حزب الدعوة الإسلامية قد بدأ يتصاعد في جنوب العراق بنتيجة الضربة القاسمة التي تعرض لها الحزب الشيوعي العراقي بعد إطاحة قاسم. وكان هذا قد تم برضى من حزب البعث وعبد السلام عارف على حد سواء إذ و جدا فيه تقليصاً لنفوذ الشيوعيين العراقيين. وقد ترجم هذا بتوسيع مسيرات الندب خلال احتفاليات عاشوراء التي كانت تجري في ذكرى استشهاد الإمام الحسين. وقد تصاعد نفوذ حزب الدعوة في السبعينيات من القرن الماضي ما بات يهدّد نفوذ حزب البعث وفرصه بالاستفراد بالسلطة، خصوصاً أن أنصار حزب الدعوة المدعومين من المرجعيات الدينية كانوا قد بدأوا يجاهرون بتکفير نظام الحكم البعشي العلماني "الكافر" ويدعون إلى إقامة دولة إسلامية في العراق. هذا دفع بصدام إلى اعتقال قادة حزب الدعوة في العام 1974 وإعدامهم. وفي العام التالي أصدر صدام قراراً بحظر الشعائر والمسيرات الدينية التي كانت تُقام لمناسبة عاشوراء، لكن قادة الحزب واظبوا على تحدي السلطة ونظموا مسيرات ضخمة في النجف وكربلاء

في العام 1977 قاموا خلالها بهاجمة مقار حزب البعث وقتلوا عدداً كبيراً من مسؤوليه الإقليميين. فردد حزب البعث بتنظيم حملة واسعة ضد أعضاء حزب الدعوة قام خلالها باعتقال وقتل عدد كبير منهم. وبعد انقلابه على البكر وتسلمه الحكم أصدر صدام حسين قراراً في آذار مارس 1980 يقضي بتجريم وإعدام كل من ينتمي إلى حزب الدعوة، وبناء عليه اعتقل الإمام محمد باقر الصدر وأخته بنت الهدى في نيسان أبريل 1980 وأمر بتعذيبهما وإعدامهما. هذا دفع بأعضاء الحزب إلى اللجوء إلى إيران والقتال إلى جانب الجيش الإيرياني خلال الحرب العراقية الإيرانية التي اندلعت في 414 أيلول سبتمبر 1980.

## صدام والأكراد

في العام 1970، وبعد عقد من النزاع المسلح بين السلطة المركزية العراقية والحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة مصطفى البرزاني، قبلت الحكومة العراقية بالتوقيع على اتفاقية مع الأخير تُعطي بوجها الأكراد حكماً ذاتياً في شمال العراق. وقد جاءت الاتفاقية نتيجة جهود قام بها أعضاء في الحكم كانوا يريدون الاعتراف بحقوق الشعب الكردي الثقافية، كما كان يقلّهم وجود عناصر من الاستخبارات الإسرائيلية الموساد في منطقة شمال العراق كضباط ارتبط لدعم التمرّد الكردي.<sup>415</sup> لكن صدام حسين كان يعارض هذه الاتفاقية التي كان يعتبرها تهديد وحدة العراق. وفي أيلول سبتمبر 1971، وبعد عام واحد من توقيع الاتفاقية وقعت محاولة اغتيال للبرزاني اتهم صدام حسين بالخطف لها. وكان وفد حكومي بقيادة الشيخ عبد الجبار الأعظمي قد توجه إلى مقر البرزاني في منطقة حاج عمران على الحدود الإيرانية العراقية للتباحث معه في كيفية تعميق العلاقات بين الأكراد والحكومة المركزية بعد النجاح في تطبيق الاتفاق لمدة عام كامل. وعند دخول الوفد الحكومي إلى مكتب البرزاني وقع انفجار قوي أودى بحياة ثلاثة من الوفد الحكومي وأحد معاوني البرزاني الذي خرج من المكتب سليماً، إلا أن أحد مرافقي الوفد ألقى قبلة باتجاهه أدى انفجارها إلى جرحه في ساقه. وقد جرى بعد ذلك اشتباك بين مرافقي الوفد الحكومي وحراس البرزاني أدى إلى مقتل المرافقين الحكوميين. وبنتيجة محاولة الاغتيال هذه تجددت المعارك بين القوات الحكومية وقوات البرزاني لثلاثة أعوام تالية أدت إلى مقتل عشرات الآلاف من العراقيين

Phebe Marr, *A History of Iraq*, p.p. 170 – 171. <sup>414</sup>

Phebe Marr, *A History of Iraq*, p. 152. <sup>415</sup>

Counrtny Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p.p. 84 – 85. <sup>416</sup>

العرب والكرد.<sup>417</sup> وكان البرزاني لا يزال يتلقى دعماً بالسلاح وأعمال من شاه إيران رضا بهلوي الذي كان يضغط على العراق منذ أيام عبد الكريم قاسم ليقدم تنازلات عن مطالبه في شط العرب. وفي العام 1974 بدأ صدام بإجراء محادثات مع شاه إيران حول شط العرب بوساطة من دولة الجزائر. وقد تمخضت المفاوضات عن اتفاقية قضاها بترسيم الحدود في تلك المنطقة بين العراق وإيران لقاء سحب شاه إيران دعمه لأكراد العراق.<sup>418</sup> ونتيجة ذلك انسحب البرزاني إلى إيران حيث أقام في طهران حتى عام 1979 ليذهب بعدها إلى الولايات المتحدة للعلاج من السرطان ويُتوفى هناك.<sup>419</sup>

## التحولات الإقليمية

شكل منتصف السبعينيات من القرن الماضي مرحلة تحول كبيرة في التحالفات الإقليمية والدولية أثرت على التوازنات الدولية والإقليمية وأثرت على علاقات العراق الدولية والإقليمية. كان جمال عبد الناصر قد توفي في 28 أيلول سبتمبر 1970 وخلفه في الحكم نائبه أنور السادات الذي بدأ بسياسة التقارب مع الغرب سراً، مؤمناً بأن حل الصراع العربي الإسرائيلي لا يمكن أن يكون إلا عبر سلام يوقع مع إسرائيل وفقاً لقرار الأمم المتحدة 242 الذي يعترف بالدولة العربية ضمن حدود ما قبل حرب 1967. وكان السادات يعتقد بأن الولايات المتحدة قمتلها 99 في المائة من أوراق الحل في المنطقة. وقد شجّعه على ذلك الملك السعودي فيصل بن عبد العزيز الذي كانت تربطه بالسادات علاقة وطيدة منذ السبعينيات عبر صهره كمال أدهم. وقد ساهمت في خيارات السادات خلفيته عندما كان ضابطاً في الجيش قبل الثورة، إذ حُكِي أنه كانت له ارتباطات بالأخوان المسلمين. وما أن تسلم السلطة حتى أبعد فريق الحكم الذي كان يعتمد عليه جمال عبد الناصر في أحداث 15 أيار مايو الشهيرة والتي اعتُقل خلالها رئيس وزراء عبد الناصر علي صبري ووزير الدفاع الفريق أول محمد فوزي ووزير الداخلية شعراوي جمعة وعدّ كثيرون من القيادات التي كانت تسمى بالناصرية. كذلك أطلق السادات أعضاء الأخوان المسلمين والجماعات الجهادية من السجون ليكونوا عوناً له في الشارع المصري ضد الناصريين والقوميين العرب والشيوعيين الذين كانوا يشكلون غالبية الشارع المصري آنذاك. وفي العام 1972 طرد أنور السادات الخبراء السوفيات الذين كانوا يعملون في مصر لدعم الجيش المصري ضد إسرائيل، وقد فسر هذا القرار آنذاك أنه محاولة لاسترضاء الأميركيين حتى

Phebe Marr, *A History of Iraq*, p. 153. <sup>417</sup>

Counrtny Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p. 90. <sup>418</sup>

Kerim Yildiz, *The Kurds in Iraq: The Past Present and Future*, London: Pluto Press, 2004. <sup>419</sup>

يُجبروا إسرائيل على حل سلمي يُجنب الرئيس المصري خيار الحرب الذي كانت تطالب به الجماهير المصرية والجيش لتحرير سيناء.

وفي سوريا كان قد وقع انقلاب في تشرين الثاني نوفمبر 1970 تسلّم إثره وزير الدفاع حافظ الأسد مقايد الحكم بعد إطاحة الجناح اليساري في الحزب بقيادة صلاح جديد ونور الدين الأتاسي.<sup>420</sup> إلا أن هذا الانقلاب لم يسهم في إصلاح العلاقة بين البعث العراقي والبعث السوري إلا لفترة وجيزة. وكان الخلاف قد دبَّ بين الحزبين إثر إطاحة جديـد بالجناح اليميني المحافظ بالحزب بقيادة المؤسس ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار وأكرم الحوراني في العام 1966، وانتهـج سياسات اشتراكية أضـرت بمصالح كبار التجار والطبقة البورجوازية السورية، وخصوصاً الشامية منها، ما جعلـها تؤيد انقلاب حافظ الأسد في العام 1970. وبسبب إطاحة عفلق الذي لجأ في ما بعد إلى العراق ليعيش لعـدين تحت حماية صدام حسين، فـلقد ساهم ذلك في منع التقارب بين الحـزبين وفي الكراـهـية الشخصية بين حافظ الأسد وـصدام حسين الذي كان يـعتبر أن لـعـفلـق فـضـلاً عـلـيـه لأنـهـ هو الذي كان قد اختـارـهـ لتـبـوـءـ منـصـبـ قـيـادـيـ فيـ الـبـعـثـ فيـ الـعـامـ 1964ـ.ـ كذلكـ فـلـقدـ كانـ صـدـامـ يـكـنـ العـدـاءـ لـلـاتـحـادـ السـوـفـيـاتـ نـتـيـجـةـ دـعـمـ الـأـخـيرـ لـلـحـزـبـ الشـيـوـعـيـ الـعـرـاقـيـ وـلـقـاسـمـ فيـ أـوـلـ الـسـتـيـنـيـاتـ عـلـىـ حـسـابـ الـبـعـثـ،ـ وـكـانـ يـتـحـيـنـ الفـرـصـةـ لـلـانـفـتـاحـ عـلـىـ الغـرـبـ وـالـابـتـعـادـ عـنـ الـاتـحـادـ السـوـفـيـاتـ،ـ نـاهـيـكـ عـنـ الطـفـرـةـ النـفـطـيـةـ فيـ السـبـعـيـنـيـاتـ الـتـيـ أـهـلـتـ الـدـوـلـ الـعـرـاقـيـ لـاـعـتـمـادـ سـيـاسـاتـ رـيـعـيـةـ بـاـذـخـةـ مـكـنـتـهـاـ مـنـ لـبـرـلـةـ الـاـقـتـصـادـ مـتـجـاـوـزـةـ التـنـاقـصـاتـ الـاجـتـمـاعـيـةـ الـدـاخـلـيـةـ.ـ وـلـقـدـ كـانـ هـنـالـكـ تـيـارـ بـعـثـيـ مـحـافـظـ يـعـادـيـ التـوـجـهـاتـ الـيـسـارـيـةـ فيـ حـزـبـ الـبـعـثـ وـيـدـعـمـ صـدـامـ فيـ تـوـجـهـهـ.ـ وـقـدـ اـسـتـفـادـ صـدـامـ مـنـ ذـلـكـ لـبـيـدـأـ سـيـاسـةـ اـنـفـتـاحـ عـلـىـ الغـرـبـ مـنـذـ أـوـاسـطـ السـبـعـيـنـيـاتـ.ـ وـقـدـ شـكـلـتـ فـرـنـسـاـ جـسـرـ عـبـرـ لـصـدـامـ لـلـعـلـاقـاتـ مـعـ الدـوـلـ الـغـرـبـيـةـ فـوـقـ مـعـهاـ اـتـفـاقـيـةـ تـعـاـونـ اـقـتـصـادـيـ فيـ الـعـامـ 1976ـ أـثـارـتـ حـفـيـظـةـ الـاتـحـادـ السـوـفـيـاتـ عـلـيـهـ،ـ خـصـوصـاًـ أـنـ بـارـيسـ كـانـتـ قـدـ بـدـأـتـ تـلـعـبـ دـورـ جـسـرـ عـبـرـ الغـرـبـ إـلـىـ الـمـنـطـقـةـ الـعـرـبـيـةـ بـعـدـ عـقـدـ مـنـ قـطـعـ مـعـظـمـ الدـوـلـ الـعـرـبـيـةـ باـسـتـثـنـاءـ دـوـلـ الـخـلـيـجـ عـلـاقـاتـهـ مـعـ كـامـلـ الدـوـلـ الـغـرـبـيـةـ.ـ فـيـ ذـلـكـ الـعـامـ كـانـتـ فـرـنـسـاـ قـدـ دـخـلـتـ فيـ اـتـفـاقـ سـرـيـ مـعـ كـلـ مـنـ الـمـغـرـبـ وـمـصـرـ وـالـمـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـودـيـةـ وـإـيـرـانـ سـمـيـ بـاـتـفـاقـ السـفـارـيـ وـيـقـضـيـ بـتـعـاـونـ أـجـهـزـةـ الـبـلـدـانـ الـمـذـكـورـةـ مـلـكـافـحةـ الشـيـوـعـيـةـ فـيـ الـقـارـةـ الـأـفـرـيقـيـةـ.ـ<sup>421</sup>

Hinnebusch, Raymond; *Does Syria want Peace? Syrian Policy in the Syrian Israeli Peace Negotiations* ,<sup>420</sup>  
Journal of Palestine Studies Revue d'Etudes Palestiniennes, no. 101, Automne 1996

محمد حسين هيكل، خريف الغضب، القاهرة: الشروق.<sup>421</sup>

## اتفاقية الجزائر

شكلت العوامل الآنفة الذكر ظروفاً مؤاتية لصدام حسين والتيار المحافظ أو اليميني في حزب البعث ليعزّز نفوذه في مواجهة التيار اليساري في الحزب والذي كان قد بدأ يتقرّب من الرئيس أحمد حسن البكر ليتخد منه مظلة له. ولقد ترجم ذلك ازدواجية في سياسة العراق الخارجية والسياسات التي اعتمدتها. ففيما أرسل العراق ألوية مقاتلة للقتال إلى جانب الجيش السوري خلال حرب تشرين التحريرية، إلا أنه بعد سنة على ذلك دعم بعض الفصائل الفلسطينية واللبنانية خلال الحرب الأهلية التي اندلعت ضد النفوذ السوري في لبنان. وفيما كان العراق يتسلّح من الاتحاد السوفياتي، إلا أنه كان قد بدأ يتقارب مع الغرب. وكان صدام حسين يعتقد أن التقارب مع الغرب يمكن أن يجعل هذا الغرب وحلفاءه في الشرق الأوسط وأبرزهم إيران في سحب دعمها للمنتمدين للأكراد كما ورد آنفًا<sup>422</sup>.

في هذا الإطار جاءت اتفاقية الجزائر بين صدام حسين وشاه إيران محمد رضا بهلوي بوساطة من الرئيس الجزائري هواري بومدين عام 1975 والتي قبضت بترسيم الحدود بين البلدين في منطقة شط العرب وفقاً للرؤى والشروط الإيرانية. وكان الدافع لذلك بالنسبة لصدام، عدا عن إقطاع طهران بسحب دعمها للأكراد، موقف الشاه المعادي لرجال الدين الشيعة وهو ما كان يستهوي صدام الذي كان قد بدأ يواجه ضغوطاً متزايدة من قبل حزب الدعوة الإسلامية، كما ورد آنفًا<sup>423</sup>.

وكانت إيران تعارض اتفاقية ترسيم الحدود التي وقعت بين العراق وإيران في العام 1937 عندما كان البلدان واقعين تحت النفوذ البريطاني. وبناء على هذه الاتفاقية فإن ترسيم الحدود اعتمد نقطة وسط بين البلدين غير نقطة القدر المعتمدة في ترسيم الحدود البحرية بين البلدان والتي تقوم على الترسيم وفقاً لخط مناصفة عندما يكون مستوى البحر في أقصى انحدار له. وكانت إيران تطالب بالعودة إلى اتفاقية ترسيم الحدود بين العراق وإيران الموقعة مع الدولة العثمانية في العام 1913 والتي تعتمد نقطة القدر كأساس ترسيم الحدود بما يُحرم العراق من منطقة واسعة مطلة على الخليج. وقد استمر الخلاف حتى تسلّم البعث للسلطة في العراق والذي آثر تصعيد الأزمة مع إيران حين أبلغ حكومتها في العام 1969 رفضه الترسيم وفقاً لنقطة القدر. وردًا على ذلك صعدت إيران من دعمها للمنتمدين الكرد لحين توقيع اتفاقية الجزائر التي وافق من خلالها صدام

Phebe Marr, A History of Iraq, p.p. 155 – 156. <sup>422</sup>

Phebe Marr, A History of Iraq, p.p. 145 – 146. <sup>423</sup>

Phebe Marr, A History of Iraq, p.p. 153 – 154. <sup>424</sup>

حسين على وجهة نظر الحكومة الإيرانية لجهة ترسيم الحدود البحرية بين البلدين وتنازل بذلك عن قسم كبير من شط العرب لإيران.<sup>425</sup>

## نكبة البعثيين

في العام 1975 وقعت مصر اتفاقية فصل القوات الثانية مع إسرائيل والتي أخرجت عملياً القاهرة من الصراع مع إسرائيل. وقد عُدّ هذا خللاً كبيراً في موازين القوى لصالح الدولة العبرية. في الوقت نفسه عقد اتفاق جنيف للسلام برعاية من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي لتحقيق السلام بين العرب وإسرائيل إلا أن النيات الحقيقة للدولة العبرية التي كان قد وصل إلى سدة السلطة فيها اليمين المتطرف كانت في تحقيق سلام منفرد مع مصر وفقاً لشروط تل أبيب وفي فرض هيمنتها على المشرق العربي، وحتى إعادة رسم الجغرافيا السياسية لهذا المشرق وتقسيم هذه المنطقة دوبيات اثنية وعشائرية وطائفية وقبيلية. ردًّا على ذلك حاول الرئيس السوري حافظ الأسد بناء جبهة شرقية مواجهة إسرائيل تتكون من سوريا والعراق والأردن ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطيني. كذلك سعى إلى تأليف جبهة الصمود والتصدي من سوريا والعراق واليمن والجزائر ولibia مواجهة مفاعيل السلام المنفرد الذي وقعته إسرائيل مع مصر في آذار مارس 1979 في كامب ديفيد في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد سعى حافظ الأسد إلى إقامة وحدة مع العراق لإعادة توازن القوى مع الكيان الصهيوني وارتضى أن يكون هو نائباً للرئيس على أن يكون أحمد حسن البكر رئيس دولة الوحدة العراقية السورية. وقد رحب البكر والجناح المدني المؤيد له في البعث العراقي بالوحدة مع سوريا ووجدوا فيها وسيلة لهم لتجريح الكفة لصالحهم على حساب الجناح الأمني الذي يقوده صدام حسين، كما وجدوا فيه تدعيمًا ملحوظاً للتقارب مع الاتحاد السوفيتي وكتلة الدول الاشتراكية والدول العربية التقدمية على حساب العلاقة مع الغرب والقوى العربية التقليدية.

لكن في 22 تموز يوليو 1979 قام صدام حسين بانقلاب على رفاقه بالحزب وأجبر الرئيس أحمد حسن البكر على تقديم استقالته ووضعه في الإقامة الجبرية، ثم دعا إلى اجتماع عام لقيادات حزب البعث في قاعة الخلد في بغداد، حيث أعلمهم "بقرار البكر على الاستقالة" لدعاً صحيه وبدأ يتلو على مسامع الجميع لائحة بأسماء من اعتبرهم خونة وعملاء لحافظ الأسد ويدعوهم إلى الخروج

---

Counrtney Hunt, The History of Iraq, London: Greenwood Press, 2005, p. 90. <sup>425</sup>

يلقى أفراد من جهاز الأمن بتصفيتهم. وقد لفقت لهم للمتهمين وأخذت اعترافات تحت التعذيب والتهديد بقتل أسر المتهمين قبل إعدام 22 منهم.<sup>426</sup> ثم شنّ صدام والموالون له حملة اعتقالات طالت مئات القياديين البعثيين المعارضين له فقام بتصفيتهم جميعاً. وبذلك استتب الأمر لصدام كحاكم مطلق للعراق، فيما هرب آلاف الشيوعيين والبعثيين وأعضاء حزب الدعوة خارج العراق، ومن بقي منهم عمل في الخفاء مقاومة حكم صدام.<sup>427</sup>

## نحو الحرب الإيرانية العراقية

في أوائل السبعينيات من القرن الماضي حاول شاه إيران محمد رضا بهلوي كسر قبضة المؤسسة الدينية في إيران على الريف عبر الملكيات الزراعية الكبيرة التي كانت تمتلكها، خصوصاً أنه بعد الضربة التي كان قد تلقاها الشيوعيون الإيرانيون نتيجة الأزمة السوفياتية الإيرانية في العام 1946 والتي انتهت لصالح الحكومة الإيرانية التي استعادت سيطرتها على شمال إيران، وبعد الضربة التي تلقاها الليبراليون الإيرانيون عبر الانقلاب على حكومة الدكتور محمد مصدق في العام 1953 بدعم بريطاني أمريكي، فإن المؤسسة الدينية باتت العقبة الأخيرة بين الشاه وبين إعلان نفسه حاكماً مطلقاً لإيران.<sup>428</sup> وقد انبرى رجل دين في أوائل الخمسينيات من عمره هو روح الله الخميني لمعارضة توجّهات الشاه، وما لبث أن اندلعت مواجهات بين أنصاره وبين رجال الشرطة ذهب ضحيتها عدد من القتلى وأدت إلى اعتقال الخميني والحكم عليه بالإعدام. هنا اجتمع كبار العلماء الإيرانيين وأعلنوا الخميني مرجع تقليله لمنع تنفيذ حكم الإعدام به، ففرض الشاه عليه الإقامة الجبرية. وفي العام 1964 نفاه إلى النجف في العراق ليقيم هناك وينظم المعارضة للشاه. وكان هذا الإمام الخميني يسجل تسجيلات صوتية ويرسلها إلى أنصاره ليحثّهم على معارضة الشاه. وكان هذا يزعج الشاه ويهدّد استقرار حكمه، وعندما وقع مع صدام اتفاق الجزائر، تضمن الاتفاق وقف الشاه دعمه للمتمردين الأكراد في مقابل طرد صدام للإمام الخميني من العراق. ويُقال إن

Counrtney Hunt, The History of Iraq, London: Greenwood Press, 2005, p. 85. <sup>426</sup>

Phebe Marr, A History of Iraq, p. 173. <sup>427</sup>

Kenneth M. Pollack, The Persian Puzzle: The Conflict Between Iran and America, New York: <sup>428</sup> Random House, 2004, p.p. 63 – 71.

الخميني رفض في البداية قرار صدام ما جعل هذا الأخير يذهب بنفسه إلى مقر إقامته ويُجبره على الرحيل إلى الكويت ومنها إلى فرنسا.

في شباط فبراير 1979 اضطر الشاه إلى الهرب من إيران بعدما تحولت تظاهرات الاحتجاج التي كانت قد بدأت قبل عامين وتواصلت حتى أوائل العام 1979 ثورة شاملة أدت حتى إلى تمرّد الجيش عليه وإعلان ولائهم للإمام الخميني. وما لبث الإمام الخميني أن تبوأ سدة السلطة في إيران وأعلن قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية.<sup>429</sup> وكان الإمام الخميني قد استوحى الكثير من آرائه من حزب الدعوة الإسلامية العراقي فخشى صدام من إن تتحول إيران إلى قاعدة لدعم حزب الدعوة العراقي بما يهدّد استقرار حكمه في العراق. في هذا الوقت كانت الولايات المتحدة تخشى من أن تصبح إيران قاعدة لثورات تشمل العالمين العربي والإسلامي وكان لا بد لها من العمل لاحتوائها. وفي أواخر العام 1979 اكتشفت مؤامرة من قبل الأميركيين للتواصل مع بعض رموز الحكم الجديد في إيران للقيام بثورة مضادة وإطاحة الإمام الخميني. فرّد هذا الأخير بدفع الطلاب إلى احتلال السفارة الأمريكية في طهران، حيث اكتشفت وثائق تُدين كلاً من مهدي بازرگان ورئيس الدولة الحسن بن ناصر صدر وغيرهم. فقام الإمام الخميني بعملية تطهير واسعة للسلطة من العناصر الموالية للولايات المتحدة.<sup>430</sup> في الوقت نفسه كانت دول الخليج العربية تخشى من الدعوات التي أطلقها الإمام الخميني للثورة في الدول العربية والإسلامية ضد أنظمة الحكم القائمة والتي اعتبرها غير شرعية وموالية للغرب. وقد وجد قادة حزب الدعوة العراقي في نجاح ثورة الخميني محفزاً لهم على القيام بالمثل في العراق.<sup>431</sup> هذا جعل صدام يرد بحملة اعتقالات بحق قادة الحزب ومن ضمنهم مؤسسه وقائده الروحي الإمام محمد باقر الصدر وشقيقته حيث عرضهما للتعذيب ثم أمر بإعدامهما، كما أصدر قراراً يقضي بإعدام أي عضو من أعضاء حزب الدعوة. كذلك فلقد طمح صدام لأن يلعب دور شرطي الخليج لصالح الغرب والذي كان قد أنيط بشاه إيران قبل ذلك. كل هذه العوامل دفعت الغرب والدول العربية الخليجية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية لشنّ حرب على إيران، مستغلين حالة الارتباك التي كانت تعيشها نتيجة الصراع الداخلي على السلطة الذي تلا الثورة.<sup>432</sup>

Kenneth M. Pollack, *The Persian Puzzle: The Conflict Between Iran and America*, New York: <sup>429</sup> Random House, 2004, p.p.80 - 85.

Robert Fisk, *the Great War for Civilization*, Chapter the Carpet Weavers. <sup>430</sup>  
Courtney Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p. 91. <sup>431</sup>  
Phebe Marr, *A History of Iraq*, p.p. 171 - 173. <sup>432</sup>

## مسار الحرب بين العراق وإيران

بدأت الحرب بهجوم عراقي شامل على إيران في 22 أيلول سبتمبر 1980 عندما قام سلاح الجو العراقي بالإغارة على المطارات الإيرانية، إلا أن الهجوم لم يحقق أهدافه بتدمير الطائرات والمطارات الإيرانية بالكامل، وقد اتبع هذا الهجوم بهجوم بري على طول 644 كيلومتراً من الحدود الإيرانية العراقية في ثلاثة محاور شمالية ووسطى وجنوبية، وكان الزخم الأساسي للهجوم في الجنوب باتجاه ميناء عبдан الإيراني ومدينة خرمشهر وهي عاصمة منطقة خوزستان الإيرانية أو المحرمة باللغة العربية. وكان صدام يأمل أن يؤدي الهجوم الكبير الذي شنه إلى انهيار حكومة الإمام الخميني وإلى قبول إيران بالشروط العراقية لوقف إطلاق النار، إلا أن حسابات صدام لم تتحقق. وفي اليوم التالي شنّ الطيران الحربي الإيراني هجوماً معاكساً على الوحدات العراقية المهاجمة وعلى عدد من المطارات والقواعد العراقية إضافة إلى مصافي النفط والسدود وعدد من الأهداف العسكرية والمدنية العراقية الأخرى ما وجه ضربة قاسية للبني التحتية العراقية الاقتصادية. على الرغم من ذلك فلقد تمكّن الجيش العراقي من محاصرة مدينة خرمشهر واحتلالها في 24 تشرين الأول أكتوبر 1980 فيما انسحب الجيش الإيراني إلى الشرق من نهر قارون. بعد ذلك أمر صدام الجيش العراقي بالتقدم نحو الأحواز إلا أن الطيران الإيراني كان قد تمكّن من ضرب مخازن السلاح العراقية وفرض مظلة جوية فوق جنوب العراق ما عرقل الجهود العسكرية العراقية.<sup>433</sup> وقد ساهمت الضربة في تقوية نظام الإمام الخميني عوض إضعافه إذ إنها استفزت الوطنية الإيرانية وجعلت الشعب الإيراني بمعظم أطيافه يلتّف حول الإمام الخميني ما مكّن البلاد من الصمود أمام تقدم الجيش العراقي وأفشل محاولاته في احتلال عبдан على الرغم من محاصرته لها من جهة البر. هذا جعل صدام يأمر الجيش العراقي في كانون الأول ديسمبر باعتماد استراتيجية دفاعية ضد الجيش الإيراني الذي كان قد بدأ بتنظيم هجماته لاسترداد المناطق التي خسرها في الأسابيع الأولى للحرب. وفي كانون الثاني يناير 1981 شنّ الجيش الإيراني هجوماً واسع النطاق بالدبابات في منطقة دزفول وتمكن من اختراق الدفاعات العراقية في البداية إلا أن الجيش العراقي تمكّن من محاصرة المهاجمين وتكتيدهم خسائر كبيرة في الدبابات. بعد ذلك ثبتت الجبهة نحو ثمانية أشهر تخللتها مناورات متبادلة على طول خط الجبهة.<sup>434</sup>

Stephen C. Pelletiere, The Iran- Iraq War: Chaos in a Vacuum, New York: Praeger Publishers, 1992, <sup>433</sup>

p.p. 23 – 46.

Counrtney Hunt, The History of Iraq, London: Greenwood Press, 2005, p.p. 92. <sup>434</sup>

في بداية العام 1982 كانت إيران قد بدأت تعتمد تكتيكيًّا جديديًّا في الحرب وهو الهجوم بوجات بشرية وذلك للتعويض عن نقص العتاد الثقيل لديها نتيجة الحظر الغربي وحتى الشرقي عليها والذي منعها من شراء السلاح من السوق العالمية. في المقابل كان العراق يتمتع بالقدرة على شراء السلاح المتقدم من الاتحاد السوفيتي والصين وفرنسا. ومع حلول شهر تشرين الثاني نوفمبر 1981 بدأ الإيرانيون بهجوم واسع النطاق استخدمت فيه ثلاثة ألوية مدرعة وسبع فرق تابعة للحرس الثوري الإيراني لتتمكن من استعادة مدينة البستان ومناطق واسعة من القوات العراقية على الرغم من الخسائر الإيرانية الكبيرة والتي بلغت ثلاثة أضعاف الخسائر العراقية. وفي آذار مارس 1982 كانت إيران قد أطلقت هجوماً كبيراً باسم الفتح المبين تمكنت من خلاله بكسر الدفاعات العراقية وحاصروها بالقرب من مدينة شوش، وبنتيجة المعركة تمكنت إيران من استعادة شوش ودزفول والأحواز واستعادوا معظم ولاية الأحواز. في هذا الوقت كان الطيران الحربي الإيراني قد أغار على المطارات العراقية مدمراً نحو خمسين طائرة حربية عراقية حديثة ما أعطاه تفوقاً جوياً كبيراً. هذا منح القوات الإيرانية الفرصة لشن هجوم كبير على القوات العراقية مجبرة إياها على التراجع غرباً إلى نهر قارون. ومع حلول أواخر شهر أيار مايو تمكنت القوات الإيرانية من استعادة مدينة خرمشهر ومعظم الأراضي التي كانت القوات العراقية قد احتلتها قبل عام ونصف وبدأت تتحضر للهجوم على الأراضي العراقية. وبنتيجة الهزيمة أمر صدام بإعدام عدد من كبار القادة العراقيين "عقاباً لهم على تقصيرهم".<sup>435</sup>

مع حلول حزيران يونيو 1982 عرض صدام حسين وقفًا لإطلاق النار على إيران إلا أن الإمام الخميني رفض ذلك مطالبًا بـ“بتغيير النظام في العراق ودفع تعويضات لإيران، وكان الإمام الخميني يأمل تصدير الثورة الإسلامية إلى البلد المجاور في إطار إيمانه بثورة عالمية إسلامية ضد قوى الاستكبار”.<sup>436</sup> وكانت سوريا تقف إلى جانب إيران بعد الزيارة التاريخية التي قام بها الرئيس حافظ الأسد إلى طهران في صيف العام 1980. في المقابل كانت فرنسا والاتحاد السوفيتي تدعمان العراق، خصوصاً أن موسكو كانت غاضبة على الثورة الإيرانية نتيجة تصفيه الحزب الشيوعي الإيراني على يد أنصار الإمام الخميني. في الوقت نفسه كانت الولايات المتحدة قد قررت الانفتاح على العراق بعد رفعها له عن قائمة الدول الراعية للإرهاب وزيارة موعد أميركي هو دونالد رامسفيلد لبغداد ولقاءه صدام حسين. في هذا الوقت كانت إيران قد حشدت مئاتآلاف الجنود

Stephen C. Pelletiere, The Iran- Iraq War: Chaos in a Vacuum, New York: Praeger Publishers, 1992, <sup>435</sup>

p.p. 49 – 71.

Counrtney Hunt, The History of Iraq, London: Greenwood Press, 2005, p. 92. <sup>436</sup>

للهجوم على جنوب العراق وقد نجحت قواتها في التقدم إلى البصرة ومحاصرتها لكنها عجزت عن احتلالها.<sup>437</sup> وقد بقيت القوات الإيرانية على أطراف البصرة طوال عامي 1983 و1984 حيث خاض البلدان حرب استنزاف ضد بعضهما البعض طالت أيضاً المصالح الاقتصادية لكل منهما إذ بدأت القوات الجوية والبحرية للبلدين تشن هجمات على ناقلات النفط التي تنقل نفطهما إلى الأسواق العالمية. كذلك شن العراقيون والإيرانيون هجمات بالصواريخ الباليستية ضد المدن الإيرانية والعراقية.<sup>438</sup> مع حلول شباط فبراير 1986 تمكن الإيرانيون من كسر الجمود في الجبهة وشنوا هجوماً واسعاً تمكنوا خلاله من احتلال شبه جزيرة الفاو العراقية المطلة على الخليج.<sup>439</sup> وقد فشلت الهجمات العراقية المضادة من استعادة الفاو ما شكل ضربة قاسية للعراق ولنظام صدام حسين. وقد حاول الإيرانيون بعد ذلك من التقدم باتجاه ميناء أم القصر إلا أن العراقيين تمكنوا من صد الهجوم. ولتحويل أنظار الإيرانيين من الجنوب هاجم صدام في الوسط وتمكن في أيار مايو 1986 من احتلال مدينة مهران إلا أن الإيرانيين تمكنوا من استعادتها في شهر تموز يوليو.<sup>440</sup>

هذه النجاحات الإيرانية جعلت الولايات المتحدة أكثر حماساً لدعم صدام حسين ومدّه بمعلومات استخبارية من الأقمار الصناعية الأميركية. هذا مكّن الجيش العراقي من تفعيل دفاعاته ضد الهجمات الإيرانية والتحضير لاستعادة الفاو في العام 1987. بعد ذلك شنّ الجيش العراقي في بدايات العام 1988 هجوماً واسع النطاق على طول خط الجبهة تمكن من خلاله من احتلال عدد من المناطق الحدودية مع إيران وكسر معنويات الجيش الإيراني ما أُجبر الإمام الخميني على القبول بوقف إطلاق النار بعد حرب دامت نحو ثمانية أعوام وكلفت البلدين مئات الآلاف القتلى والجرحى وخسائر تقدر بمئات مليارات الدولارات مع تدمير البنية التحتية ووقوع كل من إيران وال العراق في مديونية كبيرة قدرت بمئات مليارات الدولارات.<sup>441</sup> وقد شهد العام 1991 حدثين رئيسيين لهما أهمية كبرى على الصعيد الدولي وعلى مستوى الشرق الأوسط وكانت لهما تداعيات على السياسة السورية تجاه إسرائيل. كان الأول هو حرب الخليج الثانية التي أدّت إلى تدمير القوة العسكرية العراقية وفرض حظر على العراق ما جعله يفقد قدرته على لعب دور على الصعيد الإقليمي، أما الحدث الثاني فكان انهيار الاتحاد السوفيتي. وقد فتح ذلك المجال أمام الحديث عن قيام نظام

Stephen C. Pelletiere, *The Iran- Iraq War: Chaos in a Vacuum*, New York: Praeger Publishers, 1992, <sup>437</sup> p.p. 71 – 92.

Counrtny Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p.p. 93 – 94. <sup>438</sup>

Counrtny Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p. 93. <sup>439</sup>

Stephen C. Pelletiere, *The Iran- Iraq War: Chaos in a Vacuum*, New York: Praeger Publishers, 1992, <sup>440</sup> p.p. 93 -116.

Counrtny Hunt, *The History of Iraq*, London: Greenwood Press, 2005, p. 94. <sup>441</sup>

إقليمي جديد في الشرق الأوسط يكون تحت الهيمنة الإسرائيلية ويضمن ولاء المنطقة للولايات المتحدة.

## تفكك الاتحاد السوفيتي وضرب العراق

في العام 1985، وصل ميخائيل غورباتشوف إلى السلطة في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ما آذن بتراجع نفوذه وتفكك كتلته في العام 1989 ثم انهياره في العام 1991. ومنذ السبعينيات من القرن الماضي، كان الاتحاد السوفيتي قد بدأ يعاني من الجمود على الصعد كافة. فهو لم يكن قادراً على مواجهة الأزمة في أفغانستان أو في بولونيا. وفي الشرق الأوسط، كان نفوذ الاتحاد السوفيتي قد بدأ بالانحسار منذ العام 1967. وكانت بدايات التحول في الاتحاد السوفيتي قد بدأت بالظهور بعد قمة هلسنكي في العام 1975 وهو ما جرى تأكيده بعد عقد من الزمان خلال مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا الذي كان قد عُقد في باريس في العام 1985.<sup>442</sup> وبنتيجة ذلك أصبحت الولايات المتحدة تتجه نحو التفرد في إدارة العلاقات.<sup>443</sup> وقد أدّت المشكلات الاقتصادية التي وقعت فيها روسيا بعد تفكك الاتحاد السوفيتي إلى الخضوع للإملاءات الأميركية.<sup>444</sup> وبنتيجة ذلك لم يُعد بإمكان الدول العربية المعادية للولايات المتحدة مثل سوريا والجزائر وليبيا التعمّيل على دعم الاتحاد السوفيتي ما أضعف موقف دمشق في مواجهة إسرائيل. ففي نيسان أبريل من العام 1987، أبلغ غورباتشوف الرئيس السوري حافظ الأسد بأن الاتحاد السوفيتي لم يُعد قادراً على تقديم الدعم له في مواجهة إسرائيل والولايات المتحدة.<sup>445</sup> وكان غورباتشوف يعوّل على الرضى الأميركي عليه ليحتفظ بقدر من النفوذ في الشرق الأوسط.<sup>446</sup>

غير أن الولايات المتحدة كانت لها أهداف مختلفة إذ إنها استغلّت تلك التطورات لفرض هيمنتها على الشرق الأوسط الغني بالنفط. فالشرق الأوسط يحتوي على 65% من الاحتياطي

<sup>442</sup> يوسف الصايغ: "دلائل التحولات الجوهرية في مجموعة البلدان الإشتراكية الأوروبية بالنسبة إلى الوطن العربي وقضية فلسطين"، المستقبل العربي، عدد رقم 150، آب/أغسطس 1991، ص. 5.

<sup>443</sup> محمد ذكريا إسماعيل، "النظام الدولي الجديد بين الوهم والحقيقة"، المستقبل العربي، عدد رقم 143، كانون الثاني/يناير 1991، ص. 7.

Hermann, Richard, "Russian Policy in the Middle East: Strategic change and Tactical Considerations",<sup>444</sup> Middle East Journal, vol.84, no.3, été 1994, p.454.

Atherton, Alfred Leroy, "The Shifting Sands of the Middle East Peace", Foreign Policy, no.83, spring<sup>445</sup> 1992, p.118.

Hanna, John P.: "At arms length Soviet Syrian relations in the Gorbachev era". p.5.<sup>446</sup>

ال العالمي للنفط.<sup>447</sup> وكانت الولايات المتحدة تطمح للسيطرة عليه حتى تحتكر تزويد النفط لأوروبا الغربية واليابان وتبقيهما تحت هيمنتها.<sup>448</sup> هذا أدى إلى شعور الدول العربية بوقوعها تحت رحمة الهيمنة الأمريكية ما جعل الرئيس العراقي الراحل صدام حسين يقول في شباط فبراير بأن نهاية الحرب الباردة شكلت كارثة على العرب.<sup>449</sup> وقد أدى ذلك إلى اختلال التوازن في المنطقة بشكل كبير لصالح إسرائيل ما جعل الأسد يقترب بأن الولايات المتحدة ستنهي مصالحها على الساحة العالمية للعقد التالي.<sup>450</sup> وقد جعله ذلك يسعى للتقارب مع الولايات المتحدة وتتجنب الصدام معها.<sup>451</sup> وكانت اليابان تستورد 70% من احتياجاتها النفطية من الشرق الأوسط، وفرنسا 32% وإيطاليا 35%.<sup>452</sup> وفي العام 1990، كانت الولايات المتحدة نفسها تستورد 50% من احتياجاتها النفطية من الشرق الأوسط وفنزويلا.<sup>453</sup> وكانت الولايات المتحدة قد وعثت أهمية النفط العربي بالنسبة لها منذ الثلاثينيات من القرن العشرين.<sup>454</sup> وقد ساهم الحظر النفطي الذي فرضته الدول العربية على العرب خلال حرب أكتوبر 1973 والثورة الإسلامية في إيران في العام 1979 إلى قلق الولايات المتحدة من أن تفلت المنطقة من تحت سيطرتها ما دفعها إلى نشر قوة تدخل سريع في منطقة الخليج في العام 1980. وقد ساهم انهيار الاتحاد السوفيتي في إطلاق العولمة التي أراد من خلالها الغرب الرأسمالي فرض سوق عالمية موحدة تحت سيطرته مع الاستعداد للتدخل العسكريًّا في دول العالم الثالث التي تعارض سياساته.<sup>455</sup>

وكان العراق بقوته العسكرية وقدراته الاقتصادية والديمografية يشكل عقبة في وجه الهيمنة الأمريكية على الخليج، لذلك فلقد بدأت واشنطن تفكّر بالقضاء على القوة العسكرية العراقية. وكان الهدف الآخر هو منع القوى الأوراسية المرشحة للصعود من أن تكون لها إطلالة

<sup>447</sup> محمد ذكري إسماعيل: "النظام الدولي الجديد بين الوهم والخداع"، ص. 15.

<sup>448</sup> محمد ذكري إسماعيل: "النظام الدولي الجديد بين الأهم والخداع"، ص. 9.

<sup>449</sup> و سمير أمين: "بعد حرب الخليج، الهيمنة الأمريكية إلى أين؟"، المستقبل العربي، رقم 170، نيسان/أبريل 1993، ص. 15.

<sup>450</sup> Rodman, Peter: "Middle East Policy after the Gulf War", Foreign Affairs, vol.70, printemps 1991, p. 223.

<sup>451</sup> et Karawan, Ibrahim A.: Arab "Dilemmas in the 1990's: Breaking taboos and searching for signposts", p. 435.

<sup>452</sup> Fuller, Graham E.: "Moscow and the Gulf War", Foreign Affairs, vol.70, été 1991, p.65.

<sup>453</sup> Karawan, Ibrahim A.: "Arab Dilemmas in the 1990's: Breaking taboos and searching for signposts", p.434.

<sup>454</sup> محمد ذكري إسماعيل، "النظام الدولي الجديد بين الوهم والخداع"، ص. 9.

<sup>455</sup> Raich, Bernard "The United States in the Middle East", Current History, janvier 1991, p. 7.

<sup>456</sup> Laurens, Henry: Pourquoi Ryad préfère le parapluie américain? , Le Monde Diplomatique août 1992, p. 8.

<sup>457</sup> سمير أمين، "بعد حرب الخليج، الهيمنة الأمريكية إلى أين؟"، ص. 5.

على طرق الملاحة البحرية وأهمها منطقة شرق المتوسط. فوفقاً لـ زبغنيو بريجنسيكي وغيره من الاستراتيجيين الأميركيين فإن أوراسيا هي مفتاح السيطرة على العالم. ويعتبر بريجنسيكي أن "الجزء الأوروبي من أوراسيا قد يستخدم للسيطرة على أفريقيا في حين أنَّ روسيا قد تخدم للسيطرة على القارة الآسيوية فضلاً عن أوقانيا والمحيطين الهندي والهادئ والقطبيين".<sup>456</sup> وكان ولIAM كيسى، رئيس السي آي إى (وكالة الاستخبارات المركزية) بين 1981 و1987، التقى عام 1989 برئيس المخابرات العراقية في مدريد وأكَّدَ أنَّ الولايات المتحدة تعارض احتلال العراق لمنطقة خوزستان في إيران، غير أنها لم تكن ضد احتلال الكويت.<sup>457</sup>

كذلك كان العراق يشكل خطراً على أمن إسرائيل والتي تعتبر عماد الاستراتيجية الأميركيَّة في الشرق الأوسط. وقد ساهم اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة بتشجيع واشنطن على اعتماد استراتيجية عدائية ضد العراق.<sup>458</sup> القلق على أمن إسرائيل زاده تهديد صدام حسين بقصف إسرائيل وحذفها عن الخريطة.<sup>459</sup> وقد أعلن وزير الخارجية الأميركي جيمس بايكر مباشرة عقب تدمير القوة العسكرية العراقية بأن الولايات المتحدة أزالت عن الخريطة "قوة كان بإمكانها تهديد وجود إسرائيل".<sup>460</sup> بناء على ذلك دفعت الولايات المتحدة بالإمارات العربية المتحدة والكويت والمملكة العربية السعودية إلى زيادة إنتاجها من النفط الخام وتخفيف أسعار النفط العالمية بغية تقليل عائدات العراق التي كان يحتاجها لإعادة الإعمار بعد الحرب الإيرانية ما دفع بصدام حسين إلى اتخاذ القرار بغزو الكويت معتقداً بأنه أخذ الضوء الأخضر لذلك من السفيرة الأميركيَّة في العراق أبريل غلاسبي.<sup>461</sup> وكانت الولايات المتحدة قد بدأت بإعداد الخطط العسكرية للحرب ضد العراق منذ العام 1989 أي مباشرة بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية. وفي تشرين الأول أكتوبر 1989 قام قائد القيادة المركزية في الجيش الأميركي الجنرال نورمان شوارتزكوف بزيارة إلى المملكة

<sup>456</sup> زبغنيو بريجنسيكي، رقعة الشطرنج الكبri، ص. 48.

<sup>457</sup> هيكل، ص. 170.

De la Gorce, Paul Marie, *Négociations dans l'impasse, nouveaux rapports de force, la défense israélienne en état d'alerte*, Le Monde Diplomatique, septembre 1990, p.12

Raich, Bernard, "The United States in the Middle East", Current History, Janvier 1991, p.7<sup>459</sup>

Al Nasrawi, Abbas, "US Foreign Policy in the Middle East", Arab Studies Quarterly, vol.11, no.1, Hiver 1989.<sup>460</sup>

De la Gorce, Paul Marie, *Négociations dans l'impasse, nouveaux rapports de force, la défense israélienne en état d'alerte*, Le Monde Diplomatique, septembre 1990, p.12<sup>461</sup>

العربية السعودية لبحث الخطر الذي يمثله العراق للملكة والخطط العسكرية الضرورية للدفاع عن المملكة. وبعد عودة شوارزكوف أقر الرئيس الأميركي جورج بوش الخطط العسكرية الأميركية. وبعد اجتياح العراق للكويت في 2 آب أغسطس 1990 عرقل الرئيس بوش أي مسعى في الأمم المتحدة لحل الأزمة سلمياً.<sup>462</sup>

كانت الولايات المتحدة تبرز باعتبارها المستفيد الأكبر من هذه الحرب، وقد وسعت نطاق سيطرتها المباشرة على منطقة الخليج. فقد سحقت القوة العسكرية العراقية، وعززت التفوق الإسرائيلي في الشرق الأوسط وتمكن من عرقلة تحول اليابان وأوروبا قوتين عظيمتين منافستين لها لعقد من الزمن.<sup>463</sup> وقد تمكنّت الولايات المتحدة من شقّ صف الدول العربية بشكل غير مسبوق،<sup>464</sup> كما تمّ توجيه ضربة قوية لفكرة القومية العربية<sup>465</sup> وقد كانت لضرب العراق تداعيات خطيرة على سوريا التي فقدت عميقها الاستراتيجي ووجدت نفسها مكشوفة للتهديدات الإسرائيلي.<sup>466</sup> هذا ما جعلها تختار التعاون مع الولايات المتحدة عوض التصادم معها. وبعد حرب الخليج، بدأت تناقض سيناريوهات لرسم خريطة جيوسياسية جديدة للشرق الأوسط. فعقب الضربة تمّ تقسيم العراق ثلاث مناطق، كردية في الشمال، وشيعية في الجنوب و逊ية في الوسط. رغم ذلك، لم يتمّ تقسيم العراق ثلاث دول ملتحقة تركيا استقلال كردستان العراق وتأثيره على أكرادها هي.<sup>467</sup> كذلك كانت دول الخليج العربية تعارض إنشاء دولة شيعية في جنوب العراق لأنّ من شأنها أن تسمح بتسلّل النفوذ الإيراني إلى منطقة الخليج. بالإضافة إلى ذلك، اختار الأميركيون عدم القضاء على صدام حسين للحفاظ على وضع الأمر الواقع في المنطقة.<sup>468</sup>

---

Toinet, Marie-France: M, « *Bush, seul décideur* », Le Monde Diplomatique, février 1991, p.4.<sup>462</sup>

<sup>463</sup> محمد ذكري إسماعيل، "الهوية العربية في مواجهة السلام الإسرائيلي"، المستقبل العربي، عدد رقم 190، كانون الأول/ديسمبر 1994، ص. 27.

Kirsh, George Klay Jr, "Western Imperialism in the Middle East, the Case of the United States Military Intervention in the Persian Gulf", p.13<sup>464</sup>

<sup>465</sup> يزيد الصايغ، "أزمة الخليج وإخفاق النظام الإقليمي العربي"، المستقبل العربي، عدد رقم 149، تموز/يوليو 1991، ص. 17.

<sup>466</sup> Ma'oz, Moshé, "Syrian-Israeli Relations and the Middle East Peace Process", p.11

<sup>467</sup> Atkins, James E, "The New Arabia", Foreign Affairs, vol.70, été 1991, p.42

<sup>468</sup> Thobie, Jacques, *De l'Atlantique aux confins de la Perse: les frontières brûlantes cicatrices des partages coloniales*, Le Monde Diplomatique, nov. 1990, p.14

## دستور العراق

خلال الفترة الممتدة من العام 1970 و 1991 صدر دستوران للعراق هما الدستور المؤقت لعام 1970 ودستور العام 1991. وقد نص دستور العام 1970 على:

المادة الأولى: العراق جمهورية ديمقراطية شعبية ذات سيادة، هدفه الأساس تحقيق الدولة العربية الواحدة وإقامة النظام الاشتراكي.

المادة الثانية: الشعب مصدر السلطة وشرعيتها.

المادة الثالثة: أ - سيادة العراق وحدة لا تتجزأ.

ب - أرض العراق وحدة لا تتجزأ ولا يجوز التنازل عن أي جزء منها.

المادة الرابعة: الإسلام دين الدولة.

المادة الخامسة: أ - العراق جزء من الأمة العربية.

ب - يتكون الشعب العراقي من قوميتين رئيسيتين، هما القومية العربية والقومية الكردية، ويقر هذا الدستور حقوق الشعب الكردي القومية والحقوق المشروعة للأقليات كافة ضمن الوحدة العراقية.

المادة السادسة: الجنسية العراقية وأحكامها ينظمها القانون.

المادة السابعة: أ - اللغة العربية هي اللغة الرسمية.

ب - تكون اللغة الكردية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية في المنطقة الكردية.

المادة الثامنة: أ - عاصمة الجمهورية العراقية بغداد ويجوز نقلها بقانون.

ب - تُقسم الجمهورية العراقية إلى وحدات إدارية وتنظم على أساس الإدارة الالامركزية.

المادة التاسعة: علم الجمهورية العراقية وشعارها والأحكام المتعلقة بهما تُحدد بقانون.

### الباب الثاني

الأسس الاجتماعية والاقتصادية للجمهورية العراقية

المادة العاشرة: التضامن الاجتماعي هو الأساس الأول للمجتمع. ومضمونه أن يؤدي كل مواطن واجبه كاملاً تجاه المجتمع وأن يكفل المجتمع للمواطن كامل حقوقه وحرياته.

المادة الحادية عشرة: الأسرة نواة المجتمع وتكتف الدولة حمايتها ودعمها، وترعى الأمة والطفولة.

المادة الثانية عشرة: تتولى الدولة تخطيط وتوجيه وقيادة الاقتصاد الوطني بهدف:

أ - إقامة النظام الاشتراكي على أساس علمية وثورية.

ب - تحقيق الوحدة الاقتصادية العربية.

المادة الثالثة عشرة: الثروات الطبيعية ووسائل الإنتاج الأساسية ملك الشعب. تستثمرها السلطة المركزية في الجمهورية العراقية استثماراً مباشراً وفقاً لمقتضيات التخطيط العام للاقتصاد الوطني.

المادة الرابعة عشرة: تكفل الدولة وتشجع وتدعم جميع أشكال التعاون في الإنتاج والتوزيع والاستهلاك.

المادة الخامسة عشرة: للأموال العامة وملمتلكات القطاع العام، حرمة خاصة، على الدولة وجميع أفراد الشعب صيانتها والسهر على أنها وحديتها. وكل تخريب فيها، أو عدوان عليها يعتبر تخريباً في كيان المجتمع وعدواناً عليه.

المادة السادسة عشرة: أ- الملكية وظيفة اجتماعية تمارس في حدود أهداف المجتمع ومناهج الدولة، وفقاً لأحكام القانون.

ب - الملكية الخاصة والحرية الاقتصادية الفردية، مكفولتان في حدود القانون وعلى أساس عدم استثمارهما في ما يتعارض أو يضر بالتنمية الاقتصادية العام.

ج - لا تنزع الملكية الخاصة إلا لمقتضيات المصلحة العامة ووفق تعويض عادل حسب الأصول التي يحددها القانون.

د - الحد الأعلى للملكية الزراعية يعينه القانون، وما فاض عن ذلك يعتبر ملكاً للشعب.

#### الباب الرابع

##### مؤسسات الجمهورية العراقية

##### الفصل الأول: مجلس قيادة الثورة

المادة السابعة والثلاثون: مجلس قيادة الثورة هو الهيئة العليا في الدولة الذي أخذ على عاتقه في السابع عشر من شهر تموز 1968 مسؤولية تحقيق الإرادة الشعبية العامة بانتزاع السلطة من النظام الرجعي الفردي الفاسد وإعادتها إلى الشعب.

المادة الثامنة والثلاثون: يمارس مجلس قيادة الثورة بأغلبية ثلثي أعضائه الصالحيات الآتية:

أ - انتخاب رئيس له من بين أعضائه يُسمى رئيس مجلس قيادة الثورة ويكون حكماً رئيساً للجمهورية.

ب - انتخاب نائب للرئيس من بين أعضائه يُسمى نائب رئيس مجلس قيادة الثورة يحل محل الرئيس حكماً بصفاته المحددة في الفقرة السابقة في حالة غيابه رسمياً أو في حالة تعذر أو استحالة ممارسته اختصاصاته الدستورية لأي سبب مشروع.

ج - اختيار أعضاء جدد للمجلس من بين أعضاء القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي على ألا يتجاوز عدد أعضائه اثنى عشر عضواً.

د - البت في استقالة الرئيس أو نائبه أو أحد أعضاء المجلس.  
هـ - إعفاء أيٍ من أعضائه من عضوية المجلس.

و - اتهام ومحاكمة أعضاء مجلس قيادة الثورة ونواب رئيس الجمهورية والوزراء.

المادة التاسعة والثلاثون: يؤدي رئيس مجلس قيادة الثورة ونائبه والأعضاء أمام المجلس اليمين التالية:

(أقسم بالله العظيم وبشرفي ومحبتي أن أحافظ على النظام الجمهوري وألتزم بدستوره وقوانينه وأن أرعى مصالح الشعب وأسهر على استقلال البلاد وسلامتها ووحدة أراضيها وأن أعمل بكل تفانٍ وإخلاص لتحقيق أهداف الأمة العربية في الوحدة والحرية والاشتراكية).

المادة الأربعون: يتمتع رئيس مجلس قيادة الثورة ونائبه والأعضاء بحصانة تامة ولا يجوز اتخاذ أيٍ إجراء بحق أيٍ منهم إلا بإذن مسبق من المجلس.

المادة الحادية والأربعون: أ - يجتمع مجلس قيادة الثورة بدعة من رئيسه أو نائبه أو ثلث أعضائه وتنعقد الاجتماعات برئاسة الرئيس أو نائبه وبحضور أكثري الأعضاء.

ب - اجتماعات ومداولات مجلس قيادة الثورة سرية، وإفشاوها يقع تحت طائلة المساءلة الدستورية أمام المجلس، ويتم إعلان ونشر وتبليغ مقررات المجلس بالطرق المبيّنة في هذا الدستور.

ج - تقرر القوانين والقرارات في المجلس بأغلبية عدد أعضائه ما خلا الحالات التي نص بها الدستور على خلاف ذلك.

المادة الثانية والأربعون: يمارس مجلس قيادة الثورة الصلاحيات التالية:  
أ - إصدار القوانين والقرارات التي لها قوة القانون.

ب - إصدار القرارات في كل ما تستلزمه ضرورات تطبيق أحكام القوانين النافذة.

المادة الثالثة والأربعون: يمارس مجلس قيادة الثورة بأغلبية عدد أعضائه الصلاحيات التالية:

أ - إقرار شؤون وزارة الدفاع والأمن العام ووضع القوانين واتخاذ القرارات في كل ما يتعلق بهما من ناحية التنظيم والاختصاصات.

ب - إعلان التعبئة العامة جزئياً أو كلياً وإعلان الحرب وقبول الهدنة وعقد الصلح.

ج - المصادقة على مشروع الميزانية العامة للدولة والميزانيات المستقلة والاستثمارية الملحقة بها، واعتماد الحسابات الختامية.

د - المصادقة على المعاهدات والاتفاقيات الدولية.

هـ - وضع نظامه الداخلي وتحديد ملకاته وتقرير موازنته وتعيين موظفيه وتحديد مكافآت ومخصصات الرئيس ونائبه وأعضائه وموظفيه.

و- وضع القواعد المتعلقة بمحاكمة أعضائه، من حيث تشكيل المحكمة والإجراءات الواجب اتباعها فيها.

ز - تخويل رئيسه أو نائبه بعض اختصاصاته المبينة في هذا الدستور عدا الاختصاصات التشريعية.  
المادة الرابعة والأربعون: يتولى رئيس مجلس قيادة الثورة:

أ - رئاسات اجتماعات المجلس وتمثيله وإدارة جلساته والأمر بالصرف عليه.

ب - توقيع جميع القوانين والقرارات الصادرة عن المجلس ونشرها في الجريدة الرسمية.

ج - مراقبة أعمال الوزارات والمؤسسات في الدولة، ودعوة الوزراء للتداول في شؤون وزاراتهم واستجوابهم عند الاقتضاء وإطلاع مجلس قيادة الثورة على ذلك.

المادة الخامسة والأربعون: يكون كل من رئيس مجلس قيادة الثورة ونائبه وأعضاؤه مسؤولاً أمام المجلس عن خرق الدستور أو عن الحنث بمحاجبات اليمين الدستورية أو عن أي عمل أو تصرف يرافق المجلس مخلاً بشرف المسؤولية التي يمارسها.<sup>469</sup>

وفي العام 1991 وبعد ضرب العراق على يد الولايات المتحدة وحلفائها تم إصدار دستور جديد شابه إلى حد بعيد دستور العام 1970 وجاء فيه:

المادة الأولى: العراق دولة مستقلة ذات سيادة، نظام الحكم فيها جمهوري رئاسي.

المادة الثانية: العراق جزء من الوطن العربي، يعمل لتحقيق الوحدة العربية الشاملة.

المادة الثالثة: الشعب مصدر السلطة وشرعيتها، يمارسها عن طريق ممثليه أو بالاستفتاء.

المادة الرابعة: إقليم العراق وحدة لا تتجزأ، ولا يجوز التنازل عن أي جزء منه لأي سبب وتحت أي ظرف كان.

المادة الخامسة: الإسلام دين الدولة الأساسي.

المادة السادسة: يتكون شعب العراق من العرب والأكراد، ويقر الدستور حقوق الأكراد القومية ويضمن الحقوق المنشورة للعراقيين كافة ضمن وحدة الوطن والدولة والمجتمع.

المادة السابعة: اللغة العربية هي اللغة الرسمية، وتكون اللغة الكردية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية في منطقة الحكم الذاتي.

المادة الثامنة: عاصمة العراق بغداد.

المادة التاسعة:

أولاً: علم العراق، وشعاره، ونشيده الوطني، يحدّدها القانون.

<sup>469</sup> راجع الدستور المؤقت لعام 1970 على موقع المحكمة الدستورية العراقية /<https://www.hjc.iq/view.81>

ثانياً: العيد الوطني هو يوم 17 تموز، ذكرى ثورة 17 - 30 تموز العظيمة.

المادة العاشرة: يقوم النظام السياسي في العراق على الديمقراطية والاشتراكية، بوجب رأي الشعب ومصلحته، وبما يضمن العدالة الاجتماعية، والحرية الاقتصادية المحددة بمنع الاستغلال.

المادة الحادية عشرة: يتكون العراق من وحدات إدارية، تنظم شؤونها المحلية بقانون.

المادة الثانية عشرة: تتمتع المنطقة التي غالبيتها سكانها من الأكراد في العراق بالحكم الذاتي بوجب ما يحدده القانون، في إطار وحدة العراق القانونية والسياسية والاقتصادية، ووحدة شعبه.

المادة الثالثة عشرة: الجنسية العراقية وأحكامها، ينظمها القانون.

المادة الرابعة عشرة:

أولاً - القوات المسلحة درع الوطن وسيفه العظيم، مهمتها الدفاع عن إقليمه واستقلاله وسيادته، والحفظ على وحدته وأمنه.

ثانياً: تتولى الدولة وحدتها إنشاء القوات المسلحة، ولا يجوز لغير الدولة إنشاء التشكيلات العسكرية أو شبه العسكرية، أو التنظيمات المسلحة.

المادة الخامسة عشرة: يحترم العراق مبادئ القانون الدولي، ويلتزم ميثاق الأمم المتحدة، ويرعى مبادئ حسن الجوار، ويدعم التعاون الدولي وتنمية العلاقات الودية بين الدول، ويتمسك بعدم التدخل في الشؤون الداخلية، ويحل المنازعات بالوسائل السلمية، على أساس المساواة المتبادلة والتعامل بالمثل.

المادة السادسة والخمسون: تأسيس الأحزاب السياسية وحرية الانضمام إليها، مكفولان للمواطنين. وينظمهما القانون بما لا يتعارض وأحكام الدستور والنظام العام والوحدة الوطنية.

المادة السابعة والخمسون: تأسيس الجمعيات وحرية الانضمام إليها، مكفولان بوجب القانون بما لا يتعارض وأحكام الدستور والنظام العام والوحدة الوطنية.

المادة الثامنة والخمسون: يُحظر تأسيس الأحزاب السياسية والجمعيات والنوادي التي تقوم على أساس زج الدين في السياسة أو الإلحاد، أو الطائفية، أو العنصرية أو الإقليمية، أو الشعوبية، أو التي ترمي إلى عزل العراق عن انتماهه القومي الطبيعي إلى الأمة العربية، أو التي لا تعتمد الديمقراطية في عقيدتها، أو نهجها، أو ممارساتها، أو سلوكها. ويجب على الأحزاب والجمعيات والنوادي أن تتبع مسلك العلانية وعدم استخدام القوة والعنف في ممارساتها.

المادة التاسعة والخمسون: يُحظر على غير حزب البعث العربي الاشتراكي العمل السياسي أو الحزبي في القوات المسلحة، وقوى الأمن الداخلي، ومع منتسبيها.<sup>470</sup>

<sup>470</sup> راجع دستور الجمهورية العراقية لعام 1991 على موقع المحكمة الدستورية العراقية <https://www.hjc.iq/view.80>



## الفصل الرابع

### الأردن والمقاومة الفلسطينية 1970 – 1991

كانت فترة السبعينيات من القرن الماضي شاهداً على تطورات جذرية على المستوى الإقليمي والدولي، الأمر الذي كانت له انعكاساته السلبية على الوضع اللبناني. وعملت واشنطن في تلك الفترة على شنّ هجوم على جميع الأنظمة الاشتراكية في دول العالم الثالث، وذلك من خلال تقديم كل الدعم المطلوب لكل الانقلابات العسكرية فيها منذ عام 1965، بدأته بعدم الانقلاب الذي قام ضد حكم أحمد بن بلة في الجزائر، ثم تبعته في أندونيسيا بتقديم واشنطن دعمها للانقلاب الذي قام ضد أحمد سوكارنو وذلك في العام 1966<sup>471</sup>، وأكملت بعدها في مصر دعمها للانقلاب ضد عبد الناصر وذلك في العام 1967<sup>472</sup>، ثم أتبعته بواسطة حليفتها إسرائيل بضربة عسكرية لمصر وذلك في العام 1967، بالإضافة إلى تقديم دعمها للانقلاب ضد موديوكينا وسيكتوري... وغيرهم من قادة دول العالم الثالث. تزامن ذلك مع اختيار القيادة التي أتت بعد خروج تشييف في حكم الاتحاد السوفيتي في العام 1965، خيار الانكفاء وراء الستار الحديدي الذي عملت على إقامته بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، الأمر الذي ترك تأثيره السلبي على موازين القوى الإقليمية والعالمية ومالت لصالح واشنطن وحلفائها، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط وذلك بعد حرب نكسة حزيران في العام 1967، التي انتهت بخسارة مصر وسوريا الحرب أمام إسرائيل. وخلال هذه الفترة المنشورة عالمياً، حدث نزوح كثيف لسكان الريف اللبناني باتجاه المدن، حيث شكلوا أحياء بؤس في محيط المدن الرئيسية ضمن الأراضي اللبنانية، وفي مقدمتها العاصمة بيروت. بالإضافة إلى تناقص الفقراء أنفسهم فيما بينهم بغية الحصول على عمل ضمن سوق عمل محدود بسبب ضعف الصناعة اللبنانية. وكانت مخيمات اللاجئين الفلسطينيين نقطة التقاء لأبناء الريف اللبناني، الذين خالطوا وتزوجوا من الفلسطينيين وتوحدوا معًا في نسيج فقر واحد وعملوا على المطالبة بحقوقهم الاجتماعية والاقتصادية، الأمر الذي ساهم في تكوين وانتشار الأحزاب القومية واليسارية التي شكلت تهديداً للاستقطاب الطائفي التقليدي وتعريض النظام الطائفي اللبناني للخطر. تزامن ذلك مع صعود برجوازية جديدة استطاعت الالتحالط مع البرجوازية اللبنانية ذات

<sup>471</sup> Deidre Griswold, Indonesia the Second Greatest Crime in History, Workers.org  
<sup>472</sup> Steven Cook, The Struggle for Egypt: From Nasser to Tahrir Square, Oxford: Oxford University Press, 2012, p. 90.

الطابع المسيحي. وهذه البرجوازية الجديدة كان يطغى عليها الطابع الإسلامي السنّي والشيعي، والتي جاء ظهورها للتطور الحاصل في منطقة الخليج العربي والمغتربات اللبنانيّة في القارة الأفريقيّة. حيث عملت هذه البرجوازيّات على تقديم دعمها من أجل تقوية أحزاب ذات طابع طائفي مثل: "حزب الكتائب" و"حركة أمل"، لتكون في مواجهة الأحزاب القوميّة واليساريّة الصاعدة في لبنان، وقد انضوت هذه الأحزاب تحت مسمّى "الحركة الوطنيّة" بقيادة الرعيم الدرزي كمال جنبلاط، الذي عمل على تكين وضعية منزلته ضمن القيادات الطائفيّة اللبنانيّة، وذلك من خلال قيادته للأحزاب اليساريّة.<sup>473</sup>

وفي هذه الفترة كان العرب واقعين تحت تأثير صدمة خسارتهم في حرب نكسة حزيران العام 1967 والتي هزموا فيها أمام إسرائيل، التي استطاعت بنتيجة فوزها في الحرب من بسط سيطرتها على المزيد من الأراضي العربيّة سواءً أكان في سيناء المصريّة وهضبة الجولان السوريّة والضفة الغربيّة وغزة في فلسطين. وكان من نتائج الحرب أيضًا تأسيس الكفاح الفلسطيني المسلح، حيث تم انتخاب زعيم "حركة فتح" ياسر عرفات رئيسًا للجنة التنفيذية لـ"منظمة التحرير الفلسطينيّة" وذلك في العام 1969. كما اتّخذ الفدائيون الفلسطينيون من لبنان مقراً لهم، ولانطلاق عملياتهم ضد الكيان الصهيوني، الأمر الذي زاد في ممارسة الضغوط على لبنان والتي لاحقاً ستكون نتيجته الانفجار. فالوضع الاقتصادي الهش وبطء النمو الذي يعاني منه الاقتصاد اللبناني أدياً إلى اندلاع الاحتجاجات فعمّت المظاهرات الشوارع وذلك بين 1970 و1975، حدث ذلك في التوقيت نفسه الذي نقلت فيه "منظمة التحرير الفلسطينيّة" مركّزها إلى مدينة بيروت، خاصة بعد أحداث "أيلول الأسود" التي جرت أحاديثها في الأردن، بين الجيش الأردني من ناحية، والفدائيين الفلسطينيين من ناحية أخرى، والتي انتهت بتطويق الجيش الأردني لهم وطردهم من الأردن وذلك في العام 1970.<sup>474</sup>

## المقاومة الفلسطينيّة في لبنان

وفي العام 1972، جرت الانتخابات النيابية اللبنانيّة التي كانت دليلاً لبداية تصدّع النظام الطائفي اللبناني وذلك لمصلحة الطبقات الوسطى والفقيرات، حيث استطاعت إحداث اختراقات قليلة، لكنها في الحقيقة ذات أهميّة ودلالات كبرى في المجلس النيابي القائم، والذي كان يُعدّ النادي الرئيسي

إيغور تيموفيف، كمال جنبلاط، الرجل والأسطورة، بيروت: دار النهار للنشر، 2001، ص. 97.<sup>473</sup>  
Kamal Salibi, Crossroads to Civil War,<sup>474</sup>

لتجمّع النخب اللبنانيّة. في الوقت نفسه عملت القوى العلمانية واليسارّية على تشكيل ما سيُعرف لاحقاً بـ"الحركة الوطنية"، بقيادة كمال جنبلاط الزعيم الدرزي الذي أراد - كما كان يصرّح دائماً - بأنّه يرغب بالخروج من الإطار الإقطاعي الطائفي لعائلته. هذا وقد تكونت "الحركة الوطنية" من: "الحزب الشيوعي" الذي تشكّل في العام 1924، و"منظّمة العمل الشيوعي" بقيادة محسن إبراهيم، و"الحزب التقدمي الاشتراكي" برئاسة كمال جنبلاط، و"السوري القومي الاجتماعي" - جناح انعام رعد، و"حزب البعث العربي الاشتراكي" بفرعيه السوري والعراقي، و"حركة الناصريين المستقلين المرابطون" بقيادة إبراهيم قليلات، و"التنظيم الشعبي الناصري" برئاسة النائب معروف سعد، و"الحزب الديمقراطي الشعبي" بزعامة نزيه حمزة، كما وانضمّ إليهم العديد من الأحزاب والتنظيمات والتشكيّلات التي يغلب عليها الطابع اليساري والعلمي. كما نصّ برنامج "الحركة الوطنية" الذي تبنته بعد فترة قصيرة من اندلاع فتيل الحرب الأهلية على: "إلغاء الطائفية السياسية كمرحلة نحو الوصول إلى العلمنة الكاملة للنظام السياسي وإزالة كلّ أثر للصيغة الطائفية في جميع مجالات الحياة اللبنانيّة، ونقطة البداية تتمثل في إلغاء الطائفية السياسية في مجال التمثيل الشعبي وفي الإدارة والقضاء والجيش".<sup>475</sup>

واستطاعت إسرائيل في العام 1976 من إلحاق الهزيمة بكل من الأردن ومصر وسوريا، مما سيؤدي إلى نقل مستوى النزاع العربي - الإسرائيلي، إلى مستويات أخرى جديدة، سيكون للمقاومة الفلسطينية دور هام فيها.<sup>476</sup> بعدها عملت كل من سوريا ومصر إلى إعادة بناء جيشهما بعد خسارة الحرب في حزيران العام 1967، تحضيراً لحرب أخرى تمكّنها من استعادة الأراضي التي خسرتها واحتلتها إسرائيل. وتسلّم أنور السادات الحكم في مصر في أيلول/سبتمبر من العام 1970 بعد وفاة عبد الناصر، بعدها بشهرين تقريباً تمكّن حافظ الأسد من الاستيلاء من خلال انقلاب قام به على السلطة في سوريا، ضد صلاح جديد والرئيس نور الدين الأتاسي. وقام أنور السادات بالاتصال بالأميركيين بشكل سري عبر إرساله رسائل تعبّر عن رغبته بإيجاد حل سلمي للنزاع العربي - الإسرائيلي، في الوقت نفسه الذي عمل الأسد على توثيق وتحسين علاقاته مع الدول العربية والسعودية ومصر، وذلك في إطار تحضيراته للحرب الحتمية مع العدو الصهيوني.<sup>477</sup>

البرنامج المرحلي للحركة الوطنية اللبنانيّة، وثائق الحركة الوطنية 1975 - 1981، بيروت، 1981. ص. 5 - 24.  
Diab, Mohammed, Zuhayr. « *El Mawquef El Souri min El Taswiya El Silmeyeh l'il Nizaa El-Arabi - El Israeli* » p. 85.

Mclaurin R.D. and Mughisuddin, Muhammad and Wagner, Abraham. Foreign Policy Making in the Middle East, Domestic Influences on Policy in Egypt, Iraq and Syria, p. 246.<sup>477</sup>

وقام كل من الجيش السوري والجيش المصري في شهر تشرين الأول/أكتوبر من العام 1973، بالعمل على تنسيق هجوم من ناحية الغرب والشرق ضد العدو الصهيوني، الذي مكّن الجيش المصري وخلال ساعات عدة من تنفيذ عبور قناة السويس، والقضاء على خط بارليف الذي أنشأته إسرائيل لصدّ تقدّم الجيش المصري وبالتالي منعه من العبور، وعمل الجيش المصري بعدها على إنشاء خط دفاعي بعمق 10 إلى 20 كم على طول خط القناة. في المقابل على الجبهة الشرقية، استطاعت مدرّعات الجيش السوري من تحقيق اختراق التحصينات التي أقامها جيش الكيان الصهيوني في هضبة الجولان المحتل، وخلال ساعات عدة تمكّنت من الوصول إلى ضفاف بحيرة طبرية.

ولكن، كانت للسادات حسابات أخرى مختلفة عمّا أبلغه للرئيس الأسد، حيث كان يرغب ب الحرب ذات نطاق محدود، فأوقف الهجوم على إسرائيل وذلك بعد بدئها بنحو 48 ساعة تقريباً، مما ساهم في وضع الجيش الإسرائيلي كامل تركيزه على الجبهة السورية، يواجه فيها الجيش السوري وحده التفوق العسكري الإسرائيلي. فاضطر الجيش السوري إلى التراجع، وتمكّن الجيش الإسرائيلي من التقدّم إلى محيط بلدة سعسع، مشكلاً بذلك تهديداً لطرق المواصلات التي تربطها بالعاصمة دمشق. في الطرف الآخر تمكّن الجيش الصهيوني من القيام بهجوم مضاد محدثاً بذلك فتحة في الدفاعات المصرية وذلك في منطقة الدفرسوار، الأمر الذي سهل عملية محاصرة الجيش المصري الثالث وبالتالي القضاء على كل الإنجازات العسكرية العربية التي تمت في بداية الحرب وإنهاءها.<sup>478</sup> وأدى ذلك في العام 1974، إلى توقيع مصر اتفاقية "سيناء الأولى" مع العدو الصهيوني، والتي تضمنت فصل القوات بين الجانبين. وتبعت هذه الاتفاقية، اتفاقية أخرى هي "سيناء الثانية" وذلك في العام 1975، وبذلك تكون مصر قد خرّجت بشكل عملي من قضية النزاع العربي - الإسرائيلي، متخلية عن سوريا وجبهتها الشرقية تواجه وحدها الغطرسة والتفوق الحربي الإسرائيلي.<sup>479</sup> وتمّ بعدها بأشهر عدة عقد مؤتمر للسلام في مدينة جنيف، برعاية واشنطن وموسكو، وضمّ الدول العربية وإسرائيل، لكن هذا المؤتمر لم يستطع الوصول إلى حلّ للنزاع العربي - الإسرائيلي وذلك بسبب الموقف الإسرائيلي المتشدد. وعلى إثر ذلك اختار أنور السادات الرئيس المصري طريقاً منفرداً وحده مع إسرائيل، والتي بدأها بزيارة مدينة القدس وذلك في العام 1977، ثم توقيعه على معاهدة "كامب ديفيد" في العام 1978، مع الكيان الصهيوني، وبهذا تكون مصر قد خرّجت بشكل نهائياً من

Seale, Patrick. « *Al Assad, Al Siraa Ala Al Sharq Al Awsat* » Al Muassassat Alarabia Lildirassat Wa <sup>478</sup> Alnashr, 1987, p. 319.

Drysdale, Alasdair; "The Assad Regime and its Troubles", Merip Reports, Nov/Dec 1982.<sup>479</sup>

قضية النزاع العربي - الإسرائيلي.<sup>480</sup> والذي أعطى تل أبيب مساحة حرّة للتحرّك كيّفما أرادت على الجبهة الشرقيّة في مواجهة الأطراف العربيّة المتبقية.<sup>481</sup>

ونتيجة لذلك سارعت دمشق للعمل في محاولة منها للتعويض عن خسارة الجانب المصري، عبر تأسيس جبهة شرقية بزعامتها تضم كُلّاً من الأردن ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينيّة.<sup>482</sup> وكان للبنان دور مهم لكونه يشارك مع سوريا بحدود طويلة نسبياً، بالإضافة إلى الترابط الاجتماعي الذي يربط بين الشعبين اللبناني والصوري، وهناك سبب أهم وهو أن لبنان خلال الفترة الممتدة من 1949-1970، شكل الخاصرة الرخوة أو نقطة الضعف لسوريا لكونه كان نقطة انطلاق غالبية الانقلابات التي جرت في سوريا، وفي الوقت نفسه يُعد لبنان بالنسبة إلى دمشق امتداداً طبيعياً لجبهة المواجهة مع الكيان الصهيوني وذلك في حرب عام 1973.<sup>483</sup> لذلك عند اشتعال فتيل الحرب الأهليّة في الساحة اللبنانيّة في العام 1975، رأت دمشق أن هذه الحرب ما هي إلا محاولة إسرائيلية لتتمكن من خلال الساحة اللبنانيّة أحداث نوع من الخلل على الساحة السوريّة، خاصة أن هناك علاقات تعاون وتنسيق جمعت بين الكيان الصهيوني وعدد من الأطراف اللبنانيّة المسيحيّة، وأيضاً الإسلاميّة وذلك منذ فترة ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي، والتي لعبت دوراً مهماً في إذكاء هذه الحرب.<sup>484</sup> هذا الأمر كان دافعاً بالنسبة إلى الرئيس حافظ الأسد للتدخل السريع على خط الأزمة اللبنانيّة، وإعطاء الأمر للجيش السوري لدخول لبنان، وذلك في ربيع العام 1976، من أجل الحد من تزايد حدة تصاعد الأوضاع وخروجها عن السيطرة، بما يسبب حالة من

<sup>480</sup> عبد الله السيد ولد اباه، التسوية في الشرق الأوسط ومستقبل النظام العربي، المستقبل العربي عدد 192، شباط فبراير 1995، ص. 34.

<sup>481</sup> جعفر قاسم محمد، سوريا والاتحاد السوفييتي، دراسة في العلاقات العربية السوفياتية، لندن: رياض الرئيس، 1987، ص. 50.

<sup>482</sup> McLaurin R.D. and Mughisuddin Muhammad and Wagner, Abraham. "Foreign Policy Making in the Middle East, Domestic Influences on Policy in Egypt, Iraq and Syria", p. 254.

<sup>483</sup> Ma'oz, Moshe; "Assad the Sphinx of Damascus, a Political Biography". London, Widenfield and Michalson, 1988, p. 288.

<sup>484</sup> Harris, William; "Syria in Lebanon". Merip Reports, Juillet – Aout, 1985, p. 76.

فقدان الاستقرار على الساحة السورية، وأيضاً للعمل على منع تل أبيب من محاولة فرض هيمنتها على لبنان.<sup>485</sup>

نال دخول الجيش السوري إلى الأراضي اللبنانية موافقة واشنطن ومبركتها، وذلك لأنها كان تخشى من تصاعد نفوذ "منظمة التحرير الفلسطينية" في لبنان. في الوقت نفسه كان الأسد أيضاً قلقاً من العلاقات القائمة بين منظمة التحرير الفلسطينية من جهة والأنحازات اللبنانية بالعراق ذات التوجه اليساري من جهة أخرى، والتي كانت على خصومة مع دمشق منذ فترة السبعينيات من القرن الماضي.<sup>486</sup> بالإضافة إلى أن الأسد كان لديه شك في رغبة ياسر عرفات في سلك الطريق نفسها الذي سلكها قبله أنور السادات، والموافقة على حل منفرد مع تل أبيب، الأمر الذي يُضفي نوعاً من الشرعية لهذه المساعي، في الوقت ذاته الذي كانت تسعى فيه دمشق إلى وضع عقبات في طريق هذه المساعي التي تأتي على حساب الاعتبارات العربية ومصالحها.

في العام 1974، قام ياسر عرفات في المشاركة في جلسة "الجمعية العامة للأمم المتحدة"، بمساندة ودعم كل من السعودية ومصر، وهناك صرّح في خطابه الشهير، عن رغبته في توقيع سلام مع الجانب الإسرائيلي، بما يتواافق مع المقررات الدولية، الأمر الذي أثار ريبة الرئيس الأسد تجاه خطابه هذا. بالإضافة إلى ذلك شكل ازدياد نفوذ "منظمة التحرير الفلسطينية" إلى اتخاذها حجة من قبل الأطراف اللبنانية من أحزاب الوطنيين الأحرار والتنظيم وحراس الأرض والكتائب، من أجل تعزيزها وبالتالي تبرير علاقتهم مع الجانب الإسرائيلي.<sup>487</sup> لذلك اعتقد الرئيس حافظ الأسد، أنه في حال استطاع فرض هيمنتها على الساحة اللبنانية، هذا الأمر سيجعله يضبط ويسيطر على منظمة التحرير الفلسطينية، وبالتالي منعها من اتخاذ أي خطوات منفردة في التوقيع مع تل أبيب، كما هذا سيقوّي موقفه وبالتالي سيتمكن من وضع فيتو على ما يقوم به الحسين بن طلال الأردني من محاولات جانبية ومنفردة لتوقيع سلام مع العدو الصهيوني. فالأسد كان يعرف بوجود علاقات بين الأردن وتل أبيب منذ فترة العشرينات والثلاثينيات من القرن الماضي.<sup>488</sup> وعمل الرئيس الأسد

---

Chalala, Elie; "Syrian Policy in Lebanon, Moderate Goals and Pragmatic Means". *Journal of Arab Affairs*, vol. 4, no. 1, 1985, p. 70.

Harris, William. "Syria in Lebanon". p. 78.<sup>486</sup>

Devlin, John; "Syria: Modern state in an ancient land", Westview Press, Boulder Colorado, 1ère édition<sup>487</sup> 1983, p. 120.

Drysdale, Alasdair and Hinnebusch Raymond; "Syria and the Middle East Peace Process", p. 74.<sup>488</sup>

على إيجاد حلول للأزمة اللبنانية وذلك عبر العمل على إجراء بعض التعديلات الدستورية، والتي عُرفت بـ"الوثيقة الدستورية"، حيث كُوِّنت في ما بعد الأساس الذي انطلق منه "اتفاق الطائف".<sup>489</sup> غير أن الحرب الأهلية اللبنانية امتدت لحوالي 15 سنة، وذلك بسبب اتخاذ القوى الإقليمية والدولية من لبنان ساحة صراع لخلافاتهم.

تراجع النفوذ السوري على الساحة اللبنانية في العام 1978، في الوقت نفسه الذي كانت مصر تتحضر لتوقيع سلام منفرد مع الكيان الصهيوني.<sup>490</sup> الأمر الذي رفضته دمشق فعملت واشنطن على ممارسة ضغوطها على حكومة دمشق، وذلك عبر البوابة اللبنانية، من خلال الياس سركيس الرئيس اللبناني الذي لم يلح بعد رغبته في التجديد لقوات الردع العربية المتمركزة ضمن الأراضي اللبنانية. ترافق ذلك مع عمل بعض الأطراف اللبنانية على التصعيد ضد قوات الردع العربية في لبنان، وفي مقدمتهم الجبهة اللبنانية وقائد القوات اللبنانية بشير الجميل. وقد سبقت ذلك انتقادات للرئيس حافظ الأسد وجّهها ضد البيانات الصادرة عن الجبهة اللبنانية التي كانت تدعو إلى الفدرلة، وعدها الأسد تقسيماً للبنان.<sup>491</sup> وفي ظل هذه الظروف المتأزمه وقعت "حادثة الفياضية"، حين أقدم ضباط تابعون للجيش اللبناني إلى إطلاق النار على قافلة عسكرية تقل جنوداً سورياً في شهر شباط/فبراير من العام 1978، والتي أسفرت عن مقتل وجرح العديد منهم، ثم تلاها اشتباك الطرفين في محيط مبنى وزارة الدفاع اللبنانية في منطقة اليرزة. مما دفع وزارة الخارجية الأميركية للتعبير عن تزايد قلقها من تجدد القتال على الساحة اللبنانية، وأضافت أنها تراقب الوضع بشكل دقيق وما سيتّبع عنه. فيما وجّهت موسكو اتهامها إلى الجانب الإسرائيلي بأنه وراء الحادثة.<sup>492</sup> بعدها بنحو شهر تقريباً نفذت إسرائيل اجتياحها للبنان انطلاقاً من الجنوب اللبناني وحتى نهر الليطاني، في الوقت ذاته الذي صرّحت فيه الجبهة اللبنانية تأجّيل إعلان موقفها من موضوع تمركز قوات الردع السورية العاملة ضمن الأراضي اللبنانية.<sup>493</sup>

عملية الاجتياح الإسرائيلي للأراضي اللبنانية بدأت في 13 و 14 من شهر آذار/مارس، بحجة رغبة تل أبيب القضاء على "الإرهابيين" الذين يشكلون تهديداً لأمن المستوطنات الإسرائيلية في الجنوب

Saliba, Najib; "Syrian-Lebanese Relations". Ed dans Barakat, Halim, "Toward a viable Lebanon", Groom<sup>489</sup> Helm, London, 1988, p. 152

Abu Khalil, Assad; "Syria and the Arab-Israeli Conflict", p. 84.<sup>490</sup>

<sup>491</sup> وثائق الحرب اللبنانية لعام 1978، ص. 99.

<sup>492</sup> المراجع نفسه، ص. 100.

<sup>493</sup> المراجع نفسه، ص. 109.

اللبناني، وتدمير مراكزهم التي ينطلقون منها للقيام بتنفيذ عملياتهم، وكانت السبب المباشر تلك العملية التي كانت تقودها دلال المغربي في منطقة نهاريا شمال فلسطين المحتلة.<sup>494</sup> وظل العدوان الإسرائيلي مستمراً قرابة أسبوعين، حيث توقف بناء على صدور قرار من "مجلس الأمن الدولي" رقم 425، يطالب تل أبيب بسحب قواتها من لبنان، وإحلال مكانها قوات دولية مهمتها ضبط الأمن على الحدود. ولكن الأمور لم تتوقف عند هذا الحد، حيث عمل الأميركيون إلى تشجيع حلفائهم في "القوات اللبنانية" و"الجبهة اللبنانية" للقيام بهجوم ضد القوات السورية بذرية تحرير المناطق المسيحية منهم، وسميت هذه الحرب بـ"حرب 100 يوم"، والتي توقفت في أواخر صيف ذلك العام على إثر انسحاب القوات السورية من كافة المناطق ذات الغالبية المسيحية.<sup>495</sup> في هذا الوقت ساءت أيضاً العلاقات بين دمشق ومنظمة التحرير الفلسطينية، بسبب خشية الأسد من نية ياسر عرفات في الانضمام إلى محادثات السلام بين الجانبين المصري والإسرائيلي، وموافقته على حكم ذاتي للفلسطينيين، بحسب ما جاء في الاتفاق الأمر الذي سيؤدي إلى عزل دمشق.<sup>496</sup>

## الدجتياح الإسرائيلي للبنان

وصل رونالد ريغان إلى منصب الرئاسة الأميركي في العام 1981، حيث شهدت فترة ولايته تصعيداً حاداً في المواقف مع موسكو وكتلة الدول الاشتراكية. الأمر الذي اعتبره فرصة سانحة لتل أبيب في اتخاذ خطوة تصعيدية ضد دمشق، خاصة في لبنان. وقد عملت سوريا على استباق هذه الخطوة بالتوقيع على معاهدة صداقة مع موسكو.<sup>497</sup> التي كانت متعددة في اتخاذ قرار المواجهة مع واشنطن في منطقة الشرق الأوسط، وذلك بسبب أزمتها مع بولندا وأفغانستان.<sup>498</sup> في ظل هذا الجو، عينت الحكومة الإسرائيلية أرييل شارون في منصب وزير الدفاع، هذه الخطوة عُدّت مؤشراً

<sup>494</sup> المرجع نفسه، ص. 49

Chalala, Elie; "Syrian Policy in Lebanon, Moderate Goals and Pragmatic Means". p. 74.<sup>495</sup>

Ma'oz, Moshe and Yaniv, Evner; "On a Short Leash, Syria and the PLO". In Maoz Moshe and Yaniv<sup>496</sup> Evner eds; "Syria Under Assad, Domestic Constraints and Regional Risks", Groom Helm, London, 1ere edition 1986, p. 201.

Karsh, Efriam; "The Soviet Union and Syria, the Assad Years". p. 55.<sup>497</sup>

Roberts, David; "The USSR and Syrian Perspective". p. 229<sup>498</sup>

لتصاعد الأحداث في المدى القريب في منطقة الشرق الأوسط.<sup>499</sup> وذلك بسبب رغبة إسرائيل تغيير موازين القوى في الساحة اللبنانية، عبر تقديم الدعم لبشير الجميل حليفها من أجل تسهيل وصوله إلى سدة الحكم في لبنان، وبالتالي ليتم التوقيع على معايدة سلام بين الجانبين اللبناني والإسرائيلي، بما يساهم في فك العزلة العربية المفروضة على مصر.<sup>500</sup> لهذا وجدت تل أبيب أن الفرصة ملائمة لتنفيذ ذلك في العام 1982، مع تسلم رينيه للحكم في الولايات المتحدة الأمريكية.<sup>501</sup> وبالوقت نفسه كانت تل أبيب تخشى من اشتعال فتيل الانتفاضة ضمن الأراضي الفلسطينية المحتلة، لذلك اعتقدت الحكومة الإسرائيلية أنها إذا قامت بالقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية المتمرضة، ضمن الأراضي اللبنانية، فإنها وبالتالي ستؤدي إلى خنق الانتفاضة في داخل الأراضي المحتلة الفلسطينية.<sup>502</sup>

وعلى هذا فقد شكلت "معركة زحلة" في شهر نيسان /أبريل من العام 1981، والتي قامت بين القوات اللبنانية من جهة وقوات الردع السورية من جهة ثانية، مقدمة لعملية الاجتياح الإسرائيلي للبنان. ولقد كان هدف معركة زحلة إحداث خرق في الدفاعات السورية المتمرضة في منطقة البقاع، بما يساهم في خلق قاعدة خلفية تسهل عملية دخول الجيش الإسرائيلي في تلك المنطقة، وبما يشكل تهديداً للطريق الواصلة بين بيروت ودمشق. وعلى الفور قام أفراد تابعون للقوات اللبنانية في الأول من شهر نيسان /أبريل من العام 1981، بالتسلل إلى زحلة ومحاصرة مراكز تابعة للقوات السورية في محيط المدينة. إثر ذلك قامت القوات السورية بمحاصرة مدينة زحلة وضربها بالمدفعية. كما قامت بتوسيع مناطق سيطرتها من خلال تمركزها على مرفعات جبل صنين بالإضافة إلى منطقة الزعور، الأمر الذي جعلها تفرض هيمنتها على موقع المواصلات الذي يربط مدينة زحلة بمنطقة جبل لبنان. وأسقط الإسرائيليون طائرة هيليكوبتر تابعة للجيش السوري فوق منطقة البقاع وصني، وعلى الفور سارعت القيادة السورية إلى نشر بطاريات دفاع جوي ضمن منطقة

جوناثان راندل، حرب الألف عام في لبنان، بيروت: دار المروج، 1984، ص. 243.<sup>499</sup>

Elezzi Ghassan ; "De la Paix en Galilée à la Relance de la Guerre Civile, Quand l'Armée Israélienne<sup>500</sup> "sauvait" le Liban". Le Monde Diplomatique, juin 1992, p 23

Drysdale, Alasdair and Hinnebusch Raymound; "Syria and the Middle East Peace Process", p190.<sup>501</sup>

Jansen, Michael; "The Battle of Beirut, Why Israel invaded Lebanon?", London Zed Press, London,<sup>502</sup> 1ère édition 1982, p. 66

البقاع. وتمّ بعدها التوقيع على هدنة في شهر حزيران/يونيو من العام 1981، تم إثرها انسحاب الأفراد التابعين للقوات اللبنانية من مدينة زحلة.

تمّت في مدينة لندن محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في شهر حزيران/يونيو من العام 1982، فعملت تل أبيب على استغلالها واتخاذها حجة لتنفيذ عملية اجتياحها للبنان، الذي بدأته في 4 حزيران من العام 1982، بشنّ غارات قام بها سلاح الطيران الإسرائيلي على مدينة بيروت وضواحيها الجنوبيّة، حيث استهدفت مراكز تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية. وقد أسفرت هذه الغارات عن مقتل وإصابة 270 شخصاً.<sup>503</sup> بعدها توغلت المدرعات الإسرائيليّة برأً في 5-6 حزيران ضمن الأراضي اللبنانيّة. ترافق ذلك مع تصريحات الناطق الرسمي باسم الحكومة الإسرائيليّة، بأنّ الغاية من اجتياحهم هذا هو العمل على دفع كلّ القوات الأجنبية الموجودة داخل الأراضي اللبنانيّة إلى الخروج منه، بمن فيهم منظمة التحرير الفلسطينيّة والقوات السوريّة. بالإضافة إلى تمكن القوات اللبنانيّة من فرض سيطرتها على مدينة بيروت العاصمة، وتسهيل تسلّم حليفهم بشير الجميل للسلطة، ثم التوقيع معهم معاًدة سلام بين لبنان وإسرائيل، وضبط الأمان على الحدود الشماليّة للعدو الصهيوني، الذي واجه مقاومة عنيفة في منطقة الجنوب اللبناني وقلعة الشقيف التي تطل على مدينة النبطية، حيث أدى إلى تعرّض الإسرائيليّين لخسائر فادحة. كما وقعت معارك عنيفة بين الجيش السوري والجيش الإسرائيلي، وبرغم الخسائر التي تكبّدها الجيش السوري إلا أنه استطاع وضع عقبات أمام تقدّم الجيش الإسرائيلي باتجاه منطقة البقاع، خاصة بعد معركة عين دارة في منطقة جبل لبنان ومنطقة السلطان يعقوب في البقاع الغربي، حيث وصلت الخسائر السوريّة إلى نحو 85 طائرة مقاتلة و25 بطارية سام تابعة لسلاح الدفاع الجوي، أما خسائر الجانب الإسرائيلي، فقد تم إسقاط نحو 20 طائرة إسرائيلية.<sup>504</sup>

وقدّمت القوات الإسرائيليّة في 9 حزيران/يونيو من الوصول إلى محيط العاصمة بيروت، حيث عملت بعدها بأيام على فرض حصار عليها.<sup>505</sup> وقت محاصرة كتيبتين تابعتين للجيش السوري بالإضافة إلى قوات منظمة التحرير والحركة الوطنيّة اللبنانيّة في مدينة بيروت وذلك في منتصف شهر آب/أغسطس من العام 1982، وعلى الفور تم العمل على تشكيل قيادة مشتركة مؤلّفة من هذه القوات من أجل الدفاع عن المدينة حيث صمدت بوجه الحصار والقصف لحو 30 شهرين ونصف تقريباً. ورغم المحاولات الإسرائيليّة في اقتحام المدينة أو القيام بعمليات اغتيال لقيادات

<sup>503</sup> اجتياح لبنان: يوميات، صور وثائق، وكالة مختارات الأخبار العربيّة والعالميّة، بيروت، 1982، ص. 12.

<sup>504</sup> المراجع نفسه، ص. 20.

<sup>505</sup> المصدر نفسه، ص. 30.

هذه المجموعة ومن ضمنهم ياسر عرفات إلا أنها لم تنجح. تزامن ذلك مع قيام مبعوث الرئيس الأميركي إلى لبنان فيليب حبيب بجولات عدّة على القادة اللبنانيين، أدّت في نهايتها إلى وقف إطلاق النار وذلك في 12 آب/أغسطس من العام 1982.<sup>506</sup> بالإضافة إلى العمل على إخراج منظمة التحرير الفلسطينية مع 15000 ألف مقاتل فلسطيني من مدينة بيروت وانتقالهم إلى تونس، وذلك في 20 آب/أغسطس.<sup>507</sup> وبعدها بأيام عدّة انعقد مجلس النواب اللبناني وانتخب بشير الجميل لرئاسة الجمهورية اللبنانية. كما قام رونالد ريغان الرئيس الأميركي بالتقدم باقتراح من أجل إحلال السلام في منطقة الشرق الأوسط، والتي تبنتها في ما بعد القمة العربية التي اجتمعت في مدينة فاس، وذلك في 6 أيلول/سبتمبر من العام 1982، وذلك بحضور تسع عشرة دولة عربية، باستثناء ليبيا ومصر اللتين غابتا عن الاجتماع. وفي 14 أيلول/سبتمبر، تم اغتيال بشير الجميل الرئيس اللبناني. وعلى إثر ذلك قام حزب الكتائب بالتعاون مع حليفه الإسرائيلي بارتكاب مجزرة صبرا وشاتيلا راح ضحيتها مدنيون فلسطينيون ولبنانيون، الأمر الذي أدى إلى وضع إسرائيل في موقف محرج. اغتيال بشير الجميل كان بمثابة الضربة الموجعة والقاضية لكل المخططات الإسرائيلية في المنطقة، في المقابل تصاعدت عمليات المقاومة اللبنانية ضد العدو الصهيوني، الأمر الذي ساهم في ارتفاع حدة المعاشرة في الداخل الإسرائيلي ضد بيغن.<sup>508</sup> ومن نتائج مجزرة صبرا وشاتيلا أنها كانت سبباً مباشراً في استقالة الكسندر هيخ وزير الدفاع الأميركي، وذلك بسبب مساندته للعدوان الإسرائيلي على لبنان. وبالتالي أدّت إلى تدخل سريع من واشنطن عبر إرسال قواتها بالإضافة إلى قوات متعدّدة الجنسيات (قوات إيطالية وفرنسية وبريطانية) إلى لبنان.<sup>509</sup> كذلك كان من ترددات المجزرة، أنها جعلت الإدارة الأميركيّة تأخذ مبادراتها دون العودة إلىأخذ رأي تل أبيب، وذلك بعد أن تقدم الرئيس الأميركي ريجن بمبادرة حل للأزمة اللبنانية،<sup>510</sup> والتي قضت بوضع لبنان تحت الحماية الأميركيّة المباشرة، وبالتالي وضعه في صف واحد مع كل من الأردن ومصر والسعودية من أجل عزل سوريا وبقائها وحدها، بغية فرض حل للنزاع العربي - الإسرائيلي، بما يتناسب مع المصالح الإسرائيليّة.<sup>511</sup> وساعد ضعف الموقف السوري كلاً من الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية على الرضوخ والموافقة على

<sup>506</sup> المصدر نفسه، ص. 92.

<sup>507</sup> المرجع نفسه، ص. 110.

Jansen, Michael; "The Battle of Beirut, Why Israel invaded Lebanon?" p. 69. <sup>508</sup>

Bulloch, John; "Final Conflict, the War in Lebanon." p. 138. <sup>509</sup>

شيمون شيفر، عملية كمة الثلج، اسراط الغو الإسرائيلي للبنان، ص. 164. <sup>510</sup>

Drysdale, Alasdair and Hinnebusch Raymound: Syria and the Middle East Peace Process. p. 126. <sup>511</sup>

اقتراح ريجان، ضاربين عرض الحائط الموقف المعارض والرافض هذه الخطة من قبل العديد من المنظمات الفلسطينية مثل: "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين". في كانت دمشق لديها الرغبة في التعاون مع واشنطن في حال أخذها بالحسبان مصالحها.<sup>512</sup> لكن البيت الأبيض لم يرد ذلك، خاصة بعد اعتقادهم أن موقف سوريا الضعيف لا يسمح لها بوضع العقبات أمام مخططاتهم، وهو ما أثبتت دمشق عكس ذلك لاحقاً.<sup>513</sup>

قامت سوريا في ما بعد، بمبادرة تقديم اقتراح بسحب قواتها العاملة ضمن الأرضي اللبنانية، بشرط ان تقوم إسرائيل بسحب قواتها من لبنان أيضاً، وهو الأمر الذي رفضته كل من واشنطن وتل أبيب.<sup>514</sup> وعلى أثر رفضهما، لم يكن أمام دمشق سوى خيار واحد وهو الاستمرار في المواجهة. خاصة أنها في ما بعد ستستفيد من عوامل عدة، عبر تنسيقها وتعاونها مع أطراف لبنانية أخرى وفي مقدمتهم وليد جنبلاط الزعيم الدرزي ونبيه بري الزعيم الشيعي من أجل استعادة سيطرتها على الساحة اللبنانية.<sup>515</sup> في ظل معارضة الدروز والشيعة لتسليم بشير الجميل منصب الرئاسة اللبنانية.<sup>516</sup> وفي العام 1982، تمكن يوري اندروبوف من تسلم الحكم في الاتحاد السوفيتي، وذلك بعد وفاة بريجنيف، الأمر الذي بدل في الموقف لصالح الأسد الذي وجد فيها فرصة ثمينة من أجل تلقي الدعم المطلوب من الاتحاد السوفيتي، للوقوف في وجه السيطرة الأمريكية على لبنان. آندروبوف كان في السابق رئيساً لجهاز الاستخبارات السوفياتية الـ "كي. جي. بي."، وهو في الوقت نفسه كان من المؤيدين لفكرة تصعيد المواجهة مع واشنطن، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط، من خلال توفير كل الدعم الكافي واللامحدود لحكومة دمشق.<sup>517</sup> لهذا قام آندروبوف بوضع سوريا تحت الوصاية المباشرة موسكو، ولم يكتفي بذلك بل عمل على التهديد باللجوء إلى استعمال القوة في حال تعرضت سوريا لأي عدوان. وهذا الموقف الروسي يُعدّ الأول من نوعه بعد أزمة عام 1956، مما أعطى الموقف السوري دافعاً قوياً لاستمرارها في المواجهة مع واشنطن

---

Bulloch, John. *Final Conflict, the War in Lebanon*. p. 151. <sup>512</sup>

Karsh Efriam. "The Soviet Union and Syria, the Assad Years". p. 74. <sup>513</sup>

Chalala, Elie. "Syrian Policy in Lebanon, Moderate Goals and Pragmatic Means". p. 84. <sup>514</sup>

Dickey, Christopher; "Assad and His Allies, Irreconcilable Differences". *Foreign Affairs*, vol. 66 <sup>515</sup>  
automne 1987, p. 166

Laurent, Annie & Basbous, Antoine ; "Guerres secrètes au Liban", Gallimard, Paris, 1987, p. 187. <sup>516</sup>

سيل، مصدر سابق، ص. 651. <sup>517</sup>

وإسرائيل.<sup>518</sup> وبناء عليه أصبحت دمشق أكثر اعتماداً على موسكو<sup>519</sup>. وهذه هي المرة الأولى التي يقبل فيها الرئيس الأسد وضع بلاده تحت الوصاية الروسية. في الوقت نفسه استفادت دمشق من البطء الأميركي في فرض هيمنة حلفائه على لبنان، الذين اضطروا إلى الانتظار حتى شهر أيار/مايو من العام 1983، لفرض تسوية واتفاقية سلام بين الجانب اللبناني والإسرائيلي.<sup>520</sup>

ودعمت حكومة دمشق كلاً من "حركة أمل" الشيعية و"حزب جنبلاط" الدرزي، بالإضافة إلى تقديم دعمها لعدد من الأحزاب الوطنية اللبنانية الأخرى. وفي العام 1983 جرى اتهام دمشق بالإعداد والخطف لعملية تفجير السفارة الأميركية في مدينة بيروت، بالإضافة إلى اتهامها بتفجير مراكز كل من القوات الفرنسية والقوات الأميركية المتمركزة في محيط مدينة بيروت. وعملت سوريا إلى مساندة المقاومة من خلال العمليات التي تقوم بها ضد الإسرائيليين، وشجعت الفصائل الفلسطينية لمعارضة ياسر عرفات الذي كان يريد توقيع سلام منفرد مع الجانب الإسرائيلي وتحت رعاية واشنطن. كما غيرت معركة الشوف في العام 1983، موازين القوى،<sup>521</sup> وأعطت سوريا دفعاً قوياً من أجل وضع العرائيل أمام المخططات التي لا تراعي مصالحها.<sup>522</sup>

في الجانب الإسرائيلي تصاعدت الأصوات المعارضة للحكومة الإسرائيلية بسبب ما تكبده الجيش الإسرائيلي في لبنان.<sup>523</sup> تزامن ذلك مع وجود مصاعب كثيرة كان الجيش اللبناني والقوات اللبنانية يواجهانها في فرض سيطرتهم على الشوف والجبل وعاليه، حيث خسرا معركتهما في تلك المناطق.<sup>524</sup> الأمر الذي انعكس سلباً على وضعية الجيش اللبناني الذي خسر أيضاً معركته في مدينة بيروت، بالإضافة إلى سقوط منطقة بيروت الغربية تحت نفوذ القوى اللبنانية المعاشرة لحكم أمين الجميل، الذي دعمته واشنطن، وذلك في الانتفاضة التي قامت في 6 شباط / فبراير من العام 1984. وإثرها تم سحب القوات المتعددة الجنسيات، وترك أمين الجميل وحده دون دعم، الأمر الذي اضطه إلى الذهاب إلى العاصمة دمشق والقبول بالشروط التي أقرها الرئيس السوري حافظ الأسد:

Karsh, Efriam; "The Soviet Union and Syria, the Assad Years". p. 74.<sup>518</sup>

Ja'afar, Kassem Muhammad; "Surya Wa Al Itihad Al Soviati, Dirasat fi Al alakat alarabia alsoviatia".<sup>519</sup>  
p. 620.

سيل، مصدر سابق، ص. 651.<sup>520</sup>

Saliba, Najib; "Syrian Lebanese Relations". P 155.<sup>521</sup>

Hopwood, Derek; "Syria 1945-1986, Politics and Society". P. 74.<sup>522</sup>

Drysdale Alasdair et Hinnebusch Raymond: "Syria and the Middle East Process", p 127.<sup>523</sup>

Mackey Sandra: "Lebanon, Death of a Nation", p 188.<sup>524</sup>

- اعتبار اتفاقية 17 أيار مع العدو الإسرائيلي ملغاً.
- استقالة حكومة شفيق الوزان، والعمل على إعادة تشكيل حكومة لبنانية جديدة تكون برئاسة رشيد كرامي حليف دمشق.
- تعيين حليفي الحكومة السورية، وليد جنبلاط ونبيه بري في منصب وزيرين في الحكومة اللبنانية الجديدة المشكّلة.<sup>525</sup>

## الصراع الفلسطيني السوري في لبنان

شهدت الساحة اللبنانية صراعاً بين كل من ياسر عرفات رئيس الهيئة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية من ناحية، وحافظ الأسد الرئيس السوري من ناحية أخرى. فقد كان هناك عداء شخصي بين الرجلين، ولكن الخلاف جاء نتيجة الاختلاف في المواقف خاصة بعد العام 1982، حيث اختار الرئيس الأسد خط المواجهة ضد الهيمنة الأميركيّة المفروضة على لبنان، مستنداً إلى دعم موسكو له، في ما اختار ياسر عرفات، وقبل البدء بعملية الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982، لخيار إقامة سلام مع الكيان الصهيوني الغاصب. وهذا الموقف تجلّى عبر محاولاته ومنذ سبعينيات القرن الماضي على اتخاذ خطوات من أجل التفاوض المباشر مع الإسرائيليّين، وظهر هذا الأمر جلياً في العام 1974، عبر خطابه في انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة، بالإضافة إلى تأييده الضمني للخطوة المنفردة التي قام بها أنور السادات الرئيس المصري بالتوقيع على سلام منفرد مع تل أبيب. كما عمل عرفات في العام 1982، على رفض الانتقال إلى دمشق، مفضلاً انتقاله إلى تونس مع مقاتليه، وتتجدر الإشارة هنا إلى أن الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة كان أول المتقدّمين بمبادرة سلام تجمع العرب وإسرائيل وذلك في العام 1965، ولكن مبادرته هذه قوبلت بمعارضة شديدة من الدول العربية التي قام بزيارتها طارحاً عليها فكرته.<sup>526</sup> وخلال تلك الفترة قدّمت واشنطن خطتها من أجل السلام والتي عملت القمة العربية المجتمعّة في مدينة فاس على تبنيها، وقد وافق عليها الأسد آنذاك على مضض. وأدى وصول اندريلوف إلى سدة الرئاسة في الاتحاد السوفياتي، إلى إحداث تحولات كبرى في موازين القوى الإقليمية والعالمية، والذي منح الرئيس حافظ الأسد دعماً لامحدوداً، ساعده على تحدي الهيمنة الأميركيّة في منطقة الشرق الأوسط.

Laurent Annie et Basbous Antoine : « *Guerres Secrètes au Liban.* », p.205. <sup>525</sup>  
Robert Fisk, *Pity the Nation*, New York: Thunder Mouth Press, 2002, p. 409. <sup>526</sup>

فالاختلاف بين مواقف الرجلين الأسد وعرفات انعكس سلباً على الوضع الأمني اللبناني. وذلك من خلال محاولة عرفات وضع ثقله في التأثير على بعض الأطراف اللبنانية التي تربطه بها علاقة تاريخية، وخاصة الأحزاب اليسارية والحركة الوطنية. كما عمل عرفات على محاولة فرض سيطرته على مدينة طرابلس وإخراجها من تحت النفوذ السوري، لاستخدامها في ما بعد نقطة انطلاق لافتعال أحداث أمنية في المدن السورية الشمالية، كما فعل ذلك سابقاً خلال العام 1982، أثناء الاحتجاجات التي قامت في مدينة حماة بين الأخوان المسلمين من جهة والجيش السوري من جهة ثانية. وخلال هذه الفترة تم الإعلان عن تأسيس "حركة التوحيد الإسلامي" في مدينة طرابلس في شهر آب/أغسطس من العام 1982، وكان واضحاً التأثير السعودي في مواقف ياسر عرفات. وقد ضممت هذه الحركة عدداً من الحركات الإسلامية التي انضوت تحتها، مثل: قوات جند الله بزعامة فواز حسين آغا، والجمعيات المسجدية بزعامة علي مرعب، حركة لبنان العربي التي كان يترأسها عصمت المراد، والمقاومة الشعبية التي كان يقودها خليل عكاوي، كما عملت الحركة على اختيار الشيخ سعيد شعبان قائداً لها. وأول أعمالها هو قيامهم بارتكاب مجزرة ضد أحزاب الشيوعيين والعلمانيين بذرية أنهم كفرا. ثم فرضت سيطرتها على مدينة طرابلس، وقامت بهجمات عدة ضد مركز الجيش السوري، مدعومين من عرفات الذي نزل إلى شوارع المدينة لتقديم المساعدة لهم. لكن، في نهاية الأمر تم إجبار عرفات في العام 1983 على الخروج من طرابلس، التي ظلت خارج الهيمنة السورية حتى عام 1985، حين قامت قوات الردع بالتعاون مع حلفائها بشن هجوم استطاعت إثره القضاء على حركة التوحيد، وتم القبض على قادتهم ورجمهم في السجن وفي مقدّمتهم الشيخ شعبان. في هذا الوقت حدث انشقاق داخل صفوف حركة فتح، قام به بعض من كبار قادتها، أبرزهم: العقيد سعيد مراغة المعروف بأبو موسى، بالإضافة إلى قائد قوات العاصفة (الجناح المسلح لفتح) نمر صالح والعقيد أبو خالد العملة، وذلك اعترافاً على النهج الذي يتبعه عرفات في مساعيه للسلام مع تل أبيب. وتمت المواجهة بين المنشقين في معارك عنيفة، وقد أطلق المنشقون على أنفسهم اسم "فتح - الانتفاضة"، التي تلقت دعماً من الحكومة السورية.<sup>527</sup> كما سيكون للاختلاف في الرؤى بين الرئيس الأسد ويا瑟 عرفات في ما يخص النزاع العربي - الإسرائيلي، أثره على تطور الأحداث على الساحة اللبنانية، مثل: النزاع بين "المرابطون" الذين سيساندهم ياسر عرفات، و"الاشتراكي" الذين يتلقون الدعم من سوريا، أو مثل "حرب المخيمات" التي قامت بين عامي 1985 و1987.

---

Robert Fisk, Pity the Nation, p. 483 <sup>527</sup>

## التحضيرات لمؤتمر السلام

خلال جولة قام بها جورج شولتز وزير الخارجية الأميركي في العام 1985، في منطقة الشرق الأوسط، وخلالها تجدد الحديث عن الرغبة في عقد مؤتمر لإحلال السلام في المنطقة. وسط تسلم ميخائيل غورباتشوف الحكم في الاتحاد السوفيتي، الأمر الذي أعطى إشارة إلى تراجع دور روسيا والى انهيار كتلة الدول الاشتراكية وذلك في العام 1989، تبعها تفكك الاتحاد السوفيتي في العام 1991. واستطاع شولتز خلال جولته من انتزاع ورقة موقعة من عرفات يدين فيها الأعمال الإرهابية، وقد عدت هذه الوثيقة مؤشرًا على بداية رغبته في ترك الكفاح المسلح، مقابل الموافقة على الحلول السلمية بالشروط التي تطلبتها كل من واشنطن وتل أبيب. وهذا الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، ففي ونتجت عنه الحرب التي قامت في المخيمات في لبنان. ولكن، الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، ففي شهر أيلول/سبتمبر عام 1987، حصلت مفاوضات سرية جمعت كلاً من مندوبي عن حكومة تل أبيب من جهة، ومندوبي عن منظمة التحرير الفلسطينية، وكان الفريق الإسرائيلي يتزعمه إسحق شامير الذي وخلال هذه الاجتماعات اعترف بحق الشعب الفلسطيني بتقرير المصير.<sup>528</sup> ترافق ذلك مع إعلان الملك حسين أن الضفة الغربية لم تُعد مرتبطة بالأردن وهذا يعني خطوة نحو دخول كل من الطرفين الأردني والفلسطيني في حل تسوية مع الجانب الإسرائيلي، يكون أساسها إقامة حكم ذاتي للفلسطينيين ضمن الأراضي المحتلة. ونشير هنا، إلى أن اللقاءات السرية بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني بدأت منذ سبعينيات القرن الماضي، بهدف إيجاد تسوية للقضية الفلسطينية، بما يتواافق مع المصالح الإسرائيلية أولاً.<sup>529</sup> فقد كان ياسر عرفات لديه الاستعداد لإقامة هذه التسوية وبأي ثمن ولو كانت على حساب الفلسطينيين أنفسهم، وضمن هذا السياق أتت تنقلاته إلى اليمن وبعدها تونس في العام 1982، بعيداً عن السيطرة السورية، وحتى يكون حراً في اختياراته للتوصل إلى اتفاق مع واشنطن وتل أبيب. وكي يسبب حرجاً للحكومة السورية، قام عرفات بمحاولات أخذ جزء من الورقة اللبنانية، التي تقوم بها سوريا بتقديم المساعدة والتمويل لبعض الأحزاب اللبنانية، مما دفع بدمشق إلى تشجيع "حركة أمل" لفرض حصار وحرب على المخيمات الفلسطينية ضمن الأراضي اللبنانية، دامت قرابة السنين. وفي المؤتمر الذي تم انعقاده للمجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر في شهر نيسان من العام 1988، أعلن ياسر عرفات عن

<sup>528</sup> راجع محمود عباس

محمد حسنين هيكيل، "سلام الأوهام: أوسلو ما قبلها وما بعدها"، دار الشروق، الطبعة الرابعة، القاهرة، 25 تشرين الثاني/نوفمبر 1996، ص.ص. 62-63. ولقد أثبت هذا من خلال مقابلات مع شفيق الحوت وأبو أحمد فؤاد، القائد العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

قيام دولة فلسطين، وكان هذا الإعلان بمثابة تمهيد نحو التسوية مع الجانب الإسرائيلي عن طريق المفاوضات السرية. والتي كانت الحكومة السورية على علم بها، وهذا ما دفع بالأسد أثناء خطابه الذي ألقاه في 8 آذار/مارس من العام 1989، إلى القول بأن سوريا رفضت "اتفاق كامب ديفيد"، كما أنها سترفض وتعارض أي اتفاق يُشبهه يقوم بين الكيان الصهيوني وبين أي دولة عربية. مشيراً إلى تعديل ميثاق "منظمة التحرير الفلسطينية" الذي تم في الجزائر، في أنه لا يطلب إلا الأراضي التي قامت إسرائيل باحتلالها في العام 1967، في الوقت نفسه ترفض تل أبيب التراجع عن مطلوبها بإقامة دولة إسرائيل والتي حدودها تمتد من نهر النيل غرباً إلى نهر الفرات شرقاً، وذلك بذرية أن هذا الاتفاق تم إرساله لهم، لكونهم شعب الله المختار. بالإضافة إلى تحذير الرئيس الأسد أن لا تنازل عن المطالب العربية الم合法، ملحاً إلى وجود مفاوضات سرية بين منظمة التحرير الفلسطينية والأردنيين من ناحية، والإدارة الأميركيّة من ناحية أخرى بهدف إقامة مؤتمر للسلام في منطقة الشرق الأوسط.<sup>530</sup> ولكن الرد الأميركي على خطاب الأسد، جاء بالعمل على دفع العمامد ميشال عون الذي كان في ذلك الوقت يترأّس حكومة عسكريّة في لبنان، إلى إعلان حرب على القوات السوريّة. والتي لم تتوقف إلا بعد أن وافقت حكومة دمشق على مقرّرات "قمة الدار البيضاء" التي جرت في العام 1989، والتي أيدت ما قامت به منظمة التحرير الفلسطينية من خطوات نحو تحقيق السلام مع الطرف الإسرائيلي. في الواقع كان يتوجّب على كافة الأطراف المتعارضة في مواقفها، انتظار نهاية الحرب الباردة وذلك في العام 1989، والذي تلاه ضرب العراق وذلك في العام 1991، ليتوجّه جميعهم للمشاركة في مؤتمر السلام الذي تم تحت الرعاية الأميركيّة - الروسية، والذي تزامن مع بدء تفكك الاتحاد السوفييتي في العام 1991، وبنتيجته وقعت روسيا بعدها تحت السيطرة الأميركيّة لقراية عقد من الزمن.

---

<sup>530</sup> مراجعة حافظ الأسد في صحيفة السفير اللبنانيّة في 1 نيسان/أبريل 1989



الجزء الرابع 1991 – 2000



## الفصل الأول

### العراق 1991 – 2010

في الثاني من آب أغسطس 1990 أمر الرئيس العراقي صدام حسين جيشه باجتياح الكويت واحتلالها بعد استئثار الخلاف بين البلدين نتيجة مطالبة الكويت للعراق بدفع ديونه المستحقة عليه، فيما كان الرئيس العراقي يطالب الكويت بوقف إغراق السوق العالمية بالنفط بما فيه خفض الأسعار إلى مستويات غير مسبوقة ما كان ينذر بخلق أزمة كبيرة في العراق تهدّد بتفجر الأوضاع فيه. وكانت الكويت مدفوعة لذلك من الولايات المتحدة التي كانت تسعى لإطاحة الرئيس العراقي وضرب العراق من الداخل بعدما تحول قوة إقليمية كبيرة. وكانت المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة تدعمان الكويت في سياساتها العدائية تجاه العراق وقد ساهمتا معها في إغراق السوق العالمية بالنفط متجاوزتين الحصص المقررة لهما من منظمة الدول المنتجة للنفط أوبك. وكان العراق قد اتهم الكويت أيضاً باستخراج النفط العراقي من الآبار عبر طريقة الحفر الأفقي وهي تقنية جديدة كانت قد أخذتها الكويت من الولايات المتحدة الأمريكية. وأخيراً فلقد كانت الكويت قد بدأت تطالب العراق بسداد ديونه المتراكمة عليه وبالبالغة عشرات مليارات الدولارات.<sup>531</sup> وفي 2 آب أغسطس 1990 اخترقت قوات النخبة من الحرس الجمهوري العراقي الحدود الكويتية باتجاه العاصمة الكويت فيما توغلت الفرق المدرعة في عمق الأراضي الكويتية وسيطرت على المناطق الاستراتيجية فيها. ولم تدُم المعارك مع القوات الكويتية إلا ساعات قليلة وتمكّنت القوات العراقية من السيطرة على كامل الكويت في اليومين التاليين لبدء الاجتياح. وفي 4 آب أغسطس أعلن عن قيام جمهورية الكويت برئاسة علاء حسين إلا أن هذا الأمر لم يدم سوى أيام قليلة، إذ إنه في 8 آب أغسطس أعلن عن ضمّ الكويت إلى العراق واعتبارها المحافظة 19 في الجمهورية العراقية وتم تعيين عزيز صالح النومان محافظاً عليها.

---

Counrtny Hunt, The History of Iraq, London: Greenwood Press, 2005, p.p. 96 – 97. <sup>531</sup>

## حرب الخليج الثانية وأثرها

بنتيجة الاجتياح طالب مندوب الكويت ومندوب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة بعقد جلسة طارئة لمجلس الأمن قامت بإصدار القرار الدولي 660 الذي ندد باجتياح العراق للكويت وطالبه بالانسحاب الفوري من دون قيد أو شرط. وفي اليوم التالي عقدت جامعة الدول العربية جلسة طارئة طالبت العراق بالانسحاب من الكويت. بعد ذلك أصدر مجلس الأمن في 6 آب أغسطس بفرض حصار اقتصادي على العراق. وما لبثت الولايات المتحدة أن أرسلت مئات الآلاف من قواتها إلى المملكة العربية السعودية بذرية حمايتها من احتمال قيام صدام حسين باجتياح المنطقة الشرقية فيها والغنية بالنفط. ورد صدام على ذلك بضم الكويت إلى العراق في السابع من آب أغسطس. وقد تالت القرارات الدولية ضد العراق كان أبرزها القرار 678 والذي حدد 15 كانون الثاني يناير 1991 موعداً نهائياً لانسحاب العراق من الكويت تحت طائلة توجيه ضربة عسكرية ضده من قبل تحالف دولي بقيادة الولايات المتحدة. وكانت الولايات المتحدة قد شكلت تحالفاً دولياً من 38 دولة حشد نحو مليون جندي في المملكة العربية السعودية للقيام بعملية عسكرية ضد العراق، وقد شكلت القوات الأمريكية ثلاثة أرباع عدد القوات المتحالفة.<sup>532</sup> وفي 21 كانون الثاني يناير، وبعد أسبوع على انتهاء المهلة المعطاة للعراق لسحب قواته من الكويت، صادق الكونغرس الأميركي على قرار يمنح الرئيس جورج بوش الصلاحيّة بشنّ حرب ضد العراق. وانقسمت الدول العربية في موقفها تجاه اجتياح العراق للكويت. فلقد عارض كل من الأردن واليمن أي حرب تشنّ ضد العراق بصفتها عدواناً على الأمة العربية. كذلك تحفظت كل من تونس والجزائر وموريتانيا والسودان وليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية على شنّ الحرب على العراق. في المقابل، فلقد أعلنت المملكة العربية السعودية والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان والمغرب ومصر وسوريا تأييدها للحرب ضد العراق فيما أعلن أمين عام جامعة الدول العربية الشاذلي القليبي استقالته من منصبه.

بدأت الحرب ضد العراق فجر 16 كانون الثاني يناير 1991 بعد دقائق على انتهاء المهلة الممنوحة للعراق للانسحاب من الكويت، وذلك بحملة غارات جوية وضربات صاروخية باليستية شملت كامل المدن والبلدات والأراضي العراقية. وقد استمرّت الحملة لشهر ونصف الشهر وبلغ عدد الغارات والهجمات الصاروخية نحو 110 آلاف غارة وهجوم صاروخي ألقى خلالها نحو 60 ألف

---

Courtney Hunt, The History of Iraq, p. 98. <sup>532</sup>

طن من المتفجرات أدى إلى تدمير البنية التحتية في العراق بشكل شبه كامل. وقد استعملت قوات التحالف والقوات الأمريكية أسلحة متقدمة ومحرمة دولياً من اليورانيوم المخصب والقنابل الذكية والعنقودية إضافة إلى صواريخ كروز الباليستية. في المقابل رد العراق بإسقاط 75 طائرة أمريكية وبإطلاق صواريخ سكود على الكيان الصهيوني والمملكة العربية السعودية. ورداً على الضربة الجوية قامت القوات العراقية بهجوم محدود على مدينة الخفجي السعودية ذات الأهمية الاستراتيجية لوقعها على تقاطع الطرق في المنطقة الشرقية الذي يوصل النفط إلى الأسواق العالمية. لكن هدف الهجوم كان دفع الولايات المتحدة إلى البحث في هدنة مع العراق وهو ما رفضه واشنطن ودعمت هجوماً مضاداً شكلت القوات السعودية والقطرية رأس حربة له تمكّن من استعادة المدينة من القوات العراقية. بعد ذلك، وبنتيجة الهجمات الجوية المتواصلة، تمكّنت قوات التحالف من تدمير قوات الدفاع الجوي العراقية ووسائل القيادة والاتصال ما دفع بالرئيس صدام حسين إلى الموافقة على عرض سوفياتي بوقف إطلاق النار والانسحاب من الكويت في 22 شباط فبراير 1991. وقد تعهدت الولايات المتحدة بعدم مهاجمة القوات العراقية المنسحبة، إلا أنها أخلفت بواعدها وهاجمت هذه القوات موقعة عشراتآلاف القتلى من الجنود العراقيين المنسحبين ومدمراًآلاف الدبابات والمدرعات العراقية. وكانت واشنطن تهدف من ذلك إلى القضاء على القوة العسكرية العراقية التي كانت تهدد أمن إسرائيل وطموحاتها بالهيمنة على منطقة المشرق العربي. وفي 24 شباط فبراير بدأت القوات الأمريكية بهجومها البري ضد القوات العراقية في الكويت وجنوب العراق فيما كان الطيران الأمريكي يستهدف القطاعات العسكرية العراقية التي أمرت بالانسحاب فجر 26 شباط فبراير 1991. وفي 27 شباط فبراير أُعلن عن تحرير الكويت من الاحتلال العراقي.<sup>533</sup>

بنتيجة الحرب على العراق تم تدمير القوة العسكرية العراقية التي كانت تُعدّ أقوى قوة عسكرية عربية في ذلك الوقت ما ساهم في إضعاف موقف الدول العربية المعادية لإسرائيل في مواجهة هذه الأخيرة. وقد شجع الأميركيون الأحزاب الشيعية على القيام بانتفاضة في جنوب العراق فيما شجعوا الأكراد على القيام بالمثل في الشمال إلا أن الحكومة المركزية تمكّنت من قمع الانتفاضتين ومنعت تقسيم العراق. كذلك فلقد تم تدمير البنية التحتية في العراق من طرق ومصانع مدينة وعسكرية ومعامل توليد الكهرباء ومصافي تكرير النفط ومحطات تحلية المياه ما أدى إلى تراجع خطير في الاقتصاد العراقي وفي الخدمات الطبية والصحية والتعليمية والمعيشية بشكل عام، خصوصاً أن

Counrtny Hunt, The History of Iraq, p. 99. <sup>533</sup>

الولايات المتحدة دفعت مجلس الأمن إلى فرض حصار على العراق سيستمر حتى تاريخ غزوه من قبل الولايات المتحدة في العام 2003. وقد بلغ التضخم نحو 2400 في المئة بين عامي 1991 و1994 ما شكل كارثة اقتصادية للعراق وحصل نزيف في الأدمغة إذ هاجر عشرات الآلاف من العلماء العراقيين إلى الولايات المتحدة وأوروبا فيما أدى الحصار المفروض على بغداد إلى ارتفاع وفيات الأطفال ليصل إلى نحو خمسة آلاف طفل في الشهر الواحد على مدى ثلاثة عشر عاماً. وقد وضعت قيود على بيع النفط العراقي فيما ألزمت بغداد بدفع تعويضات عن غزوها للكويت بلغت خمسة في المئة من عائداتها النفطية سنوياً.<sup>534</sup>

## مساعي الهيمنة الأميركية

ومع مطلع الألفية الجديدة، كانت الإدارة الأميركية أمام امتحان صعب، حيث كان يتوجّب عليها اتخاذ قرارات مصرية، فيما يتعلّق بمصير تزعمها وقيادتها العالم من دون وجود أي ندٍ لهم. وخلال هذه الفترة شهدت الصين ومنذ بدايات الثمانينيات تطهراً اقتصادياً، بعد أن عملت على إنشاء مناطق اقتصادية حرة تساعدها على التعاطي بشكل أكبر وانفتاح أكثر على الاقتصاد الدولي، ونتيجة لهذه الخطوات شهد الاقتصاد الصيني نمواً في فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي تراوح سنوياً بين 8 و 10 في المئة، الأمر الذي انعكس ايجاباً على مستوى معيشة الأفراد بنسبة وصلت لغاية 80%， كذلك زادت الحصة الصناعية من الإنتاج المحلي ووصلت إلى نحو 50%.<sup>535</sup> ومع بدايات عام 1992، حققت الصين فائضاً في ميزان التبادل التجاري مع واشنطن، الأمر الذي ساهم في تراكم احتياطاتها من العملات الأجنبية الذي وصل قرابة 40 مليار دولار أمريكي، ليرتفع بعد ذلك إلى أضعاف هذا المبلغ.<sup>536</sup> وهذا الأمر الذي جعل الصينيين يتّجاوزون الأزمة التي أصابت كتلة الدول الاشتراكية، والتي ساهمت في انهيارها، ثم تلاها بعد ذلك تفكّك الاتحاد السوفييتي وذلك في العام 1991. انطلاقة الصين الاقتصادية دفعتها إلى تمكين وتعزيز موقفها السياسي، فقد كانت لديها خشية تاريخية وتحديداً من منطقة وسط آسيا، التي شكلت في ما مضى مهدًا لغالبية الغزوات التي ضربت الصين. وبالوقت نفسه شكلت منطقة وسط آسيا نقطة عبور للصين تنطلق منها

Counrtny Hunt, The History of Iraq, p.p. 101 – 103. <sup>534</sup>

Chi Kwan Mark, p. 97. <sup>535</sup>

Alfred K. Ho, p. 82. <sup>536</sup>

لتعزيز تجاراتها في البر الآسيوي، تحت ما عرف بـ"طريق الحرير". ومن أجل ذلك عملت الصين وبالتعاون والتنسيق مع كل من طاجيكستان وكازاخستان وقرغيزستان وروسيا إلى تأسيس "مجموعة الـ5" وذلك في العام 1996، وفي شهر حزيران العام 2001، أصبحت تعرف بـ"منظمة شنغهاي للتعاون" وذلك بعد انضمام أوزبكستان إلى المجموعة. التي كان هدفها ضمان حفظ الاستقرار والأمن ضمن منطقة وسط آسيا، بالإضافة إلى العمل على القضاء على الحركات الانفصالية التي تتخذ منها نقطة انطلاق.<sup>537</sup> وتكمّن أهمية "منظمة شنغهاي للتعاون"، في مساحتها الكبيرة التي تصل إلى حدود 60% من مساحة أوراسيا، أي أنها تضم ربع سكان العالم. وفي حال أخذنا في الحسبان، الدول التي تأخذ صفة مراقب (وباكستان - الهند - إيران - أفغانستان - منغوليا)، نجد أن "منظمة شنغهاي للتعاون"، تحوي 80% من مساحة أوراسيا، أي أنها تضم نصف سكان العالم.

كما عملت المنظمة على إنشاء هيئة خاصة مهمتها العمل على مكافحة الإرهاب.<sup>538</sup> في الوقت نفسه، استمرّت الإدارة الأميركيّة في نهج سياسات اعتبرتها موسكو تهديداً لأمنها القومي، برغم تراجع الدور الروسي لصالح واشنطن. في ما عمل الأوروبيون على الإبقاء على "حلف الناتو" رغم انتهاء الحرب الباردة، وعملوا على توسيع نطاق عضويته، لتضم دولاً في منطقة أوروبا الشرقيّة القريبة من روسيا. بالإضافة إلى محاولة فرض نفوذهم في منطقة القوقاز ومنطقة وسط آسيا، الأمر الذي دفع موسكو إلى العمل للتقارب مع كل من إيران والصين، اللتين أصابهما الأذى من هذه السياسات. بعدها في العام 1999، تسلّم فلاديمير بوتين منصب رئيس الوزراء في روسيا، ليصل بعدها إلى منصب الرئاسة وذلك في بداية العام 2000، بعد استقالة الرئيس بوريس يلتسين لأسباب صحية.

وحصل في عهده التقارب الروسي - الصيني، حيث أسس معاً "منظمة شنغهاي للتعاون".<sup>539</sup> بعدها في العام 2001، شنّ الأميركيون الحرب على أفغانستان بحجة الردّ على أحداث هجمات 11 أيلول / سبتمبر من العام 2001، على مدینتي نيويورك وواشنطن، والتي اتهم بها "تنظيم القاعدة"، وقد وجدت واشنطن فيها الفرصة المناسبة لفرض هيمنتها على منطقة الشرق الأوسط. ثم تلاها في العام 2003، العدوان الأميركي على العراق، الذي أرادت من خلاله تعزيز سيطرتها على المنطقة، وإعادة رسم خريطة جغرافيتها السياسية. فقد أراد البيت الأبيض تفزيز مشروعه في منطقة الشرق

---

Website of Shanghai Cooperation Organization at <sup>537</sup>  
<http://www.sectsco.org/EN123/brief.asp> accessed on 23 - 2 - 2015.

Website of Shanghai Cooperation Organization at <sup>538</sup>  
<http://www.sectsco.org/EN123/AntiTerrorism.asp> accessed on 23 - 2 - 2015

Charles J. Shields, Vladimir Putin, New York: Chelsea House Publishers, 2007, p.p. 50 - 59. <sup>539</sup>

الأوسط من خلال فرض هيمنته عليها، وذلك على امتداد المحيط الأطلسي من جهة الغرب، وحتى حدود الصين من جهة الشرق، من أجل فرض نفوذه على طرق المواصلات الدولية، وبالتالي وضع حد للتقارب بين أوروبا وأفريقيا، من جهة، وبين أوروبا وموسكو من جهة ثانية. والهدف الأهم هو العمل على منع موسكو من الوصول إلى المياه الدافئة في منطقة شرق المتوسط، كذلك كي تمنع الصين من اتخاذ إيران نقطة للعبور إلى أفريقيا. فالمخطط الأميركي يقوم في أساسه على إعادة رسم وتشكيل الجغرافية السياسية الخاصة بمنطقة الشرق الأوسط، وذلك من خلال العمل على تجزئة وتقسيم دول المشرق العربي، إلى كانتونات طائفية مذهبية وإثنية وعشائرية، لتجعل منها مجالاً حيوياً حاضناً للإسرائيeli.

## غزو العراق

مع بدايات العام 2003 كانت الاستعدادات الأميركية قد اكتملت لغزو العراق عبر حشد عشرات آلاف الجنود الأميركيين مع عتادهم في الكويت. وكانت واشنطن قد حاولت على مدار عام كامل تبرير الغزو الذي كانت تحضر له عبر الزعم أن العراق لم يكن يلتزم بالقرارات الدولية القاضية بمنع انتشار السلاح النووي والكيماوي. وهو ما كانت تنتفيه الحقائق وهو ما أكده فشل القوات الأميركيية في العثور على أي أثر لأسلحة محرمة دولياً في العراق بعد الغزو. وكانت القوة العسكرية العراقية قد دُمرت بشكل شبه كامل في العام 1991، فيما ساهم الحصار الذي فرض على العراق بعد ذلك العام إلى تراجع قوة العراق العسكرية والاقتصادية بشكل كبير ما جعله غير قادر على عرقلة أو صد العدوان الأميركي.

وقد بدأ الغزو الأميركي في فجر 20 آذار مارس 2003 بتوجيه ضربة جوية ضد الدفاعات الجوية العراقية بالتوالي مع تغلغل القوات الأميركيية داخل الأراضي العراقية، حيث لاقت مقاومة عنيفة في مدينة أم القصر القريبة من الحدود الكويتية، ثم في مدينة الناصرية جنوب مدينة البصرة. وقد اشتركت كل من بريطانيا وإسبانيا واستراليا وعدد من الدول الأخرى مع القوات الأميركيية في غزو العراق، وسط معارضة شديدة من معظم دول العالم وعلى رأسها فرنسا وألمانيا وروسيا والصين. وقد كان تقدّم القوات الأميركيّة والبريطانية في العراق قد جرى بالاتفاق على المدن والتوجه عبر الصحراء مباشرة إلى بغداد ما مكّن القوات الغازية من تجنب جيوب المقاومة في المدن العراقية المختلفة واستهداف رأس المقاومة في العاصمة بغداد. وكانت قوات خاصة بريطانية قد سيطرت في بداية المعارك على حقول النفط في جنوب البلاد في الوقت الذي سيطرت فيه قوات خاصة

أمريكية أُنزلت في كركوك على الحقول النفطية الشمالية. وفي 27 آذار مارس انهارت المقاومة العراقية في مدينة البصرة التي دخلتها القوات الغازية البريطانية. وفي 9 نيسان أبريل كانت القوات الأمريكية الغازية قد تغلبت على المقاومة العراقية الشرسة في النجف وكربيلاه والعمارة وباتت على مشارف مطار بغداد الذي حدثت فيه معارك شرسة مع قوات الحرس الجمهوري العراقي. لكن المقاومة العراقية انتهت في ذلك اليوم ودخلت القوات الأمريكية الغازية بغداد فيما اختفى الرئيس العراقي صدام حسين وأركان قيادة حزب البعث الحاكم عن الأنظار تحضيراً لتنظيم المقاومة العراقية ضد قوات الغزو.<sup>540</sup>

ما أن سقطت بغداد حتى تعرضت مع غيرها من المدن لعملية نهب واسعة ذكرت العراقيين بغزو المغول والتنار للمدينة خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر. فقد تعرض المتحف الوطني العراقي لعملية نهب محتوياته وسُجلت سرقة مئاتآلاف القطع الأثرية منه ما اعتبر أكبر نكبة في تاريخ التراث الإنساني، كذلك تعرضت المصارف والثكنات العسكرية والمنشآت النووية لعمليات النهب التي تمت تحت أعين القوات الأمريكية الغازية. وقد سقطت بنتيجة هذه الحرب الجديدة على العراق مئتا ألف قتيل عراقي، وذلك حتى العام 2010 فيما سُجّل سقوط 4000 قتيل أمريكي في صفوف قوات الاحتلال إضافة إلى مئات أخرى من القوات الحليفة للقوات الأمريكية الغازية مع جرح نحو 30 ألف جندي أمريكي على يد المقاومة العراقية. وفي العام 2008 صدر تقرير لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ الأميركي والذي خلص إلى اتهام الرئيس الأميركي جورج بوش الابن بتلفيق الاتهامات وبتحوير معلومات استخبارية لتبرير غزو العراق.

## العراق تحت الاحتلال

بعد احتلال العراق فرض الأميركيون احتلالاً عسكرياً على البلاد وبدأوا بـ ملاحقة القيادة العراقية، وفي تموز يوليو 2003 تمكنوا من كشف المنزل الذي لجأ إليه نجلا الرئيس العراقي عدي وقصي وحفيده مصطفى فهاجموا المنزل ولقوا مقاومة عنيفة من الثلاثة أدت إلى استشهادهم جميعاً. وفي كانون الأول ديسمبر من العام نفسه اعتقل الرئيس صدام حسين في إحدى المزارع في تكريت فيما كان عدد آخر من قادة حزب البعث والوزراء العراقيين قد سقطوا في قبضة قوات الاحتلال.<sup>541</sup>

Counrtny Hunt, The History of Iraq, p.p. 105 – 107. <sup>540</sup>

القصة الكاملة لإلقاء القبض على صدام، دنيا الوطن، 16 – 12 – 2003. <sup>541</sup>

<https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2003/12/16/1677.html>

وفي أيار مايو 2003 أُعلن الاحتلال الأميركي عن قيام السلطة المؤقتة في العراق برئاسة بول بريمر الذي أصدر قراراً بحلّ الجيش العراقي وتسریح عدیده وقطع رواتبهم إضافة إلى تسریح آلاف الموظفين العراقيين وقطع معاشاتهم.<sup>542</sup> هذا ساهم في تغذیة النسمة على قوات الاحتلال وتعزيز أعمال المقاومة ضدّ قوات الاحتلال الأميركي والتي ستستمر حتى الانسحاب الأميركي من العراق عام 2011 والتي نجحت في قتل آلاف الجنود الأميركيين وجرح عشرات الآلاف منهم. وكانت معركة الفلوجة التي وقعت بين قوات المقاومة العراقية من جهة والقوات الأميركيّة من جهة أخرى من أبرز المحطّات في مواجهة الاحتلال الأميركي في ربيع العام 2004. وبدأت الأحداث بإلقاء الجموع القبض على اربعة عناصر من ميليشيا بلاكوتر تورّطوا بإطلاق النار على مدنيين عراقيين، وقامت الجموع بقتلهم والتمثيل بجثثهم ما دفع بالقوات الأميركيّة إلى حشد آلاف الجنود لمحاصرة المدينة ومهاجمتها في تشرين الثاني نوفمبر 2004 ما أدى إلى استشهاد 200 مقاتل عراقي في مقابل 40 جندياً أميركياً إضافة إلى سقوط آلاف الجرحى من الطرفين ومن المدنيين.<sup>543</sup>

في حزيران يونيو 2004، ونتيجة الخسائر الكبيرة التي كانت تتعرّض لها القوات الأميركيّة على يد المقاومة العراقية، تقرّر نقل السلطة إلى حكومة محلية عراقية مع إبقاء قوات الاحتلال الأميركي في العراق وإبقاء السلطة الفعلية في أيديهم.<sup>544</sup> وفي كانون الثاني يناير 2005 أجريت انتخابات عامة في العراق بعد اعتماد قانون طائفي لعضوية مجلس النواب والحكومة العراقية فيما توزّعت الرئاسات الثلاث على الطوائف الرئيسيّة في البلاد فنال الأكراد رئاسة البلاد التي تحولت منصباً شرفيّاً في العراق ما بعد صدام، فيما نال الشيعة رئاسة الوزارة والسنة رئاسة مجلس النواب. وقد تميّزت الانتخابات بمشاركة كبيرة بين الشيعة والأكراد ومشاركة ضعيفة جداً بين السنة. لكن آمال الأميركيّين في مساعدة الانتخابات بتراجع حدة المقاومة ضدّهم تبخّرت إذ إنّ المقاومة استعرّت ضدهم مسجلة معدل ما بين 30 و40 عملية بالشهر ضدّهم ما أسقط مئات القتلى والجرحى في صفوفهم كل شهر. وفي أيار مايو شنت قوات المارينز عملية ماتادور في منطقة الأنبار إلا أنها فوجئت بكمين نصبه لها مقاومون عراقيون ما أدى إلى سقوط نحو 40 قتيلاً في صفوف المارينز

<sup>542</sup> بريمر: قرار حلّ الجيش العراقي اتّخذ بالتشاور مع بريطانيا، قناة العام 29 أيار 2010.  
<http://www.alalam.ir/news/7698>

<sup>543</sup> أحمد منصور، معركة الفلوجة: هزيمة أميركا في العراق، 2007.  
<sup>544</sup> العراقيون تسلّموا السلطة من أميركا، الوطن 6 حزيران 2004.

<http://www.alwatan.com/graphics/2004/06jun/29.6/dailyhtml/news1.html>  
ملحة عن انتخابات 2005، السومرية، 7 آذار 2012.<sup>545</sup>

<https://www.alsumaria.tv/mobile/news/23859/%D9%84%D9%85%D8%AD%D8%A9-%D8%B9%D9%86-%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%AE%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D8%AA-2005/ar>

ونحو 200 جريح في مقابل مقتل 150 مقاتلًا عراقياً.<sup>546</sup> هذا دفع بالمسؤولين الأميركيين إلى التعبير عن يأسهم من السيطرة على العراق في صيف 2005. في هذا الوقت كانت الحكومة العراقية المؤقتة قد أصدرت دستوراً جديداً يعتمد التوزيع الطائفي الأنف الذكر وقد أجري الاستفتاء عليه وصودق بغالبية 79 في المائة وفقاً للنتائج التي أعلنتها الحكومة المؤقتة. وفي كانون الأول ديسمبر أجريت الانتخابات التشريعية والتي فاز بغالبية مقاعدها حزب الدعوة الإسلامي وحلفاؤه فكلف زعيم الحزب نوري المالكي بتشكيل الوزارة العراقية فيما انتخب جلال الطالباني رئيساً للبلاد مع بقاء السلطة الفعلية في قبضة قوات الاحتلال الأميركي التي استمرت في مواجهة مقاومة عراقية شرسة.<sup>547</sup>

بنتيجة المقاومة اضطرت القوات الأميركية والبريطانية إلى الانسحاب من عدد من القواعد التي كانت تتمركز فيها وتسللتها إلى قوات عراقية جمعت حديثاً تحت مسمى الجيش العراقي الجديد والذي كان قد استبعد جميع عناصر الجيش العراقي السابق. وفي ربيع 2006 قامت القوات الأميركيّة بتسليم قاعدة العمليات المتقدمة في نينوى إلى الحكومة المحلية في نينوى. بعد ذلك بشهر قامت القوات البريطانية بتسليم قاعدة كامب أبو ناجي بالقرب من العمارة إلى قوات عراقية شكلت حديثاً، وذلك نتيجة تعرض القوات البريطانية لخسائر كبيرة نتيجة العمليات العراقية ضد القاعدة. وقد تلا ذلك تسليم محافظة المثنى إلى الحكومة العراقية وانسحاب القوات البريطانية بالكامل من العراق بعد أشهر قليلة.<sup>548</sup>

في الوقت نفسه كانت المقاومة العراقية في الأنبار قد تصاعدت إلى حد خروجها كلياً عن السيطرة الأميركيّة. هذا دفع بالأمريكيين إلى الإياعز للحكومة العراقية بقيادة نوري المالكي إلى الأمر بإعدام الرئيس العراقي صدام حسين في 30 كانون الأول ديسمبر 2006، وكان يوم عيد الأضحى ما أثار شكوكاً بأن الغاية من الإعدام كانت لإثارة فتنة سنية شيعية تشعل حرباً أهلية بين العراقيين وتريج الأميركيين من ضغط المقاومة ضدهم.<sup>549</sup> وقد تلا ذلك إرسال الأميركيين لمزيد من القوات إلى العراق لإعادة السيطرة على محافظة الأنبار بالتعاون مع شيوخ العشائر السنية في تلك المنطقة. وفي أيار

<sup>546</sup> عمليات تحرير الأنبار، الحرية: <https://www.alhurra.com/a/military-operation-Iraq-Ramadi-anbar-province/276374.html>

<sup>547</sup> راجع نوري المالكي: رئيس الوزراء العراقي، المليادين، 1 شباط 2013، <http://www.almayadeen.net/episodes/635408>

<sup>548</sup> بوش: 3 سنوات صعبة في العراق وتنوّع المزيّد، الاتحاد، 24 مايو 2006: <https://www.alittihad.ae/Article/60026/2006>

<sup>549</sup> تنفيذ حكم الإعدام في صدام حسين شنقاً حتى الموت، الجزيرة 30 - 12 - 2006: <http://www.aljazeera.net/news/arabic/2006/12/30>

مايو 2007 طالب البرلمان العراقي القوات الأمريكية بالإعلان عن جدول زمني لانسحابها من العراق وهو ما كانت ترفضه قوات الاحتلال. وقد دفعها هذا إلى استقطاب قبائل الأنبار إلى صفها عبر دفعها المال لهم وتنظيمها ميليشيا مسلحة بينهم متعاونة مع الاحتلال الأميركي. وقد وصل الحدّ بالأمريكيين في محاولة استتمالهم لعشير الأنبار أن زار الرئيس الأميركي جورج بوش الإبن شخصياً المنطقه لتهنئة الشيخ عبد الستار، أحد الشيوخ المتعاونين مع الاحتلال. ولضمان ارتباط العراق مستقبلاً بالولايات المتحدة بدأت هذه الأخيرة بتنفيذ برنامج تسليح مكثف للقوات العراقية بالسلاح الأميركي بدءاً من العام 2008.<sup>550</sup> ومع انتخاب الرئيس الجديد في الولايات المتحدة باراك أوباما وتسلّمه مقاليد الحكم في بداية العام 2009 تضاعفت جهود الحكومة العراقية للضغط على الأميركيين لانسحاب من العراق بدعم من إيران وسوريا، ما أدى إلى انسحاب هذه القوات أواخر العام 2011.<sup>551</sup>

## دستور العراق لعام 2005

وفي العام 2005، وبعد عامين على الغزو الأميركي للعراق تم إصدار دستور من قبل الاحتلال الأميركي بالتعاون مع النخبة السياسية التي كانت معارضة للبعث دستوراً جديداً كان من أهم مبادئه اعتماد الصيغة الطائفية للعراق بذرية التعددية واعتماد نظام فدرالي يعطي الأكراد والشيعة والسنّة كيانات منفصلة في إطار الدولة العراقية. ومن أهم بنود الدستور الجديد:

### المادة (1):

جمهورية العراق دولة اتحادية واحدة مستقلة ذات سيادة كاملة، نظام الحكم فيها جمهوري نيابي (بريطاني) ديمقراطي. وهذا الدستور ضامن لوحدة العراق.

### المادة (2):

أولاً: الإسلام دين الدولة الرسمي، وهو مصدر أساس للتشريع:

- أ - لا يجوز سن قانون يتعارض مع ثوابت أحكام الإسلام.
- ب - لا يجوز سن قانون يتعارض مع مبادئ الديمقراطية.

<sup>550</sup> بوش يلتقي شيخ الأنبار ولا يستبعد خفض القوات، الشرق الأوسط، 4 أيلول 2007، <http://archive.aawsat.com/details.asp?section=1&article=435582&issueno=10507#.W4an5-gzbIU>

<sup>551</sup> أوباما يعلن انسحاب القوات الأميركيه من العراق بنهاية العام، بي بي سي، 21 تشرين أول 2011: [http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2011/10/111021\\_obama\\_iraq\\_withdrawal](http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2011/10/111021_obama_iraq_withdrawal)

ج - لا يجوز سن قانون يتعارض مع الحقوق والحريات الأساسية الواردة في هذا الدستور. ثانياً: يضمن هذا الدستور الحفاظ على الهوية الإسلامية لغالبية الشعب العراقي، كما ويضمن كامل الحقوق الدينية لجميع الأفراد في حرية العقيدة والممارسة الدينية كالمسيحيين والآيزديين والصابئة المندائيين.

#### **المادة (3):**

العراق بلد متعدد القوميات والأديان والمذاهب، وهو عضو مؤسس وفعال في جامعة الدول العربية وملتزم ببيانها وجزء من العالم الإسلامي.

#### **المادة (4):**

أولاً: اللغة العربية واللغة الكوردية هما اللغتان الرسميتان للعراق، ويضمن حق العراقيين بتعلم أبنائهم باللغة الأم كالتركمانية والسريانية والأرمنية في المؤسسات التعليمية الحكومية وفقاً للضوابط التربوية، أو بأية لغة أخرى في المؤسسات التعليمية الخاصة.

ثانياً: يحدد نطاق المصطلح لغة رسمية، وكيفية تطبيق أحكام هذه المادة بقانون يشمل:  
أ - إصدار الجريدة الرسمية باللغتين.

ب - التكلم والمخاطبة والتعبير في المجالات الرسمية كمجلس النواب، ومجلس الوزراء، والمحاكم، والمؤتمرات الرسمية، بأي من اللغتين.

ج - الاعتراف بالوثائق الرسمية والمراسلات باللغتين وإصدار الوثائق الرسمية بهما.  
د - فتح مدارس باللغتين وفقاً للضوابط التربوية.

هـ - أية مجالات أخرى يحتمها مبدأ المساواة، مثل الأوراق النقدية، وجوازات السفر، والطوابع.

ثالثاً: تستعمل المؤسسات الاتحادية والمؤسسات الرسمية في إقليم كردستان اللغتين.  
رابعاً: اللغة التركمانية واللغة السريانية لختان رسميتان آخرتان في الوحدات الإدارية التي يشكلون فيها كثافة سكانية.

خامساً: لكل إقليم أو محافظة اتخاذ أية لغة محلية أخرى لغة رسمية إضافية إذا أقرت غالبية سكانها ذلك باستفتاء عام.

#### **المادة (5):**

السيادة للقانون، والشعب مصدر السلطات وشرعيتها، يمارسها بالاقتراع السري العام المباشر وعبر مؤسساته الدستورية.

**المادة (6):**

يتم تداول السلطة سلماً عبر الوسائل الديمقراطية المنصوص عليها في هذا الدستور.

**المادة (7):**

أولاً: يحظر كل كيان أو نهج يتبنى العنصرية أو الإرهاب أو التكفير أو التطهير الطائفي أو يحرّض أو يمهد أو يجّد أو يروج أو يبرّ له، وبخاصة البعث الصدامي في العراق ورموزه وتحت أي مسمى كان، ولا يجوز أن يكون ذلك ضمن التعددية السياسية في العراق، وينظم ذلك بقانون.

ثانياً: تلتزم الدولة محاربة الإرهاب بجميع أشكاله، وتعمل على حماية أراضيها من أن تكون مقراً أو ممراً أو ساحة لنشاطه.

**المادة (8):**

يرعى العراق مبدأ حسن الجوار، ويلتزم عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، ويسعى لحل النزاعات بالوسائل السلمية، ويقيم علاقاته على أساس المصالح المشتركة والتعامل بالمثل، ويحترم التزاماته الدولية.

**المادة (9):**

أولاً:

أ - تتكون القوات المسلحة العراقية والأجهزة الأمنية من مكونات الشعب العراقي، بما يراعي توازنها ومقابلها دون تمييز أو إقصاء وت تخضع لقيادة السلطة المدنية وتدافع عن العراق ولا تكون أداة لقمع الشعب العراقي ولا تتدخل في الشؤون السياسية ولا دور لها في تداول السلطة.

ب - يحظر تكوين ميليشيات عسكرية خارج إطار القوات المسلحة.

ج - لا يجوز للقوات المسلحة العراقية وأفرادها، وبضمهم العسكريون العاملون في وزارة الدفاع أو أية دوائر أو منظمات تابعة لها، الترشح في انتخابات لإشغال مراكز سياسية، ولا يجوز لهم القيام بحملات انتخابية لصالح مرشحين فيها ولا المشاركة في غير ذلك من الأعمال التي تمنعها أنظمة وزارة الدفاع ويشمل عدم الجواز هذا أنشطة أولئك الأفراد المذكورين آنفًا التي يقومون بها بصفتهم الشخصية أو الوظيفية دون أن يشمل ذلك حقهم بالتصويت في الانتخابات.

د - يقوم جهاز المخابرات الوطني العراقي بجمع المعلومات وتقديم التهديدات الموجهة للأمن

الوطني وتقديم المشورة للحكومة العراقية. ويكون تحت السيطرة المدنية ويخضع لرقابة السلطة التشريعية ويعمل وفقاً للقانون ومهجوب مبادئ حقوق الإنسان المعترف بها.

هـ- تحترم الحكومة العراقية وتنفذ التزامات العراق الدولية الخاصة بمنع انتشار وتطوير وإنتاج واستخدام الأسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية وينع ما يتصل بتطويرها وتصنيعها وإنتاجها واستخدامها من معدات ومواد وتقنولوجيا وأنظمة للاتصال.

**المادة (10):**

العتبات المقدسة والمقامات الدينية في العراق كيانات دينية وحضارية، وتلتزم الدولة بتأكيد وصيانة حرمتها، وضمان ممارسة الشعائر بحرية فيها.

**المادة (11):**

بغداد عاصمة جمهورية العراق.

**المادة (12):**

أولاً: ينظم بقانون علم العراق وشعاره ونشيده الوطني بما يرمز إلى مكونات الشعب العراقي.  
ثانياً: تنظم بقانون الأوسمة والعلاءات الرسمية والمناسبات الدينية والوطنية والتقويم الهجري والميلادي.

**المادة (13):**

أولاً: يُعد هذا الدستور القانون الأساسي والأعلى في العراق، ويكون ملزماً في أنحاءه كافة وبدون استثناء. ثانياً: لا يجوز سن قانون يتعارض مع هذا الدستور، ويُعد باطلاً كل نص يرد في دساتير الأقاليم أو أي نص قانوني آخر يتعارض معه.

**المادة (47):**

ت تكون السلطات الاتحادية من السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، تمارس اختصاصاتها ومهماتها على أساس مبدأ الفصل بين السلطات.

**المادة (116):**

يتكون النظام الاتحادي في جمهورية العراق من عاصمة وأقاليم ومحافظات لامركزية وإدارات محلية.

**المادة (117):**

أولاً: يقرّ هذا الدستور عند نفاذ إقليم كردستان، وسلطاته القائمة إقليماً اتحادياً.  
ثانياً: يقرّ هذا الدستور الأقاليم الجديدة التي تؤسس وفقاً لأحكامه.

**المادة (118):**

يسنّ مجلس النواب في مدة لا تتجاوز ستة أشهر من تاريخ أول جلسة له، قانوناً يحدد الإجراءات التنفيذية الخاصة بتكوين الأقاليم بالأغلبية البسيطة للأعضاء الحاضرين.

**المادة (119):**

يحق لكل محافظة أو أكثر تكوين إقليم بناء على طلب بالاستفتاء عليه، يقدم بإحدى طرقتيين:  
أولاً: طلب من ثلث الأعضاء في كل مجلس من مجالس المحافظات التي تروم تكوين الإقليم.

ثانياً: طلب من عشر الناخبين في كل محافظة من المحافظات التي تروم تكوين الإقليم.<sup>552</sup>

---

<sup>552</sup> راجع الدستور العراقي لعام 2005 على موقع المحكمة الدستورية العراقية <https://www.hjc.iq/view.77/>

## الفصل الثاني

### سوريا ولبنان 1991 – 2010

بنتيجة حرب الخليج وتدمير القدرات العراقية، وما تلاها من انهيار للاتحاد السوفيافي في صيف العام 1991 لم يجد الرئيس السوري حافظ الأسد بدأً من الانفتاح على الولايات المتحدة، وبالتالي لم يكن له بد إلا بقبول الشروط الأميركية لحل الصراع العربي الإسرائيلي، وفقاً ملبداً الأرض مقابل السلام على أساس القرارين الدوليين 338 و 242 برعاية أميركية.<sup>553</sup> وقد كان على سوريا أن تقبل بالمفاوضات وفقاً لمسارات منفصلة لا أن يكون العرب ضمن فريق مفاوض موحد على أن يتم التفاوض على جميع المسارات بشكل متوازٍ وأن يترافق التقدّم بالمفاوضات بتقدّم على مستوى تطبيع العلاقات بين العرب وإسرائيل. وقد اعتبر المراقبون والمحللون السياسيون أن الأسد قبل بالشروط الأميركية لأنّه كان يريد تجنب مواجهة مع واشنطن ما يمكن أن يمنع عنه العقاب الذي تعرّض له صدام حسين.<sup>554</sup> وكانت دمشق تراهن على تعتّن الطرف الإسرائيلي لعرقلة المفاوضات التي أتت في غير صالحها. وقد عقدت الجلسة الافتتاحية لمباحثات السلام في 30 تشرين الأول أكتوبر 1991. وبما إن إسرائيل كانت ترفض مشاركة وفد فلسطيني في المفاوضات فلقد شارك الفلسطينيون في هذه المفاوضات ضمن الوفد الأردني على أن يكون أعضاء الوفد الفلسطينيون من أبناء الضفة الغربية وغزة لا من أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية ولا من أبناء القدس المحتلة.<sup>555</sup> وفي وصف لما جرى في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر كتب الصحافي ساطع نور الدين لـ"السفير"، مشيراً إلى أن "اليوم الأول كان هادئاً ومكرّساً للمراسم، وفي ما يتعلّق بالكلمات التي ألقاها لم تعكس أيّ موقف استثنائي. ولقد كان جميع أعضاء الوفود المشاركة قلقين باستثناء شخصيتين هما بوش ووزير خارجيته جايمس بايكر. ولم يكن حضور غورباتشيف ذا أهمية تُذكر، الأمر الذي كان يعكس الوضع الداخلي الحرج لبلاده. وكانت الوفود التي تمثّل المتنازعين في حالة عصبية، وكان كُلُّ فردٍ يعبر عن عصبيته على طريقته الخاصة. فلقد أدار رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق شامير ظهره إلى رئيس الوفد اللبناني وزير الخارجية فارس بويز وكان ينظر مباشرة إلى رئيس الوفد السوري وزير الخارجية فاروق الشرع الذي كان يبدو كمن عاد من ساحة المعركة. وإلى جانب الشرع جلس

553 جواد الشيشني، "الأسد يقبل وعد بوش، فلسطين الثورة". العدد 855، في 4/8/1991، ص. 17.

554 Daniel Pipes, "Is Damascus ready for peace?", Foreign Affairs, automne 1991, p.37.

555 السفير في 17 تشرين الأول/أكتوبر 1991

رؤساء الوفد الفلسطيني - الأردني وهما حيدر عبد الشافي ورئيس الدبلوماسية الأردنية كامل أبو جابر فيما جلس صائب عريقات خلفهما.<sup>556</sup>

وقد ألقى مضيف المؤتمر، رئيس الوزراء الإسباني فيليبي غونزاليس كلمة دعا فيها الوفود المشاركة إلى بذل الجهد لتحقيق السلام.<sup>557</sup> أما الرئيس الأميركي فقد شدد على أن بلاده تعمل على إحلال سلام حقيقي يتضمن "المعاهدات والأمن والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والتجارة والاستثمار والتبادل الثقافي وحتى السياحة".<sup>558</sup> بعد ذلك، ألقى الزعيم السوفياتي كلمة دعم فيها بوش واعتبر أن التعاون بين موسكو وواشنطن ضروري لإقامة السلام في الشرق الأوسط. وفي جلسة بعد الظهر، ألقى وزير الخارجية الهولندي هانس فان دين بروك كلمة باسم الاتحاد الأوروبي، أكد فيها عزم أوروبا على المشاركة بدفع عملية السلام. وانتهت الجلسة الافتتاحية بكلمة وزير الخارجية المصري عمرو موسى الذي دعا فيها إلى الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي المحتلة والاعتراف بالهوية الوطنية الفلسطينية كشرطين أساسين للسلام في الشرق الأوسط.<sup>559</sup> وفي اليوم الثاني ألقى شامير كلمة أشار فيها إلى رفضه مبدأ الأرض مقابل السلام معتبراً أن أرض فلسطين كاملة هي أرض إسرائيل.<sup>560</sup> أما رئيس الوفد الفلسطيني - الأردني كامل أبو جابر فقد ألقى كلمة شدد فيها على "ضرورة أن الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة بالاستقلال وإقامة دولته الوطنية" بعد ذلك، ألقى وزير الخارجية اللبناني فارس بويز كلمة طالب فيها بانسحاب إسرائيل من جنوب لبنان وفقاً للقرار الدولي 425. وفي الختام ألقى وزير الخارجية السوري فاروق الشرع كلمة أكد فيها رغبة سوريا بالتوصل إلى سلام مع إسرائيل، وفقاً للشرعية الدولية وللقرارين 242 و338 ومبدأ "الأرض مقابل السلام"، مع حماية الحقوق الوطنية للفلسطينيين. كما أكد على "أهمية دور الأمم المتحدة وأوروبا في هذه العملية".<sup>561</sup>

<sup>556</sup> نور الدين ساطع، السفير، في 31 تشرين الثاني/نوفمبر 1991

<sup>557</sup> مراجعة السفير، في 31 تشرين الأول/أكتوبر 1991

<sup>558</sup> مراجعة خطاب بوش في صحيفة النهار، في 31 تشرين الأول/أكتوبر 1991

<sup>559</sup> النهار، في 31 تشرين الأول/أكتوبر 1991

<sup>560</sup> النهار، في 1 تشرين الثاني/نوفمبر 1991

<sup>561</sup> السفير، في 1 تشرين الثاني/نوفمبر 1991

## أوسلو ووادي عربة

لم تُسفر الجولة الأولى، شأنها شأن الجولات الأربع التي تلتها عن أيّة نتيجة لأنّ حكومة الليكود كانت ترفض مبدأ الأرض مقابل السلام.<sup>562</sup> وكان شامير يريد استغلال المفاوضات لتطبيع العلاقات مع العالم العربي من دون الانسحاب من أي شبر من الأرض المحتلة.<sup>563</sup> وكان الإسرائيليون يراهنون على أن يمارس المجتمع الدولي وعلى رأسه الولايات المتحدة ضغوطاً على الفلسطينيين ليقبلوا بحل الحكم الذاتي عوضاً عن إقامة الدولة في الأراضي المحتلة ما يفتح المجال أمامهم لإقامة سلام مع الأردن يشكل جسر عبور لهم إلى دول منطقة الخليج من دون الحاجة لإقامة سلام مع سوريا.<sup>564</sup> هذا دفع بالإسرائيليين إلى التركيز على المسارين الأردني والفلسطيني وإهمال التفاوض على المسارين السوري واللبناني. وقد تجاوب الفلسطينيون مع المساعي الإسرائيلي لأنهم اعتبروا أن من شأنها التخفيف من وطأة الاحتلال الإسرائيلي على الضفة الغربية وغزة. وقد جرى الحديث أن سلاماً مع الفلسطينيين والأردنيين يمكن أن يمهد لإقامة اتحاد كونفدرالي بين إسرائيل والفلسطينيين والأردنيين.<sup>565</sup>

كانت المفاوضات عقيمة في ظل حكومة الليكود ما أدى إلى خلافات كبيرة بين القيادة الإسرائيلية وإدارة الرئيس جورج بوش التي اندفعت لدعم حزب العمال الإسرائيلي بقيادة إسحق رابين وشيمون بيريز لتحقيق فوز في الانتخابات التشريعية الإسرائيلية التي أجريت في حزيران يونيو 1992. وقد شكلت نتائج الانتخابات أول هزيمة لحزب الليكود منذ العام 1977، كما شكل مدعاه تفاؤل للأطراف الراعية لعملية السلام.<sup>566</sup> ولقد كان حزب العمل يريد دفع عملية السلام، لذلك وعد الفلسطينيين بالحكم الذاتي،<sup>567</sup> وأعلن رابين أنه ينوي إعطاء الأولوية للمسار السوري في محاولة منه لابتزاز الفلسطينيين للقبول بحل الحكم الذاتي.<sup>568</sup> وكان رابين وشريكه بيريز يريان أن السلام

<sup>562</sup> وحيد عبد المجيد، "إسرائيل والمفاوضات الجارية، مصطفى اللوي: المفاوضات العربية - الإسرائيلية ومستقبل السلام في الشرق الأوسط، القاهرة، 1994، ص. 161.

<sup>563</sup> السفير، في 31 تشرين الأول/أكتوبر 1991

<sup>564</sup> باتريك سيل، "رابين يريد الجولان منزوع السلاح ويعترض بالهيمنة السورية على لبنان في مقابل سلام بين دمشق وتل أبيب"، ص. 20.

<sup>565</sup> جواد الصمد، "ال الخيار الكونفدرالي الأردني - الفلسطيني"، شؤون الشرق الأوسط، عدد رقم 48، كانون الثاني/يناير 1996، ص. 54.

<sup>566</sup> Muslih, Muhamed, "Dateline Damascus: Assad is ready", Foreign Policy, no. 96, Automne 1994, p.151

<sup>567</sup> السفير، في 24 حزيران/يونيو 1992

<sup>568</sup> النهار والسفير، في 3 تموز/يوليو 1992

يصب في مصلحة إسرائيل وأن الهدف الرئيس هو رسم خريطة جيوسياسية جديدة في الشرق الأوسط يكون لإسرائيل فيها الدور المحوري.<sup>569</sup> وكانت استراتيجية حكومة حزب العمل تقوم على استغلال التناقضات بين السوريين والفلسطينيين،<sup>570</sup> لذلك أعلن رابين فور انتخابه أنّ السلام مع سوريا سيكون هو هدفه الرئيسي.<sup>571</sup> إلا أن سوريا لم تكن مستعدة للقبول بسلام في المنطقة يؤدي إلى أن تصبح إسرائيل هي القطب الرئيسي فيها.<sup>572</sup> وكان الفلسطينيون يخشون من أن تتمكن سوريا من عقد سلام مع إسرائيل قبلهم، تاركة إياهم تحت رحمة الإسرائيليين. ولذلك، فقد سعوا إلى عقد سلام مع إسرائيل بأيّ ثمن. وكان عرفات مستعداً للتوقيع على معااهدة مع الإسرائيليين مهما كلفه ذلك. وكان أساس موقفه هذا خشيته من أن يصبح الوفد الفلسطيني في المفاوضات بديلاً عن منظمة التحرير التي يرأسها. وهو اتخذ من ذريعة خشيته من أن تسبقه سوريا إلى السلام مع إسرائيل مبرراً لهرولته إلى السلام مع الصهاينة بأيّ ثمن علماً أنه كان يعرف استحالة السلام بين دمشق وتل أبيب. وقبيل الجولة السادسة من المفاوضات بدأت تلوح في الأفق بواحد حلّ منفصل بين الإسرائيليين والفلسطينيين ينال الآخرون بموجبها حكماً ذاتياً في الأراضي المحتلة. وما أن أطلقت الدعوة لاستئناف المفاوضات بدأ الفلسطينيون بتنفيذ مقتراحات كامب ديفيد 2 والتي تتعلق بإنشاء قوة شرطة يتم تدريبيها في الأردن. وقد أعلن الإسرائيليون استعدادهم لتدريب هذه القوة.<sup>573</sup> وقد بدأت الجولة السادسة في واشنطن في 24 آب/أغسطس 1992. وأعلن الإسرائيليون قبولهم بقرار الأمم المتحدة رقم 242 كأساس للتفاوض.<sup>574</sup> لكن الخلاف دب بين الطرفين السوري والإسرائيلي ما أدى بالأخير إلى تعليق المفاوضات بسبب عدم استعداد دمشق لتقديم تنازلات في ما يتعلق بالجولان.<sup>575</sup> ومع حلول أيلول سبتمبر كان مقدراً للمفاوضات أن تتجمد خصوصاً مع دخول الولايات المتحدة طور الانتخابات الرئاسية التي كان على الرئيس بوش

<sup>569</sup> هشام الدجاني، "آفاق السلام المسدود على المسار السوري - الإسرائيلي"، الحياة، في 4 حزيران/يونيو 1997، ص. 27.

<sup>570</sup> وحيد عبد المجيد، "إسرائيل ومقاييس السلام الجارية، المفاوضات العربية - الإسرائيلية ومستقبل السلام في الشرق الأوسط، تحرير مصطفى العلوي، القاهرة، 1994، ص. 163.

<sup>571</sup> Muslih, Muhammad: "Dateline Damascus, Assad is ready", Foreign Policy, no 96 Automne 1994, p. 151.

<sup>572</sup> باتريك سيل، "رابين يريد الجولان منزوع السلاح ويعترف بالهيمنة السورية على لبنان في مقابل سلام بين دمشق وقتل أبيب"، الوسط

<sup>573</sup> هدى الحسيني، مراسلة في صحيفة الشرق الأوسط، في 6 آب/أغسطس 1992

<sup>574</sup> السفير، في 25 آب/أغسطس 1992

<sup>575</sup> النهائي، في 7 أيلول/سبتمبر 1992

أن يخوضها للفوز بولاية جديدة. وقد استغلت القيادة الإسرائيلية ذلك للدفع بطالبها بإقامة كونفدرالية إسرائيلية فلسطينية أردنية.<sup>576</sup>

في تشرين الثاني نوفمبر 1992 أعلنت نتائج الانتخابات الرئاسية الأمريكية بخسارة جورج بوش وفوز منافسه عن الحزب الديمقراطي بيل كلينتون. وقد شُكّل دعم اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة للكلينتون أحد أهم عوامل فوزه، خصوصاً أن الصهاينة كانوا يعتبرون أن كلينتون كان أقرب لهم من بوش.<sup>577</sup> وقد شعر الإسرائيليون أنهم باتوا أكثر قدرة على التأثير على سياسات الإدارة الأمريكية في الشرق الأوسط. وقد أعلن كلينتون أن إدارته لن تمارس أي ضغوط على إسرائيل في ما يتعلق بعملية السلام.<sup>578</sup> بعد انتخاب كلينتون جرى عقد ثلاث جولات تفاوضية أخرى بين العرب وإسرائيل من دون إحراز تقدم حقيقي. في هذا الوقت كانت تدور مفاوضات سرية بين قيادة منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية بوساطة نروجية وقد علمت بها دمشق وسعت إلى عرقلتها ما دفع بإسرائيل إلى شنّ عدوان على لبنان في تموز يوليو 1993. ولم يتوقف العدوان إلا بعد إجراء مفاوضات غير مباشرة أدت إلى إعلان هدنة في لبنان في مقابل وقف دمشق معارضتها لأوسلو الذي سيُوقع في أيلول سبتمبر 1993. وقد كان الاتفاق إنجازاً كبيراً لإسرائيل التي أزالت عقبة رئيسية من طريقها باتجاه تطبيع العلاقات مع العرب. وقد جاء الاتفاق وفقاً للتصورات الإسرائيلية إذ إنه منح الفلسطينيين حكماً ذاتياً محدوداً في غزة وأريحا ولم يدفع إسرائيل إلى الانسحاب من أي شبر من الأراضي المحتلة. وقد كان بإمكان إسرائيل بعد الاتفاق أن تطبع العلاقات مع العرب من دون انتظار تحقيق السلام مع سوريا ولبنان. وقد سعى الأميركيون إلى طمأنة دمشق من أن دورها سيأتي لتوقيع سلام مع إسرائيل وذلك في اتصال هاتفي بين كلينتون والأسد.<sup>579</sup>

شكّل اتفاق أوسلو نهاية للطريق المسدود طيلة عامين من المحادثات التي بدأت في مدريد. كانت له آثارٌ جعلت الوضع بين الفلسطينيين والإسرائيليين أكثر مرونة كما أثر في جوانب

<sup>576</sup> النهار، في 23 أيلول/سبتمبر 1992

<sup>577</sup> السفير، في 27 تشرين الأول/أكتوبر 1992

Klane, Michael T, *Priorités contradictoires dans un monde sans repère : M. Clinton en quête d'une nouvelle vision diplomatique*, Le Monde diplomatique, février 1993, p. 8.<sup>578</sup>

De la Gorce, Paul-Marie, *Washington et la nouvelle donnée, construire la paix au Proche-Orient.*, Le Monde Diplomatique, octobre 1993. p. 8.<sup>579</sup>

أخرى من الصراع العربي - الإسرائيلي.<sup>580</sup> وعليها كان من شأن هذا السلام أن يفتح آفاقاً جديدة لتطبيع العلاقات بين العرب وإسرائيل بغض النظر عن أي تقدم على المسارين السوري واللبناني. اعتمد رابين استراتيجية تلاعبٍ على جميع المسارات، إذ دفع الفلسطينيين إلى الاعتقاد بأنه كان يُحرز تقدماً على المسار السوري بغية تقديم أقل قدر ممكن من التنازلات لهم وبغية فرض حلٍ عليهم شبيه بخطة آلون.<sup>581</sup> ولقد أعلن السفير الإسرائيلي السابق في فرنسا بنيامين نتنياهو في هذا الصدد أنَّ اتفاق أوسلو قد مهد الطريق للتطبيع مع الدول العربية.<sup>582</sup> غير أنَّ العوامل التي دفعت الإسرائيليين إلى التوقيع على هذا الاتفاق كانت أنه لم يتطلب الكثير من التنازلات من جانب الإسرائيليين، بل إنَّه منحهم العديد من المكاسب. ومن ثمٍ فإنَّ رابين كان بحاجة إلى تحقيق تقدماً في عملية السلام هذه وكان يخشى اشتداد معارضة الليكود الذي كان يهدّد بعرقلة أي اتفاق مع الفلسطينيين ومع العرب.<sup>583</sup> كما كان الإسرائيليون قد سئموا من الصراع مع العرب لما له من تداعيات نفسية واجتماعية وسياسية. فقد رأوا أنَّ الوقت قد حان لتوقيع اتفاق مع الفلسطينيين، وخاصةً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991.<sup>584</sup>

وعقب التوقيع على الاتفاق الإسرائيلي - الفلسطيني، كان الأردن متلهفاً للسير على الطريق التي سبقته إليها منظمة التحرير الفلسطينية إذ تم تسجيل لقاءين مع وزير الخارجية الإسرائيلي شيمون بيريز، أحدهما ضمّ ولي العهد الأمير حسن والآخر ضمّ الملك حسين نفسه. ولممارسة الضغوط على سوريا ألمح رابين إلى إمكانية توقيع اتفاق سلام مع لبنان إذا ارتضت الحكومة اللبنانية برئاسة رفيق الحريري نشر الجيش في الجنوب وسحب سلاح حزب الله ومنع العمليات التي يشنها ضد إسرائيل.<sup>585</sup> وبعد اتفاق أوسلو بات الطريق ممهداً للأردن لتوقيع اتفاق سلام منفصل مع إسرائيل، خصوصاً أنه لم يكن هناك أراض أردنية محتلة تعيق توقيع اتفاق بهذا.<sup>586</sup> وفي 25 تموز/يوليو 1994، عُقدت قمة إسرائيلية - أردنية بهدف التحضير لاتفاق وادي

Shlaim, Avi, "The Oslo Accord", *Journal of Palestine Studies*, XXIII, no. 3, printemps 1994, pp.. 826-<sup>580</sup> 827.

Rouleau, Eric, *Comment les fractures et surenchères ont affaibli le monde arabe*, Le Monde <sup>581</sup> Diplomatique, octobre 1993, p. 8.

Lancry, Yehuda, Entretien avec l'ambassadeur israélien à Paris. Propos recueillis par Régine Dhoquios <sup>582</sup> Colen. Le Processus de Paix est irréversible

Faith Douglas J., "Withdrawal Process not Peace Process, the Tunner's Logic of Israel's Negotiations", <sup>583</sup> Middle East Quarterly, mars 1996, p.p. 13-14.

Faith Douglas J., "Land for no Peace", Commentary, juin 1994, p. 32. <sup>584</sup>

النهار، في 16 أيلول/سبتمبر 1993 <sup>585</sup>

السفير، في 12 تشرين الثاني/نوفمبر 1993 <sup>586</sup>

عربة. وقد زار الرئيس المصري حسني مبارك دمشق لإقناع الأسد بعدم عرقلة الاتفاق الأردني الإسرائيلي العتيق. وأعلنت الحكومة الإسرائيلية أنَّ معاهددة السلام مع الأردن باتت جاهزة وأنها "تحدد أساساً واضحة لمستقبل العلاقات بين الطرفين بشأن خطوط الهاتف والكهرباء وافتتاح نقطتي عبور جديدين في الجنوب في منطقة العقبة، إضافة إلى الاتفاق على حركة انتقال السياح والمفاوضات لفتح خط جوي مباشر والتعاون في مجال الأمن لمكافحة الجرائم والمخدرات والمفاوضات بشأن القضايا الاقتصادية والمياه ومواصلة عقد قمم ثنائية بين البلدين".

بعد ذلك بأسابيع قليلة جرى التوقيع على الاتفاق الأردني الإسرائيلي رسمياً في وادي عربة، ولتجنب أيّة تداعيات سلبية لهذا التوقيع، أُنصل كلينتون بالرئيس السوري حافظ الأسد مطهّناً إياه بأنه يبذل جهوداً لدفع عملية السلام بين إسرائيل وسوريا.<sup>587</sup> ووفقاً للاتفاق التزم الطرفان الإسرائيلي والأردني "بعدم اللجوء إلى القوة لحل النزاعات أو تهديد أمن كل منهما".<sup>588</sup> وتعهد الطرفان ببحث حلول للخلافات في قضايا الحدود ومسائل الأرض والأمن والمياه والطاقة والبيئة ووادي الأردن.<sup>589</sup> ووفقاً للمفاوضات فقد قبلت اللجنة الفرعية للمياه والبيئة والطاقة الاعتراف المتبادل بحصص كل طرفٍ من المياه من نهر الأردن والياموك<sup>590</sup> وإقامة خطٍّ هاتفي مباشر بين إسرائيل والأردن، وربط شبكات الكهرباء بين إسرائيل والأردن كجزءٍ من شبكة إقليمية يجري العمل على إنشائهما، وفتح نقطتي عبور جديدين بين إسرائيل والأردن إحداهما في العقبة والأخرى في الشمال قرب نهر الأردن، والاتفاق على انتقال السياح بين البلدين وغيرها من البنود التي ذكرت سابقاً. وتتجدر الإشارة إلى أنَّ القائمين بالأعمال اللبناني والسوسي قد حضرا حفل التوقيع، ولكنهما رفضا مصافحة رابين، مما يظهر وجود تفاهم ضمني لبناني - سوري على عدم عرقلة اتفاق وادي عربة.<sup>591</sup> ومن جانبه، فقد أعرب كريستوفر عن تفاؤله بشأن إحراز تقدّم على المسار السوري في حين أن الولايات المتحدة ستواصل المفاوضات مع سوريا.<sup>592</sup>

<sup>587</sup> السفير، في 26 آب/أغسطس

<sup>588</sup> السفير، في 26 آب/أغسطس

<sup>589</sup> السفير، في 26 آب/أغسطس

<sup>590</sup> السفير، في 26 آب/أغسطس

<sup>591</sup> السفير، في 26 آب/أغسطس

<sup>592</sup> السفير، في 29 تموز/يوليو 1994

## محاولات حصار سوريا

اقتصر الموقف السوري بتجويمه الانتقاد للاتفاق الأردني الإسرائيلي إلا أنه لم يقم بخطوات عملية لعرقلته.<sup>593</sup> فبنتيجة الاتفاق تم عزل سوريا بشكل كبير في ظل الحظر الحديث عن تحالف إسرائيلي - تركي كان يلوح به في الأفق. هذا الاتفاق مهد الطريق أمام تطبيع علاقات بين إسرائيل من جهة والعرب من جهة أخرى. غير أن دمشق ستحاول التعميض عن الخسائر التي مُنيت بها عبر الاعتماد على تحالفها مع إيران وعدد من الفصائل الفلسطينية المعاشرة لعرفات.<sup>594</sup> وكان الأسد يعوّل على فشل تحقيق السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين، معتبراً أن صيغة اتفاق أوسلو ستؤدي عاجلاً أم آجلاً إلى انفجار الوضع في الأرض المحتلة. وفي محاولة لدفع السلام على المسار السوري قدماً قام الرئيس بيل كلينتون بزيارة إلى دمشق اتبعها بزيارة إلى الأردن. وقد حاول كلينتون بإقناع الأسد تقديم تنازلات إلا أنه فشل في هدفه. وعقد كلينتون والأسد مؤتمراً صحافياً، أكد خلاله الأسد "أن السلام هو خيار استراتيجي لسوريا، التي التزمت إنهاء الاحتلال وفق قراري الأمم المتحدة 242 و338، كذلك الأمر بالنسبة للقرار 425 المتعلق ب لبنان. كما أكد أن اتفاقاً إسرائيلياً - سورياً يمثل مفتاحاً شاملاً للحل".<sup>595</sup> في المقابل أكد كلينتون أن إعلان الأسد "يذهب بعيداً عن المبادرات الدبلوماسية التي أقامها في الماضي وأن هذا الإعلان يجب أن يطمئن المواطنين الإسرائيليين، ويشجع على الحوار ويدعم المساعي الهدافة إلى تفعيل السلام".<sup>596</sup> وقد حاولت إسرائيل فصل المسار اللبناني عن المسار السوري فأقامت علاقات سرية مع مسؤولين لبنانيين أدت إلى إطلاق الرئيس اللبناني الياس الهراوي مبادرة سلام بدعم من رئيس الوزراء رفيق الحريري وتشجيع من السفارة الأمريكية في لبنان. وكان من أولى تجليات هذه المبادرة إطلاق عناصر من الجيش اللبناني للنار على مظاهرة لحزب الله احتجاجاً على اتفاق أوسلو في أيلول سبتمبر 1993 أدت إلى مقتل تسعة من مناصري الحزب. لكن دمشق استطاعت إفشال مبادرة الهراوي وصرّح منسق الأنشطة الإسرائيلية في لبنان أوري لوبراني أن دمشق أجهضت محاولة سلام لبنانية إسرائيلية تقدم بها الهراوي".<sup>597</sup> في الوقت نفسه تمكّن الإسرائيليون من إقامة علاقات اقتصادية مع عدد من البلدان العربية مثل قطر وسلطنة عمان وتونس والأردن واشتركوا في مؤتمرات اقتصادية إقليمية كمؤتمر الدار البيضاء وعمان.

<sup>593</sup> جريدة النهار

Nelan Brose, Waiting for the Deal, Times Magazine, 19 - 8 - 1994<sup>594</sup>

جريدة النهار، 28 و 29 تشرين الأول 1994<sup>595</sup>

جريدة السفير، 28 تشرين الأول 1994<sup>596</sup>

جريدة الحياة، 4 تشرين الأول 1994<sup>597</sup>

في ظل هذه الأوضاع المتبدلة ارتأت دمشق القبول بالمقترن الأميري بلقاء قائد الأركان السوري حكمت الشهابي مع قائد الأركان الإسرائيلي ايهود باراك في واشنطن في كانون الأول ديسمبر 1994، إلا أن المباحثات فشلت بسبب إصرار الطرف الإسرائيلي على إقامة قواعد إنذار مبكر في الأراضي السورية لقاء الانسحاب من الجولان وهو ما رفضته القيادة السورية.<sup>598</sup> فبمواجهة المطالب الإسرائيلي طالبت سوريا بأن تكون الترتيبات الأمنية متبادلة ومتوازية وهو ما رفضته إسرائيل.<sup>599</sup>

في هذا الوقت كانت المحاولات الإسرائيلية لتطبيع العلاقات مع عدد من الدول العربية تستفز مصر التي كانت ترى أن هذه المحاولات تهدف أيضاً إلى عزل مصر وتقليل دورها الريادي في المنطقة العربية. وقد تجلّى التوتر الإسرائيلي المصري بقمة الدار البيضاء التي عقدت في تشرين الأول أكتوبر 1994 حين أعلن وزير الخارجية الإسرائيلي شيمون بيريز موجهاً كلامه لوزير الخارجية المصري عمرو موسى أن مصر قادت المنطقة إلى حروب مدمّرة لأربعة عقود، لذلك يجب أن تدع إسرائيل تقود المنطقة إلى الرخاء في العقود المقبلة ما استدعي رداً عنيفاً من عمرو موسى سانده فيه وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل الذي اعتبر أن تطبيع العلاقات بين العرب وإسرائيل لا يمكن أن يحصل قبل تحقيق السلام العادل والشامل على المسار السوري أيضاً وانسحاب إسرائيل من كامل الأراضي المحتلة بما فيها القدس الشرقية. وقد تلت ذلك مواجهة أخرى بين الطرفين المصري وال سعودي في قمة عمان التي عقدت في تشرين الأول أكتوبر 1995 والتي هاجم خلالها موسى والفيصل الدول العربية المهرولة للتطبيع مع إسرائيل.<sup>600</sup>

هنا تدخلت واشنطن لدفع السلام على المسار السوري خشية من أن يؤدي الفشل فيه إلى عرقلة التقدم الذي حصل على المسارين الفلسطيني والأردني. وقد أدى هذا إلى لقاء آخر جمع بين قائد الأركان السوري حكمت الشهابي مع قائد الأركان الإسرائيلي الجديد إسرائيل شاحاك وذلك بغية التوصل إلى ترتيبات أمنية تطمئن الطرفين السوري والإسرائيلي وتؤدي إلى السلام بينهما. وقد عقد اللقاء في حزيران يونيو 1995.<sup>601</sup> وقد تناولت المحادثات موضوع المناطق العازلة ومناطق تخفيف التصعيد وقواعد الإنذار المبكر والدور المحتمل لقوات دولية تنتشر على طرفي الحدود بين سوريا وفلسطين المحتلة إضافة إلى إرسال واشنطن مراقبين أميركيين إلى

<sup>598</sup> سيريل تاونساند، العقبات في الاتفاق الإسرائيلي-السوري، الحياة 22 آب 1995، ص. 17.

<sup>599</sup> سيريل تاونساند، "العقبات على المسار السوري - الإسرائيلي"، الحياة 22 آب 1995

<sup>600</sup> المصدر نفسه

<sup>601</sup> قاسم محمد جعفر، حوار شاهاك - شهابي المصيري؟ نهاية العقد في سلام الجولان، الوسط رقم 177، 19 حزيران ص. 16.

البلدين.<sup>602</sup> لكن الطرف الإسرائيلي أبدى تعتا خصوصاً لجهة الانسحاب إلى خط الرابع من حزيران يونيو 1967 الذي كان يطالب به الأسد ما أدى مرة جديدة إلى فشل المفاوضات. وسيشكل هذا اللقاء آخر محاولة جدية للسلام بين سوريا وإسرائيل في عهد إسحق رابين.

## صعود اليمين الإسرائيلي

وسط احتفالية بالسلام ضخمة وحاشدة، أقدم يهودي تابع لليمين المتطرف اسمه إيغال أمير على اغتيال إسحق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي، وذلك في 4 شهر تشرين الثاني العام 1995، وحجة القاتل في ذلك أن رابين ومحاولاته الرامية إلى إقامة سلام مع الدول العربية سيضحي بإسرائيل. هذا الأمر جعل حزب العمال الإسرائيلي بقيادة شيمون بيريز يتولى رئاسة الحكومة، مدفوعاً بتعاطف والتلفاف شعبي كبير حوله، كان بالإمكان أن يوظفه للمضي قدماً لإحراز تقدم في عملية السلام مع الدولة السورية.<sup>603</sup> لكنه في ربيع العام 1996، أقدم بيريز على خطأ فادح، حين دعا إلى إجراء انتخابات مبكرة. بالإضافة إلى أنه لم يستفد من الالتفاف الشعبي حول حزب العمال بعد واقعة الاغتيال، ليقوم على اتخاذ بعض التنازلات التي تساعده على تحقيق السلام، بل انتظر من دمشق أن تقوم بهذه الخطوة، وطبعاً هذا الأمر رفضه الحكومة السورية مما انعكس على مسار المفاوضات ووضعها في خانة الجمود. وقد أعرب الجانب السوري من خلال نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام، عن قلق دمشق من صعود اليمين المتطرف الإسرائيلي.<sup>604</sup> فقد كان رابين من المؤيدين لإقامة السلام مع الدول العربية، وطبعاً بما يتواافق مع الشروط الإسرائيلية، لذلك عُدّ اغتياله بمثابة الضربة القاصمة التي أصابت هذا الفريق. في الوقت نفسه لم يحمل بيريز الرصيد السياسي والعسكري ذاته الذي كان يتصف بهما رابين، والذي كان سيمكنه من الإقدام على اتخاذ القرارات الحاسمة،<sup>605</sup> بل عمل بيريز على الاتجاه بسياسته نحو التشديد في ما يخص عملية التفاوض مع دمشق.<sup>606</sup>

<sup>602</sup> جريدة السفير والنهار 28 حزيران 1995

<sup>603</sup> هشام دجاني، اغتيال رابين وآفاق السلام السوري - الإسرائيلي، الحياة، في 26/11/1995، ص. 17.

<sup>604</sup> مقابلة مع عبد الحليم خدام، الحياة، في 20/11/1995، ص. 13.

<sup>605</sup> الديار، في 6 تشرين الثاني/نوفمبر 1995

<sup>606</sup> الديار، في 6 تشرين الثاني/نوفمبر 1995

أما سوريا في تلك الفترة، فقد تحسنت مكانتها على الصعيد الإقليمي. كما دفعت المحاولات الإسرائيلية لبسط نفوذها على المنطقة، إلى ازعاج الرياض والقاهرة، التي كانت تتمسّك بدورها الإقليمي الذي يخدم مصالحها الاقتصادية ويؤكد شرعية نظامها. هذا الأمر أيضاً ينطبق على السعودية التي كانت تخشى من محاولات تل أبيب بالاتفاق عليها، والعبور إلى دول الخليج التي تُعدها مناطق نفوذ لها. أما على الصعيد الدولي، فقد تبدّلت الأمور والمواقف نسبياً وبدأت تمثيل لصالح الموقف السوري، خاصة مع وصول جاك شيراك إلى موقع الرئاسة الفرنسية وذلك في العام 1995. الأمر الذي أدى إلى تبدّل في المواقف الفرنسية وسياساتها تجاه الدول العربية. وقد أدى القلق الأوروبي من ارتفاع نسبة الهجرة العربية إلى أوروبا، والقلق من ازدياد الإسلام المتطرف، فضلاً عن منافستها مع البيت الأبيض، كل هذا دفعها إلى اتخاذ سياسات مستقلة وبعيدة عن سياسات البيت الأبيض، خاصة أن "حرب الخليج" قد وضحت لباريس وبرلين على حد سواء وجود تضارب وتباین في المصالح بينهما وبين البيت الأبيض.<sup>607</sup> فما يهمّ أوروبا هو الحفاظ على استقرار أنها، وهذا الأمر يُشكّل لها هاجساً كبيراً. وهو ما دفعها للتحضير إلى إقامة علاقات تعاون مع البلدان العربية، ودول متوسطية غيرها تشبه إلى حد كبير "الاتحاد الأوروبي" (اليوروميد euromed). وهذا الأمر تجلّى في "مؤتمر برشلونة" الذي عُقد في 27 و 28 تشرين الثاني من العام 1995، وضم كُلّاً من الدول العربية المطلة على البحر المتوسط وقبرص وتركيا وإسرائيل ودول الاتحاد الأوروبي. لكن هذا المؤتمر لم يخرج برؤية أوروبية واضحة، بل اكتفى بالتوجهات العامة، كما أنه لم يُشكّل رؤيته في ما يخصّ سياساته في منطقة الشرق الأوسط والتي يمكن عبرها خلق توازن مع سياسات البيت الأبيض.<sup>608</sup> وكان من اللافت للنظر أن المؤتمر عدّ "إسرائيل" دولة مثل سائر دول الشرق الأوسط، بينما كان المخطط الأميركي يعمل على منح "إسرائيل" دوراً متزعمًا ورياديًا في المنطقة. بالنسبة إلى دمشق فقد أُعجبت بال موقف الأوروبي، خاصة أنها كانت تعمل على تحجيم دور تل أبيب على المستوى الإقليمي. وكانت بيروت ودمشق تُقاطع كل المؤتمرات التي كانت ترمي إلى إقامة علاقات اقتصادية مع "تل أبيب"، لكنهما تحمّستا إلى المشاركة في مثل هذه المؤتمرات. وهذا ما أسهم بتطور في العلاقات بين باريس ودمشق.

<sup>607</sup> هيثم الكيلاني، "الشراكة الأوروبية - المتوسطية: تحليل لنتائج مؤتمر برشلونة". شؤون الأوسط، رقم 49، شباط/فبراير 1996، ص.ص. 73 - 71.

<sup>608</sup> هيثم الكيلاني، "الشراكة الأوروبية - المتوسطية: تحليل لنتائج مؤتمر برشلونة". شؤون الأوسط، رقم 49، شباط/فبراير 1996، ص.ص. 71 - 73.

سعى بيريز إلى العمل على تحقيق تقدم على مسار مفاوضات السلام، يُحسب له ويستطيع توظيفه كانتصار سياسي قبل الانتخابات. وفي الوقت ذاته كانت سوريا ترغب في إحراز تقدم بالمفاضلات، فقد كانت تعلم أن فرصة السلام سوف تكون ضعيفة في حال تمكّن اليمين الإسرائيلي من تسلّم زمام إدارة السلطة. في الوقت نفسه كانت تتمسّك بشروطها من أجل تحقيق السلام وذلك يتجلّى في انسحاب تل أبيب إلى خط حدود ما قبل 4 حزيران من العام 1967، وتحجيم دورها على المستوى الإقليمي، وهذا ما فعلته دمشق بعد عملية اغتيال رابين، حيث أخبرت كريستوفر بأنها راغبة في الإسراع بعملية المفاوضات لتحقيق السلام.<sup>609</sup>

ولكن، عمل الإسرائيليون على وضع العقبات والمعوقات أمام حصول أي تقدّم في المفاوضات، وذلك برغم كل الجهود المبذولة من قبل الإدارة الأميركيّة والتعاون المقرّون بالنيات الحسنة للحكومة السورية. وتجلّى هذا الموقف السلبي من الجانب الإسرائيلي في 25 شهر تشرين الثاني، عبر وزير الخارجية والاقتصاد الجديد يوسي بيلين الذي أعلن صراحة أن "إسرائيل" تُوافق على الانسحاب الجزئي وليس الكامل من الجولان، مما أدى إلى إعلان دمشق استياءها من هذا التصرّح. ترافق ذلك مع قيام باراك على التأكيد والتمسّك بالشروط الإسرائيليّة لإقامة عملية السلام، ورغبة "إسرائيل" في حفاظها على تمركزها العسكري والمدني في منطقة وادي الأردن وكذلك الأمر في ما يخص مستوطنات السامرة، وأنها ترفض الانسحاب إلى خط حدود ما قبل 4 حزيران من العام 1967.<sup>610</sup>

و عمل بيريز في الوقت ذات على استياق زيارة قام بها وفد روسي للمنطقة، وذلك بالدعوة إلى قيام مفاوضات جديدة مع دمشق. زيارة الوفد الروسي كانت في 5 كانون الأول من العام 1995، حيث اجتمع مع الرئيس الأسد بحضور الشرع والمعلم إضافة إلى المستشار الأمني لклиنتون "مارك بارس" في منطقة الشرق الأوسط، حيث أعلنت الحكومة السورية التزامها على تحقيق عملية السلام. والذي جاء متّوافقاً مع موقف الوفد الروسي، ثم بعدها اجتمع الروس مع بيريز الذي أعجبته فكرة توقيع اثنين وعشرين دولة عربية لاتفاقية سلام مع تل أبيب وذلك في حال أقدمت سوريا ووافقت على ذلك.

و ضمن هذا السياق جاءت زيارة بيريز لواشنطن في 11 كانون الأول من العام 1995، حيث التقى الرئيس الأميركي بيل كلينتون، بعدها انتقل إلى مجلس الشيوخ الأميركي حيث ألقى خطابه بإدخال

<sup>609</sup> السفير في 18 تشرين الثاني/نوفمبر 1995

<sup>610</sup> النهار، في 25 تشرين الثاني/نوفمبر 1995.

تعديل عليه مغایر لخطابه السابق الذي اتصف بالاعتدال، قال: "حلّ مسألة الجولان يتوقف على الثمن الذي ستقدمه دمشق". مخفياً في الوقت نفسه الثمن الذي يتوجب في المقابل على "إسرائيل" أن تدفعه، مؤكداً أنه لن يفصح عنه إلا في الكنيست، وذلك بعد أن يكون قد عرف الثمن الذي ستدفعه دمشق. مكتفياً بالقول إن "إسرائيل" لن تنسحب إلا إلى الحدود المعروفة التي فرضها على سوريا الانتداب الفرنسي وعلى فلسطين الانتداب الإنكليزي. في المقابل كان أمنون شاحاك القائد الأعلى للجيش الإسرائيلي أكثر وضوحاً وصراحة بالأمور التي ترتبط بعملية التفاوض مع دمشق. فالأمر حين يتعلق بالأمن، فإنه لا يوجد أي اتفاق سلام يمكن أن يكون مهماً كهبة الجولان.<sup>611</sup>

أما بيريز فقد استمر بارتكاب الأخطاء، فبالإضافة إلى مماطلته وتضييع الوقت بما يتعلق بعملية المفاوضات مع الجانب السوري، عمد إلى القيام بإعطاء الأمر لتنفيذ عدد من الاغتيالات ضد قادة كل من الجihad الإسلامي وحماس، فجاء الرد عليه سريعاً من قبلهما وذلك عبر القيام بعمليات استشهادية وصلت إلى العشرات. فأقدمت "إسرائيل" على تنفيذ عملية تصفية فتحي الشقاقي الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في مالطا واغتالته في 26 آب من العام 1995. في المقابل عملت المقاومة الفلسطينية بمختلف فصائلها على القيام بعشرات العمليات الانتقامية ضد الإسرائيليين المحتلين. بالإضافة إلى إيقاف مسار المفاوضات مع دمشق من قبل بيريز، وذلك في شهر شباط، بغية الإعداد للانتخابات المبكرة، لكن هذه الإجراءات انعكست سلباً على مكانة بيريز أمام الشعب الإسرائيلي، فانخفضت شعبيته على إثرها، في الواقع نفسه ازدادت شعبية منافسه المتزعم لحزب اليمين الإسرائيلي بنيامين نتنياهو. وباءت كل محاولات بيريز بالفشل لمكافحة الجماعات التي تسببت بهذه العمليات، وتأتي حماس والجهاد الإسلامي في مقدمتها والتي كانت عاملاً مهماً ورئيسياً في انخفاض شعبية بيريز.<sup>612</sup>

## عدوان نيسان على لبنان

سارعت واشنطن إلى عقد قمة لدعم بيريز، حيث أقامتها في مصر ودعت إليها كلاً من الأوروبيين والصين واليابان وروسيا وجميع القوى الإقليمية، بحجة الوقوف في وجه "الإرهاب"، والحقيقة أن هذه القمة تهدف إلى تعزيز موقف بيريز الذي أضعفه اليمين المتطرف الإسرائيلي، وللوقوف أيضاً

<sup>611</sup> السفير، في 11 كانون الأول/ديسمبر 1995.

<sup>612</sup> راجع جمال واكيم، سوريا ومفاوضات السلام في الشرق الأوسط، بيروت: المطبوعات، 2010، الفصل الثامن.

في وجه "الطرف الإسلامي". وعمدت هذه القمة إلى اتهام الجihad الإسلامي وحماس والدول التي تقدّم الدعم لها ونعتهم بالأعداء الذين تتوجّب مواجهتهم. وعمل بيريز على إيقاف مفاوضات عملية السلام. وبعدها في 13 آذار من العام 1996، قامت هذه الدول بالاجتماع، في الوقت الذي ما زالت شعبية بيريز تتراجع على المستوى الداخلي الإسرائيلي. لذا كان يتوجّب عليه العمل على جعل دمشق تقوم بوضع حدّ لحزب الله. وبهذه الطريقة تتمكّن "إسرائيل" من عزل كُلٍّ من إيران وسوريا، وبالتالي ستتفرّغ لصدّ الأصوليين الفلسطينيين ومواجهتهم.

لم يحضر لبنان وسوريا هذه القمة لأنهما أدركا أنها مستهدفان. وصرّحت الحكومة السورية معارضتها للمؤتمر ورفضها له، لأنّه يستهدف كُلًا من الأحزاب الفلسطينية المقاومة وحزب الله بسبب معارضتهم ورفضهم اتفاق أوسلو. في المقابل قادة حزب الله صرّحوا أنّ "مؤتمر شرم الشيخ" ما هو إلا محاولة لإنقاذ عملية التسوية المتأزمة، وبالتالي فإن توصياته ستعمل على تعقيده وتزيّمه الوضع في المنطقة.

وعمدت "إسرائيل" بعد انتهاء القمة بأسابيع عدّة على الإقدام بعدها على لبنان بحجّة محاربتها إرهاب "حزب الله". وتجلّى ذلك بقيام الطائرات الإسرائيليّة يوم 11 نيسان من العام 1996، على شنّ غارات عدّة استهدفت بها قواعد "حزب الله" في جنوب لبنان، والضاحية الواقعة في جنوب العاصمة بيروت، والبقاع، ترافق ذلك مع إعلان وزير الخارجية الإسرائيليّة أنّ الهدف السياسي من العدوان على لبنان هو جعل الحكومة اللبنانيّة تعمل على فرض سيادتها على جميع أراضيها، في الوقت ذاته كان لهم هدف آخر على الصعيد العسكري والذّي يتمثّل في إسقاط "حزب الله" وإضعافه والقضاء عليه.<sup>613</sup>

وعانت دمشق مع بداية الحملة العسكريّة هذه، عزلة على الصعيدين الإقليمي والدولي، لم يكسرها إلا دعم إيران. في المقابل أعلن رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري عن موقف خطير تمثّل في كون الدولة اللبنانيّة على أتمّ استعداد لتأخذ على عاتقها الحفاظ على أمن جنوب لبنان وذلك فور انسحاب "إسرائيل". هذا الإعلان يتّوافق مع المحاولة السابقة التي قام بها في العام 1993، رئيس الجمهوريّة إلياس الهراوي، والتي كانت تهدف إلى موافقة لبنان بالعمل على تشكيل لجنة عسكريّة مشتركة بين الإسرائيليّين واللبنانيّين من أجل فرض الأمن على الجنوب. وهذا يعني لاحقًا العمل

<sup>613</sup> السفير، في 12/4/1996.

على نزع وتفكيك سلاح المقاومة، وإلى خسارة دمشق ورقتها الهامة التي تستعملها ضد "إسرائيل"، بالإضافة إلى أن هذا الأمر سيؤدي إلى عزل سوريا وذلك من خلال العمل على فك ارتباطها بليban.

الرد السوري جاء سريعاً على ما أعلنه الحريري من تصريحات، (والتي كانت بداعم أميريكي)، وتمثل الرد السوري عبر وزير الخارجية اللبناني فارس بوizer الذي قال: "إذا أردنا حقاً تجاوز هذه الحلقة المفرغة، علينا مقاومة الانتهازية الإسرائيلية وعوضاً عن ذلك تفعيل عملية السلام لتسوية النزاع في المقام الأول، ووضع حد للعمليات العسكرية". وهذه رسالة سورية للجانب الإسرائيلي بأنها ترفض تماماً نزع وتفكيك سلاح "حزب الله" قبل إتمام عملية التوقيع على اتفاقية سلام شامل وعادل مع "إسرائيل". كذلك أتى الرد السوري عبر خطاب نصرالله: "إنّ أمن شمال فلسطين لن يتحقق إلا من خلال تأمين سلامة المدنيين في جنوب لبنان، وإذا كنت ت يريد المشاركة في الانتخابات بدمائنا، سيكون رهانك خاسراً. إنّ الردّ على قصف الضاحية الجنوبية سيطال شمال فلسطين لا بل كُلّ مكان آخر".<sup>614</sup>

وارتفعت حدة الأحداث عندما قامت القوات الإسرائيلية الجوية بضرب قاعدة تابعة للجيش السوري، وذلك في الشويفات التي تقع في جهة الغرب من مطار بيروت الدولي، وكانت نتيجة الهجوم أن قُتل جندي سوري واحد. تزامن ذلك مع محاولات البيت الأبيض بالضغط على لبنان، والتي صرّح بنتيجة رئيس الوزراء الحريري بتصريحات لم تلقَ قبولاً ورضي الحكومة السورية، والتي مفادها أن العدوان الإسرائيلي على لبنان سيزيد من قوة "حزب الله". وهذا يعني أن الحريري يعمل على الفصل والتمييز بين المواقف التابعة للحكومة اللبنانية، والمواقف الصادرة عن "حزب الله" ضد "إسرائيل". مما دفع بسوريا إلى إرسال دعوة زيارة لكل من الحريري وبوizer إلى دمشق، ليلتقيا بالرئيس السوري حافظ الأسد. الذي وجه انتقاداً لاذعاً للرئيس الحريري وطلب منه إعادة النظر في مواقفه وتغييرها بما يتلاءم مع الأحداث للوقوف في وجه العدوان الإسرائيلي. وعلى إثر ذلك تغيرت مواقف الرئيس الحريري الذي تجلى من خلال خطاباته السياسية، مع بدء جولاته على العديد من الدول الأوروبية لشرح وتوضيح مواقف الحكومة اللبنانية.<sup>615</sup>

أما في الجانب الإسرائيلي فتتمثل الغاية السياسية من العملية من خلال العمل على تحقيق أهدافها وبسرعة كبيرة حتى يتسرى لـ بوizer أن يستثمرها ويوظفها في عملية الانتخابات التي تقرر البدء فيها في أوائل شهر حزيران، فقد كان القلق يُساير "إسرائيل" من أن تطال الحرب على لبنان وهذا

<sup>614</sup> النهار، في 12/4/1996.

<sup>615</sup> السفير، في 14/4/1996.

يجعلها تُعاني من تزايد خسائرها الاقتصادية والبشرية، ويصبح الوضع في ذلك شبيهاً بالحال التي كانت عليه في العام 1982. في وقت جاء رد "حزب الله" بإطلاق صواريخ الكاتيوشا مستهدفاً بها المستوطنات، وعمل في اليوم الثالث للعدوان الإسرائيلي على لبنان بإطلاق 50 صاروخاً طالت كلّاً من الجليل والجليل الجنوبي مخلفة خسائر كبيرة. إلى أن جاء اليوم السادس من الحرب الإسرائيلية، حيث بدأت تظهر التباينات والخلافات بين الحكومة الإسرائيلية والجيش. الذي كان قلقاً من أن الحكومة الإسرائيلية تتّخذ قراراً بایقاف العملية وذلك لأسباب سياسية، خاصة بعد أن أظهرت الواقع الميداني أن العملية ستأخذ وقتاً أطول من المتوقع لها، لذلك كان الجيش الإسرائيلي بحاجة إلى المزيد من الوقت ليتمكن من تحقيق الأهداف التي من أجلها قام بالعدوان على لبنان. وضمن هذا السياق أتى تصريح أوري لوبهاني العميد الإسرائيلي وقائد وحدة الاتصال مع دولة لبنان: "نحن نرفض الوصول إلى نقطة ينبعنا فيها رئيس الوزراء من مواصلة الهجوم قبل إنتهاء مهمتنا... ونحن نعلم أنّ القيادة السياسية ستتأمننا بوقف العمليات قبل أن تتحقق أهدافها. إنّ الأوامر والتعليمات التي تلقيناها تشير إلى أنّ القيادة السياسية متفهمة لذلك، ولديّ ثقة في هذه القيادة التي وجهتنا نحو إتمام هذه العملية حتى قبل أن تبدأ"، كما ونفي أن يكون هناك تباعد بين المواقف العسكرية والسياسية. وعلى إثر تصريحات أوري لوبهاني تم استدعاؤه من قبل رئيس الأركان وبيريز اللذين أصدرا بياناً أكدوا فيه أن تصريحاته قد فُهمت بشكل خاطئ.<sup>616</sup>

في هذا الوقت، بدأت تظهر تبدلات دولية في المواقف الداعمة للعدوان الإسرائيلي على لبنان، وتبدلت نتيجة أسباب عديدة، منها:

- تغيير صورة "إسرائيل" من الضحية إلى الجلاد، حيث استقطبت تعاطفاً دولياً نتيجة العمليات الانتحارية، سرعان ما تغيّر وانقلب السحر على الساحر وأصبحت "إسرائيل" المعتدي الذي يقتل المدنيين.
- الدخول الفرنسي من خلال المبادرة التي قام بها وزير الخارجية الفرنسي هيرفيه دو شاريت، حيث أخذت اهتماماً دولياً مما ترك أثراً بالغاً على "إسرائيل". أما في ما يخص موقف الحكومة السورية من المبادرة الفرنسية، فلم تُثر اهتمامها كثيراً، لكن ما يعني دمشق أن باريس هي التي قامت بها واعتمدتها.

<sup>616</sup> النهار في 16/4/1996.

في الواقع، هذا العدوان الإسرائيلي على لبنان، جعل بيريز يواجه المجتمع الإقليمي والدولي الذي تغيرت مواقفه في غير صالح "إسرائيل"، زُد عليه الأزمات الداخلية والتي تم ذكرها آنفاً، مع الجيش الإسرائيلي، بالإضافة إلى الضغوط المتأتية من اليمين الإسرائيلي الذي لامه لأن عملية "عنانيد الغضب" قد باءت بالفشل. وهذا بدوره أدى إلى زيادة المعارضة اليسارية لعملية العدوان، وذلك للخسائر الكبيرة التي مُني بها القطاع الزراعي والصناعي، حيث كانت المستوطنات الشمالية مركزاً أساسياً لهما، والتي استهدفتها صواريخ الكاتيوشا التي أطلقها "حزب الله" باتجاهها، وحتى امتداد عمق 30 كم داخل الأراضي المحتلة من قبل "إسرائيل". وأيضاً تضرر القطاع السياحي حيث قام الكثير من السياح بإلغاء حجوزاتهم مما أدى إلى تكبّد شركات الطيران لخسارة مالية كبيرة، وفي نهاية الأمر خسر بيريز الانتخابات التي فاز فيها بنiamin Netanyahu رئيس اليمين المتطرف الإسرائيلي، وبهذا تكون عملية السلام قد توقفت عند هذا الحد.<sup>617</sup>

## الألفية الجديدة

عن عمر يناهز 69 سنة، توفي حافظ الأسد الرئيس السوري، وذلك بعد معاناة طويلة مع المرض في العاشر من شهر حزيران لعام 2000، وقبل هذا التاريخ بعامين عمل الرئيس الأسد على تقديم كل الدعم لقائد الجيش اللبناني أميل لحود وإيصاله لتسليم رئاسة الجمهورية اللبنانية، وذلك بهدف الوقوف في وجه رفيق الحريري الذي كانت السعودية وواشنطن تقدّمان له كل الدعم المطلوب لتقوية نفوذه في لبنان. وعلى إثر ذلك خرج الرئيس الحريري من تزعّم السلطة وتسليم بدلاً عنه رئاسة الحكومة سليم الحص. ولكن، فترة رئاسة لحود تواجهت مع غازي كنعان منسق الأنشطة السورية في لبنان، وقد قام كنعان بالاتفاق سراً مع رفيق الحريري وحكمت الشهابي وعبدالحليم خدام، بغية وضع يدهم على السلطة في كل من سوريا ولبنان. لذلك عمل كنعان على العمل لسنّ قانون انتخابي يناسب الحريري وبالطبع معه حلفاؤه من أجل إلحاق الهزيمة بـ لحود، الأمر الذي ساعد على تحقيق فوز لوائح الحريري وبرى وجنبلاط، وبالتالي تسمية الحريري مرة أخرى ليكون رئيساً للحكومة. وسارع هذا الفريق الذي ذكرناه آنفاً إلى الإعداد لعملية انقلاب على حكم بشار الأسد الذي تسلم مقاليد رئاسة سوريا بعد وفاة والده، وكاد الأمر أن ينجح، لو لا التدخل الحاسم

<sup>617</sup> السفير والنهار، في 19/4/1996.

والدور الذي لعبه مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري، بالإضافة إلى عوامل عدّة ساعدت على تذليل العقبات والعوائق أمام تسلم بشار الأسد للسلطة في سوريا وخلافة والده.

مع الدخول في الألفية الجديدة، توجّب على البيت الأبيض أن يعمل على القيام باتخاذ قرارات حاسمة عدّة من أجل تأكيد تفرّده بقيادة العالم وترعّمه من دون أن يكون هناك شريك له ينافسه. وقد استغلت الولايات المتحدة الهجمات التي قام بها "تنظيم القاعدة" في كلٍ من واشنطن ونيويورك في أحداث 11 أيلول 2001، وشنّت حربها على أفغانستان بحجة الحرب على "الإرهاب"، كما وجدت الفرصة سانحة لإحكام بسط هيمنتها على منطقة الشرق الأوسط. وضمن هذا السياق في العام 2003، أتى غزوها للعراق، الذي رأت فيه واشنطن أنه سيساهم في تمكين الهيمنة الأميركيّة على المنطقة وسوف يساعدها على إعادة بناء جغرافية البيت الأبيض السياسي. وكان المخطط الأميركي يتمثّل في بسط نفوذها على منطقة الشرق الأوسط، بدءاً من المحيط الأطلسي من جهة الغرب وصولاً إلى الصين جهة الشرق، وذلك بغية وضع يدها على طرق المواصلات العالميّة، ومنع التقارب الروسي - الأوروبي، ووضع العرّاقيل والعوائق بين أفريقيا وأوروبا، وأيضاً منع موسكو من أن يكون لها وجود في شرق المتوسط، وبالتالي منفذ على المياه الدافئة، كذلك الأمر بالنسبة إلى الصين من خلال منعها من الوصول إلى أفريقيا عن طريق إيران. كذلك تضمّن المخطط الأميركي رسم خرائط وحدود جديدة لدول الشرق الأوسط من خلال معاودة تقسيمها من جديد، بغية تقسيمها إلى دويلات وكيانات طائفية وإثنية وعشائرية، لتجعل منها مناطق حيوية وحاضنة لـ"إسرائيل". كما قامت واشنطن ممثّلة بالرئيس بوش الإبن على إعادة تحالفها مع الرئيس الفرنسي جاك شيراك، لإحياء علاقتهما من جديد، والعمل على معاودة تقسيم الشرق الأوسط وبسط نفوذهما فيه.<sup>618</sup> وهكذا، بعد أن كانت باريس رافضة للغزو الأميركي على العراق، انتقلت للاصطفاف مع واشنطن من خلال تحالفها معها.<sup>619</sup> حدث ذلك نتيجة للضرّيات التي قامت بها المقاومة العراقية ضدّ الجيش الأميركي المحتل للعراق، الأمر الذي دفع البيت الأبيض إلى القبول بالتعاون مع فرنسا مقابل إطلاق سيطرتها وهيمتها على سوريا ولبنان.<sup>620</sup> ولأجل تحقيق ذلك

. 92-93. - راجع ريشار ليفيير، التحول الكبير، بغداد - بيروت، دار الفارابي، 2008. ص.ص. 618  
Vincent Nouzille, Dans le Secret Des Presidents, P.P. 409-419. 619

Vincent Nouzille, Dans le Secret Des Presidents, P.P. 444-449. 620

سارع الرئيس الفرنسي جاك شيراك على العمل لإقناع الرئيس السوري بشار الأسد إلى التخلّي عن إيران، لكن محاولاته باءت بالفشل.<sup>621</sup>

في أيار من العام 2000، اضطرت "إسرائيل" إلى الانسحاب من الجنوب اللبناني، ونتيجة للانتخابات التي تمت في لبنان، والتي على إثرها فاز الحريري وُسُمِّي مرة أخرى ليكون رئيساً للوزراء، الأمر الذي عُدَّ انقلاباً سياسياً موجهاً ضد الرئيس اميل لحود المدعوم من قبل بشار الأسد الرئيس السوري. وقد عمل الحريري في تلك الفترة من العام 2004، على إصدار القرار الأممي رقم 1559، والقاضي بانسحاب جيش سوريا المتمركز في لبنان فوراً، بالإضافة إلى محاسبتها. هذا الأمر دفع سوريا إلى العمل على تمديد الفترة الرئاسية لـ اميل لحود لمدة ثلاثة سنوات أخرى، مما ساهم وسُهّل على إخراج الرئيس الحريري من السلطة في تشرين الأول من العام 2004، وتسلّم عمر كرامي رئاسة الوزراء بدلاً منه. ولكن، في 14 شباط من العام 2005، تمّ اغتيال رفيق الحريري، الذي شكل زلزاً قوياً في الساحة اللبنانية، الأمر الذي أدى إلى قيام مظاهرات مدعومة من قبل قيادات وأحزاب سنية ودرزية ومسيحية، طالبت بخروج الجيش السوري من لبنان في شهر نيسان من العام 2005. وذلك بعد مضي حوالي ثلاثة عقود على وجود الجيش السوري في لبنان، وقد عمل "حزب الله" وحلفاؤه على منع استكمال المخطط الانقلابي في لبنان، وشكلوا مع بعضهم تحالفاً سُميَّ بـ "تحالف 8 آذار"، أما القوى التي أتينا على ذكرها آنفاً فقد شكلوا تحالفاً سُميَّ بـ "تحالف 14 آذار".

## عدوان تموز 2006 وتعاته

في شهر تموز من العام 2006، وصل المخطط الأميركي في منطقة الشرق الأوسط إلى ذروته، من خلال قيام "إسرائيل" بشنّ حرب على لبنان. ولكن كانت المفاجأة بالجهوزية الكاملة للمقاومة اللبنانية المتمثلة بـ "حزب الله"، والتي عملت على صد هجومهم وهزيمتهم والانتصار عليهم. وقبل أشهر قليلة، تمّ التوقيع على الوثيقة الشهيرة والتي تمت في كنيسة مار ميخائيل، في ضاحية بيروت الجنوبية، بين ميشال عون وـ "حزب الله" المتمثل بالأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، مما شكّل لـ "حزب الله" دافعاً كبيراً له بالإضافة إلى إضفاء بُعد وطني عليه بالتعاون والتحالف

<sup>621</sup> المراجع نفسه، ص.ص. 450 - 451.

معه من قبل عون. الأمر الذي جعل الكنيسة المارونية وقوى 14 آذار تعمalan على وضع العوائق والعقبات أمام عون وإجهاض جميع جهوده المبذولة وتحطيمه، وتكررت بعد هذا التاريخ محاولات الاعتداء التي قامت بها القوات اللبنانية بحق مناصري عون، كان أبرزها التظاهرة التي حدثت بعد اعتصام كانون الأول من العام 2006، فعلى إثرها قام عناصر من القوات بالاعتداء وبشكل منظم على العونيين في مناطق لبنانية عدّة منها: الشمال والمنطقة وكسروان، وحدثت صدامات عنيفة بين الطرفين في 23 كانون الثاني من العام 2007. ومع ذلك استمرت في وسط بيروت الاعتصامات، التي لم تتوقف إلا قبل أسبوع قليلة من قرب انتهاء حكم أميل لحود رئيس الجمهورية اللبنانية. والتي تم الاتفاق بعدها على أن يكون العmad ميشال سليمان رئيساً للبلاد، الذي عُدّ وصوه قيمة إضافية في رصيده قوى 14 آذار، المتحالف معها ضمناً. وقد تمثل ذلك من خلال الضغوط التي مارسها الرئيس ميشال سليمان على عون وأنصاره في الاستحقاقات السياسية والتي تجلت بالانتخابات النيابية اللبنانية التي تمت في 2009، وأيضاً الانتخابات البلدية التي جرت بعدها بنحو عام. حلم إقامة دولة مسيحية وغيرها من المشاريع القائمة على أساس دويلات طائفية ومذهبية، باهت بالفشل، وذلك بعد أحداث 7 أيار من العام 2008، والتي تصدّى لها "حزب الله" و"حركة امل" اللذين أحبطا مخطط "تيار المستقبل" ووليد جنبلاط، عبر مواجهتهما ميليشياتهما وهزمهما، حيث شكلت ضربة كبيرة لكل منهما، والتي أسفّر عنها، اتخاذ جنبلاط قراراً بضرورة الابتعاد عن "قوى 14 آذار"، وتمثل ذلك خصوصاً فيما بعد الانتخابات النيابية التي أجريت في شهر حزيران من العام 2008.

## الأحزاب اللبنانية بعد الطائف

بعد نهاية الحرب الأهلية اللبنانية ضمرت الأحزاب ذات الطابع العلماني واليساري وظهرت أحزاب جديدة لتصبح عماد السلطة في لبنان ما بعد الحرب. وكان من أبرز هذه الأحزاب تيار الوطني الحر الذي تحقق حول شخص قائد الجيش العmad ميشال عون الذي شنّ حرباً على الوجود السوري في لبنان واعتبر متمراً على الحكم الذي انبثق عن اتفاق الطائف وأطّيّبه في 13 تشرين الأول أكتوبر 1990 فلّجاً إلى السفارة الفرنسية لينتقل بعد عام إلى باريس ويبقى في المنفى مدة 14 عاماً، عاد بعدها إلى لبنان وخاض الانتخابات النيابية محققاً نتيجة كبيرة بحصوله على غالبية المقاعد المسيحية في مجلس النواب في الانتخابات التي جرت في العام 2005 وليدخل بعدها في العام 2006 في تحالف مع حزب الله بعد لقائه الشهير بالأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله وتوقيعهما

على تفاهم مار مخايل الشهير الذي أرسى تحالفًا وثيقاً بينهما. وقد ساهم هذا التحالف بتحصين حزب الله على الصعيد اللبناني ومنحه الشرعية التي يحتاجها للمقاومة في مواجهة الكيان الصهيوني. في المقابل أعطى هذا التحالف لعون بعداً إسلامياً ووطنياً مكّنه في العام 2016 من أن يُنتخب رئيساً للجمهورية بعد عقبات واجهها طموحه هذا مدة ثلاثة عقود. وقد عارض التيار الوطني الحر جميع الرؤساء والحكومات التي تعاقبت على لبنان بعد الطائف واعتبرها غير شرعية ومنبثقة عن سلطات الاحتلال هي السلطات السورية. وقد عانى أنصاره من القمع نتيجة ذلك طوال ربع قرن من الزمن. ومن المحطات المهمة في تاريخ التيار الوطني الحر مثل 7 آب أغسطس 2001 حين دعا العmad عون أنصاره "إلى التظاهر عند قصر العدل في بيروت رفضاً لقرارات القضاء "التعسفية" بحق بعض عناصر الجيش اللبناني الذين كانوا قد شاركوا بالحرب بين عامي 88 و90 إلى جانب رئيس الحكومة العسكرية ميشال عون. ومع بداية التظاهرة قامت قوات الأمن بفض الاعتصام بالقوة ما أدى إلى إصابة العشرات بين قتيل وجريح بالإضافة إلى عشرات المعتقلين السياسيين. وقد كانت لهذه التظاهرة نتائج دولية، حيث صدرت بيانات استنكار عالمية تدين التعرض للتظاهرات السلمية في لبنان. إشارة إلى أنها كانت المرة الأولى التي يظهر فيها تفاعل دولي مع الحراك السياسي العوني في الشارع". ويوم 14 آذار مارس 2005 الذي يعتبر العونيون أن أكثر اللبنانيين انضموا إليهم فيه للمطالبة بانسحاب الجيش السوري من لبنان وهو ما تحقق بعد شهر واحد. إضافة إلى ذلك شُكّل السابع من أيار مايو 2005 يوماً تاريخياً بالنسبة للتيار الوطني الحر حين عاد عون إلى لبنان وخاض الانتخابات النيابية بعد أسبوعين ليحقق نتيجة مبهرة دفعت خصومه إلى وصفه بالتسونامي.<sup>622</sup>

أما الحزب الثاني الذي سيلعب دوراً بارزاً بعد الطائف فهو حزب القوات اللبنانية. وقد كانت القوات الجناح العسكري للجبهة اللبنانية بقيادة حزب الكتائب خلال الحرب الأهلية اللبنانية. وقد ظهر الخلاف والشقاق بين الكتائب والقوات في العام 1985 نتيجة الصراع على الزعامة بين رئيس الجمهورية أمين الجميل من جهة وقائدِي القوات آنذاك إيلي حبيقة وسمير جعجع. وفي العام 1986 أطاح جعجع بحليفه نتيجة معارضته لاتفاق الثلاثي الذي وقع برعاية سوريا وتفرد بقيادة القوات اللبنانية. وفي العام 1989 دخل جعجع في صراع مع عون نتيجة تأييده اتفاق الطائف ومعارضة عون له فجرت معارك دموية بين القوات اللبنانية والجيش اللبناني انتهت إلى تقسيم المنطقة المسيحية بينهما إلى كسروان وجبيل تحت سيطرة القوات والمتن الشمالي وأجزاء

<sup>622</sup> راجع موقع التيار الوطني الحر [www.tayyar.org](http://www.tayyar.org)

من المتن الجنوبي تحت سيطرة الجيش بقيادة عون. وبعد الحرب أيدت القوات إطاحة عون وساندت الطائف، إلا أن حزب القوات اللبنانية اتهم بالقيام بأعمال تفجير دفعت السلطات اللبنانية إلى اعتقال رئيسه ومحاكمته وسجنه أحد عشر عاماً حتى إطلاقه بقانون عفو عام في العام 2005. بعد ذلك تحالفت القوات مع الرئيس سعد الحريري وعدد من القوى المعارضة لعون وحزب الله والتي أطلقت على نفسها قوى 14 آذار. وقد استطاعت القوات الفوز بكتلة نيابية <sup>623</sup> وازنة في العام 2018.

أما الحزب الثالث الذي سيتصدر المشهد السياسي طوال العقود الثلاثة التي تلت الطائف فهو تيار المستقبل والذي تشكل في صفوف الطائفية السنية وتحلق حول رئيس الوزراء رفيق الحريري. وبعد اغتيال الحريري في شباط فبراير 2005 تزعم الحزب ابنه سعد الذي قاد حركة الاحتجاج ضد السوريين في لبنان وساهم في إخراج الجيش السوري من هذا البلد بعد ثلاثة عقود من تمركزه فيها. وقد خاض التيار الانتخاباً النيابية للعام 2005 متحالفاً مع القوات اللبنانية وأنصار ولد جنبلاط وحركة أمل بقيادة نبيه بري وحقق فوزاً كبيراً أدى إلى حصوله على أكبر كتلة نيابية في المجلس. ورفض الحريري الابن أن يصبح رئيساً للوزراء مفضلاً تسمية فؤاد السنيورة لرئاسة الحكومة.

وعقب أحداث أيار مايو 2008 التي وقعت فيها مواجهات بين أنصار حزب الله وحلفائه وأنصار المستقبل وحلفائه عُقد اتفاق الدوحة بين الأطراف اللبنانية المختلفة وكان من نتائجه انتخاب ميشال سليمان رئيساً للجمهورية وسعد الحريري رئيساً للحكومة، إلا أن حكومة الحريري لم تعمم أكثر من عام ونصف العام انفرط بعدها عقدها نتيجة استقالة الوزراء المقربين من حزب الله وميشال عون. وقد غادر الحريري بعدها لبنان ولم يعود إليه إلا بعد انتخاب العماد عون رئيساً للجمهورية. وقد تقلّصت كتلة نواب المستقبل في المجلس النيابي في انتخابات 2018 إلى النصف على الرغم من بقائها الكتلة السنية الأكبر في المجلس. <sup>624</sup> إضافة إلى ذلك احتلت قوتان سنيتان

<sup>623</sup> راجع موقع القوات اللبنانية <https://www.lebanese-forces.com/>

<sup>624</sup> راجع موقع تيار المستقبل [www.almustaqbal.org/](http://www.almustaqbal.org/)

أصوليتان حيّزاً من الحياة السنّية هما الجماعة الإسلامية التي تعتبر فرعاً للأخوان المسلمين في لبنان وتحالف مع الحريري وهي مقرية من السعودية، وجمعية المشاريع الخيرية الإسلامية المعروفة بالألباجاش وهي مقرية من سوريا ومن حزب الله.

وفي الساحة الشيعية سيتصدر المشهد السياسي بعد الحرب الأهلية اللبنانيّة حركة أمل وحزب الله. وكانت الحركة قد انبثقت عن حركة المحروميين التي كان قد أطلقها في السبعينيات الإمام موسى الصدر، وفي العام 1975، وعلى اعتاب الحرب الأهلية اللبنانيّة أعلن الإمام الصدر إطلاق حركة أفواج المقاومة اللبنانيّة أمل. وقد جاءت انطلاقـةـ الحـرـكـةـ عـلـىـ حـسـابـ الأـحـزـابـ الـيسـارـيـةـ وـالـعـلـمـانـيـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـسـقـطـ بـالـشـيـعـةـ.ـ وـالـجـدـيرـ ذـكـرـهـ أـنـ حـرـكـةـ أـمـلـ كـانـتـ مـعـارـضـةـ لـأـحـزـابـ الـحـرـكـةـ الـوـطـنـيـةـ الـلـبـانـيـةـ كـمـاـ كـانـتـ مـعـارـضـةـ لـلـمـشـارـكـةـ فـيـ الـحـرـبـ الـأـهـلـيـةـ الـتـيـ اـنـدـلـعـتـ فـيـ الـعـامـ 1975ـ نـاهـيـكـ عـنـ مـعـارـضـتـهـاـ لـنـفـوذـ مـنـظـمـةـ التـحـرـيرـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ فـيـ لـبـانـ.ـ وـفـيـ الـعـامـ 1979ـ اـخـتـفـىـ أـثـرـ إـلـاـمـ الصـدـرـ خـلـالـ اوـ إـثـرـ زـيـارـةـ قـامـ بـهـاـ إـلـىـ لـبـيـبـاـ مـعـ اـثـنـيـنـ مـنـ إـعـوـانـهـ.ـ وـقـدـ حـمـلـ الزـعـيمـ الـلـبـيـيـ الـراـحـلـ مـعـمـرـ الـقـذـافـيـ مـسـؤـولـيـةـ اـخـتـفـاءـ إـلـاـمـ وـلـمـ يـتـمـ جـلـاءـ الـقـضـيـةـ حـتـىـ الـيـوـمـ.ـ وـقـدـ خـلـفـهـ فـيـ رـئـاسـةـ الـحـرـكـةـ النـائـبـ حـسـينـ حـسـيـنـ الـذـيـ أـصـبـحـ لـاحـقـاًـ رـئـيـسـاًـ مـلـجـلـسـ النـوـابـ الـلـبـانـيـ فـيـ الـعـامـ 1985ـ وـحـتـىـ الـعـامـ 1992ـ.ـ وـفـيـ الـعـامـ 1980ـ تـمـ اـنـتـخـابـ الـمـحـاـمـيـ بـرـيـ بـرـيـ رـئـيـسـاًـ لـلـحـرـكـةـ وـقـدـ بـقـيـ فـيـ الـمـنـصـبـ حـتـىـ الـتـارـيـخـ كـتـابـهـ هـذـاـ الـكـتـابـ.ـ وـقـدـ بـرـزـ دـورـ الـحـرـكـةـ خـلـالـ وـبـعـدـ الـاجـتـيـاحـ إـلـسـرـائـيـلـيـ لـلـبـانـ فـيـ الـعـامـ 1982ـ.ـ فـلـقـدـ شـارـكـ أـعـضـاءـ الـحـرـكـةـ فـيـ قـتـالـ الـقـوـاتـ الـغـازـيـةـ،ـ ثـمـ سـاـهـمـواـ فـيـ الـانـقـلـابـ عـلـىـ حـكـمـ أـمـينـ الـجـمـيلـ بـيـنـ الـعـامـيـنـ 1982ـ وـ1984ـ.ـ وـلـقـدـ كـانـتـ الـحـرـكـةـ مـنـ يـوـمـهـاـ الـأـوـلـ مـتـحـالـفـةـ مـعـ سـوـرـيـاـ إـضـافـةـ إـلـىـ تـحـالـفـهـاـ مـعـ إـيـرـانـ.ـ فـلـقـدـ جـمـعـتـ إـلـاـمـ الصـدـرـ عـلـاقـةـ وـثـيقـةـ بـالـرـئـيـسـ حـافظـ الـأـسـدـ،ـ وـلـقـدـ أـبـقـىـ الـحـسـيـنـيـ وـبـرـيـ بـعـدـ ذـلـكـ عـلـىـ هـذـهـ الـعـلـاقـةـ الـوـثـيقـةـ مـعـ سـوـرـيـاـ.ـ كـذـلـكـ فـلـقـدـ اـرـتـبـطـتـ الـحـرـكـةـ بـعـلـاقـةـ وـثـيقـةـ مـعـ إـيـرـانـ.ـ وـكـانـ أـوـلـ مـسـؤـولـ تـنـظـيمـيـ لـهـاـ وـهـوـ مـصـطـفـيـ شـمـرـانـ أـوـلـ وـزـيـرـ دـفـاعـ لـإـيـرـانـ بـعـدـ اـنـتـصـارـ الـثـورـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ فـيـهـاـ.ـ وـبـعـدـ نـهـاـيـةـ الـحـرـبـ الـأـهـلـيـةـ الـلـبـانـيـةـ خـاـضـتـ الـحـرـكـةـ الـاـنـتـخـابـاتـ الـنـيـابـيـةـ لـعـامـ 1992ـ وـفـازـ رـئـيـسـهـاـ بـرـئـاسـةـ مـلـجـلـسـ النـوـابـ وـهـوـ لـاـ يـزالـ فـيـ هـذـاـ الـمـنـصـبـ حـتـىـ تـارـيـخـهـ.

وـتـنـصـ مـبـادـئـ الـحـرـكـةـ عـلـىـ:

- المبدأ الأول: إن هذه الحركة تتطلّق من الإيمان بالله بمعناه الحقيقي لا بمفهومه التجريدي فإنه الأساس لكافة نشاطاتنا الحياتية ولعلاقتنا الإنسانية وهو الذي يحدد عزيّتنا باستمرار وثقتنا ويزيد طموحنا ويصون سلوكنا. كما أنها تعتمد على أساس الإيمان

بالإنسان، بوجوده، بحريته وبكرامته. والحقيقة أن الإيمان بالإنسان هو البعد الأرضي للإيمان بالله، بُعد لا يمكن فصله عن البُعد السماوي والينابيع الأصلية للأديان تؤكّد ذلك بإصرار.

- المبدأ الثاني: أما تراثنا العظيم في لبنان وفي الشرق كله الحافل بالتجارب الإنسانية الناجحة، المشرق بالبطولات والتضحيات والراخر بالحضارات والقيم، فهو الذي يرسم الخطوط التفصيلية للطريق ويؤكّد أصالتنا ويعطي سبباً واضحاً لوجودنا وسندًا قاطعاً لمشاركةنا الحضارية، وفي الوقت نفسه فإن الاستفادة من التجارب في أقطار الأرض مع الاحتفاظ بالأصالة دليل رغبتنا الأكيدة إلى الكمال والتقدم وقناعتنا بوحدة العائلة البشرية وتفاعلها.
- المبدأ الثالث: إن حركة المحرورمين أمل انطلاقاً من هذه المبادئ تؤمن بالحرية الكاملة للمواطن وتحارب دون هواة كافة أنواع الظلم من استبداد وإقطاع وتسليط وتصنيف المواطنين. وتعتبر أن نظام الطائفية السياسية في لبنان مم يعط ثماره وهو الآن يمنع التطور السياسي ويجمد المؤسسات الوطنية ويصنف المواطنين ويزعزّع الوحدة الوطنية.
- المبدأ الرابع: وترفض الحركة الظلم الاقتصادي وأسبابه من احتكار واستثمار الإنسان لأخيه الإنسان وتحول المواطن إلى المستهلك والمجتمع إلى تجمع المستهلكين وحصر النشاطات الاقتصادية في أعمال الربا والتحول إلى سوق للإنتاج العالمي. وتعتقد الحركة أن توفير الفرص لجميع المواطنين هو أبسط حقوقهم في الوطن وأن العدالة الاجتماعية الشاملة هي أولى واجبات الدولة.
- المبدأ الخامس: إن حركة المحرورمين هي حركة وطنية تتمسّك بالسيادة الوطنية وسلامة أراضي الوطن وتحارب الاستعمار والاعتداءات والمطامع التي يتعرّض لها لبنان. والحركة هذه تعتبر أن التمسّك بالسيادة وبالمصالح القوميّة وتحرير الأرض العربية وحرية أبناء الأمة هي من صميم التزاماتها الوطنية لا تتفصل عنها. وغنى عن القول إن صيانة لبنان الجنوبي والدفاع عن تتميّته هو جوهر الوطنية وأساسها حيث لا يمكن بقاء الوطن بدون الجنوب ولا تصور المواطنة الحقة بدون الوفاء للجنوب.
- المبدأ السادس: فلسطين، الأرض المقدّسة، التي تعرّضت ولم تزل لجميع أنواع الظلم هي في صلب حركتنا وعقّلها وأن السعي لتحريرها أولى واجباتنا وأن الوقوف إلى جانب شعبها وصيانته مقاومته والتلاحم معها شرف الحركة وإيمانها، سيما أن الصهيونية تشكّل الخطر الفعلي والمستقبلبي على لبنان وعلى القيم التي نؤمن بها وعلى الإنسانية جمّعاً وإنها ترى في لبنان بتعيش الطوائف فيه تحدياً دائماً لها ومنافساً قوياً لكيانها.

المبدأ السابع: إن هذه الحركة لا تصنف المواطنين ولا ترفض التعاون مع الأفراد أو الفئات الشريفة التي ترحب في بناء لبنان أفضل. إنها ليست حركة طائفية ولا عملاً خيراً ولا موعظة ونصحاً ولا تهدف إلى تحقيق مكاسب فتوية إنها حركة المحروميين جميعاً إنها تتبنى الحاجات وتنظر إلى حرمان المواطنين وتدرس الحلول وتتحرك فوراً لأجلها وتناضل إلى جانب المحروميين إلى النهاية؛ لذلك فإنها تعتقد أنها حركة اللبنانيين الشرفاء جميعاً أولئك الذين يحسون بالحرمان في حاضرهم وأولئك الذين يشعرون بالقلق على مستقبلهم.<sup>625</sup>

أما الحزب الثاني الذي سيتصدر المشهد داخل الطائفة الشيعية فهو حزب الله. وقد انطلق الحزب بعد الغزو الإسرائيلي للبنان في العام 1982 من رحم حركة أمل بدعم من الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومن ثم بدعم من سوريا. وقد ركز الحزب جهده في سنين الأولى على قتال إسرائيل كما نسبت إليه هجمات استهدفت القوات الأمريكية والفرنسية التي كانت تقاتل إلى جانب الجيش اللبناني بقيادة رئيس الجمهورية الكتائبي أمين الجميل. ومن هذه الهجمات استهداف مقر المارينز الأميركي والقوات الفرنسية في منطقة الجناح في تشرين الأول 1983 ومقتل 240 جندياً أميركياً وستين جندياً فرنسياً ما ساهم بإخراج القوات الغربية من لبنان بعد أشهر قليلة على ذلك. كما نسبت للحزب بقيادة مسؤوله الأمني والعسكري عماد مخنفية استهداف السفارة الأمريكية في عين المريسة بهجوم انتشاري أودى بعشرات مسؤولي المخابرات المركزية الأمريكية الذين كانوا يعتقدون اجتماعاً في بيروت وكان على رأسهم كبير الجواسيس الأميركيين في الشرق الأوسط روبرت إيمز الذي صدر كتاب عنه مؤخراً هو الجاسوس الطيب.<sup>626</sup> وبعد العام 1987 أصبح حزب الله هو المقاوم الأول لإسرائيل في لبنان. وفي العام 1992 تم اغتيال أمينه العام الثاني السيد عباس الموسوي فتم انتخاب السيد حسن نصر الله أميناً عاماً للحزب حتى يومنا هذا. وفي ظل السيد نصر الله خاض الحزب أربع مواجهات كبرى مع إسرائيل في تموز من العام 1993 ونيسان من العام 1996 وأيار من العام 2000 وتموز من العام 2006. وقد تمكّن الحزب من الصمود في جميع هذه المنازلات وهزيمة إسرائيل بدعم من سوريا وإيران. وقد تمكّن الحزب من تحرير الأراضي اللبنانية من

راجع موقع حركة أمل<sup>625</sup>  
<https://www.amal-movement.com/>

Kai Bird, The Good Spy: The Life and Death of Robert Ames, New York: Broadway Books, 2015<sup>626</sup>

الاحتلال الإسرائيلي في العام 2000. وكانت هذه المرة الأولى التي تنسحب فيها إسرائيل من أراض عربية محتلة دون قيد أو شرط. كما تمكن الحزب من الانتصار على إسرائيل في العام 2006.

على الصعيد الداخلي اللبناني اختار الحزب المشاركة في الحياة السياسية اللبنانية وخوض الانتخابات في العام 1992 حيث حاز على كتلة وازنة في مجلس النواب حافظ عليها حتى يومنا هذا. وفي العام 2005 وبعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري كان الحزب أبرز المعارضين للانقلاب السياسي الذي وقع في البلاد واختار المشاركة في الحكومة اللبنانية لمنع أي بيان وزاري يمرره أطراف متحالفون مع الولايات المتحدة ولا يعطي الشرعية للمقاومة اللبنانية. وبعد اندلاع الحرب السورية اختار الحزب الانخراط في القتال هناك إلى جانب الجيش السوري ضد ما اعتبره محاولات غربية وإسرائيلية لاسقاط سوريا وتقسيمها وكسر سند قوي للمقاومة اللبنانية.

ويمتلك الحزب عدداً كبيراً من المؤسسات المدنية مثل:

- مؤسسة (جهاد البناء) وتأسست سنة 1988 وتضم العديد من المهندسين والفنين والعمال وتحتخص في حفر الآبار وإعداد الدورات التدريبية في مجال الزراعة والبيطرة. وهي تهتم الآن خاصة بإعادة إعمار ما دمره العدوان الإسرائيلي على لبنان في تموز 2006 وقد قطعت شوطاً كبيراً في ذلك.
- الهيئة (الصحية الإسلامية) ولها فروع عدّة بلغت 47 فرعاً تنتشر في البقاع والجنوب بالإضافة إلى بيروت.
- جمعية (القرض الحسن) وتأسست سنة 1982 بهدف تقديم القروض غير الربوية للمحتاجين.
- جمعية (الإمداد الخيرية الإسلامية) وتأسست سنة 1987 وتعمل على مساعدة الأسر على الاكتفاء ذاتياً، ورعاية الأيتام والعجزة والأرامل.
- مؤسسة (الشهيد) ومهماها الاهتمام التربوي والتعليمي بأسر الشهداء.
- المؤسسة (الإسلامية للتربية والتعليم) ويعود تاريخ تأسيسها إلى سنة 1993 وتهتم ببناء المدارس في مختلف المناطق اللبنانية وتحرص على أن تكون أولوية الالتحاق في تلك المدارس لأنباء الشهداء.
- مؤسسة الجرحى ومهمتها الاهتمام بجرحى المقاومة ورعايتهم وتقديم الخدمات الصحية لهم.

- هيئة (دعم المقاومة الإسلامية) التي تجمع التبرعات للمقاومة وتعقد الندوات وتقيم المعارض لزيادة الوعي بأهمية المقاومة.

كما يمتلك الحزب عدداً كبيراً من المؤسسات الإعلامية على رأسها تلفزيون المنار وإذاعة النور إضافة إلى عدد كبير من المؤسسات المدنية والعسكرية والأمنية. وتميز علاقته بإيران بالطابع الدييدولوجي لإيمان الحزب بولاية الفقيه التي تقوم على مبدأ الحكم الإسلامي تحت إشراف مرجع ديني أعلى يتولى الإشراف على الدولة لحين ظهور الإمام المهدي المنتظر. كما تتميز العلاقة بدعم إيراني سياسي ومالي واجتماعي.<sup>627</sup>

## الدستور السوري الجديد

وفي بدايات الأزمة السورية، وفي محاولة لإيجاد أطر قانونية لحل الأزمة تم إقرار دستور جديد للبلاد كان من أهم بنوده إلغاء تلك التي تتعلق بالدور القيادي لحزب البعث في الدولة والمجتمع ومن بنوده:

"تعتبر الجمهورية العربية السورية بانت茂أها العربي، وبكون شعبها جزءاً لا يتجزأ من الأمة العربية مجسدة هذا الانتماء في مشروعها الوطني والقومي، وفي العمل على دعم التعاون العربي بهدف تعزيز التكامل وتحقيق وحدة الأمة العربية".

**المادة الأولى: الشعب في سوريا جزء من الأمة العربية.**

**المادة الثامنة:** يقوم النظام السياسي للدولة على مبدأ التعددية السياسية، وتم ممارسة السلطة ديمقراطياً عبر الاقتراع.

---

<sup>627</sup> راجع موقع حزب الله <https://www.moqawama.org/>

تسهم الأحزاب السياسية المرخصة والتجمعات الانتخابية في الحياة السياسية الوطنية وعليها احترام مبادئ السيادة الوطنية والديمقراطية.

ينظم القانون الأحكام والإجراءات الخاصة بتكوين الأحزاب السياسية.

**المادة الرابعة والثمانون:** يشترط في المرشح إلى منصب رئيس الجمهورية ما يأتي:

- أن يكون متّماً الأربعين عاماً من عمره.
- أن يكون متّماً بالجنسية العربية السورية بالولادة من أبوين متّماً بالجنسية العربية السورية بالولادة.
- أن يكون مقيماً في الجمهورية العربية السورية لمدة لا تقلّ عن عشر سنوات إقامة دائمة متصلة عند تقديم طلب الترشيح.

**المادة الثامنة والثمانون:** ينتخب رئيس الجمهورية لمدة سبعة أعوام ميلادية تبدأ من تاريخ انتهاء ولاية الرئيس القائم، ولا تجوز إعادة انتخاب رئيس الجمهورية إلا لولاية واحدة تالية.

المادة الخامسة والخمسون بعد المئة: تنتهي مدة ولاية رئيس الجمهورية الحالي بانقضاء سبع سنوات ميلادية من تاريخ أدائه القسم الدستوري رئيساً للجمهورية، وله حق الترشح مجدداً لمنصب رئيس الجمهورية، وتسرى عليه أحكام المادة 88 من هذا الدستور اعتباراً من الانتخابات الرئاسية القادمة.

## الفصل الثالث

### فلسطين والأردن 1991 – 2010

منذ أواخر الثمانينيات من القرن الماضي جرت اتصالات غير مباشرة بين منظمة التحرير الفلسطينية ووزارة الخارجية الأمريكية أنتجت إعلاناً من ياسر عرفات بإدانة الإرهاب، ما شكل إعلاناً رسمياً من قبله بالتخلي عن الكفاح المسلح والسير في طريق المفاوضات المباشرة مع الإسرائيليين. وفي أيلول/سبتمبر 1987، جمعت مفاوضات سرية بين ممثلي عن منظمة التحرير الفلسطينية وممثلي عن الحكومة الإسرائيلية قبل خلالها الفلسطينيون بحق تقرير المصير وفقاً لما نصت عليه اتفاقية كامب دايفيد قبل ثمانية أعوام بين مصر وإسرائيل.<sup>628</sup> وكانت اللقاءات غير الرسمية بين الفلسطينيين والإسرائيليين قد بدأت منذ السبعينيات.<sup>629</sup> وقد هدف اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني في نيسان/أبريل 1988 في الجزائر وما تلاه من إعلان لدولة فلسطين إلا للتغطية على المفاوضات السرية بين ممثلي عرفات وممثلي الحكومة الإسرائيلية. وخلال عهد الرئيس الأميركي جورج بوش الأب بين عامي 1989 و1993 لعب وزير خارجيته جيمس بايكر دوراً كبيراً لإقناع الحكومة الإسرائيلية بقبول مبدأ الأرض مقابل السلام والذي يقضي بانسحاب الإسرائيليين من أراضٍ عربية محتلة في مقابل إقامة السلام الشامل وحل النزاع العربي – الإسرائيلي. وقبيل انعقاد مؤتمر مدريد عام 1992 نجح بايكر إلى حد بعيد في جهوده فقبل الإسرائيليون أن يعقد المؤتمر بحضور مراقبين دوليين وبأن يشارك Palestinians من الضفة الغربية وغزة في المفاوضات ضمن وفد أردني – فلسطيني مشترك مع استثناء ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية أو فلسطيني القدس الشرقية. وفي 30 تشرين الأول/أكتوبر 1991 عقد مؤتمر السلام بين العرب والإسرائيليين في مدريد. وخلال المؤتمر ألقى رئيس الفريق الفلسطيني في الوفد الأردني – الفلسطيني المشترك حيدر عبد الشافي كلمة أسف فيها للنكران الذي يتعرض له Palestinians وحقوقهم المشروعة في أرض فلسطين التاريخية، وقال "إن الدعوة إلى عقد السلام الذي نطالب به جميعنا لم توجه إلى كل أبناء شعبنا متجاهلة بذلك وحدتنا الوطنية والتاريخية. لقد جئنا إلى هنا بعد أن أجبرنا على الانفصال عن

<sup>628</sup> راجع محمود عباس

<sup>629</sup> محمد حسين هيكل، "سلام الأوهام: أسلو ما قبلها وما بعدها"، دار الشروق، القاهرة، 25 تشرين الثاني/نوفمبر 1996، ص. 63-62.

أشقّائنا الفلسطينيين تحت الاحتلال. ومع ذلك، فنحن نصرّ على أن يمثل كلّ واحدٍ منّا حقوق ومصالح كلّ الشعب الفلسطيني. ولقد اختارها شعبنا ليأتمنها على تاريخه وتراثه، لقد اعترف بها المجتمع الدولي باستثناء أقلية تستمرّ بالتسّرّ على الواقع". وشدّد على أهمية مدينة القدس بالنسبة للفلسطينيين وأن تكون عاصمة للدولة الفلسطينية العتيدة. وطالب بوقف الاستيطان الصهيوني في الضفة الغربية وغزة رافضاً ضمّ القدس إلى الدولة الصهيونية كما طالب بإقرار حق العودة للاجئين الفلسطينيين في الشتات.<sup>630</sup>

لم تُسِرِّ الجولة الأولى، شأنها شأن الجولات الأربع التي تلتها عن أيّة نتيجة لأنّ حكومة الليكود كانت ترفض مبدأ الأرض مقابل السلام.<sup>631</sup> وكان شامير يريد استغلال المفاوضات لتطبيع العلاقات مع العالم العربي من دون الانسحاب من أي شبر من الأرض المحتلة.<sup>632</sup> وكان الإسرائييون يراهنون على أن يمارس المجتمع الدولي وعلى رأسه الولايات المتحدة ضغوطاً على الفلسطينيين ليقبلوا بحل الحكم الذاتي عوضاً عن إقامة الدولة في الأراضي المحتلة ما يفتح المجال أمامهم لإقامة سلام مع الأردن يشكل جسر عبور لهم إلى دول منطقة الخليج من دون الحاجة لإقامة سلام مع سوريا.<sup>633</sup> هذا دفع بالإسرائيليين إلى التركيز على المسارين الأردني والفلسطيني وإهمال التفاوض على المسارين السوري واللبناني. وقد تجاوب الفلسطينيون مع المساعي الإسرائيلية لأنّهم اعتبروا أن من شأنها التخفيف من وطأة الاحتلال الإسرائيلي على الضفة الغربية وغزة. وقد جرى الحديث أن سلاماً مع الفلسطينيين والأردنيين يمكن أن يمهد لإقامة اتحاد كونفدرالي بين إسرائيل والفلسطينيين والأردنيين.<sup>634</sup> كانت المفاوضات عقيمة في ظل حكومة الليكود ما أدى إلى خلافات كبيرة بين القيادة الإسرائيلية وإدارة الرئيس جورج بوش التي اندفعت لدعم حزب العمال الإسرائيلي بقيادة إسحق رابين وشيمون بيريز لتحقيق فوز في الانتخابات التشريعية الإسرائيلية التي أجريت في حزيران يونيو 1992. وقد شُكّل فوز حزب العمل بقيادة إسحق رابين وشيمون بيريز في الانتخابات التي جرت في حزيران يونيو 1992 دفعاً لعملية السلام في الشرق الأوسط.<sup>635</sup> وقد رحب

<sup>630</sup> السفير، في 1 تشرين الثاني/نوفمبر 1991

<sup>631</sup> وحيد عبد المجيد، "إسرائيل والمفاوضات الجارية، مصطفى اللوي: المفاوضات العربية - الإسرائيلي ومستقبل السلام في الشرق الأوسط، القاهرة، 1994، ص. 161.

<sup>632</sup> السفير، في 31 تشرين الأول/أكتوبر 1991

<sup>633</sup> باتريك سيل، "رابين يريد الجولان منزوع السلاح ويعترف بالهيمنة السورية على لبنان في مقابل سلام بين دمشق وقتل أبيب"، ص. 20.

<sup>634</sup> جواد الصمد، "ال الخيار الكونفدرالي الأردني - الفلسطيني"، شؤون الشرق الأوسط، عدد رقم 48، كانون الثاني/يناير 1996، ص. 55.

<sup>635</sup> Muslih, Muhamed, "Dateline Damascus: Assad is ready", Foreign Policy, no. 96, Automne 1994, p.151

الرئيس الأميركي بهذا الفوز مقدراً بأنه سيسمح بالسير قُدماً بعمليّة السلام في المنطقة مما يشكّل فائدة لانتخاباته. وكان رابين مستعداً لمنح الفلسطينيين حكماً ذاتياً في الضفة الغربية وغزة وقد اعتمد على استراتيجية تهدف إلى استغلال التناقضات بين الفلسطينيين والسوريين للحصول على أقصى التنازلات منها.<sup>636</sup> وفي آب/أغسطس 1992، وبعد موافقة الإسرائيليين على انضمامه إلى الوفد الفلسطيني المفاوض، أعلن فيصل الحسيني أن الطرف الفلسطيني مستعد للقبول ببقاء المستوطنات الصهيونية في الأراضي المحتلة بعد تحقيق السلام وأن تكون الدولة الفلسطينية العتيدة مقدمة لإقامة كونفدرالية إسرائيلية فلسطينية أردنية.<sup>637</sup>

## اتفاق أوسلو

في المقابل دعا إسحق رابين الفلسطينيين إلى مفاوضات منفصلة لتحقيق السلام معهم تؤدي إلى الحكم الذاتي. كذلك أُعلن نيته وقف التقدم على المسارين الأردني والسوسي معرباً عن أمله في تحقيق السلام مع الفلسطينيين خلال صيف العام 1993.<sup>638</sup> وفي خطاب له أمام الكنيست في 13 تموز/يوليو 1992، أُعلن رابين أن الحكم الذاتي الذي ورد ذكره في اتفاقية كامب ديفيد، "هو أفضل ما يمكنه أن يقدمه لهم، متمنياً على الفلسطينيين "ألا يفوتوا هذه الفرصة التاريخية".<sup>639</sup> وكان عرفات مستعداً للتوقيع على معاهدة مع الإسرائيليين بأي ثمن خشية من أن يصبح الوفد الفلسطيني المفاوض بديلاً عنه وعن منظمة التحرير. وهو تذرع بخوفه من توصل سوريا لسلام مع إسرائيل قبله للاستعجال بالسلام مع الإسرائيليين. وكان الوفد المفاوض قد أُعلن عن نية الفلسطينيين تشكيل حكومة فلسطينية تدير الأراضي المحتلة بعد الاتفاق مع الإسرائيليين، إضافة إلى إنشاء قوة شرطة محلية منزوعة السلاح على أن يتم تدريبيها في الأردن. وقد تجاوب الإسرائيليون مع هذه التصريحات معلنين عن استعدادهم للمساهمة بتدريب قوة الشرطة هذه رغم معارضة المستوطنين الصهاينة في الأراضي المحتلة.<sup>640</sup> وعشية الجولة السادسة من المفاوضات أعلنت وسائل الإعلام الإسرائيليّة أنّ حكومة رابين قد تقترح خطّة سلام مع لبنان وسوريا تتضمن انسحاباً من

<sup>636</sup> وحيد عبد المجيد، "إسرائيل و مفاوضات السلام الجارية" ، المفاوضات العربية - الإسرائيليّة و مستقبل السلام في الشرق الأوسط، تحرير مصطفى العلوي، القاهرة، 1994، ص. 163.

<sup>637</sup> السفير، 6 آب/أغسطس 1992

<sup>638</sup> السفير، في 21 تموز/يوليو 1992

<sup>639</sup> النهار، في 14 تموز/يوليو 1992

<sup>640</sup> هدى الحسيني، مراسلة في صحيفة الشرق الأوسط، في 6 آب/أغسطس 1992

الجولان ما أثار مخاوف الفلسطينيين من أن تسبقهم دمشق إلى السلام ما يؤدي إلى عزلهم.<sup>641</sup> وقد بدأت الجولة السادسة في واشنطن في 24 آب/أغسطس 1992. وأعلن الإسرائيليون قبولهم بالقرار الدولي 242 و338 كأساس للتفاوض مع العرب<sup>642</sup> لكنهم أوقفوا هذه الجولة في أيلول سبتمبر بعد افتعالهم مشكلة مع السوريين.<sup>643</sup> وكانت إدارة الرئيس جورج بوش الأب قد بدأت بالتحضير للانتخابات الرئاسية ما جعل دورها يضعف في إدارة المفاوضات.<sup>644</sup> وكان بوش بحاجة لدعم اللوبي اليهودي ما جعله يدعم تل أبيب بشكل غير مشروط. وفي تشرين الثاني نوفمبر أعلنت نتائج الانتخابات بخسارة بوش للأب وفوز منافسه بيل كلينتون الذي كان يعد أقرب إلى اللوبي الصهيوني وإلى إسرائيل وأكثر تجاوياً مع مطالبها ما عزز موقف الإسرائيليين التفاوضي.

بعد انتخاب كلينتون عقدت ثلاث جولات تفاوضية بين الإسرائيليين والعرب من دون نتائج، في الوقت الذي كانت منظمة التحرير الفلسطينية تجري مفاوضات سرية مع الإسرائيليين في العاصمة النروجية أوسلو. كان عدد كبير من الوزراء الإسرائيليين ومن ضمنهم شيمون بيريز متحمّسين لعقد اتفاقية سلام مع الفلسطينيين بمعزل عن انتماهم لمنظمة التحرير.<sup>645</sup> ولقد ظهرت بوادر التوصل إلى اتفاق للحكم الذاتي إلىعلن في أيار مايو 1993 بعد العدوان الإسرائيلي على لبنان قبل شهر من ذلك التاريخ والذي أجبر السوريين على الرضوخ وعدم عرقلة الاتفاق الإسرائيلي الفلسطيني العتيد. وقد اقترح عرفات، في رسالة بعث بها إلى المستشار النمساوي فرانز فرانيتسكي، أن تغادر القوات الإسرائيلية المناطق المأهولة بالسكان في غزة وأن تُستبدل بقوات دولية، ودعا رابين للتفاوض مباشرة معه. من جهته زار المستشار السياسي للرئيس المصري أسامي الباز واشنطن وتناقش مع وزير الخارجية الأميركي وارن كريستوفر في سبل التخلّب على العقبات التي تعرقل التقدّم على المسار الإسرائيلي - الفلسطيني، مشيراً إلى أهمية إقامة اتحاد كونفدرالي بين الفلسطينيين والأردنيين ما يهدّ لقبول المجتمع الإسرائيلي لفكرة الدولة الفلسطينية.<sup>646</sup> وكشفت مصادر في وزارة الخارجية الإسرائيلية أنَّ الوفد الإسرائيلي سيقترح على الفلسطينيين حكماً ذاتياً في غرّة.

<sup>641</sup> السفير، في 19 آب/أغسطس 1992

<sup>642</sup> السفير، في 25 آب/أغسطس 1992

<sup>643</sup> النهار، في 3 أيلول/سبتمبر 1992

<sup>644</sup> باتريك سيل، "رابن يزيد الجولان منزوع السلاح"، ص. 2.

<sup>645</sup> السفير، في 24 كانون الثاني/يناير 1993

<sup>646</sup> النهار، في 24 أيار/مايو 1993

وقد صيغ الاقتراح على أن ينح الفلسطينيون حكماً ذاتياً محدوداً في غزة وأريحا. ويشير بيريز في مذكرةه إلى اللقاءات السرية التي جرت بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية خلال صيف 1992 عبر وزير الخارجية النرويجي الذي اقترح في أيلول/سبتمبر 1992 أن تقوم "الـ FAFO وهي منظمة نرويجية للبحوث بالتوسيط بين الطرفين. ولقد اجتمع مديرها، تيري رود لارسن السياسي الإسرائيلي اليساري يوسي بيلين الذي أصبح نائباً لوزير الخارجية الإسرائيلية في حكومة حزب العمل. وفي أيلول/سبتمبر، اقترح وزير الخارجية النرويجي إقامة قناة اتصال سرية تربط إسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية. وكان بيلين حذراً جداً في هذا الصدد وقرر وضع لارسن في اتصال مباشر مع أكاديميين إسرائيليين لا صلة لهما بالحكومة أحدهما يدرس في جامعة حيفا وهو يائير هيرتشفيلد والآخر طبيب وهو رون بينداك. وعن طريق إثارة بعض النقاط الحساسة من المشروع في كانون الأول/ديسمبر 1992، تقرب هيرتشفيلد من المسؤول المالي في منظمة التحرير أحمد قريع. ولقد وافق هؤلاء على حضور حلقة دراسية عن الموارد البشرية عُقدت في كانون الثاني/يناير في أوسلو وقد شارك فيها عن الجانب الإسرائيلي، هيرتشفيلد وبينداك، وعن الجانب الفلسطيني، أحمد قريع وماهر الكردي وحسن عصفور. وقد قدم أحمد قريع اقتراحاً من ثلاثة نقاط وهي انسحاب الإسرائيليين من غزة خلال ثلاثة سنوات من توقيع الاتفاق على أن يتواصل التفاوض في ما يتعلق بالضفة الغربية، وأن تقر خطة إمائية بتمويل دولي على غرار مشروع مارشال الذي أطلق في أوروبا عقب الحرب العالمية الثانية لإعادة بنائها، وأن يرتبط الإسرائيليون والفلسطينيون بعلاقات تعاون اقتصادي.<sup>647</sup>

في هذا الوقت كانت منظمة التحرير الفلسطينية تعاني من العزلة عربياً ومن أزمة مالية خانقة نتيجة وقف التمويل الخليجي لها بسبب موقفها الداعم للعراق خلال حرب الخليج ما جعلها في موقف تفاوضي ضعيف. واعتبر رابين أن مبدأ "غزة أولاً" يصب في مصلحة إسرائيل لأن غالبية الإسرائيليين يريدون التخلص من غزة المكتظة بالسكان والمليئة بالتهديدات. وعلاوة على ذلك، لقد ارتأت أوسلو أن تبدأ السنوات الخمس المؤقتة مباشرة بعد التوقيع، في حين أنه بموجب اتفاق كامب ديفيد عام 1978 لن تبدأ هذه الفترة إلا بعد أن تكون جميع تفاصيل الحكم الذاتي قد سُويت.<sup>648</sup>

<sup>647</sup> مذكرات شيمون بيريز، ص.ص. 371 – 377

<sup>648</sup> المرجع نفسه، ص.ص. 380 – 381

في مطلع أيار/مايو 1993، كانت كل تفاصيل المفاوضات مع الفلسطينيين قد سويت ولم تكن الجولة العاشرة من المفاوضات إلا للتفصيمية على هذه المفاوضات والتقدم الحاصل فيها. ويؤكد محمود عباس في كتابه أن اللقاءات بين الفلسطينيين والإسرائيليين كانت قد بدأت قبل خمسة أشهر من اندلاع "الانتفاضة" في 4 تموز/يوليو 1987، عندما التقى عضو الليكود موشيه أمiran بأنور نسيبة بإيعاز من عرفات نفسه. تلت ذلك لقاءات عدّة بين الطرفين أفضت إلى اتفاق مبدئي ينص على الاعتراف بالحقوق الوطنية للطرفين بما فيها تقرير المصير للشعبين الفلسطيني والإسرائيلي، وأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وعلى حق إسرائيل بالوجود ضمن حدود معترف بها دولياً. أما في ما يتعلّق ببنود الاتفاقية التي ستتضمن بعد سنوات في اتفاق أوسلو فقد نصّت على:

1. الشروع بمرحلة من المفاوضات بين الفلسطينيين والحكومة الإسرائيلية. تؤدي المرحلة الأولى التحضيرية إلى اتفاق انتقالي وتحل محل المرحلة الثانية إلى اتفاق نهائي بشأن السلام.
2. يمكن للمرحلة التحضيرية أن تتم في بدل آخر يتم تحديده، وتنتمي المرحلة الثانية بعد سنتين من تطبيق الاتفاق المؤقت، على أن تقرّر الأطراف المتفاوضة على الصيغة النهائية لاتفاقية السلام وعلى الضمانات الدولية المطلوبة لدعمه. يتدّلّل الاتفاق الانتقالي على فترة تتراوح بين ثالث إلى خمس سنوات.
3. خلال الفترة الانتقالية، يجب إقامة كيان فلسطيني على الأراضي المحتلة في حزيران/يونيو 1967، مع الجزء العربي من القدس عاصمة له. وسيكون للفلسطينيين المقيمين في هذه المنطقة حرية اختيار لإدارة شؤونهم بطريقه يتم تحديدها خلال المرحلة الأولى من المفاوضات. ولكن يجب الأخذ بعين الاعتبار الحقوق المشروعة الممنوحة لهذا الكيان الفلسطيني في ما يخص الموارد الطبيعية وأيضاً في ما يخص المطالب الإسرائيلية.
4. لهذا الكيان الحق في أن تكون له رموز وطنية كعلم وعملة ونشيد وطني وشبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية وإذاعة وتلفزيون مستقلّين، بالإضافة إلى إصدار بطاقات هوية ووثائق سفر وغيرها من المستندات الخاضعة لاتفاق خلال المفاوضات. غير أن هذه الأخيرة لا تتعلّق بظروف السلام بين الكيان وإسرائيل.

5. اتفاق شامل على إنشاء هذا الكيان ووضع المستوطنات والمستوطنين الإسرائيليين وعودة الفلسطينيين إلى ديارهم وتقاسم الموارد والاقتصاد والتعاون التجاري، يجب أن يُوقع خلال المرحلة الأولى من المفاوضات بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية.

ولضمان مناخ إيجابي خلال المفاوضات، يجب أن:

- أ. تعرف إسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية بصفتها ممثلاً شرعياً للشعب الفلسطيني وتعترف المنظمة بدورها بدولة إسرائيل.
- ب. يُعرب الطرفان عن استعدادهما للتفاوض للوصول إلى تسوية.
- ج. تعلن إسرائيل رسمياً تجميد جميع أنشطتها في الأراضي المحتلة ووقف العنف ضد الشعب الفلسطيني وممتلكاته خلال الفترة الأولى. ومن جهتها، تعلن منظمة التحرير الفلسطينية كذلك وقف جميع أعمال العنف.

وقد تم التوصل إلى اتفاق على الخطوط العريضة قبل اندلاع الانتفاضة عام 1987. ولم يكن إعلان الدولة الفلسطينية من جانب عرفات عام 1988 سوى للتعمية على المفاوضات مع الإسرائيليين. ويدرك أبو مازن في كتابه الاتصالات السرية مع أرييل Sharon، ودافيد كيمحي، وقد استؤنفت المحادثات مع الطرف الإسرائيلي في كانون الأول/ديسمبر عام 1992 وحتى وصول حكومة حزب العمل إلى السلطة في إسرائيل. وكان من المفترض لاتفاق أوسلو أن يؤدي إلى قيام كونفدرالية فلسطينية إسرائيلية أردنية تصبح حجر الزاوية للنظام الإقليمي الجديد في الشرق الأوسط. ولم يكن عدوان نيسان 1993 على لبنان إلا لتجاوز عقبة المعارضة السورية للاتفاق وهو ما نجحت به تل أبيب. وقد وقع الاتفاق رسمياً في واشنطن في 13 أيلول سبتمبر 1993 ووقع عليه ياسر عرفات عن الطرف الفلسطيني وإسحق رابين عن الطرف الإسرائيلي.<sup>649</sup>

<sup>649</sup> محمود عباس، "طريق أوسلو، موقع الاتفاق يروي أسرار المفاوضات، شركة المطبوعات، الطبعة الرابعة، بيروت، 1995، ص.ص. 78 - 64

## وادي عربة وما بعده

شكل اتفاق أوسلو نكسة لسوريا إذ مهدّ السبيل للتطبيع بين العرب وإسرائيل، كما مهدّ السبيل لتوقيع اتفاق سلام بين إسرائيل والأردن يمكن أن تدخل عربه تل أبيب إلى العام العربي. وقد شجّع الاتفاق مع الفلسطينيين الجمهور الإسرائيلي على السلام مع العرب بعدما عاش لعقود في حالة حرب معهم.<sup>650</sup> وعقب التوقيع على الاتفاق الإسرائيلي - الفلسطيني، كان الأردن متلهفًا للسير على الطريق التي سبقته إليها منظمة التحرير الفلسطينية إذ تم تسجيل لقاءين مع وزير الخارجية الإسرائيلي شيمون بيريز، أحدهما ضم ولـي العهد الأمير حسن والآخر ضم الملك حسين نفسه. ولممارسة الضغوط على سوريا ألمح رابين إلى إمكانية توقيع اتفاق سلام مع لبنان إذا ارتضت الحكومة اللبنانية برئاسة رفيق الحريري نشر الجيش في الجنوب وسحب سلاح حزب الله ومنع العمليات التي يشنّها ضد إسرائيل.<sup>651</sup> وبعد اتفاق أوسلو بات الطريق ممهداً للأردن لتوقيع اتفاق سلام منفصل مع إسرائيل، خصوصاً أنه لم تكن هنالك أراضٍ أردنية محتلة تعيق توقيع اتفاق بهذا.<sup>652</sup> وفي 25 تموز/يوليو 1994، عُقدت قمة إسرائيلية - أردنية بهدف التحضير لاتفاق وادي عربة. وقد زار الرئيس المصري حسني مبارك دمشق لإقناع الأسد بعدم عرقلة الاتفاق الأردني الإسرائيلي العتيد. وأعلنت الحكومة الإسرائيلية أنّ معااهدة السلام مع الأردن باتت جاهزة وأنها "تحدد أساساً واضحة لمستقبل العلاقات بين الطرفين بشأن خطوط الهاتف والكهرباء وافتتاح نقطتي عبور جديدين في الجنوب في منطقة العقبة، إضافة إلى الاتفاق على حركة انتقال السياح والمفاوضات لفتح خط جوي مباشر والتعاون في مجال الأمن لمكافحة الجرائم والمخدرات والمفاوضات بشأن القضايا الاقتصادية والمياه ومواصلة عقد قمم ثنائية بين البلدين". بعد ذلك بأسابيع قليلة جرى التوقيع على الاتفاق الأردني الإسرائيلي رسميًا في وادي عربة، ولتجنّب أيّة تداعيات سلبية لهذا التوقيع، اتصل كليتون بالرئيس السوري حافظ الأسد مطمئناً إياه بأنه يبذل جهوداً لدفع عملية السلام بين إسرائيل وسوريا.<sup>653</sup> ووفقاً للاتفاق التزم الطرفان الإسرائيلي والأردني "بعدم اللجوء إلى القوة لحل النزاعات أو تهديد أمن كل منهما".<sup>654</sup> وتعهد الطرفان ببحث حلول

Faith, Douglas J, "Land for no Peace", Commentary, juin 1994, pp.. 32-36. <sup>650</sup>

النهار، في 16 أيلول/سبتمبر 1993 <sup>651</sup>

السفير، في 12 تشرين الثاني/نوفمبر 1993 <sup>652</sup>

السفير، في 26 آب/أغسطس <sup>653</sup>

السفير، في 26 آب/أغسطس <sup>654</sup>

للخلافات في قضايا الحدود ومسائل الأرض والأمن والمياه والطاقة والبيئة ووادي الأردن.<sup>655</sup> ووفقاً للمفاوضات فقد قبّلت اللجنة الفرعية للمياه والبيئة والطاقة الاعتراف المتبادل بحصص كل طرف من المياه من نهر الأردن واليرموك<sup>656</sup> وإقامة خطٍّ هاتفي مباشر بين إسرائيل والأردن، وربط شبكات الكهرباء بين إسرائيل والأردن كجزءٍ من شبكة إقليمية يجري العمل على إنشائها، وفتح نقطتي عبور جديدين بين إسرائيل والأردن إحداهما في العقبة والأخرى في الشمال قرب نهر الأردن، والاتفاق على انتقال السياح بين البلدين وغيرها من البنود التي ذكرت سابقاً. وتتجدر الإشارة إلى أن القائمين بالأعمال اللبناني والسوسي قد حضرا حفل التوقيع، ولكنّهما رفضا مصافحة رابين، مما يظهر وجود تفاهم ضمني لبناني - سوري على عدم عرقلة اتفاق وادي عربة.<sup>657</sup> ومن جانبه، فقد أعرب كريستوفر عن تفاؤله بشأن إحراز تقدّم على المسار السوري في حين أن الولايات المتحدة ستواصل المفاوضات مع سوريا.<sup>658</sup>

وفقاً لمقررات اتفاقية أوسلو كان على عرفات إقامة إدارة ذاتية في غزة وأريحا أولاً. بناء على ذلك انتقل عرفات إلى مدينة غزة التي وضعت تحت سيطرة السلطة الوطنية الفلسطينية التي أصبح عرفات رئيسها وقام بتشكيل حكومتها. تلت ذلك إقامة أجهزة إدارية وأمنية لتصبح نواة للسلطة الوطنية الفلسطينية في ظل الاحتلال الإسرائيلي. وخلال العام التالي قام عرفات بجولات على عدد كبير من المدن الفلسطينية في الأراضي المحتلة. وكان مقرراً أن أوسلو مرحلة انتقالية نحو إقامة الدولة الفلسطينية، إلا أن انتخاب نتنياهو في حزيران يونيو 1996 عرقل ذلك. ولم تُجدُ الجهود الأميركيّة والضغوط الدوليّة على القيادة الإسرائيليّة لإقناعها بالتقدم أكثر في عملية السلام مع الفلسطينيين على الرغم من توقيع مذكرة واي ريفر بين نتنياهو وعرفات برعاية أميركيّة في العام 1998 والتي كان من شأنها تفصيل الخطوات الآيلة إلى الانتقال من الحكم الذاتي إلى إقامة الدولة الفلسطينيّة. وقد تلت ذلك الاتفاق محاولات أخرى في ظل حكومة حزب العمل بزعامة إيهود باراك والتي تشكّلت في العام 1999 بعد فوز حزب العمل في الانتخابات التشريعية لذلك العام. وقد عرض باراك على عرفات دولة على 73 بالمائة من أراضي الضفة الغربية وغزة إلا أن عرفات أصرّ على أن تكون الدولة على كامل أراضي الضفة الغربية وغزة على أن تكون القدس الشرقيّة عاصمة للدولة الفلسطينيّة العتيدة. وقد أنهى ذلك عملية السلام نهائياً. وقد مهدَ ذلك

<sup>655</sup> السفير، في 26 آب/أغسطس

<sup>656</sup> السفير، في 26 آب/أغسطس

<sup>657</sup> السفير، في 26 آب/أغسطس

<sup>658</sup> السفير، في 29 تموز/يوليو 1994

لاندلاع الانتفاضة الثانية في أواخر العام 2000 عقب اقتحام زعيم حزب الليكود الجديد أرييل شارون للمسجد الأقصى في أيلول سبتمبر 2000. وقد استمرت هذه الانتفاضة أربعة أعوام كاملة. وقد ترافقت هذه الانتفاضة مع فرض السلطات الإسرائيلية الحصار على مقر عرفات في رام الله لمدة عامين كاملين. وبعد وصول جورج بوش الإبن إلى كرسي الرئاسة في الولايات المتحدة واجتياحه أفغانستان والعراق والحدث عن شرق أوسط جديد ترسم خريطةه السياسية وفقاً لأسس جديدة، بدا الوضع مؤاتياً للإسرائيليين لإنها مفاعيل السلام مع الفلسطينيين. وفي تشرين الثاني نوفمبر 2004 توفي ياسر عرفات في ظروف غامضة وقيل إنه مات مسموماً من قبل المخابرات الإسرائيلية بأمر من رئيس الوزراء الجديد أرييل شارون. وقد خلف عرفات على رأس السلطة الفلسطينية محمود عباس أبو مازن.

## السلطة في مواجهة حماس

في أوائل العام 2005 كان محمود عباس قد انتخب رسمياً رئيساً لسلطة الحكم الذاتي الفلسطينية ورئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية خلفاً لياسر عرفات. وكانت حركة فتح قد أصبحت الحزب الحاكم لسلطة الحكم الذاتي. وكانت عملية السلام ومفاعيلها قد توقفت قبل سنوات في ما كانت سلطات الاحتلال الإسرائيلي قد ضربت حصاراً سياسياً واقتصادياً على السلطة ما أدى إلى أزمة اقتصادية خانقة في الأراضي المحتلة. وما فاقم الأمور هو الفساد الذي استشرى في إدارات السلطة الفلسطينية وبين مسؤوليها ما أدى إلى تصاعد النقمة الشعبية ضدهم وحول تعاطف فلسطينيين كثيرين إلى حركة المقاومة الإسلامية حماس التي كانت قد طرحت نفسها بدليلاً عن فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية منذ أوائل التسعينيات من القرن الماضي. وكانت حركة حماس قد تأسست في العام 1987 على يد فلسطينيين من غزة كانوا مقرّين من جماعة الأخوان المسلمين في مصر. وفي البداية اعتمدت الحركة سياسة مداهنة للاحتلال الإسرائيلي وكان خطابها عدائياً بالدرجة الأولى تجاه حركة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية. وقيل إن الموساد الإسرائيلي غض الطرف عن صعود الحركة حتى تكون هنالك قوة تواجه هيمنة فتح ومنظمة التحرير في هذه الساحة. لكن ما لبّثت الحركة أن تبأّت واجهة المقاومة المسلحة ضد إسرائيل خلال التسعينيات من القرن الماضي، وقد رفضت الموافقة على اتفاق أوسلو أو أي تسوية سياسية مع إسرائيل مطالبة بتحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني من الاحتلال الإسرائيلي بما فيه الأراضي التي احتلتها إسرائيل في العام 1948. كما طالبت بحق الفلسطينيين بالعودة إلى أرض فلسطين وإقامة دولة إسلامية فيها. في العام 2004

تعرّضت قيادات حماس لسلسلة اغتيالات من قبل الموساد الإسرائيلي أودت بحياة مؤسس الحركة الشيخ أحمد ياسين وإضافة إلى عبد العزيز الرنتيسي وهو من أركان الحركة. وكانت الحركة قد رفضت الاعتراف بالسلطة الوطنية الفلسطينية معتبرة إياها هيئة تعمل بخدمة الاحتلال الإسرائيلي، لكن ذلك تغير في كانون الثاني يناير 2006 حين اختارت الحركة المشاركة بالانتخابات البريطانية الفلسطينية وفازت بغالبية مقاعد البريطان الفلسطيني ما جعل رئيسها إسماعيل هنية يشكل الحكومة الفلسطينية. إلا أن ذلك واجه مقاومة قوية من قبل حركة فتح التي لم تستسغ فقدان السلطة والنفوذ كما واجه معارضة غربية قوية بسبب عدم اعتراف الحركة بإسرائيل. هذا دفع بإسماعيل هنية إلى أن يحل حكومته ويشكل حكومة وحدة وطنية في آذار مارس 2007 ضمّ إليها قياديين من حركة حماس وحركة فتح. لكن هذا التعديل لم يخفف من شراسة معارضة فتح أو الولايات المتحدة والغرب لتشكيل حماس للحكومة. بعد أسبوعين قليلة أعلن محمود عباس حلّ حكومة هنية وتشكيل حكومة أخرى وهو ما رفضته حماس فانقسمت الأراضي الفلسطينية المحتلة بين ضفة الغربية تحت سيطرة حكومة فتح وقطاع غزة تحت سلطة حكومة حماس. في الوقت نفسه كانت السلطات المصرية تحضر لانقلاب على حماس في غزة عبر دعم القيادي في فتح محمد دحلان وقواته إلا أن حماس اكتشفت المخطط فاستباقت ذلك بهجوم شنته على فتح في غزة أدّت إلى إطاحتها من القطاع بعد مواجهات دموية أودت بحياة المئات من أعضاء الحركتين، لكن كانت غالبيتهم من عناصر فتح.

بذلك تحولت القضية الفلسطينية إلى ركام سلطة يتنافس عليها محمود عباس وأحمد قريع وجريل الرجوب ومحمد دحلان في الضفة الغربية وقطاع غزة اللذين تآكلا من جراء عمليات قضم واستيطان قام بها الاحتلال الإسرائيلي. وكانت ممارسات هذه السلطة على مدى أحد عشر عاماً بعد أوسلو خللت منظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها جمیعاً رکاماً لا حول لها ولا قوة. كل هذا أدى إلى تآكل التأييد الشعبي لحركة فتح وإلى سحب البساط من تحتها. وقد أمكن للأميركيين والإسرائيليين أن يستغلوا الوضع لتفتيت القضية الفلسطينية التي أصبحت، بعد أحداث عام 2008 ، مقسمة بين الضفة الغربية التي تسيطر عليها فتح وقطاع غزة الذي تسيطر عليه حماس. وكان منفذ فتح على العالم يمرّ عبر عمان وسفتها اتفاق وادي عربة بين الأردنيين والإسرائيليين. أما منفذ حماس فالقاهرة وسفتها اتفاق كامب ديفيد بين المصريين والإسرائيليين. هذا ما جعل من الهجوم الإسرائيلي عليها عام 2009 من دون ردّ فعل يُذكر من الساحتين العربية والعالمية. خلال شتاء 2009 - 2008 تعرض قطاع غزة لحملة عسكرية إسرائيلية كانت تهدف إلى القضاء على حركة حماس التي أقلقت إسرائيل من دعم إيران لها، ومن حال المقاومة التي تمثلها

هذه الحركة على الساحة الفلسطينية، ما يعرقل جهود إسرائيل لفرض شروطها للسلام على الفلسطينيين. وساند الأميركيون العدوان الإسرائيلي على غزة، لأنهم كانوا يرون في دعم إيران حركة حماس اختراقاً جدياً منها للجبهة التي كانت الولايات المتحدة تحاول إقامتها عبر منع تسلل روسيا أو الصين عبرها إلى البحر المتوسط. فبالنسبة إلى الجيو - ستراتيجياً الأميركيه لم يكن من المسموح لآسيا الممثلة بالصين وروسيا أن تصلا إلى البحر المتوسط أو المياه الدافئة. وكانت إيران حققت اختراقات مهمة على الصعيد الاستراتيجي عبر ثلاثة محاور جعلتها تطل على البحرين المتوسط والأحمر. فعلاقتها مع سوريا وحزب الله أتاحت لها الإطلاة من الشماليات على البحر المتوسط، وعلاقتها مع حماس وسيطرة الأخيرة على قطاع غزة جعلا إيران تدعم موقعها على المتوسط وتدقّ إسفيناً بين إسرائيل ومصر، ثم إن تمدد الحوثيين على الرئيس علي عبد الله صالح في اليمن وعدم قدرة السلطات اليمنية والمملكة العربية السعودية على قمع هذا الحراك، جعلا الولايات المتحدة تقلق على نفوذها في البحرين المتوسط والأحمر. فمن هناك كان في إمكان إيران ومن ورائها الصين أن تدعماً علاقتهما بالسودان وتنطلقما إلى عمق القارة الأفريقية.

وكانت مصر مبارك قلقة من هذا التمدد الإيراني بمقدار قلق الولايات المتحدة. فالنظام المصري كان اتخذ قراره منذ أيام أنور السادات بالرهان على الولايات المتحدة، ولم تكن الخلافات الظرفية مع إسرائيل إلا خلافات محدودة تتعلق من حرص مصر على دور إقليمي ريادي كان يمكن أن تأخذه عبر خطب ودّ الولايات المتحدة. وبالتالي شجعت مصر إسرائيل على ضرب قطاع غزة رغبة في إزالة بؤرة المقاومة منها ضد إسرائيل. وهي بؤرة كانت تزيد من تفاقم التململ داخل مصر لأنها تقع على حدودها. ولكن ما لم تكن القيادة المصرية تعيه أن القصف الإسرائيلي على غزة كان في حقيقة أمره قصفاً للأمن القومي المصري الذي كانت غزة مرتبطة به منذ فجر التاريخ، على ما ورد في الفصول السابقة. فمن غزة انطلق الهكسوس ليحتلوا مصر أيام الفراعنة القدامى. وعند غزوة أوقف المماليك المغول في معركة عين جالوت. وبين غزة وبئر سبع تعلم جمال عبد الناصر درسه الأهم وهو أن غزة هي عقب أخيل في الأمن القومي المصري. هذا الأمن الذي تأكل إلى حد بعيد بعد أحد عشر عاماً من حكم أنور السادات بين عامي 1970 و1981، وخلال ثلاثين عاماً من حكم حسني مبارك من عام 1981 وحتى عام 2011. ففي هذه المرحلة تقلص نفوذ مصر إلى حد الأدنى في المشرق العربي، وخلال التسعينيات فقدت عنصراً آخر من عناصر أمنها بعد اندلاع الحرب الأهلية في الصومال، ما هدّد أمن القرن الأفريقي الذي يُعدُّ أحد عناصر الأمن المصري. وقد تبع ذلك تهديد منابع النيل بعد المجازر التي حدثت في رواندا وبروندي على ضفاف بحيرة فيكتوريا ما أفقد الهوتوك، حلفاء المصريين والفرنسيين نفوذهم لحساب التوسي، حلفاء الأميركيين

والإسرائيлиين. وتلا ما سبق احتلال أريتريا جزيرة حنيش الكبرى اليمنية بإيعاز من إسرائيل، ما شكل تهديداً آخر لأمن البحر الأحمر. وأضيف ذلك إلى الحصار الذي فرض على ليبيا خلال التسعينيات ما انطوى على تهديد لامتداد الأمن القومي غرباً في اتجاه شمال أفريقيا.

## حركة حماس والجهاد

خلال العقود الثلاثة التي تلت انهيار كتلة الدول الاشتراكية وانتهاء الحرب الباردة، ضمرت منظمات فلسطينية وظهرت أخرى على الساحة تميّزت بأنها تحمل شعارات سياسية إسلامية وهمما حركة المقاومة الإسلامية حماس والجهاد الإسلامي. وعلى الرغم من أن الحركتين تحملان شعارات إسلامية إلا أن هنالك فارقاً كبيراً بينهما يعود إلى خلفية كل منهما. ففي حين تألفت حركة حماس من ناشطين كانوا سابقاً جزءاً من حركة الأخوان المسلمين، فلقد تشكلت الجهاد الإسلامي من عناصر يسارية تبنت فكر الإسلام السياسي بتأثير من الثورة الإسلامية في إيران. وقد تأسست حركة حماس في كانون أول 1987 عقب حادثة دهس قامت بها شاحنة عسكرية إسرائيلية لسبعة شبان فلسطينيين شكلت الشراة الأولى للانتفاضة الفلسطينية الأولى. وقد تناولت سبع شخصيات هم الشيخ أحمد ياسين ومحمد شمعة وإبراهيم اليازوري وعبد الفتاح دخان وعبد العزيز الرنتيسي وصلاح شحادة وعيسي النشار لتشكيل الحركة. وقد سرت شائعات عن دور للحكومة الإسرائيلية في تسهيل نشوء الحركة حتى تكون نذراً لفتح في الساحة الفلسطينية. وقد أعلنت ميثاق حركة حماس رفضه أية تسوية مع الكيان الصهيوني مطالباً بتحرير كامل التراب الفلسطيني وإزالة إسرائيل من الوجود. كما عارضت حماس الانضواء في منظمة التحرير الفلسطينية متهمة إياها بالتفريط بالحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني. وقد آمنت حماس بالكفاح المسلح سبيلاً وحيداً لتحرير الأرض واستفادت من شعارها الإسلامي لتلتقي الدعم من مصادر مختلفة في منطقة الخليج إضافة إلى تلقيها الدعم من الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وقد تصدرت حماس والجهاد إضافة للجبهة الشعبية النضال العسكري ضد إسرائيل في التسعينيات من القرن الماضي. وفي أواخر كانون الأول ديسمبر 1992 قامت سلطات الاحتلال بإبعاد 415 ناشطاً وقيادياً في حماس والجهاد الإسلامي إلى مرج الزهور في لبنان الذي رفض استقبالهم فأقيم لهم مخيّم في تلك المنطقة بقي حتى صيف العام 1993 حين تم حلّ قضيّتهم بعودتهم إلى ديارهم حتى لا تعكّر قضيّتهم صفو التوقيع على اتفاقية أوسلو بين قيادة منظمة التحرير والقيادة الصهيونية. وقد تعزّز الشيخ أحمد ياسين ثم الدكتور عبد العزيز الرنتيسي إلى الاغتيال في العام 2004 في إطار جهود إسرائيل لتصفية القيادات

الفلسطينية. وفي العام 2006 فازت حماس في الانتخابات التشريعية التي أجرتها السلطة وحازت على العدد الأكبر من المقاعد إلا أن رئيس السلطة محمود عباس رفض تكليف حماس تشكيل الحكومة، ودعمه في خياره الولايات المتحدة وإسرائيل والدول الأوروبية. لكن تمت تسوية بعد ذلك سمحت لإسماعيل هنية تشكيل حكومة فلسطينية. وفي العام 2007 وقع نزاع سياسي مع السلطة تحول نزاعاً مسلحاً بين حماس وفتح بقيادة أحمد دحلان في غزة. وبنتيجة المواجهة سيطرت حماس على غزة فيما استأثرت السلطة بالسيطرة على الضفة الغربية.<sup>659</sup>

أما حركة الجهاد الإسلامي فلقد تأسست قبل حماس بعقد من الزمن من قبل طلبة فلسطينيين كانوا يدرسون في مصر وتأثروا بالثورة الإسلامية في إيران وانتصارها. وكان من أبرز هؤلاء الطلاب الدكتور فتحي الشقاقي الذي تزعم الحركة حتى اغتياله في مالطا في العام 1995 فخلفه في زعامة الحركة رمضان عبد الله شلح حتى صيف العام 2018. وقد رفضت الحركة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وبالتسوية مع الكيان الصهيوني وتمسكت بخيار تحرير كامل التراب الفلسطيني. وعلى الرغم من الفارق الكبير بين إمكاناتها المتواضعة والإمكانات المتاحة لحماس فلقد تصدرت الجهاد الإسلامي ساحة النضال المسلح ضد إسرائيل وكان لها دور كبير في شنّ عمليات موجعة ضد الاحتلال الإسرائيلي. وخلافاً لحماس لم تقم الجهاد الإسلامي علاقات مع دول الخليج العربية معتبرة إياها قوى رجعية تحالف مع الولايات المتحدة وتدعم عملية التسوية مع إسرائيل على حساب القضية الفلسطينية. وقد رفضت الجهاد الاعتراف بأوسلو وبأي من مفاعيله ولم تشارك في أي انتخابات أجرتها السلطة الفلسطينية باعتبار أنها سلطة منبثقة عن الاحتلال ومتعاونة معه.

## وتنادي المبادئ العامة للحركة بـ:

- تلتزم حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين بالإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة، وأداة لتحليل وفهم طبيعة الصراع الذي تخوضه الأمة الإسلامية ضد أعدائها، ومرجعاً أساسياً في صياغة برنامج العمل الإسلامي للتعبئة والمواجهة.
- فلسطين - من النهر إلى البحر - أرض إسلامية عربية يُحُرّم شرعاً التفريط في أي شبر منها، والكيان الصهيوني وجود باطل، يحرّم شرعاً الاعتراف به على أي جزء منها.

---

<sup>659</sup> راجع موقع حركة المقاومة الإسلامية حماس [hamas.ps](http://hamas.ps)

- يمثل الكيان الصهيوني رأس الحربة للمشروع الاستعماري الغربي المعاصر في معركته الحضارية الشاملة ضد الأمة الإسلامية، واستمرار وجود هذا الكيان على أرض فلسطين وفي القلب من الوطن الإسلامي، يعني استمرار وهيمنة واقع التجزئة والتبعية والتخلف الذي فرضته قوى التحدي الغربي الحديث على الأمة الإسلامية.
- لفلسطين من الخصوصية المؤيدة بالبراهين القرآنية والتاريخية والواقعية ما يجعلها القضية المركزية للأمة الإسلامية التي ياجمعها على تحرير فلسطين، ومواجهتها للكيان الصهيوني، تؤكد وحدتها وانطلاقها نحو النهضة.
- الجماهير الإسلامية والعربية هي العمق الحقيقي لشعبنا في جهاده ضد الكيان الصهيوني، ومعركة تحرير فلسطين وتطهير كامل ترابها ومقدساتها هي معركة الأمة الإسلامية بأسرها، ويجب أن تسهم فيها بكمال إمكاناتها وطاقاتها المادية والمعنوية، والشعب الفلسطيني والمجاهدون على طريق فلسطين هم طليعة الأمة في معركة التحرير، وعليهم يقع العبء الأكبر في الإبقاء على الصراع مستمراً حتى تنهض الأمة كلها لقيام دورها التاريخي في خوض المعركة الشاملة والفاصلة على أرض فلسطين.
- وحدة القوى الإسلامية والوطنية على الساحة الفلسطينية، واللقاء في ساحة المعركة، شرط أساسي لاستمرار وصلابة مشروع الأمة الجاهدي ضد العدو الصهيوني.
- كافة مشاريع التسوية التي تقر الاعتراف بالوجود الصهيوني في فلسطين أو التنازل عن أي حق من حقوق الأمة فيها، باطلة ومرفوضة.

وتسعى حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين إلى تحقيق الأهداف التالية:

- تحرير كامل فلسطين، وتصفية الكيان الصهيوني، وإقامة حكم الإسلام على أرض فلسطين، والذي يكفل تحقيق العدل والحرية والمساواة والشوري.
- تعبئة الجماهير الفلسطينية وإعدادها إعداداً جهادياً، عسكرياً وسياسياً، بكل الوسائل التربوية والثقافية والتنظيمية الممكنة، لتأهيلها للقيام بواجبها الجاهدي تجاه فلسطين.
- استنهاض وحشد جماهير الأمة الإسلامية في كل مكان، وحثها على القيام بدورها التاريخي لخوض المعركة الفاصلة مع الكيان الصهيوني.
- العمل على توحيد الجهود الإسلامية الملتزمة باتجاه فلسطين، وتوطيد العلاقة مع الحركات الإسلامية والتحررية الصديقة في كافة أنحاء العالم .

- الدعوة إلى الإسلام بعقيدته وشريعته وأدابه، وإبلاغ تعاليمه نقية شاملة لقطاعات الشعب المختلفة، وإحياء رسالته الحضارية للأمة والإنسانية.<sup>660</sup>

## دستور السلطة الفلسطينية

في العام 2003، وبنتيجة الضغوط الأمريكية عليه، ارتضى رئيس السلطة الفلسطينية إصدار دستور للسلطة الوطنية الفلسطينية. وكان هدف الأميركيين والإسرائيليين من هذه الخطوة كسر احتكار عرفات للسلطة وتمكن أبو مازن من انتزاع جزء من صلاحيات الرئاسة بصفته رئيساً للوزراء. وقد شكل هذا الدستور الخطوة الأولى نحو التخلص من عرفات وهو ما حصل عند وفاته أواخر ذلك العام. ومن مواد هذا الدستور:

مادة 1: فلسطين جزء من الوطن العربي الكبير، والشعب العربي الفلسطيني جزء من الأمة العربية والوحدة العربية هدف يعمل الشعب الفلسطيني من أجل تحقيقه.

مادة 2: الشعب مصدر السلطات ويمارسها عن طريق السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية على أساس مبدأ الفصل بين السلطات على الوجه المبين في هذا القانون الأساسي.

مادة 3: القدس عاصمة فلسطين.

مادة 4: الإسلام هو الدين الرسمي في فلسطين ولسائر الديانات السماوية احترامها وقدسيتها. مبادئ الشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع. اللغة العربية هي اللغة الرسمية.

مادة 5: نظام الحكم في فلسطين نظام ديمقراطي نيابي يعتمد على التعددية السياسية والحزبية وي منتخب فيه رئيس السلطة الوطنية انتخاباً مباشراً من قبل الشعب وتكون الحكومة مسؤولة أمام الرئيس والمجلس التشريعي الفلسطيني.

---

<sup>660</sup> راجع موقع الجهاد الإسلامي <https://jehad.ps/>

مادة 6: مبدأ سيادة القانون أساس الحكم في فلسطين، وتخضع للقانون جميع السلطات والأجهزة والهيئات والمؤسسات والأشخاص.

مادة 7: الجنسية الفلسطينية تنظم بقانون.

مادة 8: يكون علم فلسطين بالألوان الأربعة والأبعاد والمقاييس المعتمدة من منظمة التحرير الفلسطينية هو العلم الرسمي للبلاد.

مادة 21: يقوم النظام الاقتصادي في فلسطين على أساس مبادئ الاقتصاد الحر. ويجوز للسلطة التنفيذية إنشاء شركات عامة تنظم بقانون. حرية النشاط الاقتصادي مكفولة، وينظم القانون قواعد الإشراف عليها وحدودها. الملكية الخاصة مصونة، ولا تنزع الملكية ولا يتم الاستيلاء على العقارات أو المنشآت إلا للمنفعة العامة وفقاً للقانون في مقابل تعويض عادل أو بوجب حكم قضائي. لا مصادر إلا بحكم قضائي.

مادة 34: ينتخب رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية انتخاباً عاماً و مباشرأً من الشعب الفلسطيني وفقاً لأحكام قانون الانتخابات الفلسطيني.

مادة 35: يؤدي الرئيس قبل مباشرة مهام منصبه اليمين التالية أمام المجلس التشريعي بحضور رئيس المجلس الوطني ورئيس المحكمة العليا (أقسم بالله العظيم أن أكون مخلصاً للوطن ومقدساته، وللشعب وتراثه القومي، وأن أحترم النظام الدستوري والقانون، وأن أرعى مصالح الشعب الفلسطيني رعاية كاملة، والله على ما أقول شهيد).

مادة 36: مدة رئاسة السلطة الوطنية الفلسطينية هي أربع سنوات، ويحق للرئيس ترشيح نفسه لفترة رئاسية ثانية على أن لا يشغل منصب الرئاسة أكثر من دورتين متتاليتين.

مادة 41: يصدر رئيس السلطة الوطنية القوانين بعد إقرارها من المجلس التشريعي الفلسطيني خلال ثلاثة أيام من تاريخ إحالتها إليه، وله أن يعيدها إلى المجلس خلال ذات الأجل مشفوعة بلاحظاته وأسباب اعتراضه وإلا اعتبرت مصدراً وتنشر فوراً في الجريدة الرسمية. إذا رد رئيس السلطة الوطنية مشروع القانون إلى المجلس التشريعي وفقاً للأجل والشروط الواردة في الفقرة

السابقة تُعاد مناقشته ثانية في المجلس التشريعي، فإذا أقرّه ثانية بأغلبية ثلثي أعضائه اعتبر قانوناً<sup>661</sup> وينشر فوراً في الجريدة الرسمية.

---

<sup>661</sup> راجع موقع الجزيرة

<http://www.aljazeera.net/news/arabic/2007/7/18/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B3%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A>

خاتمة



مع بداية العقد الثاني من الألفية الجديدة كان مقدّراً للساحة العربية أن تشهد تحولات جذرية وتقلبات ستُعرف بالربيع العربي. وقد انطلقت أحداث هذا الربيع العربي لتعلن رسمياً وفاة النظام الرسمي العربي الذي ساد في المنطقة عقب انهيار الدولة العثمانية. وقد بدأت التظاهرات في تونس ضد حكم الرئيس السابق زين العابدين بن علي، وذلك في شهر كانون الأول من العام 2010، ثم ما لبثت أن انتقلت شرارة التظاهرات إلى كلٍ من مصر ولibia واليمن ووصلت سوريا، معلنة مصطلحاً جديداً "الربيع العربي"، حيث ظنّ كثيرون أنه بداية الطريق إلى نشر الديمقراطية المبتغاة في الوطن العربي. هذه التظاهرات لم تهدأ إلا بعد إطاحة معمر القذافي في ليبيا، وحسني مبارك في مصر، وبين علي في تونس، بينما الصراع إلى الآن ما يزال مستمراً في سوريا.

لكن، "الربيع العربي"، لم يبقى منحصراً ضمن المنطقة العربية، بل تعدّاها إلى أوكرانيا شمالاً وجنوباً إلى القرن الأفريقي، وذلك نتيجة لمتغيرات وتطورات إقليمية ودولية، فمع الوقت تبين أن "الربيع العربي" ما هو إلا شكل آخر من أشكال الصراع بين القوى العظمى، سببه التغيرات التي طرأت على المنظومة الدولية والتحول في نظامها العالمي من نظام أحادي القطب تُسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية إلى نظام جديد متعدد الأقطاب.

## الشرق الأوسط المعاصر

والجدير ذكره أن الخريطة الجيوسياسية الحالية للعالم العربي كانت قد نتجت عن خسارة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى وانهيار ما تبقى من إمبراطوريتهم، والتي كانت من نتاجها اتفاقية سايكس - بيكو، وبناء عليها تقسم كلٌ من الإنكليز والفرنسيين تركة الرجل المريض (تركيا)، فنتج عنها النظام الإقليمي الموجود في منطقتنا العربية الآن، حيث بسط الإنكليز نفوذهم بالكامل على الجزيرة العربية، واكتفوا بانتدابهم على كلٍ من فلسطين والأردن وال العراق، في حين هيمّن الفرنسيون على كلٍ من لبنان وسوريا وذلك وفق اتفاقية سايكس - بيكو.<sup>662</sup> كذلك وقع في النصف

---

Zeine Zeine, *The Struggle for Arab Independence* Beirut: Khayat, 1960. <sup>662</sup>

الثاني من القرن التاسع عشر، السودان ومصر تحت الاحتلال البريطاني الاستعماري، في حين امتد الاستعمار الفرنسي ليطال كلاً من تونس والجزائر والمغرب.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن الأنظمة التي تشكلت في منطقتنا العربية لا تمثل المخطط البريطاني والفرنسي الاستعماري، وإنما جاءت نتيجة اصطداماً مشوّعهما الاستعماري مع المعارضة الوطنية في تلك البلدان التي رضخت تحت الاحتلال البريطاني والفرنسي الاستعماري، فحالت دون تحقيق هذا الأمر، إذ كانت بريطانيا ترغب في تقسيم العراق ثلاثة دواليات:

- في الجنوب، دولة شيعية.
- في الوسط، دولة سنية.
- في الشمال، دولة كردية.

في حين كان المخطط الفرنسي يقوم على تقسيم سوريا أربعة دواليات:

- في جبل الدروز، تُقام دولة درزية.
- في حلب ودمشق، تُقام دولتان سنية.
- وفي الساحل، تُقام دولة علوية.<sup>663</sup>

ومع بدء تحرّر البلدان العربية من الاستعمارين الإنكليزي والفرنسي، كانت "إسرائيل" تُقيم دولتها في فلسطين من خلال تهجير معظم شعبها وُعرف هذا العام بعام نكبة فلسطين 1948.

في هذا الوقت كانت مصر تقود حركات التحرّر ليس فقط في البلدان العربية وإنما في أفريقيا، فتتّجّع عنه تحرّر غالبية أقطارها من نير الاستعمار. لكن، مشروع التحرّر العربي ما لبث أن اصطدم بالمشروع الأميركي الصاعد الطامح إلى بناء إمبراطوريته خارج حدوده، خاصة بعد اغتيال الرئيس الأميركي جون كينيدي وذلك في العام 1963، فانعكس سلباً على حركات التحرّر التي تراجعت أمامه، وكان من نتائجها أن وقعت معظم الدول العربية تحت السيطرة

---

Michael Province, *The Great Syrian Revolt, and the Rise of Arab Nationalism* Austin: University of Texas Press, 2005, p. 17. <sup>663</sup>

الأميركية، في حين نجت كُلٌ من سوريا ولibia واليمن الذين فضلوا الانحياز والاتجاه إلى المعسكر الاشتراكي وذلك في فترة الحرب الباردة.

وبعد هزيمة كُلٍ من الاتحاد السوفيافي وكتلة الدول الاشتراكية وانهيارهما في الحرب الباردة العام 1991، نتج عنها أن تزعمت الولايات المتحدة الأميركيّة العاّم، دون وجود تَدِيُّوازِيَّها في هذا المجال. لكن، واشنطن كانت متيقنة من أن هناك عدداً آخر من القوى كروسيا والصين واليابان والبرازيل والهند تسير في دربها لتأخذ دورها في تبوء مركز دولي، لذا، كان لهم الوحيدة للقادة الأميركيّين في البيت الأبيض هو العمل على الحفاظ أن تكون بلادهم هي المترّعة على الأقوى والقائد الأول للعام.

ونسلط الضوء هنا على التفكير الجيوسياسي الأميركي، الذي كان مؤمناً ومتأثراً بفكرة أن الولايات المتحدة هي وريثة بريطانيا من خلال قوتها البحريّة وبسط سيادتها على البحار والمحيطات، وبرز هذا بشكل واضح في اعتقاد الأدميرال الأميركي الشهير ألفريد ثاير ماهان.<sup>664</sup>

التفكير الأميركي تأثر أيضاً بالعالم البريطاني الشهير هالفورد ماكيندر من خلال نظرياته الجيوسياسيّة، مثل اعتقاده أنَّ من يُسيطر على أوراسيا يستطيع السيطرة على كُلِّ العالم، ونجد في مقالته الشهيرة التي تحدث فيها عن المحور الجغرافي للتاريخ ما يوضح ذلك، فروسيا تقع في قلب أوراسيا، وقد كانت برأيه مهداً لصعود وقيام إمبراطوريات كبرى بريّة عبر التاريخ، والتي كانت تقوم بفرض سيطرتها على كامل الأراضي الأوراسية، مما شَكَّل تهديداً في وجه القوى البحريّة والتي كان آخرها بريطانيا وذلك تمهيداً لاحتلالها، لذا يرى ماكيندر أنه يجب أن لا تتوحد أوراسيا كي لا تشكل قوة موحدة، كما يجب العمل على عدم وصول أية قوة بريّة متمركزة في أوراسيا إلى طرقات المواصلات البحريّة، وهذا يأْتِي خدمة لحماية المصالح البريطانيّة.<sup>665</sup>

تفكير ماكيندر هذا، جاء من خلال تأثّره بـمفكريِّن جيوسياسيين أميركيين، أبرزهم: نيكولاوس سبيكمان، الذي عَبَّرَ من خلال كتاباته في فترة الحرب العالمية الثانية عن هذه الفكرة والخطر

Alfred Thayer Mahan, *The Influence of Sea Power Upon History: 1660 – 1783*, Boston: Brown and <sup>664</sup> Company, 1918, P iii.

Halford Mackinder: *The Geographical Pivot of History*, the geographical journal, vol 170, no 4, <sup>665</sup> december 1904, p.p. 298 – 300.

الذي يحيط بالولايات المتحدة الأمريكية ويهدد تفرد زعامتها للعالم وعزلها في القارة الأمريكية الشمالية ومحاصرة بآعدائها من الغرب والشرق، إن هي تركت أوراسيا تتحدد وتشكل قوة عظمى في موازاتها، وحدد سبيكمان حسب رؤيته للتهديد أنه يمكن أن يأتي من مناطق الأطراف المجاورة لروسيا.<sup>666</sup>

في المقابل رأى المستشار السابق للأمن القومي الأميركي في عهد الرئيس جيمي كارتر، زبغنيو بريجينسكي، أن الولايات المتحدة كي تُحافظ على مكانتها في تزعم العالم، يتوجب عليها إبقاء أوروبا الغربية ضمن نطاق سيطرتها باعتبارها صلة الوصل وطريق عبور لواشنطن إلى الأراضي الأوراسية. كما أكد بريجينسكي منع أية قوى أوراسية من السيطرة على الشرق الأوسط ومناطق وسط آسيا، وإلى عدم خروج الولايات المتحدة منها، وأن تبقى المرجع الوحيد في القضايا الشائكة المتعلقة بها، وتعود لواشنطن فقط الكلمة الفصل في كل يتعلق بها من قضايا.<sup>667</sup>

## صعود الصين

أدركت الصين ومنذ القدم أهمية بحر جنوب الصين، والذي يقع من الجنوب الشرقي منها. وفي الوقت نفسه كانت تنظر أيضاً ببالغ الأهمية تجاه وسط آسيا التي تمثل نقطة التقاء للمواصلات التجارية البرية والذي سُمي اصطلاحاً "طريق الحرير". كما شكل المغول قوة بارزة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر والذي يُعتبر عاملاً مهماً في صعود الصين وهيمتها الدولية. ومن أجل هذا السبب يخشى الغرب من توحد أوراسيا، فقد شكل المغول تهديداً مخيفاً لأوروبا الغربية من خلال فرض سيطرتهم عليها، لكن، توقفت حدود سيطرتهم في المجر. لكن، بعد أن أطاح مؤسس أسرة مينغ بالإمبراطورية المغولية، ظلت الصين في عزلة تامة حتى بدايات القرن التاسع عشر.

وفي منتصف القرن الثامن عشر أي في العام 1840، قامت بريطانيا بشنّ حرب على الصين من أجل بيع الأفيون الذي تنتجه المستعمرات البريطانية في الأسواق الصينية، مما أسفر عن رضوخ الصين

---

Nicholas Spykman, America's Strategy in World Politics-The United States and the Balance of Power, <sup>666</sup>  
New Brunswick, Transaction Publishers, 2008, p. 59.

Zbigniew Brzezinski, The Grand Chessboard, American Primacy and its Geostrategic Imperatives XIV. <sup>667</sup>

تحت السيطرة الغربية وسمى هذا القرن بـ"قرن الذل".<sup>668</sup> الذي انتهى مع الانتصارات التي حققتها الثورة الصينية في العام 1949، التي قادها ماو تسي تونغ. وبإعلان قيام جمهورية الصين الشعبية، عادت الصين لتأخذ مكانها على الخريطة الدولية، لكن، خروجها الحقيقي للعالم لم يكن إلا في العام 1976، أي بعد وفاة ماو. ووصول دينغ كسياو بينغ لتولي القيادة بعده في العام 1978 الذي عمل على توطيد علاقته مع الولايات المتحدة الأمريكية من خلال الانفتاح عليها.<sup>669</sup>

و عمل دينغ على تنفيذ الخطة الاقتصادية التي وضعها شوين لاي في العام 1975، والتي تعتمد مبدأ التصنيع بعدها يتم الانتقال إلى التنمية المتوازنة والمتساوية، والتي تشمل: قطاع التكنولوجيا، قطاع الصناعة، قطاع الزراعة وقطاع الدفاع.<sup>670</sup>

كما تم العمل على إقامة وبناء مناطق اقتصادية تعتمد مبدأ الاقتصاد الحر المنفتح على الاقتصاد الدولي، وفي الفترة الممتدة من ثمانينيات القرن الماضي مما وتطور الاقتصاد الصيني فارتفعت في السنة معدلاته بين 8 و10 %، وانعكس ذلك على مداخيل الأفراد التي زادت بنسبة 80 %، وارتفع الإنتاج الصناعي الذي أصبح يشكل 50 % من إجمالي الناتج المحلي.<sup>671</sup> كما حققت الصين في العام 1992، فائضاً كبيراً في ميزانها التجاري مع الولايات المتحدة الأمريكية، وعملت وبالتالي على رفع احتياطها من العملات الأجنبية بما يقارب الـ 40 مليار دولار، الذي زاد في ما بعد إلى أضعاف هذا المبلغ.<sup>672</sup> وهذا ما مكن الصين في العام 1991 من الخروج بسلامة من الأزمة التي أصابت كتلة الدول الاشتراكية والتي كانت سبباً في انهيارها.

بعد أن ارتاحت الصين لوضعها الاقتصادي وجهت أنظارها نحو انطلاقتها السياسية، فقد كان لديها قلق وخسية تاريخية من وسط آسيا، وذلك بسبب كون وسط آسيا سبباً ل معظم الغزوات التي زعزت استقرار الصين والخسائر التي مُنيت بها عبر التاريخ، لكنها كانت في الوقت نفسه نقطة انطلاق هامة للصين لترسي دعائم تجاراتها في كامل البر الآسيوي والذي كان يُعرف بـ"طريق الحرير".

وبناء على ذلك عملت الصين بتأسيس "مجموعة الخمسة بالتعاون" مع طاجيكستان وقرغيزستان وكازاخستان وروسيا، والتي أصبح اسمها في العام 2001 "منظمة شنغهاي للتعاون" وذلك بعد أن

William T. Rowe, China's Last Empire: the Great Qing, Cambridge: Harvard University Press,2009, <sup>668</sup> p.172.

Chi Kwan Mark, China and the world since 1945, London: Routledge, 2011, p. 96. <sup>669</sup>

Alfred K. Ho, China's Reforms and Reformers, Westport: Praeger, 2004, p. 81. <sup>670</sup>

Chi Kwan Mark, p. 97. <sup>671</sup>

Alfred K. Ho, p. 82. <sup>672</sup>

انضمت لها أوزبكستان، وهدفها الأساسي يتمحور حول الحفاظ على الاستقرار والأمن في وسط آسيا، كما تعمل على التصدي لكل الحركات الانفصالية التي تنطلق منها.<sup>673</sup>

"منظمة شنخهاي" تأتي أهميتها في كون ربع سكان العالم يعيش فيها، بالإضافة إلى أنها تستحوذ على 60% من مساحة آسيا. وإذا وضعنا في الحسبان الدول التي تحمل صفة مراقب كإيران، وأفغانستان، والهند، وباكستان، فهذا يعني أن "منظمة شنخهاي" يسكنها حوالي نصف سكان العالم، وتستحوذ على 80% من مساحة أوراسيا. وقد قامت المنظمة بإنشاء هيئة مهتمة بمكافحة الإرهاب.<sup>674</sup>

وفي العام 2006، أرسلت الولايات المتحدة طلباً للانضمام إلى المنظمة فقوبلت بالرفض، بعدها حاولت أن تكون عضواً مراقباً فيها، لكن طلبها رُفض أيضاً. وهذا ما جعل المحللون يرجعون هذا الرفض إلى خشية كلٍ من روسيا والصين من أن تكون محاولة أميركية لتوغل وتبسيط نفوذها على وسط آسيا.<sup>675</sup>

ذكرنا سابقاً أن الصين مهتمة جداً بجنوب بحر الصين، فمن ناحية يُشكل نقطة التقاء المحيطين الهندي والهادئي، ومن ناحية أخرى يُعد المنفذ الوحيد للصين الذي يربطها بطرق مواصلات الملاحة البحرية.

لذلك تسعى الولايات المتحدة - حسب رأي محللين - إلى محاولة مدعّية سيطرتها على تلك المنطقة، من خلال إقامة علاقات مع البلدان التي تحيط بالصين والمشاطئة لها، مثل: كوريا الجنوبية واليابان، وذلك بغية وضع عراقيل أمام الصين ومنعها من الوصول إلى طرق مواصلات الملاحة البحرية.<sup>676</sup>

وفي سبيل منع صعود الصين ووقف نمو قوتها حتى لا تصبح من القوى العظمى في العالم، سعت الولايات المتحدة لافتعال أزمات للصين، فعمدت في شمال غرب الصين إلى تشجيع ودعم الحركات

---

Website of Shanghai Cooperation Organization at <sup>673</sup>  
<http://www.sectsco.org/EN123/brief.asp> accessed on 23 - 2 - 2015.

Website of Shanghai Cooperation Organization at <sup>674</sup>  
<http://www.sectsco.org/EN123/AntiTerrorism.asp> accessed on 23 - 2 - 2015.

Norling, Nicklas and Niklas Swanström. "The Shanghai Cooperation Organization, Trade, and the <sup>675</sup> Roles of Iran, India and Pakistan." *Central Asian Survey* Volume 26. Issue 3 2007: p.p.429-444, p.p. 429-432.

Robert D. Kaplan, Asia' Cauldron: The South China Sea and the End of a Stable Pacific, New York: <sup>676</sup> Random House, 2014

الانفصالية في جينجيانغ التي تقطنها غالبية مسلمة، وفي التبيت أيضاً. واشتعلت فتيل العنف بين الأئغور المسلمين والبوزيين الهان وحدثت بينهما مواجهات عنيفة في تموز 2009. وأرجعت الحكومة الصينية سبب هذه المواجهات إلى دعم وتشجيع كلٍ من الأفغانيين والباكستانيين للجماعات المتطرفة السلفية، ورداً عليها قام الحزب الشيوعي الصيني بإصدار بيانٍ أكد فيه أهمية استقرار الأمن في جينجيانغ، وأن المواجهات العنيفة التي حدثت، قامت بإذكائها جماعات متطرفة إرهابية.<sup>677</sup> وعلى إثر هذا البيان قامت ضد الصين مجموعة من الحملات المستغربة التي انتقدتها وقد وجهت إليها من الناطق باسم الخارجية الأمريكية إيان كيلي والمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل ورئيس الوزراء الأسترالي كيفين رود والأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون.<sup>678</sup>

المسؤولون الصينيون يرون أن واشنطن تعمل على افتعال مشاكل بينها وبين الدول المجاورة أو المشاطئة لها في جنوب بحر الصين. هذا الأمر جاء عبر الناطق باسم الخارجية الصينية هونغ لي في شباط 2014، الذي نفى جميع الاتهامات الأمريكية للصين، من خلال توجيهه أصابع الاتهام إلى الولايات المتحدة برفع حدة التوترات وافتعال الأزمات بهدف مُدّ نفوذها على منطقة جنوب بحر الصين.<sup>679</sup>

رد الصين على الولايات المتحدة لم يتوقف عند هذا الحد، وحسب، ففي آب الماضي أصدر مكتب وزير الخارجية الصيني وانغ يي، خلال "قمة آسيا"، بياناً طالب فيه واشنطن بعدم التدخل في منطقة جنوب بحر الصين وشؤونها. واستغرب البيان من قيام دول "غريبة عن المنطقة أن تثير المشكلات فيها". وتساءل، لماذا تُصر الولايات المتحدة على إشعال الفتن والاضطرابات والفوضى فيها، وهو الشيء نفسه الذي قام به في كلٍ من ليبيا والعراق وسوريا.<sup>680</sup> وبالرغم من ذلك لم يتوقف واشنطن عن التدخل حيث قام قائد مدمرة أميركية في نيسان 2015، باتهام الصين بإنشاء حواجز ضمن المناطق التي تُعتبر نقطة نزاع في بحر الصين، من أجل ضمّها إليها.<sup>681</sup>

"Xinjiang protesters to be punished 'with utmost severity'", TIBETAN review AUGUST 2009, p. 28. <sup>677</sup>  
UN Chief urges respect for right to protest, others follow suit, TIBETAN REVIEW AUGUST 2009, p. <sup>678</sup>

26.

China accuses US of adding to regional tensions, The Guardian, February 9 - 2014, at <sup>679</sup>  
<http://www.theguardian.com/world/2014/feb/09/china-accuses-us-south-china-sea> accessed on April 7, 2015.

US accused of inciting South China Sea tensions, RT, August 11, 2014, at [http://rt.com/usa/179512-680](http://rt.com/usa/179512-asean-kerry-wang-tensions/) accessed on April 7, 2015.

Saibal Dasgupta, US commander accuses China of creating artificial landmass in South China Sea, <sup>681</sup>  
The Times of India, April 3, 2015. At <http://timesofindia.indiatimes.com/world/china/US-commander-accuses-China-of-creating-artificial-landmass-in-South-China-Sea/articleshow/46790380.cms> accessed on April 7, 2015.

## صعود روسيا

عملت الصين على الإسراع إلى تشكين علاقتها بروسيا من خلال إقامة تحالف معها، وعلى وجه الخصوص فإن لدى موسكو شعوراً دائمًا باستهداف واشنطن لها، والغرب عامة. وتجدر الإشارة هنا، إلى أن الروس ومنذ تحرّرهم في العام 1380 في معركة كوليوكوفو، سكنهم هاجسان:

- الهاجس الأول، يتعلق بالأمن وضمان الحفاظ عليه في وسط آسيا، التي تُعدّ نقطة انطلاق للغزوات المغولية باتجاه روسيا.
- الهاجس الثاني، العمل على ضمان مقعدهم بين الدول الأوروبية.

وبرغم تراجع الروس من ساحة المواجهة مع واشنطن وانتهاء "الحرب الباردة"، إلا أنه لم يوقف الولايات المتحدة عند هذا الحد، لذا عملت مع الغرب بوضع سياسات اعتبرتها موسكو تهدّد أمنها القومي، كالبقاء على "حلف الناتو" الذي توسيّعه عضويته لتضم بلدانًا قريبة من روسيا في أوروبا الشرقية. وعملاً أيضاً على التوسيع في وسط آسيا ومنطقة القوقاز، الأمر الذي دفع موسكو للتقارب مع كل من إيران والصين اللتين أخذتا نصيبهما من سياسات واشنطن وحلفائها.

في هذا الوقت تسلّم فلاديمير بوتين منصب رئيس الوزراء في روسيا في العام 1999، وبعد استقالة الرئيس بوريس يلتسين بسبب مرضه، تولى بوتين رئاسة روسيا في بداية العام 2000.<sup>682</sup> الذي عمل على التقرّب من الصين وأنشأ معها "منظمة شنغهاي للتعاون". وعندما قام الأميركيون باجتياح العراق في العام 2003 عارضهم بوتين. وفي عامي 2003 و2005 دعمت واشنطن الانقلابات التي حصلت في جورجيا وأوكرانيا وقرغيزستان، وطالب الرئيس الأوكراني يوتشينيكو الذي كان مواليًّا للغرب بالانضمام إلى "حلف الناتو"، الأمر الذي أزعج الروس واعتبروه يمسّ أمنهم القومي. وجاء الرد الروسي في العام 2008، من خلال ضربة عسكرية روسية ضد جورجيا، وإبعادها عن التنافس الحاصل بين واشنطن وموسكو في القوقاز. وفي أوكرانيا العام 2010، دعمت روسيا حليفها ميخائيل يانوكوفيتش مما أدى إلى وضع العرّاقيل والعوائق أمام أوكرانيا في انضمامها لـ "حلف الناتو" و"الاتحاد الأوروبي". لكن، في العام 2014، دعمت واشنطن بالتعاون مع الأوروبيين الانقلاب ضد

---

Charles J. Shields, Vladimir Putin, New York: Chelsea House Publishers, 2007, p.p. 50 – 59. <sup>682</sup>

يانوكوفيتش الأمر الذي ساهم دخول أوكرانيا في أزمة، خاصة بعد أن عمل أركان النظام الجديد على المطالبة في الإسراع لانضمام أوكرانيا إلى "الاتحاد الأوروبي" و"الناتو". في المقابل دعمت موسكو المعارضة التي قامت في شرق البلاد، بالإضافة إلى دعمها جمهورية القرم التي طالبت بالاستقلال، وفي ما بعد طالب قاطنوها بانضمامهم إلى روسيا.

و عملت روسيا والصين في محاولة منها لكسر عزتهم وإحباط مخططات واشنطن لحصرهما في البر الأوروبي على الانضمام إلى "دول منظمة البريكس" مع جنوب أفريقيا والبرازيل والهند، التي تعمل على الوقوف في وجه النفوذ الأميركي وسيطرته على العالم.

وتأتي أهمية البرازيل والهند وجنوب أفريقيا في كونها واقعة على الطريق الذي سار فيه ماجلان وذلك قبل خمسة قرون، مما يساعدنا في توضيح مواقف روسيا والصين اللتين تواجهان السيطرة الغربية وهيمتها في منطقة أوراسيا، وفي الوقت نفسه تقومان بسلوك طريق ماجلان نفسه بالاتفاق وتطويق أماكن نفوذ واشنطن والقواعد العسكرية، والوصول إلى طرق مواصلات الملاحة البحرية في الوقت ذاته.

## صعود إيران

سنتحدث هنا عن قوة أخرى آسيوية، بُرِزَ نجمها في العقدين الأخيرين وهي إيران. فقد كانت الإمبراطوريات التي تحكم وتبسط نفوذها على الهضبة الفارسية تسعى للعب دور نقطة الالتقاء والوصول بين شرق المتوسط وشرق آسيا، مما ينعكس على ازدهارها، في حين كان دورها يضعف ويتراجع تحت وطأة أزماتها الداخلية.

و كانت إيران تُعد نقطة التقاء أو صلة وصل بين شرق المتوسط والصين المغولية، ولعبت دوراً كبيراً في ذلك خاصة بعد تحالفها مع مملكة أرمينيا الصغرى الواقعة في منطقة كليكيا في شمال سوريا. في المقابل كان هناك تحالف اقتصادي معارض لهما قائم بين مغول الجحافل الذهبية في منطقة جنوب روسيا، ومغول الشغتاي في منطقة وسط آسيا، وبين المماليك في مصر.<sup>683</sup> التي كانت تربط طرقات التجارة البحرية الواسعة بين شرق المتوسط والبحر الأسود من جهة، وبين جنوب شرق آسيا والمحيط الهندي والبحر الأحمر من جهة أخرى. وكانت بلاد الشام تُشكل نقطة تقاطع لطرقات

---

Spuler, The Mongol Period. New York: markus Weiner Pub, 1994, p. 23.<sup>683</sup>

التجارة البرية والبحرية التي تهيمن عليها وتحكم بها كُلُّ من إيران والصين. وربما لهذا السبب يعود الصراع الذي استمر طويلاً، قرابة القرن، بين المماليك في مصر وال Tartar في إيران على بلاد الشام.<sup>684</sup>

وقد حاولت إيران في زمن الشاه محمد بهلوي، العودة إلى أن يكون لها دور إقليمي، وذلك عبر كونها عضواً في "حلف بغداد"، لكن هذا الدور بقي تحت المظلة الغربية. وفي العام 1979، حدثت الثورة الإسلامية في إيران التي مكنتها من استعاد مكانتها على الخريطة الإقليمية حيث كانت نقطة وصل أو جسر عبور بين مناطق شرق المتوسط ومناطق شرق آسيا، متزامناً مع تسلم دينغ كسياو بينغ سدة الحكم في الصين الذي عمل على إخراجها من عزتها. لكن هذا الأمر لم يُعجب الولايات المتحدة التي حاولت زرع الاضطرابات والفتنة والفوبي في إيران من خلال دفعها للرئيس العراقي صدام حسين لمحاربتها في حرب استمرت ثمان سنوات وأدت إلى إنهاك كُلِّ من إيران وال العراق. وفرضت واشنطن عليها الحصار، لكن طهران استطاعت برغم ذلك من أن تقيم تحالفات مع سوريا. كما عملت على إقامة علاقات مع روسيا والصين للوقوف في وجه الأطماع الأمريكية وسيطرتها على العالم، وذلك بعد تفكك الاتحاد السوفيتي.

## الولايات المتحدة والألفية الجديدة

مع بداية القرن الحادي والعشرين وجد الأميركيون أنفسهم أمام تحديات مصرية من حيث حسم أمر زعمتهم وهيمنته على العالم من دون وجود نِدٍ لهم. لذا كان موضوع الإرهاب حاجة ماسة لواشنطن تستخدماها كورقة رابحة من أجل تكين سيطرتها على الشرق الأوسط. وكما فعلت ألمانيا حين شنت حربها على بولندا متخذة من خدعة قام بها جنود المان في أيلول 1939، ارتدوا لباس جنود بولنديين، سبباً لحربيهم ضدها، كذلك اتخذت واشنطن من مخطط الهجمات التي تمت على برجي التجارة في مدينة نيويورك في الحادي عشر من أيلول 2001، ذريعة لإعلان حربها على الإرهاب ومحارمة أفغانستان وال العراق. الذي أعطى للولايات المتحدة دافعاً لتشييد سيطرتها في الشرق الأوسط بشكل أعمق وكذلك لتحكم بالنفط، ثم عملت بعدها على تنفيذ خطوطها التالية والتي تتمثل في العمل على إسقاط نظامي دمشق وطهران، أو على الأقل العمل على ترويضهما وإخضاعهما للإرادة الأمريكية و سياساتها في المنطقة، حتى تكون سيطرتها كاملة على الشرق الأوسط.

---

Ibid, p.p. 26-27. <sup>684</sup>

فالمخطط الأميركي يهدف إلى بسط نفوذه على كامل الشرق الأوسط وحتى الصين، محققاً بذلك أهدافاً عدّة، منها:

- أن الأميركيين من خلال بسط نفوذهم على هذه المنطقة الحيوية سيتمكنون من عزل أوروبا عن القارة الأفريقية.
- العمل على منع إقامة أي تقارب بين روسيا وأوروبا.
- وضع العرّاقيل أمام موسكو حتى لا تقيم أي صلات علاقية مع دول الخليج العربي.

ولم يكن انسحاب إسرائيل من الجنوب اللبناني عام 2000 إلا تحضيراً لإصدار القرار 1559، وإبعاد المقاومة اللبنانية "حزب الله" عن حدودها، هذا القرار الذي صدر بعد 4 سنوات داعياً سورياً أن تسحب قواتها من لبنان.

أما فرنسا فقد تحولت بعد 2004، من خط مواجهة واشنطن إلى دولة تمشي في الركب الأميركي وداعمة قراراتها، وذلك بعد رهانها الخاسر على صمود العراق بوجه الغزو الأميركي مما سيضطر واشنطن على طلب مساعدة باريس للخروج من المأزق العراقي، ولكن هذا لم يحصل وسقط العراق<sup>685</sup>، بعد أن استطاع الأميركيون أن يحسّمو المعركة لصالحهم، وسارع الرئيس الأميركي جورج بوش إلى مقاطعة الرئيس الفرنسي جاك شيراك والعمل على عزله دولياً.<sup>686</sup> ومع مرور الوقت زادت حدة المقاومة العراقية وعملياتها ضد الجيش الأميركي، مما دفع بالرئيس الأميركي بوش إلى طلب العون من شيراك ودعمه من أجل إعطاء التحالف الدولي غطاء شرعياً للاحتلال الأميركي للعراق. بعدها أصبحت هناك قناعة أميركية بأن باستطاعة باريس أن تُفْيِد واشنطن في تنفيذ مشروعها في الشرق الأوسط، في المقابل تطلق واشنطن يد فرنسا في لبنان وسوريا.<sup>687</sup>

وعند بلوغ بشار الأسد في سوريا سدة الحكم في العام 2000، كان شيراك من الداعمين له، بخية جعله ينسحب من لبنان ويرفع وصايتها عنه، كما حاول شيراك إقناع الحكومة السورية بالتخلي عن علاقتها بطهران.<sup>688</sup> وجاء الرد السوري عليه بالتمديد 3 أعوام للرئيس إميل لحود، وإجهاض كل محاولات الحريري في تشكيل حكومة، وتقديم كل الدعم الكافي للرئيس عمر كرامي ليقوم

---

Vincent Nouzille, *Dans le Secret Des Presidents*, Paris: Fayard, 2010, p.p. 395-408. <sup>685</sup>

Vincent Nouzille, p.p. 409-419. <sup>686</sup>

Vincent Nouzille, p.p. 444-449. <sup>687</sup>

Vincent Nouzille, p.p. 450-451. <sup>688</sup>

بتأليف الحكومة اللبنانية، لكن وتيرة الأحداث تغيّرت وانقلبت رأساً على عقب، بعدما تم في 14 شباط 2005، اغتيال الرئيس الحريري، واتهام سوريا بذلك، وبعدها أكملت واشنطن مخططاتها في المنطقة بحرب "إسرائيل" على لبنان في تموز 2006، والذي تصدّت له المقاومة اللبنانية المتمثّلة بـ"حزب الله" ورد العدوان الإسرائيلي وانتصر عليه.

في الواقع نجد أن النصر الأميركي في العراق وأفغانستان لم يكن كاملاً وحاسمًا، فما قامت به واشنطن خلال "الحرب الباردة" وحروبها غير المتكافئة أمام السوفيات، قد تعلّمت منه القوى الأخرى المعارضة لسياسات البيت الأبيض، وارتكتت عليه لوضع العوائق في وجه المخطط الأميركي، لذلك قامت كل من طهران ودمشق بتقديم كافة الدعم للمقاومة العراقية ليجعلوا الولايات المتحدة تدفع ثمناً باهظاً بعدها على العراق. كما قامت موسكو بدعم الانقلابات التي قامت في جورجيا، ضد الرئيس ميخائيل ساكاشفيلي، كذلك أطاحت في أوكرانيا بـ فيكتور يوشينكو. وقد تزامنت هذه الأحداث مع الأزمة الاقتصادية التي ضربت الولايات المتحدة، والتي ساهمت في مجيء باراك أوباما إلى السلطة، الذي ساهم في فهم الأميركيين لقدراتهم المحدودة، وفي محاولة تخفيف أعباء حربهم على العراق عملوا على الوصول إلى صيغة اتفاق سياسي بالتوافق مع حكومة عراقية تكون موالية لواشنطن، حتى يستطيعوا من إحكام قبضتهم على أفغانستان.

ويمكن من خلال التقرير الذي صدر عن مجلس الأمن القومي الأميركي أن يعطينا التوجهات الأميركيّة في المنطقة، حيث تم إبعاد الإسلام عن استهدافاته، مع الإبقاء على "تنظيم القاعدة" كعدو يجب العمل على محاربته واستئصاله.

عملت إيران الشيعية من القرن السادس عشر وحتى بدايات القرن التاسع عشر على احتواء الدولة العثمانية السنّية، فلماذا لا تقوم تركيا باحتواء الثورة الإسلامية في إيران؟

في الواقع هناك دور مهم لتركيا الإسلامية في نظر واشنطن لتلعبه في المنطقة، فهذا سيجعلها في مقابلة "إسلام" إيران، وستنحاز الفئة الغالبة من السنة إلى تركيا، هذا الأمر لم تستطع السعودية أن تتحققه. كما سينجذب إليها إسلاميو مصر والسودان، ونكون هنا قد وصلنا إلى الهدف الأكبر، وهو أن السودان أقام مؤخراً تحالفات اقتصادية مع الصين التي وجدت فيه نقطة انطلاق لها في أفريقيا، ومن خلال الدعم المبطن الذي قدمته الصين للبشير استطاع أن يتصدى لكافة الضغوط الغربية. والسؤال هنا، أن الولايات المتحدة الأميركيّة لم تستطع ب رغم الضغوط الغربية التي مارستها لـإسقاط البشير، فلماذا لا تعمل واشنطن على الاستفادة من إسلاميّي السودان بقيادة حسن الترابي من أجل وضع العراقيّل ووقف التمدد الصيني في أفريقيا؟

في العام 2002، وصل حزب العدالة والتنمية سدة الحكم في تركيا، معلنًا بذلك حصول تغيير في السياسة التي سنتهجها مستقبلاً، وفي الفترة التي تلت "الحرب الباردة"، كان أبرز الذين رسموا ملامح سياستها الجديدة، أحمد داود أوغلو وزير الخارجية التركي، الذي فيما بعد تسلم رئاسة الوزراء. إذ برأيه يجب على تركيا الخروج من عزلتها التي عاشتها في فترة إقامة الجمهورية، والانطلاق إلى ممارسة دورها الإقليمي عبر سياستها الخارجية لتكون أكثر فعالية وديناميكية،<sup>689</sup> كما يتوجب على تركيا الحفاظ على وجودها في تراقيا من خلال الدفاع عن مدينة إسطنبول. وهذا الأمر لا يقتصر على حدودها مع كل من بلغاريا واليونان وإنما يتخطاها إلى البحر الأدربياتيكي، لذا يتوجب على أنقرة العمل على توطيد علاقتها مع كل من البوسنة وكوسوفو وألبانيا، التي تُعد بنظره نقطة انطلاق للنفوذ التركي لبسط سيطرته على البلقان.<sup>690</sup> وهو يرى أيضًا أن شرق الأناضول ودفاع تركيا عنه لا يحتم عليهم الاكتفاء بالوقوف على مشارف حدودهم مع دولة أرمينيا ودولة إيران، بل يجب أن يبدأ هذا الأمر انطلاقاً من بحر قزوين غرباً، لذا ولكي يكون هناك تأثير لتركيا واليد العليا في منطقة القوقاز يجب أن تتخذ من أذربيجان نقطة انطلاق لتحقيق ذلك.<sup>691</sup> بالإضافة إلى أنه يعتقد أن الحفاظ على استقرار شرق الأناضول، لا يكون فحسب مقتضياً على حدود تركيا مع كل من العراق وسوريا، وإنما يمتد ليشمل العراق شماليًّاً كركوك والموصى إلى الشمال السوري. أما الشرق الأوسط فهو يُعد في نظره "الحديقة الخلفية" لأنقرة والتي يحثها إلى ضرورة أن تكون اللاعب الأساسي فيه،<sup>692</sup> وتقيممه للوضع هذا في رأيه ينسجم ويتلاءم مع المصالح الجيواستراتيجية التي تبتغيها واشنطن وتسعى إليها في المنطقة، لذلك يجد في سوريا بوابة العبور والمدخل الرئيس لعودة تركيا إلى الشرق الأوسط من جديد.

قامت "إسرائيل" في شتاء العام 2008 – 2009، بحملات عسكرية عدة ضد قطاع غزة، استهدفت فيها حركة حماس للقضاء عليها، وذلك بسبب دعم إيران لها، وخوفها مما تشكله حركة حماس من مقاومة ضدها، مما يُجهض كل المحاولات الإسرائيلية التي تقوم بها من أجل فرض سلام مشروط على الفلسطينيين، وسط دعم أميريكي لهذا العدوان، الذين كانوا يرون أن دعم إيران لحماس هو محاولة لاختراق هذه الجبهة التي تعمل واشنطن على منع وإيقاف التمدد الصيني والروسي

<sup>689</sup> أحمد داود أوغلو، العمق الاستراتيجي، موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة محمد ثلجي وطارق عبد الجليل، الدوحة: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010، ص.ص. 81-75.

<sup>690</sup> أحمد داود أوغلو، العمق الاستراتيجي، ص.ص. 146-150.

<sup>691</sup> أحمد داود أوغلو، العمق الاستراتيجي، ص.ص. 150-155.

<sup>692</sup> أحمد داود أوغلو، العمق الاستراتيجي، ص.ص. 155-158.

إليها من خلال إيران إلى منطقة البحر المتوسط ووصولهما إلى المياه الدافئة. وذلك بعدها استطاعت إيران على المستوى الاستراتيجي من أن تصل إلى البحر الأحمر والبحر المتوسط، من خلال إقامتها تحالفات مع حزب الله وسوريا. يُضاف إليها دعمها لحماس مما يجعلها تُمكِّن وجودها على البحر المتوسط، كذلك في اليمن، حيث شُكِّل وقوفها ودعمها للحوثيين في تمردهم ضد الرئيس علي عبدالله صالح وعجز السلطات اليمنية وال Saudية عن القضاء عليهم، ألقى الأميركيين على وجودهم في البحرين الأحمر والمتوسط. إذ ترى واشنطن أنه يمكن أن يتحول إلى نقطة انطلاق لطهران والصين لتمكين علاقتها بالسودان وتقويتها بحيث سيكون نقطة عبور إلى داخل أفريقيا.

القلق الأميركي لم يقتصر على الأميركيين، وإنما تعداه إلى مصر مبارك، الذي شاركهم هذا القلق خلال فترة حكمه الممتدة من العام 1981 إلى العام 2011. إذ تراجع في تلك الفترة الدور المصري في المشرق العربي، كما أن الحرب الأهلية التي ضربت الصومال كانت عاملاً أساسياً في تهديد أمن واستقرار القرن الأفريقي الذي تعتبره مصر امتداداً لأمنها القومي. يضاف إليه الاقتتال الذي حدث على ضفاف بحيرة فكتوريا بين رواندا وبروندي، وهدّد وبالتالي منابع النيل، والذي انتهى بخسارة الهوتو الذين كانوا حلفاء الفرنسيين والمصريين، وانتصار التوسي، الذين كانت تدعمهم "إسرائيل" والولايات المتحدة. ويشجع من تل أبيب عمدت أريتريا إلى وضع يدها على جزيرة "гиниш الكبري" التابعة لليمن واحتلالها، مما زاد في ارتفاع منسوب التهديد لأمن البحر الأحمر. يُزداد عليه الحصار الذي فُرض على دولة ليبيا في فترة التسعينيات والذي عُدَّ أيضاً إضراراً بالأمن القومي الواقع غرباً في شمال القارة الأفريقية.

والأمر لم يتوقف عند هذا الحد، فقد حدث في يناير 2011، إجراء الاستفتاء على المطالبة باستقلال "جنوب السودان" وانفصاله عن السودان، وقد صوّت الغالبية الساحقة داعمة هذا الانفصال، الذي جاء نتيجة للضغوط الأميركيّة بهدف تحجيم الدور المصري والعمل على الفصل بين الدول الواقعة في شمال أفريقيا والدول الواقعة في جنوب الصحراء الكبرى، ثم جرى بعدها العمل على فصل إقليم دارفور الذي يحتوي كميات كبيرة من النفط، عن السودان، على أن تكون الخطوة التالية هي منطقة شرق السودان التي تعد امتداداً لمصر من ناحية المنطقة الجنوبية الشرقية. هذه الأحداث تزامنت أيضاً مع مطالبة الدول المطلة على نهر النيل بأن تكون حصتها من مياهه أكبر من المعتاد، وذلك دون أن تعود بهذا الأمر إلى السودان ومصر، التي يعني فيها المصريون من تدني مستوى المعيشة المتأتى من السياسات الاقتصادية النيوليبرالية التي كان يعتمدها الفريق القريب جداً من جمال مبارك، ابن الرئيس المصري.

شكل تراكم جميع هذه العوامل سبباً رئيسياً لانفجار أحداث 25 كانون الثاني العام 2011. كما كان سقوط نظام زين العابدين في تونس في تاريخ 14 كانون الثاني، دافعاً للشباب المصري على الاستمرار في تنظيم تحركاتهم في الشارع وإصرارهم في المطالبة على تنحّي الرئيس حسني مبارك عن السلطة. ما حدث في مصر من ثورة ضد مبارك، أربك البيت الأبيض وجعله يشعر بالقلق لأسابيع عدّة. وهذا ما دفعه للتحرك بسرعة للإمساك بزمام الأمور واحتواء الاحتتجاجات الشعبية المصرية، حتى لا تخرج مصر من سيطرته عليها. وقام المجلس العسكري المصري من خلال إجبار نائب الرئيس عمر سليمان بالإعلان في بيان تنحّي الرئيس حسني مبارك عن حكم مصر وذلك في الحادي عشر من شهر شباط. هذا الإعلان كان مفاجئاً لمبارك نفسه، ثم قام المجلس العسكري بتسلّم مقايلد الحكم وعمل على التنسيق والمشاورة مع جماعة "الإخوان المسلمين" بالإضافة إلى الجماعات السلفية من أجل السيطرة على الشارع المصري، وقد عملت الرياض على تقديم الدعم لحركة "الإخوان المسلمين"، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الحركات السلفية من خلال إعطائهما مبالغ مالية طائلة.

أمام هذه التطورات على الساحة المصرية، كان لا بد لواشنطن أن تسارع وتحرك على الصعيد الإقليمي، وذلك كي لا تنتقل "العدوى المصرية" والاحتجاجات إلى بلدان أخرى موالية لسياسات الولايات المتحدة. فقد بدأت الاحتجاجات في شوارع كل من البحرين والأردن والسعودية وسلطنة عمان، وهذا يُشكّل تهديداً للوجود الأميركي ونفوذه في الشرق الأوسط، فعمدت واشنطن على مداواة النار بالنار من خلال تشجيع ودعم التحركات المعارضة الأخرى في البلدان التي تقع ضمن حدود الأمن القومي المصري مثل سوريا واليمن ولibia. حيث بدأت الاحتجاجات والمظاهرات في اليمن مطالبة بإسقاط نظام الرئيس علي عبدالله صالح، وذلك في اليوم ذاته الذي تمت فيه إطاحة حكم مبارك في مصر، وبعدها بثلاثة أيام في لibia، اندلعت الاحتجاجات، التي كانت سبباً لدخول "حلف شمال الأطلسي" في مجرى الأحداث الليبية. وامتدت هذه الأحداث بأيام قليلة لتطال سوريا وسط احتجاجات بدأت في مدينة درعا. غير أنه كان اللافت للنظر الدور الإعلامي الذي قامت به "قناة الجزيرة" القطرية، من خلال "دعم هذه الثورات"، والجدير بالذكر هنا أن هذه القناة تسيطر عليها "جماعة الأخوان المسلمين"، حيث إنه بعد العام 2003، كان أشهر وجهها ومدرائها منتمين لتلك الجماعة.

## الصراع في سوريا

أدّت مجريات الأحداث على الساحة المصرية إلى دفع البيت الأبيض لإعادة ترتيب الأوراق في الشرق الأوسط، بحيث يخرج منها بأقل ضر على صعيد مصالحه الاستراتيجية، أحداث سوريا بدأت في مدينة درعا من خلال احتجاجات ضد النظام في أوائل شباط من العام 2011، وحدثت إثرها اصطدامات دولية وإقليمية، حيث دعمت عدد منها الرئيس السوري بشار الأسد، ومنها إيران التي أيدته بشكل كامل، وأعلنت وزارة الخارجية الإيرانية أنها ترفض دخول أطراف خارجية في الساحة السورية،<sup>693</sup> وأن ما يجري فيها، هو تنفيذ للمشروع الغربي من أجل إثارة الفوضى وزعزعة الأمن والاستقرار في سوريا التي تؤيد وتدعم المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين.<sup>694</sup> كما رفضت طهران كل الاتهامات التي وجهها الغرب إليها، باتهامها بمساعدة الأجهزة الأمنية السورية باستعمال العنف في قمع الاحتجاجات.<sup>695</sup> كذلك الأمر بالنسبة إلى "حزب الله" الذي أعلن منذ البداية من خلال الأمين العام السيد حسن نصر الله، دعمه وتأييده للرئيس الأسد،<sup>696</sup> الذي كان داعماً دائماً لحق المقاومة في دفاعها ضد الاحتلال الإسرائيلي، وخسارة هذا الدعم ستجعل المقاومة محاصرة أيضاً من ناحية البر، بعد أن فرقت القوى الغربية وبشكل سافر حصاراً بحرياً على كامل الشواطئ اللبنانيّة، وذلك بعد العدوان الإسرائيلي عليه في العام 2006.

وهذا الأمر ينطبق على روسيا أيضاً، والتي تعود بعلاقتها القوية مع دمشق إلى زمن الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد، وتغيير النظام في سوريا يعني خسارتها حليفاً مهماً موسكو في منطقة الشرق الأوسط. وقد شكل القرار الدولي الذي اتخذه مجلس الأمن بشأن حماية المدنيين في ليبيا من بطش العقيد معمر القذافي، والذي واقفت عليه روسيا، ليتبين في ما بعد أنه كان "خدعة" من قبل الناتو اتخذ حجة لشروعه تدخله العسكري في ليبيا، مما أضرّ بالمصالح الروسية وتمركزها في غرب المتوسط من خلال بوابتها طرابلس الغرب. هذا الأمر دفع موسكو إلى الإعلان بصرامة عن استيائها وانزعاجها من "الخدعة" الغربية. لذلك، جاء الرد الروسي على الغرب في مجلس الأمن من خلال معارضته ورفض أي قرار وإجراء يتخدونه بحق سوريا، وقد عملت إلى الآن على عرقلة وإجهاض أي

<sup>693</sup> - السفير 10 حزيران 2011

<sup>694</sup> السفير 13 نيسان 2011.

<sup>695</sup> السفير 15 حزيران 2011

<sup>696</sup> السفير 26 أيار 2011

قرار ضد سوريا، كذلك عملت موسكو على تشجيع المعارضة السورية على ضرورة الحوار مع الدولة السورية، وأنها ضد أي تدخل خارجي فيها.

أما الصين فهي تُعتبر الدولة الثالثة الداعمة لسوريا ولنظام الرئيس بشار الأسد. وكيف لا، وهي الخبيرة بكل سراديب السياسة الغربية ومؤمراتها فلها تاريخ طويل من الصراع مع الغرب في هذا المجال، لذا عارضت منذ البداية أي قرار دولي يُتخذ ضد سوريا والنظام السوري. والجدير ذكره أن التطور الاقتصادي للصين في العصر الحديث، جعلها تتخلى عن قرار عزلتها، وذلك نتيجة حاجتها إلى النفط وإلى البحث عن أسواق جديدة تساعدها في تصريف منتجاتها. لذلك كانت الصين تعي وتدرك أن تغيير النظام في سوريا سيترتب عليه فرض حصار على إيران في محاولة لتغيير النظام فيها وزعزعة استقرارها، مما سيؤدي إلى ضرب طوق حول الشرق الأوسط وإغلاق أسواقه في وجه الصين. لذلك عملت واشنطن على ضرب حصار بحري على الصين من خلال كوريا الجنوبية واليابان، بالإضافة إلى الدول الواقعة في جنوب شرق آسيا، كل ذلك لتصعب على الصين خروجها عبر الطرقات البحرية من دون موافقة أميركية. وبالتالي هذا الأمر سيكون عقبة في طريق أي قوة تعمل على الوصول إلى دور دولي لها، أن تقبل وترضى بوقوع جميع طرق مواصلات تجارتها مع العالم تحت سيطرة قوة أخرى، خاصة إذا كانت هذه القوة تقف موقف الند المนาكس لها. فخروج الصين إلى دول العالم لا يكون إلا من خلال الشرق الأوسط، وعن طريقه ستتمكن من العبور إلى القارة الأفريقية التي تملك موارد طبيعية غنية. هذا الأمر يوضح لنا علاقتها مع السودان الذي تعتبره نقطة انطلاقها إلى الدول الأفريقية.

لذا من الضروري أن يظل الشرق الأوسط مفتوحاً في وجه الصينيين، ومن المهم جداً على طهران أن تصمد وتقاوم جميع الضغوط الغربية، كما يتوجب على سوريا أيضاً أن تبقى صامدة في وجه كل الحملات التي يقودها الغرب ضدها لفرض وصايتها ونفوذه عليها. وبالتالي فإن وصول الأميركيين بعد عدوائهم على أفغانستان في العام 2002، إلى مشارف الحدود الغربية للصين، ساهم في تحريك مسألة الأقليات المسلمة الواقعة ناحية الغرب في الصين، وهذا ما شكل دافعاً مهماً للصين على ضرورة عدم خضوع الشرق الأوسط بالكامل للإرادة الأميركي، التي ستستخدمه منصة لها للتغلب داخل المناطق الغربية للصين والتي تقطنها غالبية مسلمة. وبالتالي فإن عدم وقوع سوريا تحت السيطرة الغربية سيزيد من أهميتها لدى الصين. وهذا الأمر عبرت عنه وزارة الخارجية الصينية من أن سوريا تعتبر دولة لها مكانة كبيرة في الشرق الأوسط، لذا يجب العمل على الحفاظ على استقرارها، وعلى ضرورة حل مشكلاتها داخلياً من دون أن تكون هناك يد لا يُ تدخل خارجي

في المشكلات الداخلية التي تعاني منها سوريا والتي بالتأكيد ستتساهم في تعقيدها وتفاقمها بدلًا من حلها.<sup>697</sup>

وبالخلاصة فإن ما يحدث في الشرق الأوسط ما هو إلا نتيجة تغير في موازين القوى الدولية، التي ستؤدي حتماً إلى الانتقال إلى نظام دولي جديد قائم على أقطاب عدة بدلًا من القطب الواحد، وسنشهد انهيار وسقوط الهيمنة الغربية التي كانت تسيطر على المقدرات العالمية. والغرب بقيادة واشنطن قلق من هذه التطورات السريعة وصعود قوى أخرى في مواجهته، وخاصة روسيا والصين اللتين قاما بتأسيس "منظمة شنغهاي للتعاون"، وبالتالي ستعمل إيران على الانضمام إليها. عندها ستكون هذه المنظمة هي المهيمنة على أوراسيا، من حيث إمكانياتها الاقتصادية الغنية والقوى البشرية الضخمة، لذا تعمل واشنطن جاهدة لوضع العرقيل أمامها بغية الحد من إمكانياتها، وذلك من خلال منعها من الوصول إلى طرق التجارة العالمية عبر الملاحة البحرية. وفي هذا الإطار تأتي تحالفات الولايات المتحدة مع الدول المجاورة للصين، مثل كوريا الجنوبية واليابان، وأيضاً الدول المطلة على بحر الصين، كل ذلك خدمة لحماية مصالحها في أوراسيا وتأثير حجم الصين، وضمن هذا السياق أيضاً يأتي تحريك الأزمة الأوكرانية بين كُلِّ من الغرب وروسيا، هذه الأحداث تنسحب على منطقة الشرق الأوسط وما تشهده من أزمات وحروب غير متكافئة أو حروب وكالة تقوم بها جماعات متطرفة سلفية صُنفت ضمن قائمة الجماعات الإرهابية.

وبالرغم من ذلك فإن التكتلات التي قامت في وجه الولايات المتحدة والأوروبيين الغربيين، لم تمنعها من فرض نفسها على الساحة العالمية، بدءاً من "منظمة شنغهاي للتعاون" وصولاً إلى "منظمة دول البريكس". يحدث هذا وسط انتقال المركز الاقتصادي العالمي واتجاهه نحو المحيط الهندي، وهذا الأمر يحدث للمرة الأولى وذلك منذ القرن السادس عشر، حيث تعمل هذه القوى (الصين وروسيا وإيران، والهند والبرازيل وجنوب أفريقيا) إلى الوصول لطرق الملاحة البحرية بغية جعلها بعيدة عن السيطرة الأمريكية.

لكن، المشكلة هنا، تتمثل في بسط النفوذ الأميركي لسيطرته على طرق المواصلات الموجودة في المتوسط ومنطقة الشرق الأوسط، حيث تصل هذه السيطرة إلى 80%. ومن المتوقع أن يكسر هذه السيطرة، صعود مصر وعودتها للعب دور مستقل بغض النظر عن المصالح الأمريكية. حيث كانت مصر تشكل مركزاً أساسياً للنفوذ الأميركي للانطلاق منها إلى الشرق الأوسط، وذلك منذ فترة حكم

السادات، وبالتالي فإن ابعاد مصر عن هيمونة واشنطن واتجاهها للتقرب مع موسكو سيؤدي بالنتيجة إلى زعزعة مكانة الولايات المتحدة وإضعاف مكانتها في الشرق الأوسط، وفقدان سيطرتها على طرق الملاحة البحرية، خاصة أن المحيط الهندي يُشكل دافعاً قوياً للدول المتحالفة مع بعضها والتي تقف في وجه السيطرة الأمريكية وترفض هيمنتها المطلقة على الاقتصاد العالمي ومخططاتها السياسية التدميرية.



## لائحة المصادر والمراجع

### المراجع العربية:

- 1- أبو عز الدين، سليمان، "إبراهيم باشا في سوريا"، (القاهرة: دار الشروق، 2009).
- 2- أ oglu، أحمد داود، العمق الاستراتيجي، موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة محمد ثلجي وطارق عبد الجليل، الدوحة، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010.
- 3- أ يوب، ل. س، "الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان"، (بيروت، دار الحرية، 1959).
- 4- اجتياح لبنان: يوميات، صور وثائق، وكالة مختارات الأخبار العربية والعالمية، (بيروت: اجتياح لبنان: يوميات، صور وثائق، وكالة مختارات الأخبار العربية والعالمية، (بيروت: 1982).
- 5- الأحمد، أحمد سام، "الحزب السوري القومي الاجتماعي: 1932 – 1962 دراسة تاريخية"، (بيروت، دار ومكتبة التراث الأدبي، 2014).
- 6- "الأخوان المسلمين في الأردن.. من أركان المملكة الهاشمية إلى أعداء للنظام؟"، الشروق 25 أكتوبر 2017.
- 7- البرنامج المرحلي للحركة الوطنية اللبنانية، وثائق الحركة الوطنية 1975 – 1981، (بيروت، 1981).
- 8- الجسر، باسم، "فؤاد شهاب"، (بيروت: بيisan، 1998)
- 9- "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: المسيرة التاريخية خلال خمسين عاماً، (دمشق، مركز الهدف للدراسات والتوثيق، 2016).
- 10- الخالدي، وليد، "خمسون عاماً على حرب 1948: أولى الحروب العربية - الصهيونية"، (بيروت: دار النهار، 1998).
- 11- الخالدي، وليد، "خمسون عاماً على تقسيم فلسطين". (بيروت: النهار، 1997).
- 12- الخاني، عبد الله فكري، "جهاد شكري القوتلي من أجل الاستقلال والوحدة"، (بيروت، دار النفائس، 2003).
- 13- الدجاني، هشام، "آفاق السلام المسدود على المسار السوري - الإسرائيلي، الحياة، في 4 حزيران/يونيو 1997.

- الدجاني، هشام، *اغتيال رابين وآفاق السلام السوري - الإسرائيلي، الحياة، في 1995/11/26*

- الصايغ، نصري، "عبد الحميد كرامي"، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

- 12- مرقص، الياس، *تاريخ الأحزاب الشيوعية في العالم العربي*، (بيروت: دار الطليعة، 1964).

- 13- العيسوني، شibli، "حزب البعث العربي الاشتراكي: مرحلة الأربعينيات التأسيسية 1940-1949" (بيروت: دار الطليعة، 1980).

- 14- العيسوني، شibli، "حزب البعث العربي الاشتراكي: مرحلة الأربعينيات التأسيسية 1940-1949" (بيروت: دار الطليعة، 1991).

- 15- الموارد من الدستور السوري. 93, 93, 111, 114.

- 16- 114, 111. *Revoir les articles de la constitution syrienne.*

- 17- بريجنسكي، زبغنيو، "رقة الشطرنج الكبرى"، ترجمة أمل الشرفى، الأهلية للنشر، الطبعة الأولى، عمان، 1991.

- 18- تيموفيف، إيغور، "كمال جنبلاط الرجل والأسطورة"، (بيروت: دار النهار، 2000).

- 19- 30- تيموفيف، إيغور، "كمال جنبلاط، الرجل والأسطورة"، (بيروت: دار النهار للنشر، 2001).

- 20- جروس، سعاد، "من الانتداب إلى الانقلاب: سوريا زمان نجيب الرئيس"، (بيروت: دار رياض نجيب الرئيس، 2015).

- 21- جورج فرخ، "رشيد كرامي"، (بيروت: شركة المطبوعات، 2016).

- 22- حتي، فيليب، "تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحالي"، (بيروت: دار الثقافة، 1978).

- 23- دندشلي، مصطفى، "حزب البعث العربي الاشتراكي"، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر).

- 24- ديب، كمال، "سوريا في التاريخ: من أقدم العصور حتى 2016"، (بيروت: المكتبة الشرقية، 2017).

- ديب، كمال، "أمراء الحرب وتجار الهيكل: خبايا رجال السلطة والمال في لبنان"، (بيروت: الفارابي، 2017).

- ديب، كمال، "يوسف بيدس: إمبراطورية انترا وحيتان المال في لبنان 1949-1968" (بيروت: المكتبة الشرقية، 2017).

25- راندل، جوناثان، "حرب الألف عام في لبنان"، ترجمة فندي الشعار، دار المروج، 1984.

26- رستم، أسد، "لبنان في عهد المتصوفة"، (بيروت: المكتبة البولسية، 1987).

27- عباس، محمود، "طريق أوسلو، موقع الاتفاق يروي أسرار المفاوضات، شركة المطبوعات، الطبعة الرابعة، بيروت، 1995.

28- عبد المجيد، وحيد، "إسرائيل والمفاوضات الجارية، مصطفى العلوي: المفاوضات العربية - الإسرائيليّة ومستقبل السلام في الشرق الأوسط"، القاهرة، 1994.

29- غانم، رفيق، "بيار الجميل: قائد ومؤسسة"، (بيروت: حزب الكتائب اللبناني، 1987).

30- فتوبي، علي، "تاريخ لبنان الطائفي"، (بيروت: الفارابي، 2013).

31- فرسخ، عوني، "التحدي والاستجابة في الصراع العربي - الصهيوني: جذور الصراع وقوانينه الضابطة 1799 - 1949"، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008)، 97 – 106.

32- فرسخ، عوني، "الصراع العربي الصهيوني: متغيراته مستجداته 1949 – 2009"، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2018).

33- سمحات، قاسم، "محمد علي باشا والمشروع الفرنسي في بلاد الشام 1804 – 1850"، (بيروت: دار الموسام، 2016).

34- سيل، باتريك، "الأسد - الصراع على الشرق الأوسط"، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، 1987.

35- سيل، باتريك، "رabil ي يريد الجولان منزوع السلاح ويعترف بالهيمنة السورية على لبنان في مقابل سلام بين دمشق وتل أبيب".

36- شيفر، شيمون، "أسرار الغزو الإسرائيلي للبنان عملية كرة الثلج". (بيروت: شركة المطبوعات الشرقية، 1985).

37- قاسم محمد، جعفر، "سوريا والاتحاد السوفيتي، دراسة في العلاقات العربية السوفياتية"، (لندن: رياض الرئيس، 1987).

38- قاسم محمد، جعفر، حوار شاحك - شهابي المصيري؟ نهاية العقد في سلام الجولان، الوسط رقم 177، 19 حزيران.

39- قصیر، سمير، "تاريخ بيروت"، (بيروت: دار النهار، 1995).

16 قلعي، قدری، "الثورة العربية الكبرى"، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت 1993.

17 کارل بروکلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية.

18 لابيفير، ریشار، التحول الكبير، بغداد - بيروت، دار الفارابي، 2008.

19 لوتسکی، "تاريخ الأقطار العربية الحديثة"، (بيروت: الفارابي، 1980).

20 مبیض، سامي، "تاريخ دمشق المنسى: أربع حكايات 1916 - 1936"، (بيروت: دار رياض الريس، 2016).

21 منصور، أحمد، معركة الفلوجة: هزيمة أميركا في العراق، 2007. (الدودحة: مركز الجزيرة، 2005).

22 منظمة التحرير الفلسطينية: الميثاق، النظام الأساسي، نظام الصندوق القومي الفلسطيني، المصادق عليها" ( : د. م 1964 حزيران سنة 2 الموافق 1384 محرّم سنة من المجلس الوطني في جلسته المنعقدة يوم الثلاثاء في منظمة التحرير الفلسطينية 1964).

23 مطر، فؤاد، "حكيم الثورة: سيرة جورج حبش ونضاله"، (بيروت: دار النهار، 2008).

24 مقابلة شاملة مع طلال ناجي، مقابلة شاملة مع الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية القيادة العامة، بيروت: باحث، 2010.

25 نيكسون، ريتشارد، "1999 نصر بلا حرب". يعطي هذا الكتاب فكرة جيدة عن أهمية النفط في العلاقات الدولية، خصوصاً بعد نهاية الحرب الباردة لا سيما أن الولايات المتحدة كانت تنتظر منافسين جدداً كروسيا وأوروبا واليابان والصين.

26 هيكل، محمد حسنين، ملفات السويس: حرب الثلاثين عاماً، (القاهرة: دار الشروق، 1996).

- هيكل، محمد حسنين، "الانفجار: حرب الثلاثين عاماً"، (القاهرة: الشروق، 1990).

- هيكل، محمد حسنين، "عام من الأزمات 2000-2001"، المصرية للنشر العربي، القاهرة 2001.

- هيكل، محمد حسنين، "سلام الأوهام: أوسلو ما قبلها وما بعدها"، دار الشروق، الطبعة الرابعة، القاهرة، 25 تشرين الثاني/نوفمبر 1996.

- هيكل، محمد حسنين هيكل، "خريف الغضب"، (القاهرة: الشروق).

27- واكيم، جمال، "صراع القوى الكبرى على سوريا"، (بيروت: دار المطبوعات، 2011)، الفصل السادس.

- واكيم، جمال، "سوريا ومحاولات السلام في الشرق الأوسط"، (بيروت: المطبوعات، 2010)، الفصل الثامن.

28- وثائق الحرب اللبنانية لعام 1978.

## الدوريات الثقافية (مجلات دورية)

1- أمين، سمير، "بعد حرب الخليج، الهيمنة الأمريكية إلى أين؟"، المستقبل العربي، رقم 170، نيسان/أبريل 1993.

2- إسماعيل، محمد ذكري، "النظام الدولي الجديد بين الوهم والخداع"، المستقبل العربي، عدد رقم 143، كانون الثاني/يناير 1991.

- إسماعيل، محمد ذكري، "الهوية العربية في مواجهة السلام الإسرائيلي"، المستقبل العربي، عدد رقم 190، كانون الأول/ديسمبر 1994.

3- الصايغ، يوسف، "دلائل التحولات الجوهرية في مجموعة البلدان الاشتراكية الأوروبية بالنسبة إلى الوطن العربي وقضية فلسطين"، المستقبل العربي، عدد رقم 150، آب/أغسطس 1991.

4- الصايغ، يزيد، "أزمة الخليج وإخفاق النظام الإقليمي العربي"، المستقبل العربي، عدد رقم 149، تموز/يوليو 1991.

5- الصمد، جواد، "الخيارات الكونفدرالي الأردني - الفلسطيني"، شؤون الشرق الأوسط، عدد رقم 48، كانون الثاني/يناير 1996.

6- جواد الشتيوي، "الأسد يقبل وعد بوش، فلسطين الثورة". العدد 855، في 4/8/1991.

7- دياب، محمد زهير دياب، الموقف السوري من التسوية السلمية للنزاع العربي الإسرائيلي، مجلة الدراسات الفلسطينية عدد 9 شتاء 1992.

8- سلامة، غسان، "العرب، إسرائيل، أمريكا ومحاولات"، المستقبل العربي، العدد 172، حزيران/يونيو 1993.

9- ولد اباه، عبد الله السيد، "التسوية في الشرق الأوسط ومستقبل النظام العربي"، المستقبل العربي عدد 192 شباط 1995.

10- هيثم الكيلاني، "الشراكة الأوروبية - المتوسطية: تحليل لنتائج مؤتمر برشلونة". شؤون الأوسط، رقم 49، شباط/فبراير 1996.

## المراجع الأجنبية:

2009). ، (Harper Collins Ebooks. Catherine the Great.Simon Dixon -1  
Egypt and the Fertile Crescent: 1516 – 1922 A Political .P. M. Holt -2  
، 1966)، (London: Cornell University Press.History

، *Arabisme et Islamisme de 1798 à 1945* ، Henry: *l'Orient Arabe*.Laurens -3  
2000. ، Paris.Armand Colin  
*la lutte pour la Palestine de 1869* ، Laurens Henry ; *Le retour des exilés*  
Paris 1998. ، Robert Laffont.à 1997  
Le ، Henry: *Pourquoi Ryad préfère le parapluie américain?* ، Laurens  
Monde Diplomatique août 1992.

، No 2، vol 11، Foreign Affairs. Fouad: *The End of Pan Arabism*.Ajami -4  
، 1978/9  
Michael Province: *The Great Syrian Revolt and the Rise of Arab* -5  
2005)، (Austin: University of Texas Press.Nationalism  
The Struggle For Syria: A Study in Post War Arab .Patrick Seale -6  
1987). ، (london: Yale University Press.Politics 1945 – 1958  
*Al Siraa Ala Al Sharq Al Awsat »* Al ، Patrick. « *Al Assad*.- Seale  
1987.Muassassat Alarabia Lildirassat Wa Alnashr  
Patrick and Linda Butler; "Assad's Regional Strategy and the ، Seale  
، no. 101.*Challenge from Netanyahu*". Journal of Palestine Studies  
Automne 1996.

. Middle East , “*Israel and Syria; Contradictory aims*”,Seale Patrick - International. Nov. 1996.

◦ (London: Routledge, China and the World since 1945,Chi Kwan Mark -7 1. ,2011)

◦ A Modern History of Lebanon. (New York: Caravan ,Kamal Salibi -8 1976).Press

(New York: , Crossroads to Civil War: 1958 - 1976,Kamal Salibi - 1976).Caravan Books

(london: Pluto , A Modern History of Lebanon,Fawwaz Traboulsi -9 2007). ,Press

Nationalism and the State Under the , Inventing Lebanon,Firoo -10 (London: I. B. Tauris. 2003). ,Mandate

The Historical Role of Political Economy in the ,Carolyn Gates -11 (Beirut: Center for Lebanese ,Development of Modern Lebanon 1989). , September,Studies

◦ (Boulder: Westview Press, The Modern History of Iraq,Phebe Marr -12 21. ,2012)

◦ (London: Greenwood Press, The History of Iraq,Counrtney Hunt -13 2005).

◦ A Peace to end all Peace. ,David Fromkin -14

The Near East since the First World War: A History to ,M. E. Yapp -15 1996), Longman, (Edinburgh,1995

*the geographical* ,Halford Mackinder: *The Geographical Pivot of History* -16 298 - 300. , December 1904, no 4, Vol. 170, journal

*America’s Strategy in World Politics- The United* ,17-Nicholas Spykman , Transaction Publishers, (New Brunswick,States and the Balance of Power 2008)

· (London: Macmillan St Martin, Tibawi: *A Modern History of Syria* 18  
1969).

Tr. par Marion, *a critical enquiry. Arab Nationalism*, Bassam Tibi 19  
1981). · (London: MacMillan Press, Farouk-Shiyett et Peter Sniggett  
· (Beirut: Khayat, the struggle for Arab Independence, Zeine Zeine 20  
1960).

Abraham. · Muhammad and Wagner, McLaurin R. D. and Mughisuddin 21  
Domestic Influences on Foreign Policy Making in the Middle East  
1977), Irak and Syria. (New York: Praegers Publishers, Policy in Egypt  
· Sectarianism, Nikolas; *The Struggle for Power in Syria*, Van Dam 22  
(London: Groom, 1961-1978, *Regionalism and Tribalism in Politics*  
1979). · Helm limited  
(New York: Monthly, The Struggle Over Lebanon, Tabitha Petran 23  
1987). · Review Press

Raymond; *Does Syria want Peace? Syrian Policy in the* Hinnebusch 24  
Journal of Palestine Studies (Revue, *Syrian Israeli Peace Negotiations*  
Automne 1996. · no. 101, d'Etudes Palestiniennes)

Assad; *Syria and the Arab Israeli Conflict*. Current, Abou Khalil 25  
1994. · February, History

· Ib. Tauris, Volker; *The Political economy of Syria Under Assad*, Perthes 26  
. London

· Binghamton, Vail Ballou press, Human Rights watch; *Syria unmasked* 27  
1991.

Hanna; *Some Observations on the Social roots of the Syrian*, Batatu 28  
été 1991. · volume XXV, The Middle East Journal, *Political Elite*"  
1966-1976: *A Spatial and* · Alasalair; *The Syrian Political Elite*, Drysdale 29  
Jan. 1 1981. · vol. XVII, Middle Eastern Studies, *Social Analysis*

Alasalair; *The Assad Regime and its Troubles*. Merip Reports - Drysdale  
 1982. ,nov/dec

Alasdair and Hinnebusch Raymond; "Syria and the Middle - Drysdale  
*East Peace Process*".

a New Dominant , Mahmud; *The Alawi Community of Syria*.Faksh 30  
*Political Elite*.

I. , *the conflict between Syria and Irak. Baath vs Baath*. Eberhard.Kienle 31  
 1993. , 3rd ed. , London.B. Tauris & Co. limited publishers

Michael; "Arming for Peace? Syria's Elusive Quest for .Eisenstadt 32  
 , The Washington Institute for Near East Policy.*Strategic Parity*"  
 1992. ,Washington D. C.

a Political Biography". , Moshe; "Assad the Sphinx of Damascus.Ma'oz 33  
 1988. , Widenfield and Michalson.London

"Syrian-Israeli Relations and the Middle East Peace , Moshé.Ma'oz -  
*Process*".

*Syria and the PLO*". , Evner; "On a Short Leash. Moshe and Yaniv.- Ma'oz  
 Domestic .Dans Maoz Moshe and Yaniv Evner (eds); "Syria Under Assad  
 1ère edition 1986. , London. Groom Helm.*Constraints and Regional Risks*"

1985. , July, William; "Syria in Lebanon". Merip Reports.Harris 34  
*Moderate Goals and* , Elie; "Syrian Policy in Lebanon. Chalala 35  
 1985. , no. 1, vol. 4.*Pragmatic Means*". Journal of Arab Affairs  
 , Westview Press. John; "Syria: Modern state in an ancient land".Devlin 36  
 1ère edition 1983. ,Boulder Colorado

*the Assad Years*". , Efriam; "The Soviet Union and Syria.Karsh 37  
 (New , *the War in Lebanon. Century*", John; "Final Conflict.Bulloch 38  
 1983). ,York: publishing Co. limited

· Elezzi Ghassan ; "De la Paix en Galilée à la Relance de la Guerre Civile 39  
 Quand l'Armée Israélienne "sauvait" le Liban". Le Monde  
 juin 1992. ,Diplomatique

· Why Israel invaded Lebanon?", Michael; "The Battle of Beirut,Jansen 40  
 1982). ,(London: London Zed Press

Itamar. "The Changing Prism". dans Ma'oz Moshe and ,Rabinovitch 41  
 Domestic Constraints and Regional , Evner: Syria Under Assad,Yaniv  
 1986). ,Risks. (London: Groom Helm

Irreconcilable Differences". , Christopher; "Assad and His Allies,Dickey 42  
 vol. 66 autumn 1987. ,Foreign Affairs

· Antoine ; "Guerres secrètes au Liban", Annie & Basbous,Laurent 43  
 1987). ,(Paris: Gallimard

"Toward , Halim, Najib; "Syrian-Lebanese Relations". Ed Barakat,Saliba 44  
 1988). ,(London: Groom Helm,a viable Lebanon"

"Russian Policy in the Middle East: Strategic change , Richard,Hermann 45  
 , no. 3, vol. 84, Middle East Journal, and Tactical Considerations"  
 summer 1994.

· "The Shifting Sands of the Middle East Peace", Alfred Leroy,Atherton 46  
 spring 1992. , no. 83,Foreign Policy

Ibrahim A. : "Arab Dilemas in the 1990's: Breaking taboos ,Karawan 47  
 summer , no. 3, vol. 48, and searching for signposts". Middle East Journal  
 1994.

John P. : "At arms length Soviet Syrian relations in the , Hanna 48  
 Gorbachev era".

Foreign , Peter: "Middle East Policy after the Gulf Wa"r,Rodman 49  
 spring 1991. , vol. 70,Affairs

vol. , Foreign Affairs, Graham E. : "Moscow and the Gulf War",Fuller 50  
 summer 1991. ,70

Current History, Bernard "The United States in the Middle East", Raich 51  
january 1991.

the Assad Years", Efriam; "The Soviet Union and Syria, Karsh 52  
août 1992. , Le Monde Diplomatique, Amère victoire, Julien, Claude 53

Indonesia the Second Greatest Crime in History, Deidre Griswold 54  
Workers. org

The Struggle for Egypt: From Nasser to Tahrir Square, Steven Cook 55  
2012). (Oxford: Oxford University Press

Politics and Society". , Derek; "Syria 1945-1986, Hopwood 56  
Death of a Nation". , Mackey Sandra: "Lebanon 57  
(New York: Thunder Mouth Press, Pity the Nation, Robert Fisk 58  
2002).

Chapter the Carpet, the Great War for Civilization, Robert Fisk -  
Weavers.

Haghigat Chapour: Comment les États-Unis avaient prévu d'écraser 59  
avril l'Irak: les dessous de la guerre du Golfe, Le Monde Diplomatique  
1992.

été 1991. , vol. 70, "The New Arabia, Foreign Affairs", James E. Akins 60  
, (Harper Collins Ebook, Saddam: His Rise and Fall, Con Coughlin 61  
2016).

The Rise and Fall of the Communist Party of Iraq, Tarek Ismael 62  
2008). , (Cambridge: Cambridge University Press

The Kurds in Iraq: The Past Present and Future, Kerim Yildiz 63  
2004). , (London: Pluto Press

Raymond; Does Syria want Peace? Syrian Policy in the , Hinnebusch 64  
, no. 101, Journal of Palestine Studies, Syrian Israeli Peace Negotiations  
Autumn 1996.

The Persian Puzzle: The Conflict Between Iran .Kenneth M. Pollack 65  
. 2004). (New York: Random House and America

(New , The Iran- Iraq War: Chaos in a Vacuum,Stephen C. Pelletiere 66  
1992). , York: Praeger Publishers

nouveaux , *Négociations dans l'impasse*, Paul Marie,De la Gorce 67

Le Monde , *la défense israélienne en état d'alerte,rapports de force*  
. septembre 1990,Diplomatique

*construire la , Washington et la nouvelle donnée*. Paul-Marie,De la Gorce -  
octobre 1993. , Le Monde Diplomatique,*paix au Proche-Orient*.

Arab , “*US Foreign Policy in the Middle East*”, Abbas,Al Nasrawi 68  
winter 1989. , no. 1, vol. 11,Studies Quarterly

Le Monde , *seul décideur »*, « *Bush*, Marie-France: M,Toinet 69  
. février 1991,Diplomatique

*the , “Western Imperialism in the Middle East*. George Klay Jr,Kirsh 70  
*Case of the United States Military Intervention in he Persian Gulf*”.

*De l'Atlantique aux confins de la Perse: les frontières* , Jacques,Thobie 71  
,Le Monde Diplomatique,*brûlantes cicatrices des partages coloniales*  
nov. 1990.

, Indonesia the Seconde Greatest Crime in History,Deidre Griswold 72  
Workers. org.

, The Struggle for Egypt: From Nasser to Tahrir Square,Steven Cook 73  
2012). ,(Oxford: Oxford University Press

, (London: Routledge, China and the world since 1945,Chi Kwan Mark 74  
2011)

, (Westport: Praeger, China’s Reforms and Reformers,Alfred K. Ho 75  
2004)

(New York: Chelsea House , Vladimir Putin,Charles J. Shields 76  
.2007),Publishers

automne , Foreign Affairs, “*Is Damascus ready for peace?*”, Daniel Pipes 77  
1991.

Foreign , “*Dateline Damascus: Assad is ready*”, Muhammed.Muslih 78  
Automne 1994. , no. 96, Policy

*Priorités contradictoires dans un monde sans repère* : , Michael T.Klane 79  
Le Monde , *M. Clinton en quête d'une nouvelle vision diplomatique*  
février 1993. ,diplomatique

no. , XXIII, Journal of Palestine Studies, “*The Oslo Accord*”, Avi.Shlaim 80  
printemps 1994. ,3

*Comment les fractures et surenchères ont affaibli le* , Eric.Rouleau 81  
octobre 1993. , Le Monde Diplomatique,monde arabe  
(Entretien avec l'ambassadeur israélien à Paris). , Yehuda.Lancry 82

Propos recueillis par Régine Dhoquios Colen. Le Processus de Paix est  
irreversible.

*the Tunner's* , “*Withdrawal Process not Peace Process*”,Faith Douglas J. 83  
mars 1996. , Middle East Quarterly, *Logic of Israel's Negotiations*”  
juin 1994. , Commentary, “*Land for no Peace*”,- Faith Douglas J  
2010). (Paris: Fayard. Dans le Secret Des Presidents,Vincent Nouzille 84  
(New , The Good Spy: The Life and Death of Robert Ames,Kai Bird 85  
2015). ,York: Broadway Books

The Influence of Sea Power Upon History: 1660 ,Alfred Thayer Mahan 86  
– 1783.

America's Strategy in World Politics-The United ,Nicholas Spykman 87  
Transaction , (New Brunswick,States and the Balance of Power  
2008). ,Publishers

American Primacy and , The Grand Chessboard,Zbegnew Brzezinski 88  
its Geostrategic Imperatives XIV..

(Cambridge: , China's Last Empire: the Great Qing, William T. Rowe 89  
2009). ,Harvard University Press  
Nicklas and Niklas Swanström. "The Shanghai Cooperation ,Norling 90  
India and Pakistan. " , and the Roles of Iran, Trade,Organization  
,*Central Asian Survey* Volume 26, Issue 3 (2007). Robert D. Kaplan  
'Asia' Cauldron: The South China Sea and the End of a Stable Pacific  
2014). "Xinjiang protesters to be punished ,(New York: Random House  
TIBETAN review AUGUST 2009. ,with utmost severity"  
, others follow suit,UN Chief urges respect for right to protest 91  
TIBETAN REVIEW AUGUST 2009.

1994). , The Mongol Period. (New York: markus Weiner Pub,Spuler 92

## الموقع الإلكتروني:

- أوباما يعلن انسحاب القوات الأمريكية من العراق في نهاية العام، بي بي سي، 21 تشرين الأول 2011

[http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2011/10/111021\\_obama\\_iraq\\_withdrawal](http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2011/10/111021_obama_iraq_withdrawal)

- التيار الوطني الحر [www.tayyar.org](http://www.tayyar.org)

- الجهاد الإسلامي <https://jihad.ps/>

- الجزيرة <http://www.aljazeera.net/news/arabic>

- الحزب الشيوعي العراقي <http://www.iraqicp.com/>

- الحزب الديمقراطي الكوردستاني <http://www.kdp.info/>

[https://www.pukmedia.com/AR\\_BabetiLekchu.aspx?Babet=YNK&Nawnishan](https://www.pukmedia.com/AR_BabetiLekchu.aspx?Babet=YNK&Nawnishan)

- الانتخابات النيابية في طرابلس 1972، البيان 19 - 1 - 2018

<http://www.albayanlebanon.com/news.php?id=4951&idC=10>

8- الدستور الأردني على موقع وزارة الداخلية الأردنية <http://www.moi.gov.jo/EchoBusV3.0/SystemAssets/PDFs/AR>

9- الدستور المؤقت لعام 1958 على موقع المحكمة الدستورية العراقية <https://www.hjc.iq/view/85/>

10- الدستور المؤقت لعام 1968 على موقع المحكمة الدستورية العراقية <https://www.hjc.iq/view/82/>

11- الدستور المؤقت لعام 1970 على موقع المحكمة الدستورية العراقية <https://www.hjc.iq/view/81/>

12- العراقيون تسلّموا السلطة من أميركا، الوطن 6 حزيران 2004  
<http://www.alwatan.com/graphics/2004/06jun/29.6/dailyhtml/news1.13.html>

الدستور العراقي لعام 2005 على موقع المحكمة الدستورية العراقية <https://www.hjc.iq/view/77/>

14- القانون الأساسي العراقي لعام 1925 على موقع المحكمة الدستورية العراقية <https://www.hjc.iq/view/86/>

15- القصة الكاملة لإنقاء القبض على صدام، دنيا الوطن، 16 - 12 - 2003  
<https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2003/12/16/1677.html>

16- القوات اللبنانية <https://www.lebanese-forces.com>

17- المرابطون <http://www.almourabitoun.com>

18- التنظيم الشعبي الناصري <https://ar-ar.facebook.com/Nasserist.Popular.Party/>

19- برimer: قرار حلّ الجيش العراقي اتّخذ بالتشاور مع بريطانيا، قناة العالم 29 أيار 2010،  
<http://www.alalam.ir/news/7698>

20- بوابة صيدا - الشهيد معروف سعد: سيرة مناضل حتى الشهادة، موقع صيدا غيت،  
<http://www.saidagate.net>Show-4683>

21- بيروت المساء

<http://beyrothelmassaa.com/tag>

25- بوش: 3 سنوات صعبة في العراق ونحوّل المزيد، الاتحاد، 24 مايو 2006  
[/https://www.alittihad.ae/Article/60026/2006](https://www.alittihad.ae/Article/60026/2006)

22- بوش يلتقي شيوخ الأنبار ولا يستبعد خفض القوات، الشرق الأوسط، 4 أيلول 2007.

<http://archive.aawsat.com/details.asp?section=1&article=435582&issueno=10507#.W4an5-gzbIU>

23- تعديل الدستور المؤقت عام 1963 على موقع المحكمة الدستورية العراقية  
<https://www.hjc.iq/view.84/>

24- تنفيذ حكم الإعدام في صدام حسين شنقاً حتى الموت، الجزيرة 30 - 12 - 2006  
<http://www.aljazeera.net/news/arabic/2006/12/30>

25- تيار المستقبل [www.almustaqbal.org](http://www.almustaqbal.org)

26- حركة أمل <https://www.amal-movement.com>  
27- حزب الله <https://www.moqawama.org>

28- حركة المقاومة الإسلامية حماس *hamas.ps*

29- حركة فتح <https://www.fateh-gaza.com>  
30- حزب البعث على فيسبوك

<https://ar-ar.facebook.com/HzbAlbthAlraqy/>

31- حزب الدعوة الإسلامية <http://www.al-daawa.org/main>

32- دستور الجمهورية العراقية لعام 1991 على موقع المحكمة الدستورية العراقية  
<https://www.hjc.iq/view.80/>

33- عمليات تحرير الأنبار، قناة الحرة

<https://www.alhurra.com/a/military-operation-Iraq-Ramadi-anbar-province/276374.html>

35- ملحة عن انتخابات 2005، السومرية، 7 آذار 2012.  
[https://www.alsumaria.tv/mobile/news](http://www.alsumaria.tv/mobile/news)

36- مي الزعبي، المخيمات الفلسطينية في لبنان، الجزيرة [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)

37- ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية في سوريا على موقع الجبهة [http://www.pnf.org/sy/?page=category&category\\_id=131](http://www.pnf.org/sy/?page=category&category_id=131)

38- مؤسسة الدراسات الفلسطينية: منظمة التحرير الفلسطينية: الميثاق، النظام الأساسي، نظام الصندوق القومي الفلسطيني، المصادق عليها" ( .. د. م 1964 حزيران سنة 2 الموافق 1384 محرم سنة 21 من المجلس الوطني في جلسته المنعقدة يوم الثلاثاء في منظمة التحرير الفلسطينية (1964).

39- <https://www.palestine-studies.org/sites/default/files/uploads/files/28-5-1964b.pdf>

40- نص الدستور السوري لعام 1973 على موقع المركز الوطني للأبحاث [ncro.sy/wp-content/uploads/2016/04/19731.pdf](http://ncro.sy/wp-content/uploads/2016/04/19731.pdf)

41- نص الدستور اللبناني على موقع رئاسة الجمهورية اللبنانية <http://www.presidency.gov.lb/Arabic/LebaneseSystem/Documents>

42- نوري المالكي: رئيس الوزراء العراقي، الميادين، 1 شباط 2013 <http://www.almayadeen.net/episodes/635408>

43- وزارة الدفاع السورية، الميادين، 1 شباط 2013 <http://www.mod.gov.sy/index.php?node=554&cat=1169>

44- The Guardian, China accuses US of adding to regional tensions at , February 9 - 2014

<http://www.theguardian.com/world/2014/feb/09/china-accuses-us-south-china-sea> accessed on April 7 2015.

45- US commander accuses China of creating artificial landmass in South China Sea 2015. At , April 3, The Times of India.landmass in South China Sea <http://timesofindia.indiatimes.com/world/china/US-commander-accuses-China-of-creating-artificial-landmass-in-South-China-Sea/articleshow/46790380.cms> accessed on April 7

، 2014, August 11, RT, US accused of inciting South China Sea tensions -46  
at <http://rt.com/usa/179512-asean-kerry-wang-tensions/> accessed on  
2015, April 7

Website of Shanghai Cooperation Organization at -47  
<http://www.sectsco.org/EN123/brief.asp> accessed on 23 - 2 - 2015. -48

## الصحف العربية:

### مراجع الصحف:

- التايمز، نيلان برونسز، "في انتظار العرض"، 1994/19/8.
- الحياة، 4 تشرين الأول 1994.
- الحياة، مقابلة مع عبد الحليم خدام، في 1995/11/20.
- الحياة، سيريل تاونساند، العقبات في الاتفاق الإسرائيلي - السوري، 22 آب 1995.
- الحياة، سيريل تاونساند، "العقبات على المسار السوري - الإسرائيلي"، 22 آب 1995.
- الديار، في 6 تشرين الثاني/نوفمبر 1995.
- السفير (اللبنانية)، حافظ الأسد، في 1 نيسان/أبريل 1989.
- السفير في 17 تشرين الأول/أكتوبر 1991.
- السفير، في 31 تشرين الأول/أكتوبر 1991.
- السفير، في 1 تشرين الثاني/نوفمبر 1991.
- السفير، نور الدين ساطع، في 31 تشرين الثاني/نوفمبر 1991.
- السفير، في 24 حزيران/يونيو 1992.
- السفير، في 21 تموز/يوليو 1992.
- السفير، 6 آب/أغسطس 1992.
- السفير، في 19 آب/أغسطس 1992.
- السفير، في 25 آب/أغسطس 1992.
- السفير، في 26 آب/أغسطس.

- 18- السفير، في 25 آب/أغسطس 1992.
- 19- السفير، في 27 تشرين الأول/أكتوبر 1992.
- 20- السفير، في 12 تشرين الثاني/نوفمبر 1993.
- 21- السفير، في 24 كانون الثاني/يناير 1993.
- 22- السفير، في 29 تموز/يوليو 1994.
- 23- السفير، في 29 تموز/يوليو 1994.
- 24- السفير، 28 تشرين الأول 1994.
- 25- السفير في 18 تشرين الثاني/نوفمبر 1995.
- 26- السفير، في 11 كانون الأول/ديسمبر 1995.
- 27- السفير، في 1996/4/12.
- 28- السفير، في 1996/4/14.
- 29- السفير 13 نيسان 2011.
- 30- السفير 10 حزيران 2011.
- 31- السفير 15 حزيران 2011.
- 32- السفير 26 أيار 2011.
- 33- الشرق الأوسط، هدى الحسيني، في 6 آب/أغسطس 1992.
- 34- النهار، خطاب بوش، في 31 تشرين الأول/أكتوبر 1991.
- 35- النهار، في 31 تشرين الأول/أكتوبر 1991.
- 36- النهار، في 1 تشرين الثاني/نوفمبر 1991.
- 37- النهار، في 14 تموز/يوليو 1992.
- 38- النهار، في 3 أيلول/سبتمبر 1992.
- 39- النهار، في 7 أيلول/سبتمبر 1992.
- 40- النهار، في 23 أيلول/سبتمبر 1992.
- 41- النهار، في 24 أيار/مايو 1993.
- 42- النهار، في 16 أيلول/سبتمبر 1993.
- 43- جريدة النهار، 28 و 29 تشرين الأول 1994.
- 44- النهار، في 25 تشرين الثاني/نوفمبر 1995.
- 45- النهار، في 1996/4/12.

- 46- النهار في 16/4/1996.
- 47- النهار والسفير، في 3 تموز/يوليو 1992.
- 48- النهار والسفير، 28 حزيران 1995.
- 49- السفير والنهار، في 19/4/1996.

## قنوات تلفزيونية:

- 1- الجزيرة الوثائقية، أحمد الشقيري، 5 نيسان أبريل 2017.
- 2- الجزيرة الوثائقية، منظمة التحرير الفلسطينية، الجزيرة الوثائقية، 3 تموز يوليو 2011.
- 3- الجزيرة، السي أبي عاصي، نجاح واكيم، برنامج زيارة خاصة، 8 تشرين الأول أكتوبر 2011.

## نبذة ذاتية عن المؤلف:

أستاذ دكتور في التاريخ وال العلاقات الدولية في الجامعة اللبنانية.

- حاز في العام 2004 على شهادة دكتوراة دولة في تاريخ العلاقات الدولية من الجامعة اليسوعية في بيروت.
- حاز في العام 1999 على شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر من الجامعة اليسوعية في بيروت.
- حاز في العام 1998 على شهادة الماجستير في العلوم السياسية: السياسة المقارنة وال العلاقات الدولية من الجامعة الأمريكية في بيروت.
- حاز في العام 1995 على شهادة الليسانس في التاريخ العربي - الإسلامي المعاصر من الجامعة الأمريكية في بيروت.
- تابع عامي 2005 و2006 برنامج ما بعد الدكتوراة في جامعة مكغيل في مونتريال - كندا.
- عمل طويلا في مجال الصحافة المكتوبة والإذاعية والتلفزيونية وهو يتقن اللغات العربية، الفرنسية، الإنكليزية، والإسبانية.

له عشرات الكتب والمقالات الأكاديمية والصحفية منها:

جمال واكيم، قرية البربارة: من المجتمع الريفي إلى المجتمع المدني، (بيروت: أبعاد، 2020)

جمال واكيم، جريمة ولا عقاب: الحرب الأهلية اللبنانية وترميم النظام الطائفي، (بيروت: شركة المطبوعات: 2019)

جمال واكيم، هل وجد أمير اسمه فخر الدين المعنى الأول: تساؤلات حول الرواية التاريخية المؤسسة للكيان اللبناني، المستقبل العربي، عدد 467، كانون ثاني 2018.

جمال واكيم، هل تجتاح إسرائيل لبنان: المفاعيل الإقليمية لحرب إسرائيلية محتملة ضد حزب الله، المستقبل العربي، عدد 461، تموز 2017.

جمال واكيم، أوراسيا والغرب والهيمنة على الشرق الأوسط، (بيروت: أبعاد، 2006)

Jamal Wakim, Iran's Perpetual Drive to the East Mediterranean, Rivista Di Studi Mediterranei – N. 2 Anno I – 2015

Jamal Wakim, Eurasia Vs the West, (Beirut: Abaad, 2016)

Jamal Wakim, "End of al-Assad or of Erdogan? Turkey and the Syrian Uprising, Arab Studies Quarterly, Summer 2014, in Process

Jamal Wakim, The Struggle of Major Powers Over Syria, (London: Ithaca Press, 2013)

جمال واكيم، تاريخ الخنشارية والجوار، (بيروت: كاريتاس، 2015)

جمال واكيم وموريا ميراك فيسباخ، السياسة الخارجية التركية، (بيروت: المطبوعات، 2014)

جمال واكيم، صراع القوى الكبرى على سوريا-البعد الجيوسياسية لأزمة 2011، (بيروت: دار المطبوعات، 2011)  
طبعة ثانية 2012

جمال واكيم "سوريا و مفاوضات السلام في الشرق الأوسط" ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت 2010  
طبعة ثانية 2011

Jamal Wakim, Geopolitical Dimensions of the Syrian Crisis, Foreign Policy  
Journal, August 4, 2012-08-30

Jamal Wakim and Michael Provence, Colonial Origins of the Syrian Security  
State, al-Akhbar English, October 4, 2011

جمال واكيم، "ايران قوة اقليمية عظمى"، مجلة شؤون الأوسط

جمال واكيم، الأبعاد الجيوسياسية الإقليمية والدولية للأزمة السورية، الآداب عدد 10-12-2011

جمال واكيم ومايكل بروفانس، جذور الدولة الأمنية في سوريا، الآداب عدد 7-9 2011

جمال واكيم، الحرب الاهلية اللبنانية (1975-1991) اقتراح مقاربة جديدة، "مجلة الاداب"، عدد 10-9.2009

مشاركة في ندوة عن زياد الرحباني مجلة الاداب عدد 1-2-3.2010

جمال واكيم: مراجعة كتاب بيتر غران The Rise of the Rich

Jamal Wakim and Ali Tarabay, An Overview of Arab-Islamic Civilization,  
Beirut: Dar Nelson, 2009